المائة الثانية

من

وصايا الرسول ﷺ

جمع وتقديم وتعليق

طه عبد الله العفيفى

المجلد الثانى

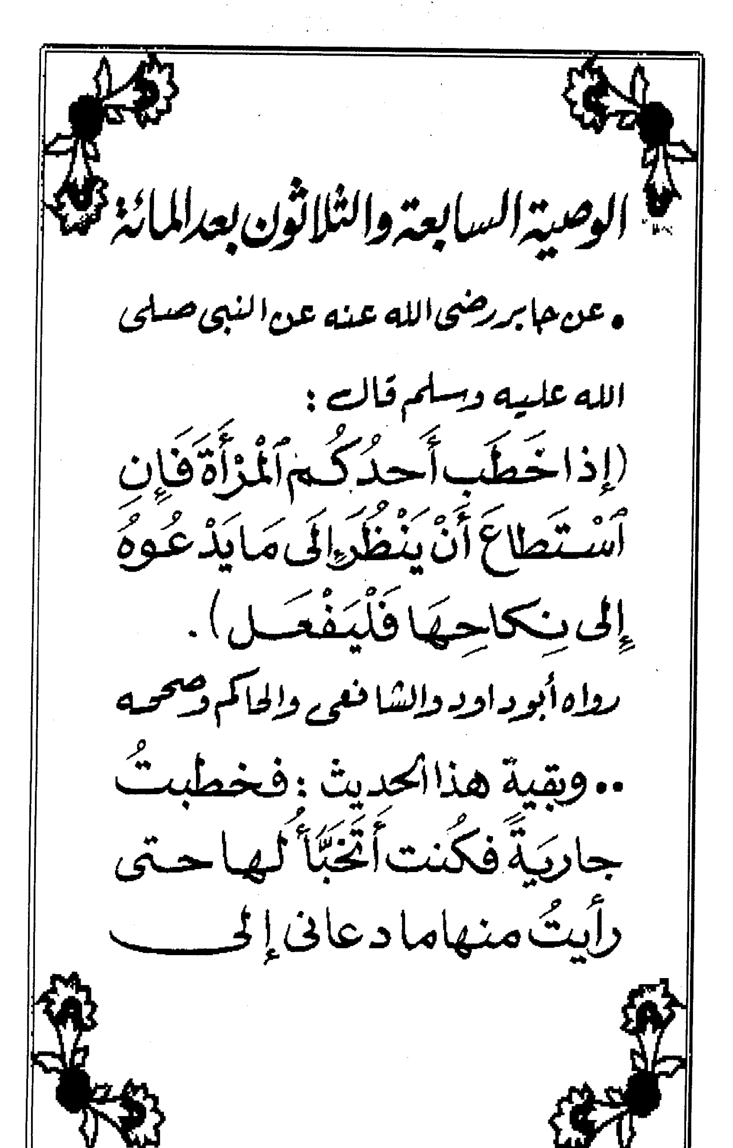
دار البيان العربي

١٨ ش درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

رقم الإيداع : ٢٩٠٧ / ٢٠٠٥

دار البيان العربي
١٨ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - ت: ٥١١٨٠٩٧



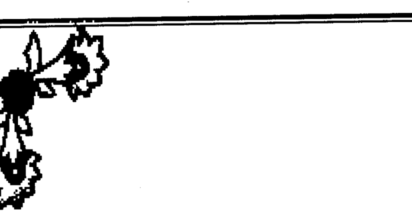
الوصية السابعة والثلاثون بعد المائة

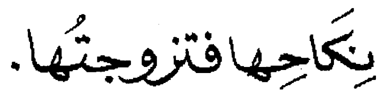
• عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(إذا خَطَبَ أَحدُكُم ٱلمَرْأَةَ فَإِنِ ٱسْتَطاعَ أَنْ يَنْظُرَ إِلى مَا يَدْعُوهُ إِلى نِكاحِهَا فَلْيَفْعَل) .

رواه أبو داود والشافعى والحاكم وصححه

.. وبقية هذا الحديث : فخطبتُ جاريةً فكُنت أتخبَّأُ لها حتى رأيتُ منها ما دعانى إلى



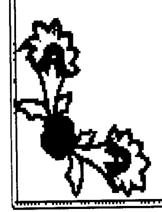


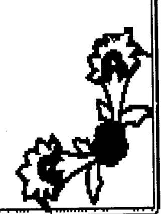
نِكَاحِها فتزوجتُها.

•• فيفهم منه : أن الأمر بالنظر ليس للوجوب بل للندب فقط.

• وعن المغيرة رضي الله عنه أنه خطب امرأةً فقال النبي صلى الله عليه وسلم :
(انْظُرْ إِلَيْهَا فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا).

رواه النسائي والترمذي وحسنه





فكن أخا الإسلام:

منفذًا لهذه الوصية العظيمة.. إذا أردت أن تتزوج – إن شاء الله – حتى تكون موَفَّقًا فى زواجكَ على أساس من هدى رسول الله ﷺ الذى يُوَصينا كشباب لم نتزوج بعد بصفة خاصة..أو تزوَّجنا قبل هذا ولكننا لم ننجح فى زواجنا الأول – سواء كُنَّا من الذكور أم من الإناث [1] – (إن النبى ﷺ يُوصينا جميعًا فيقول:

* «**يا معشر الشباب[2] من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغضُّ للبصرِ وأحصنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاء**».

* (وذلك) لأنه لا رهبانية فى الإسلام..

* فعن أنس: أن نفرًا من أصحاب النبى ﷺ قال بعضهم: لا أتزوج، وقال بعضهم: أصلّى ولا أنام، وقال بعضهم: أصوم ولا أُفطِر، فبلغ ذلك النبىَّ صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: «**ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، ولكنّى أصوم وأُفطر، وأصلى وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنَّتى فليس منِّى**» متفق عليه.

* (وعن) قتادة عن الحسن عن سمرة: (أن النبى ﷺ نهى عن التَّبتُّل، وقرأ قتادة – ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً**﴾ [الرعد: ٣٨]. رواه الترمذى وابن ماجه.

** (ثم) إذا كان النبى ﷺ قد قال فى وصيته للشباب: «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج**»: فإن المراد بالباءة – كما قال الخطابى النكاح ، وأصله الموضع يتبوؤه ويأوى إليه.

وقال النووى: اختلف العلماء فى المراد بالباءة على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما أن المراد معناه اللغوى: وهو الجماع، فتقديره من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤنه وهى مؤنة النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع الجماع بعجزه عن مؤنة

(١) أعنى بالنسبة للأنثى إذا جاءها رجل صالح فإنه ينبغى عليها أن لا ترفضه ما دام على خلق ودين.. وإلاّ كان لها الحق فى رفضه..

(٢) والشباب جمع شاب وهو اسم لمن بلغ إلى أن يكمل الثلاثين. قال القرطبى: فى المفهم: يقال له حدث إلى ست عشرة سنة، ثم شاب إلى اثنين وثلاثين، ثم كهل.

فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منيه كما يقطعه الوجاء[1] والقول الثـــانى أن المراد بالباءة مؤنة النكاح، سميت باسم ما يلازمها، وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج، ومن لم يستطع فليصم، قالوا: والعاجز عن الجماع لا يحتـــاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويل الباءة على المؤن.

(وقال) القاضى عيَّاض: لا يبعد أن تختلف الاستطاعتان، فيكون المراد بقوله: ((**من استطاع منكم الباءة**)) أى بلغ الجماع وقدَر عليه فليتزوَّج، ويكون قوله: ((**ومـــن لم يستطع**)) أى: لم يقدر على التزويج. (وقيل) الباء بالمد: القدرة على مؤن النكـــاح، وبالقصر: الوطء. (قال) الحافظ: ولا مانع من الحمل على المعنى الأعم بأن يراد بالباءة القدرة على الوطء ومؤن التزويج.

قال فى (نيل الأوطار) للشوكانى: (وقد) استدل بهذا الحديث علـــى أن، مـــن لم يستطع الجماع فالمطلوب منه ترك التزويج لإرشادهﷺ من كان كذلك إلى ما ينافيه ويضعف دواعيه. ذهب بعض أهل العلم إلى أنه مكروه فى حقه...

* (ثم) قولهﷺ ((**فليتزوج**)): يفيد وجوب النكاح – لمن يملك الباءة – قـــال فى الفتح: وقد قسَّم العلماء الرَّجُل فى التزويج إلى أقسام: التائق إليه، القادر على مؤنه، الخائف على نفسه، فهذا يُندَب له النكاح عند الجميع، وزاد الحنابلة فى روايـــة أنـــه يجب، وبذلك قال أبو عوانة الأسفرايينى من الشافعية وصرَّح به فى صـــحيحه، ونقلـــه المصعبى فى شرح مختصر الجوينى وجهًا وهو قول داود وأتباعه.. ا. هـــ.

وبه قالت الهادويه مع الخشية على النفس من المعصية. قال ابن حزم: وفرض على كل قادر على الوطء إن وَجَدَ ما يتزوج به أو يَتَسرَّى أن يفعل أحدهما، فإن عجز عن ذلك فليكثر من الصوم، وهو قول جماعة من السلف..ا.هـــ [2].

* (والآن) أقول للأخ المسلم الذى يستطيع الباءة.. والذى يريد أن يُحصِّن نفسه من المعصية.. بالزواج الشرعى: إليك:

(١) الوجاء كما جاء فى (مختار الصحاح) ص ٧٠٩: بالكسر والمد: رضُّ عروق البيضتين حتى تنفضخ فيكون شبيهًا بالخصاء.. (والمعنى) أن الإكثار من الصيام التطوع سيُضعف من شهوته ذكرًا كان أو أنثى..

(٢) انظر (نيل الأوطار للشوكانى) ج٦ (كتاب النكاح). لكى تقرأ بقية الآراء بالتفصيل.

صفات المرأة التي تستحب خطبتها

* (فعن) أنس رضي الله عنه: أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمُر بالباءة وينهى عن التَّبتُّل[1] نهيًا شديدًا ويقول: « **تزوَّجوا الودود الولود، فإنى مُكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة** » رواه أحمد.

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **أنكحوا أمهات الأولاد، فإنى أُباهى بكم يوم القيامة** » رواه أحمد.

* (وعن) معقل بن يسار رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إنى أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد أفأتزوَّجها ؟ قال: « **لا** »، ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: « **تزوَّجوا الودود الولود، فإنى مُكاثر بكم** ». رواه أبو داود والنسائى.

* ومعنى: الولود، أى: كثيرة الولد.

* ومعنى: الودود، أى: المودودة لما هى عليه من حسن الخلق والتَّودُّد إلى الزوج.

* والمكاثرة يوم القيامة: إنما تكون بكثرة أمته صلى الله عليه وآله وسلم.

**قال الحافظ فى الفتح بعد أن ذكر بعض أحاديث الباب ما لفظه، وهذه الأحاديث وإن كان فى الكثير منها ضعف فمجموعها يَدُلُّ على أن لما يحصل به المقصود من الترغيب فى التزويج أصلاً لكن فى حق من يتأتَّى منه النسل.. ا. هـ.

* (وعن) جابر رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال له: « **تزوجت بكرًا أم ثيِّبًا ؟** » قال: ثيبًا، فقال: « **هلاَّ تزوَّجت بكرًا تلاعبها وتلاعبك ؟** » رواه الجماعة.

وزاد البخارى فى رواية له فى النفقات: « **وتضاحكها وتضاحكك** » وفى رواية لأبى عبيد: « **تداعبها وتداعبك** » بالدال المهملة مكان اللام.

---

(١) التبتل: هو الانقطاع للعبادة.. أى التفرغ لها.. وهذا منهى عنه.. لأنه لا رهبانية فى الإسلام.. وفى الحديث: « **من رغب عن سنتى فليس منى** ».

(وفيه) دليل على استحباب نكاح الأكابر إلاَّ لمقتضٍ لنكاح الثيب كما وقع لجابر، فإنه قال للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لما قال له ذلك: (هلك أبى [1] وترك سبع بنات أو تسع بنات فتزوَّجت ثيِّبًا كرهت أن أجيئهن بمثلهن) فقال: «**بارك الله لك**» هكذا فى البخارى فى النفقات. وفى رواية له ذكرها فى المغازى من صحيحه: (كان لى تسع أخوات فكرهت أن أجمع إليهن جارية خرقاء معهن، ولكن امرأة تقوم عليهن وتمشِّطُهنَّ) قال: « **أَصبْتَ**».

** (وهناك):

أُسُسٌ أخرى فى اختيار الزوجة

(لابُدَّ) وأن يلاحظها الأخ المسلم، وأن يُركِّز عليها فى اختيار شريكة حياته فى تأسيس أسرة مسلمة يعتز الإسلام بها:

* (فعن) جابر رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **إن المرأة تُنكح على دينها، ومالها، وجمالها، فعليك: بذات الدين تربت يداك**» رواه مسلم والترمذى وصححه.

* (فمعنى) قوله ﷺ: « **تنكح المرأة لأربع**»: أى لأجل أربع.

* (ومعنى) قوله: « **لحسبها**» بفتح الحاء والسين المهملتين بعدهما باء موحدة: أى شرفها، والحسب فى الأصل الشرف بالآباء والأقارب، مأخوذ من الحساب لأنهم كانوا إذا تفاخروا عدُّوا مناقبهم ومآثر آبائهم وقومهم وحسبوها، فيحكم لمن زاد عدده على غيره، وقيل المراد بالحسب هاهنا الأفعال الحسنة، وقيل المال وهو مردود بذكره، قبله، ويؤخذ منه أن الشريف النسيب يُستَحبُّ له أن يتزوج نسيبة إلاَّ أن تعارض نسيبته غير دِّينه وغير نسيبة دِّينه.. فَتُقَدم ذات الدين، (وهكذا) فى كل الصفات، (وأما) ما أخرجه أحمد والنسائى وصححه ابن حبان والحاكم من حديث بريدة رفعه: « **إن أحساب أهل الدنيا الذى يذهبون إليه: المال**» فقد قال الحافظ: يحتمل أن يكون المراد أنه حسب من لا حسب له، فيقوم النسب الشريف لصاحبه مقام المال لمن لا نسب له.

(١) أى: مات.

(ومنه) حديث سمرة رفعه: **((الحسب: المال، والكـــرم: التقـــوى))**. أخرجـــه: أحمـــد، والترمذى، وصححه هو، والحاكم.

* (ومعنى) قوله: **((وجمالها))**: يؤخذ منه استحباب نكاح الجميلة، ويلحق فى الذات الجمال فى الصفات ولله دُرُّ من قال:

لـــيس الجمـــال بـــأثواب تُزيِّنُنـــا إن الجمـــال جمـــال العلـــم والأدب

* (ومعنى) قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **((فاظفر بذات الدين))**: فيه دليل على أن اللائق بذى الدين والمروءة أن يكون الدين مطمح نظره فى كل شيء، لا ســـيَّما فيما تطول صحبته كالزوجة، (وقد) وقع فى حديث عبد الله بن عمرو عنـــد ابـــن ماجه، و البزار، والبيهقى رفعه: **((لا تزوجوا[1] النساء لحُسْنِهنَّ فعســـى حُسْـــنهنَّ يُرديهنَّ [2]، ولا تَزوجوهُنَّ لأموالهن فعسى أمـــوالهن أن تُطغـــيهِنَّ [3]، ولكـــن تَزوجُوهنَّ على الدين، ولأَمَةٌ سوداء ذاتُ دينٍ أفضل))**.

(ولهذا) قيل: إن معنى حديث الباب الذى ندور حوله: الإخبار منهﷺ بما يفعله الناس فى العادة، فإنهم يقصدون هذه الخصال الأربع..، وآخرها عندهم ذات الدين.. فاظفر أيها المسترشد بذات الدين.. (لأن) ذات الدين هى حسنة الدنيا كما جاء فى تفسير قـــول الله تعالى: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة: ٢٠١].

* (ومعنى) قولهﷺ: **((تربت يداك))**، أى: لُصقَت بالتراب ؛ وهى كناية عن الفقر.

قال الحافظ: وهو خبر بمعنى الدعاء لكن لا يُراد به حقيقته، وبهذا جزم صاحب العمدة، (وزاد) غيره أن صدور ذلك من النبى صلى الله عليه وآله وســـلم فى حـــق مسلم لا يُستجاب لشرطه ذلك على ربه. (وحكى) ابن العربى أن المعنى اســـتغنيت. (ورُدَّ) بأن المعروف: أترب إذا استغنى، وترب إذا افتقر. (وقيل) معناه ضَعُفَ عقلـــك، (وقيل): افتقرت من العلم، (وقيل): فيه شرط مُقدَّر: أى وقع لك ذلـــك إن لم تفعـــل، ورجحه ابن العربى، (وقيل) معنى تربت: خابت.

(١) أى: لا تزوجوا...
(٢) أى: يجلب لهن الهلاك والشقاء.
(٣) أى: تزيدهن طغيانًا وتجبرًا.

(قال) القرطبى: معنى الحديث: أن هذه الخصال الأربع هى التى يرغَّب فى نكاح المرأة لأجلها، فهو خبر عمَّا فى الوجود من ذلك، لا أنه وقع الأمر به، بل ظاهره إباحة النكاح لقصد كل من ذلك، (وقال): ولا يُظنُّ من هذا الحديث أن هذه الأربع يؤخذ منها الكفاءة؛ أى: تنحصر فيها، فإن ذلك لم يقل به أحد فيما علمت، وإن كانوا اختلفوا فى الكفاءة ما هى [1].

** (فعلى) الأخ الذى فى الطريق إلى خِطْبَة الزوجة.. أن يلاحظ كل هذه الأساسيات التى وصفها النبى ﷺ فى نص الحديث الماضى والذى وقف كذلك على المعنى المراد منها.. حتى يكون موفقًا فى اختياره بتلك الصورة التى ستكون إن شاء الله تعالى سببًا فى سعادته الزوجية.. التى ستكون أيضا إن شاء الله من أهم أسباب تربية الأبناء تربية سليمة.. لأن:

الأمُّ مدرسة إذا أعددها   أعددت شعبًا طيِّب الأعْراق

* (والأمُّ) هنا فى هذا البيت من الشعر هى الزوجة المنتظرة بالنسبة لك إن شاء الله..

(وأعنى) أنها الزوجة التى أعدها لك أبوها مع أمها — من يوم أن ولِدَت — إعدادًا صالحًا حتى تكون بعد ذلك — فى بيتك — مَدْرَسَة لأولادك فى الصلاح والتقوى.. وحسن الأخلاق.

** (وهناك) ملاحظة هامة لابد وأن يلاحظها الأخ المسلم قبل أن يبدأ فى خطوات الخِطبة، وهى:

أن لا يخطب على خِطبة أخيه

* (فعن) عقبة بن عامر ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«المؤمن أخو المؤمن فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه حتى يذر»**. رواه أحمد ومسلم.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: **« لا يخطب الرجل على خِطبة أخيه حتى ينكحَ أو يترك»**. رواه البخارى والنسائى.

(١) انظر نيل الأوطار للشوكانى.. بتصرف وإضافات..ج ٦ ص١١٨-١٢٠.

* (وعن) ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول ﷺ قال: ((**لا يخطب الرجل على خِطبة الرجل حتى يترك الخاطب قبله أو يأذن له الخاطب**)). رواه أحمد والبخارى والنسائى.

** (فقد) استُدِل بهذه الأحاديث على تحريم الخِطبة على الخِطبة، لقوله ﷺ فى الحديث الأول: ((**لا يحل**))، وكذلك استُدِلَّ بالنهى المَذكُور فى الحديث الثانى والثالث، وفى لفظ للبخارى: ((**نهى أن يبيع بعضكم على بيع بعض أو يخطب**)) وفى لفظ لأحمد من حديث الحسن عن سمرة: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى أن يخطب الرجل على خِطبة أخيه). (وقد) ذهب إلى هذا الجمهور، وجزموا بأن النهى للتحريم كما حكى ذلك الحافظ فى فتح البارى. (وقال) الخطابى: إن النهى ههنا للتأْديب وليس بنهى تحريم يُبطِل العقد عند أكثر الفقهاء.

(قال) الحافظ: ولا ملازمة بين كونه للتحريم وبين البطلان عند الجمهور، بل هو عندهم للتحريم ولا يُبطل العقد. (وحكى) النووى: أن النهى فيه للتحريم بالإجماع ولكنهم اختلفوا فى شروطه، فقالت الشافعية والحنابلة: محل التحريم إذا صرحت المخطوبة بالإجابة، أو وليها الذى أذنت له، وبذلك قالت الهادوية، فلو وقع التصريح بالرد فى تحريم، وليس فى الأحاديث ما يدل على اعتبار الإجابة.

(وأما) ما احتج به من قول فاطمة بنت قيس للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: إن معاوية وأبا جَهْم خطباها، فلم يذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم ذلك عليهما، بل خطبها لأسامة، فليس فيه حجة كما قال النووى لاحتمال أن يكونا خطباها معًا، أو لم يعلم الثانى بخطبة الأول والنبى صلى الله عليه وآله وسلم أشار بأسامة ولم يخطب كما سيأتى، بعد ظهور رغبته عنهما، وظاهر حديث فاطمة الآتى قريبًا [1] أن أسامة خطبها مع معاوية وأبى جَهْم قبل مجيئها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم.

(وعن) بعض المالكية: لا تمتنع الخِطبَة إلاَّ بعد التَّراضِى على الصَّداق، ولا دليل على ذلك.

(١) فى باب (التعريض بالخطبة فى العدة).

(وقال) داود الظاهرى: إذا تزوَّجها الثانى فُسِخَ النكاح قبل الدخول وبعده، وللمالكية فى ذلك قولان؛ فقال بعضهم: فُسِخَ قبله لا بعده.

(قال) فى الفتح: وحجة الجمْهور أن المنهى عنه الخطبة وهى ليسَت شرطًا فى صحة النكاح، فلا يُفْسَخ النكاح بوقوعها غير صحيحة.

* (وقوله): ((**لا يخطب الرجل على خِطبة الرجل**)): ظاهره أنه لا يجوز للرجل أن يخطب على خطبة الفاسق [1] ولا على خِطبة الكافر، نحو أن يخطب ذمِّية [2] فلا يجوز لمن يجوز نكاحها أن يخطبها، ولكنه يُقيَّد هذا الإطلاق بقوله فى حديث أبى هريرة: ((**لا يخطب الرجل على خِطبة أخيه**)) فإنه لا أُخوَّة بين المسلم والكافر، وبقوله فى حديث عقبة: ((**المؤمن أخو المؤمن..**)) **الخ** فإنه يخرج بذلك الفاسق، وإلى المنع من الخِطبة على خِطبة الكافر والفاسق مذهب الجمهور.

قالوا: والتعبير بالأخ خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له. (وذهب) الأوزاعى وجماعة من الشافعية أنها تجوز الخطبة على خِطبة الكافر وهو الظاهر.

* (وقوله): (حتى يترك) وفى حديث عقبة: (حتى يذر): وفى ذلك دليل على أنه يجوز للآخر أن يخطُب بعد أن يعلم رغبة الأول عن النكاح. وأخرج أبو الشيخ من حديث أبى هريرة مرفوعًا: ((**حتى ينكِحَ أو يَدَعَ**)) قال الحافظ: وإسناده صحيح.

** (فلاحظ) هذا أخا الإسلام حتى لا تعتدى على خطبة أخيك لفلانة.. التى رُبَّما يرغب فيها. ويرجو أن تكون زوجة له.. (وإياك) إياك أن تحاول إغراءها أو إغراء أهلها بمالك أو جاهك حتى لا تُفسِد خِطبته.. وأنت تعلم أنه قد تقدَّم لخطبتها وتمَّ الاتفاق معه على كل شيء...

لأن هذا سيكون حراما.. (وقد) علمت أن خطبتك لها حينئذ ستكون باطلة[3]... اللهم إلا إذا علمتَ أنه قد رَغب عنها، أى تركها.. فإنك حينئذ يجوز لك أن تخطبها لنفسك بدون حرج.. أو تحريم.

---

(١) فسق عن أمر ربه: أى خرج (مختار الصحاح) ص٥٠٣.
(٢) الذمى: هو غير المسلم.. الذى أعطى عهدًا يأمن به على ماله وعرضه ودينه.. فى بلاد المسلمين وكذلك الذمية
(٣) كما جاء فى (فقه السنة) و (الحلال والحرام فى الإسلام).وغيرهما...

** (هذا) مع ملاحظة كذلك أنه إذا كانت التي تريد خطبتها قد مات عنها زوجها [١] وهى لا تزال فى العدة [٢]، فإنه يجوز لك:

التعريض بخطبتها

* (فعن) فاطمة بنت قيس: (أن زوجها طلَّقها ثلاثًا، فلم يجعل لها رسول الله ﷺ سكنى ولا نفقة، قالت: وقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إذا حللت فآذنينى**» فآذنته، فخطبها معاوية وأبو جَهْمٍ وأسامة بن زيد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**أما معاوية [٣] فرجل تَرِبٌ لا مال له، وأما أبو جهم فرجل ضرَّابٌ للنساء [٤]، ولكن أسامة، فقالت بيدها هكذا أسامة أسامة**» فقال لها رسول الله ﷺ «**طاعة الله وطاعة رسوله**» قالت: فتزوجته فاغتبطت) رواه الجماعة إلا البخارى.

* (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿**فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٣٥] يقول: إنى أُريد التزَّويج، ولو وددتُ أنه يُسِّر لى امرأة صالحة). رواه البخارى.

* (وعن) سكينة بنت حنظلة قالت: (استأذن علىَّ محمد بن علىٍّ و لم تنقض عدتى من مَهْلكة زوجى، فقال: قد عَرفت قرابتى من رسول الله ﷺ، وقرابتى من علىٍّ، وموضعى من العرب، قلت: غفر الله لك يا أبا جعفر إنك رجل يؤخذ عنك [٥] وتخطبنى فى عدتى، فقال: إنما أخبرتك بقرابتى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن علىٍّ، وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أم سلمة وهى مُتَأَيِّمة[٦] من أبى سَلمة فقال: «**لقد علمت أنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخيرته من خلقه وموضعى من قومى**». كانت تلك خطبته. رواه الدارقطنى.

---

(١) أو طلقها ثلاثًا. لا رجعة فيه.
(٢) وهى: أربعة أشهر وعشرة أيام لقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً**﴾[البقرة: ٢٣٤].
(٣) قيلَ هو ابن أبى سُفيان وقيل غيره.
(٤) قيل هو كناية عن كثرة ضربه للنساء..
(٥) أى: يؤخذ عنك العلم والفقه.
(٦) الأيمة التى فقدت زوجها بالوفاة.

(قال) فى الفتح: واتفق العلماء على أن المراد بهذا الحكم من مات عنها زوجها. واختلفوا فى المعتدة من الطلاق البائن، وكذا من وقف نكاحها. (وأما) الرجعية فقال الشافعى: لا يجوز لأحد أن يعرض لها بالخطبة فيها.

(ثم) يقول: (فى نيل الأوطار): والحاصل أن التصريح بالخطبة حرام لجميع المعتدات، والتعريض مباح للأولى، وحرام فى الأخيرة، مختلف فيه فى البائن. (واختلف) فيمن صرَّح بالخطبة فى العدة لكن لم يعقد إلَّا بعد انقضائها، (فقال مالك): يفارقها دخل أو لم يدخل. (وقال الشافعى): يصحُّ العقد وإن ارتكب النهى بالتصريح المذكور لاختلاف الجهة. (وقال المهلب): علَّة المنع من التصريح فى العدة أن ذلك ذريعة إلى الواقعة فى المدة التى هى محبوسة فيها على ماء الميت[1] أو المطلِّق. وتُعَقِبَ بأن هذه العلَّة تصلُح أن تكون لمنع العقد لا لمجرد التصريح، إلاَّ أن يُقَال: التصريح ذريعة إلى العقد، والعقد ذريعة إلى الوقاع، (وقد) وقع الاتفاق على أنه إذا وقع العقد فى العدة لزم التفريق بينهما، (واختلفوا) هل تحل له بعد ذلك ؟ (فقال) مالك والليث والأوزاعى: لا يحل نكاحها بعد (وقال) الباقون: بل يحل له إذا انقضت العدَّة أن يتزوجها إذا شاء.

** (وهناك) أحكام فقهية أخرى لابد وأن يقف الأخ المسلم عليها.. وهى:

خطبة المُجبرة إلى وليِّها والرشيدة إلى نفسها:

* (فعن) عراك عن عُروة (أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خطب عائشة إلى أبى بكر فقال له أبو بكر: إنما أنا أخوك) فقال له: « **أخى فى دين الله وكتابه وهى لى حلال**» رواه البخارى هكذا مرسلًا.

* (وعن) أم سلمة قالت: (لما مات أبو سلمة أرسل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم حاطب ابن أبى بلتعة يخطبنى له، فقلت له: إن لى بنتا وأنا غيور، فقال: «**أمَّا ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعوا الله أن يذهب بالغيرة**» مختصر من مسلم.

* (فالحديث) الأول فيه دليل على أن خطبة المرأة الصغيرة البكر تكون إلى وليِّها،

(١) أى: على منىِّ الزوج السابق الذى فى رحمها.. سواء كان الزوج السابق هذا ميتًا أو مطلقًا....

قال ابن بطال: وفيه أن النهى عن إنكاح البكر حتى تُستَأمر مخصوص بالبالغة التى يتصور منها الإذن، وأمَّا الصغيرة فلا إذن لها. (والمراد) بالغيرة المشار إليها فى قول أم سلمة (وأنا غيور): أنها تغار إذا تزوَّج زوجها امرأة أخرى، والنبى ﷺ قد كان له زوجات قبلها..

(وفيه) دليل على أن المرأة البالغة الثيبة تُخطَبُ إلى نفسها..

** (ثم) بعد ذلك وبعد أن وقف الأخ المسلم على كل تلك الأساسيات المتعلقة أنتقل معه إلى المعنى المراد من الوصية التى ندور حولها، وهو:

النظر إلى المخطوبة

فقد ورد بالإضافة إلى الوصية التى ندور حولها:

* (عن) موسى بن عبد الله عن أبى حميد أو عبيدة قال: قال رسول الله ﷺ **((إذا خطب أحدكم امرأة فلا جُناح عليه** [1] **أن ينظر منها إذا كان إنما ينظر إليها لخطبة وإن كانت لا تعلم))**. رواه أحمد.

* (وعن) محمد بن مسلمة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: **((إذا ألقى الله عز وجل فى قلب امرىءٍ خِطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها))**. رواه أحمد وابن ماجه.

** (وقد) قرأت فى (الحلال والحرام فى الإسلام) توضيحًا هامًا لموضوع:

النظر إلى المخطوبة وحدوده

(فقال) ويشرع للمسلم إذا عزم على الزواج، واتجهت نيته لخطبة امرأة مُعيَّنة أن ينظر إليها قبل البدء فى خطوات الزواج، ليُقدم عليه على بصيرة وبيِّنة، ولا يمضى فى الطريق معصوب العينين، حتى يكُون بمنجاة من الوقوع فى الخطأ والتورط فيما يَكره.

(هذا) إلى أن العين رسول القلب، وقد يكون التقاء العين بالعين سبيلاً لالتقاء القلوب وائتلاف الأرواح.

* (روى) مسلم عن أبى هريرة قال: كنتُ عند النبى ﷺ فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال رسول الله ﷺ: ((**أنظرت إليها ؟**)) قال: لا. قال: **((فاذهب فانظر إليها، فإن فى أَعْيُنِ الأنصار شيئًا))**.

---

(١) أى: لا إثم عليه.

* (وروى) المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبى ﷺ: « **انظر إليها، فإنه أحرى أن يُؤدَمَ بينكما** [1]» فأتى أبويها، فأخبرهما بقول رسول الله ﷺ فكأنهما كرها ذلك.. فسمعت ذلك المرأة وهى فى خدرها فقالت: إن كان رسول الله ﷺ أمرك أن تنظر فانظر.. قال المغيرة: فنظرت إليها فتزوجتها) أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذى وابن حبان والدارمى. ولم يحدد النبى ﷺ للمغيرة ولا للرجل الآخر المقدار الذى يتاح لهما رؤيته من المخطوبة.

* (وقد) قال بعض العلماء: هو الوجه والكفان لكن الوجه والكفين تجوز رؤيتهما فى غير الخطبة، ما دام ظرف الخِطبة مُستثنى فلابد أنه يجوز أن يرى منها أكثر مما يجوز فى الظروف المعتادة الأخرى. وقد جاء فى الحديث: « **إذا خطب أحدكم المرأة فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل**». رواه أبو داود.

* (وقد) تطرَّف بعض العلماء فى الترخيص بالقدر الذى يُرى، وتطرَّف آخرون فى التشديد والتضييق، والخير فى التَّوسط والاعتدال. وقد حدَّده بعض الباحثين بأن للخاطب فى عصرنا الحالى أن يراها فى الملابس التى تظهر بها لأبيها وأخيها ومحارمها بلا حرج، قال: بل له — فى نطاق الحديث الشريف — أن يصحبها مع أبيها أو أحد محارمها — وهى بزيها الشرعى — إلى ما اعتادت أن تذهب إليه من الزيارات والأماكن المباحة لينظر عقلها وذوقها وملامح شخصيتها، فإنه داخل فى مفهوم البعضية التى تضمنها قوله علية الصلاة والسلام: « **فقدر أن ينظر منها بعض ما يدعوه إلى زواجها**» [2].

*(وله) أن ينظر إليها بعلمها وعلم أهلها، كما له أن ينظر إليها دون أن تعلم هى أو يعلم أحد من أهلها ما دام ذلك بنية الخطبة. (وقد) قال جابر بن عبد الله عن امرأته: (كنت أتخبأ لها تحت شجرة لأراها). (ومن) حديث المغيرة الذى ذكرناه نعلم أنه لا يُباح للأب المسلم أن يمنع ابنته أن يراها مَنْ يُريد خطبتها صادقا، باسم التقاليد، فإن الواجب أن تخضع التقاليد للشريعة، لا أن تخضع شريعة الله لتقاليد الناس..

(١) أى: يحصل الموافقة والملاءمة بينكما.
(٢) المرأة بين البيت والمجتمع للأستاذ البهى الخولى ص٢٤ ط ثانية.

* (كما) لا يحلُّ للأب ولا للخاطب ولا للمخطوبة أن يتوسَّعوا فى الرخصة فيلقوا الحبل على الغارب للفتى والفتاة – باسم الخطبة – يذهبان إلى الملاهى والمتنزهات والأسواق بغير حضور أحد من المحارم، كما يفعل اليوم عُشَّاق الحضارة الغربية والتقاليد الغربية إن النظر إلى اليمين أو اليسار أمر تأباه طبيعة الإسلام.

** (كما) يقول أيضًا فى (الحلال والحرام فى الإسلام):

* (والفتاة) هى صاحبة الشأن الأول فى زواجها، فلا يجوز لأبيها أو وليها أن يهمل رأيها أو يغفل رضاها – قال عليه الصلاة والسلام: « **الثيب أحقُّ بنفسها من وليِّها. والبكر تُستأذن فى نفسها، وإذنها صمتُها** » متفق عليه.

* (وجاءت) فتاة إلى النبى ﷺ فأخبرته أن أباها زوَّجها من ابن أخيه وهى له كارهة، فجعل النبى ﷺ الأمر إليها، فقالت: (قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردتُ أن أُعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر من شيء). رواه ابن ماجه وغيره.

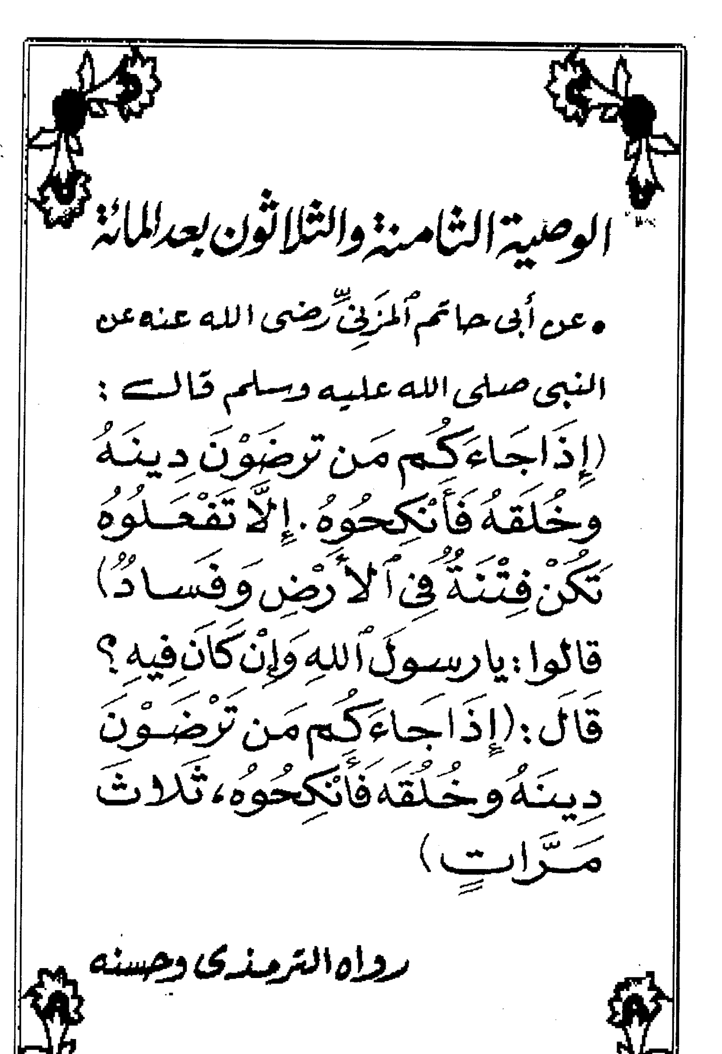
** (ثم) يقول فى نفس المرجع السابق:

* (ولا يحل) للأب أن يؤخر زواج ابنته إذا خطبها كفءٌ ذُو دين وخُلُق.. قال ﷺ: « **ثلاث لا يُؤخَّرون: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيِّم إذا وجدت لها كُفئًا** » رواه الترمذى.

وقال ﷺ: « **إذا أتاكم من ترضون دينه وخلُقه فزوِّجوه إلا تفلُعوه، تكن فتنة فى الأرض وفسادٌ كبير** » رواه الترمذى.

** (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذه على أكمل وجه على ضوء ما وقف عليه من القرآن والسنة.. بالإضافة إلى الأحكام الفقهيَّة التى وقف عليها.. حتى تتم خطبته للأخت المسلمة التى يرغب فى الزَّواج منها بدون خروج عن حدود الشرع القويم.. (ويوم) أن يتم هذا على أساس دينى سليم.. فإن الزواج إن شاء الله سيكون مباركًا.. وسيكون من أهم ثماره الذرية الصالحة.. ونحن نسأل الله تعالى أن يهبَ ..﴿**لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ**﴾ [الفرقان: ٧٤].

اللهم آمين



الوصية الثامنة والثلاثون بعد المائة

• عن أبي حاتم المزني رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إِذَا جَاءَكُم مَن تَرضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ. إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ)

قالوا: يا رسولَ اللهِ وإنْ كانَ فيهِ؟

قَالَ: (إِذَا جَاءَكُم مَن تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ)

رواه الترمذي وحسنه

فكن أخا الإسلام

من الآباء الصالحين الذين عناهم الرسول ﷺ بقوله فى نص الوصية التى ستدور حولها، وفى أول سطر فيها: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه..**» أى: فزوجوه إحدى بناتكم الصالحات - إن شاء الله - (وهذا) القول المُحمَّدى معناه أننا ينبغى علينا نحن الآباء الصالحين للفتيات الصالحات.. أن نلاحظ أمرًا هامًا وهو أن الرجل الصالح صاحب الدين والخُلق الذى سيأتى إلى بيوتنا لكى يخطب إحدى بناتنا يجب علينا أن نرحب به.. ونستقبله استقبالاً كريمًا.. حتى ولو كان فقيرًا لا يملكُ من متاع الدنيا إلاَّ القليل.. (لأن) العبرة ليست بكثرة المال.. وإنما هى بالمشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣].

**(وقد) ورد فى السُّنة المطهرة ما يُؤكد هذا المعنى الكبير الذى لابدَّ وأن يفهمه الآباء الصالحون الذين من الشرف لهم أن ينفِّذوا وصية الرسول ﷺ.

* (فعن) أبى العباس سهل بن سعد الساعدىِّ ﷺ قال: (مَرَّ رجُلٌ على النبى ﷺ فقال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك فى هذا ؟**» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حَرِىٌّ [1] إن خطب أن يُنكح، وإن شَفَعَ أن يُشفَّع، فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجُلٌ آخر، فقال له رسول الله ﷺ: «**ما رأيك فى هذا ؟**» فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين، وهذا حَرِىٌّ إن خطب أن لا يُنكَحَ، وإن شفع أن لا يُشفَّع، وإن قال أن لا يُسْمع لقوله، فقال رسول الله ﷺ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**» متفق عليه.

(ففى) الحديث يشير النبى ﷺ إلى أن الإنسان منَّا قد يكون حَسَنَ المظهر.. ولكن مخبره ليس حسنًا.. (وقد) يكون العكس هو الصحيح.. (وأعنى) بهذا كما أشار الحديث أن الشاب الصالح الفقير الذى سيأتى إلى أحد بيوتنا - نحن الآباء ليخطب إحدى بناتنا الصالحات - بعد أن استشار واستخار - رغبة فى أن يُحصِّن فَرْجَهُ.. بالزَّواج الشرعى الذى هو سنة الحياة الشريفة الطاهرة.

(١) أى: حقيق..

* (فعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحة، فقد أعانه على شطر دينه** [1]، **فليتق الله فى الشَّطر الباقى**» رواه الطبرانى فى الأوسط والحاكم، ومن طريقه البيهقى، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وفى رواية البيهقى: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تزوَّج العبد فقد استكمل نصف دينه، فليتق الله فى النصف الباقى**».

** (ومعنى) قوله ﷺ: «**فليتق الله فى النصف الباقى**» أى: أنه بالزَّواج قد أحصن فَرْجُه وحفظه من الوقوع فى الفاحشة: فعليه أن يتقى الله فى بقية أعضائه من يدٍ ولسان ونحوها فيحفظها من الوقوع فى معصية الله عز وجل...

(أقول): إذا جاءنا الشاب الصالح، أو الرجل الصالح لكى يتزوَّج إحدى بناتنا حتى يستكمل بهذا الزواج نصف دينه.. فإنه ينبغى علينا أن نُرَحِّب به كخاطب لإحدى بناتنا – بعد أن تُوَافِق عليه وتُبدِى رأيها فيه.. مع ضرورة أن تضع فى اعتبارها ما قاله النبى ﷺ .. من أن الأساس فيه هو الدين والخُلُق – وعلينا بعد ذلك أن نتفق معه وبدون مغالاة فى المهر أو المتطلَّبات.. حتى ننفِّذ قول الرسول ﷺ: «**فأنكحوه**» ثلاث مرات.

** (مع ملاحظة) أنه من الخير أن تكون الزوجة خفيفة المهر– حتى يتم الزواج بدون عسر– (فقد) قال رسول الله ﷺ: «**خير النساء أحْسَنَهُنَّ وجُوهًا وأرخصُهن مهورًا**» [2]، (وقد) نهى [3] عن المغالاة فى المهر.

* (وقد) تزوَّج رسول الله ﷺ بعض نسائه على عشرة دراهم وأثاث بيت وكان: رَحَى يدٍ، وَجرَّةٍ، ووسادة من أُدم حشوها ليفَ [4]. وَأَوْلَمَ على بعض نسائه بمُدَّين من شعير. وعلى أخرى بمدين من تمر، ومُدَّين من سَوِيق.

---

(١) أى: نصف دينه.

(٢) أخرجه ابن حبان..

(٣) رواه أصحاب السنن الأربعة موقوفًا على عمر وصححه الترمذى.

(٤) رواه أحمد.. ورواه الحاكم وصحح إسناده وابن حبان مختصرًا.

* (وكان) عمر رضي الله عنه ينهى عن المغالاة فى الصداق [1]، ويقول ما تزوَّج رسول الله ﷺ ولا زوَّج بناته بأكثر من أربعمائة درهم.

* (ولو) كانت المغالاة بمهور النساء مكرْمة، لَسَبق إليها رسول الله ﷺ.

(وقد) تزوَّج بعض أصحاب رسول الله ﷺ على نواة من ذهب يُقَال قيمتها خمسة دراهم [2]. (وزوَّج) سعيد بن المسيب ابنته من أبى هريرة رضي الله عنه على درهمين، ثم حملها هو إليه ليلاً، فأدخلها هو من الباب ثم انصرف.. ثم جاءها بعد سبعة أيام، فسلَّم عليها. [3]

** (وأقول) مرة أخرى للآباء المخاطبين بقول الرسول ﷺ: **«فأنكحوه إلاَّ تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»**:

* (فإن) القول المحمدى معناه أننا إذا لم نُيَسِّر للشباب الزوَّاج الشرعى..فإن هذا سيكون من أهم أسباب انتشار الفساد فى الأرض.. (وإن) هذا سيكون معناه أن الزِّنا سينتشر.. وإن الشُّقَق المفروشة – وهى دور الدعارة المقنعة ستنتشر– وستكون هناك السهرات الحمراء فى أكثر البيوت التى لا خيرَ فيها بسبب عدم تمكين الشباب من الزوَّاج...

* (وفى) يوم القيامة سيُسأل آباء الفتيات عن هذا الفساد الكبير لأنهم كانوا أهم سبب فيه.. ولسوف يدفعون الثمن غاليًا فى نار جهنم والعياذ بالله.. فليسارع الآباء بإنقاذ أنفسهم من نار جهنم بتيسير الزواج للشباب الصالح بصفة خاصة والله ولى التوفيق.

** والآن أيها الأخ المسلم، وأنتِ أيَّتها الأخت المسلمة.. وبعد أن وَقَفْتُمَا على أهم ما يتعلق بأهم مراحل الخطبة، وما يتعلق بها من أحكام إليكما كذلك أهم ما ينبغى عليكما كذلك أن تتفقا عليه، وهو:

(١) قال الترمذى حسن صحيح.
(٢) رواه البيهقى.
(٣) انظر إحياء علوم الدين ج٤ ص ٧١١٣ وما بعدها بتصرف.

شروط صحة الزواج

فلقد قال فى (فقه السنة) ج٢ ص ٤٨، ما نصه:

شروط صحة الزواج، هى الشروط التى تتوقف عليها صحته، بحيث إذا وجـدَت يُعتبر عقد الزوّاج موجودًا شرعًا،وتثبت له جميع الأحكام والحقوق المترتبة عليـه.. وهذه الشروط اثنان:

* **الشرط الأول:** حلُّ المرأة للتزوُّج بالرجل الذى يريد الاقتران بها. فيشترط أن لا تكون مُحرَّمة عليه بأى سبب من أسباب التحريم المؤقت أو المؤبد.

* **الشرط الثانى:** الإشهاد على الزواج.. وهو ينحصر فى المباحث الآتية:

١-حكم الإشهاد. ٢- شروط الشهود. ٣- شهادة النساء.

** فإليكما تفصيل كل هذا:

حكم الإشهاد على الزواج

(فقد) ذهب جمهور العلماء إلى أن الزواج لا ينعقد إلَّا ببينة. ولا ينعقد حتى يكون الشهود حضورًا حالة العقد، ولو حصل إعلان عنه بوسيلة أخرى... (وإذا) شـهد الشهود وأوصاهم المتعاقدان بكتمان العقد وعدم إذاعته: كان العقد صـحيحًا[١]. واستدلُّوا على صحته بما يأتى:

أولا: عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**البغايا اللاتى يَنكِحْنَ أنْفُسهنَّ بغير بيِّنة**» رواه الترمذى.

ثانيا: وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نكاح إلا بـولى [٢] وشـاهدَىْ عدل**» رواه الدارقطنى، وهذا النفى يتوجه إلى الصحة وذلـك يسـتلزم أن يكـون الإشهاد شرطًا، لأنه قد استلزم عدمه عدم الصحة، وما كان كذلك فهو شرط.

---

(١) مذهب مالك وأصحابه أن الشهادة على النكاح ليست بفرض ويكفى من ذلك شهرته والإعلان به.. واحتجوا لمذهبهم بأن البيوع التى ذكرها الله تعالى فيها الإشهاد عند العقد، وقد قامت الدلالة بأن ذلك ليس من فرائض البيوع... والنكاح الذى لم يذكر الله تعالى فيه الإشهاد أحرى بأن لا يكون الإشهاد فيـه مـن شروطه وفرائضه، وإنما الغرض الإعلان والظهور لحفظ الأنساب.. هامش (فقه السنة) ج٢ ص٤٩.

(٢) وهو الأب، ثم الجد، ثم الأخ، ثم العم.. ثم سائر العصبات.. ثم الحاكم أى حاكم الموضع الذى هى فيه...

ثالثًا: وعن أبى الزبير المكى أن عمر بن الخطاب أتى بنكاح لم يَشهَد عليه إلاَّ رجل وامرأة، فقال: (هذا نكاح السِّر، ولا أُجيزُه، ولو كنتَ تقدمتَ فيه لرُجمـت) رواه مالك فى الموطأ.

والأحاديث وإن كانت ضعيفة إلا أنه يقوى بعضُها بعضًا.

قال الترمذى: والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النبى ﷺ ومَنْ بَعدهم من التابعين وغيرهم، قالوا: (لا نكاح إلاَّ بشهود) لم يختلف فى ذلك مَنْ مَضى منهم إلاَّ قوم من المتأخرين من أهل العلم.

رابعًا: ولأنه يتعلق به حق المتعاقدين، وهو الولد، فاشترطت الشهادة فيـه، لـئلاّ يجحده أبوه فيضيَع نَسَبُه. ويرى بعض أهل العلم أنه يصح بغير شهود. منهم الشيعة، وعبد الرحمن بن مهدى، ويزيد بن المنذر: لا يثبت فى الشاهدين فى النكاح خبر.

وقال يزيد بن هارون: أمر الله تعالى بالإشهاد فى البيع دون النكـاح، فاشـترط أصحاب الرأى الشهادة للنكاح، و لم يشترطوها للبيع.

فإذا تم العقد فأسرُّوه وتواصُوا بكتمانه صح مع الكراهة، لمخالفته الأمر بالإعلان، وإليه ذهب الشافعى، وأبو حنيفة، وابن المنذر، وممن كرِه ذلـك عمـر، وعـروة، والشعبى، ونافع.

وعند مالك أن العقد يفسخ. (روى) ابن وهب عن مالك فى الرجل يتزوج المرأة بشهادة رجلين ويستكتمهما ؟ قال: يُفَّرق بينهما بتطليقة، ولا يجوز النكاح، ولهـا صداقها إن أصابها، ولا يُعاقب الشاهدان.

ما يشترط فى الشهود

(فقد) ذُكر أنه يشترط فى الشهود: العقل، والبلوغ، وسماع المتعاقدين مع فهم أن المقصود به عقد الزواج [1] فلو شهد على العقد صبى، أو مجنون أو أصم أو سكران فإن الزواج لا يصح؛ إذ أن وجود هؤلاء كعدمه.

---

(١) وإذا كان الشهود يشترط فيهم تَيقُّن الصوت ومعرفة صوت المتعاقدين على وجه لا يشك فيهما.

اشتراط العدالة فى الشهود

وأما اشترط العدالة فى الشهود، فذهب الأحناف إلى أن العدالة لا تُشترط، وأن الزواج ينعقد بشهادة الفاسقين، وكل من يصلح أن يكون وليًا فى زواج يصلح أن يكون شاهدًا فيه.. ثم أن المقصود من الشهادة الإعلان... (والشافعية) قالوا: لابد من أن يكون الشهود عدولاً للحديث المتقدم: **«لا نكاح إلى بولى وشاهدَىْ عدل»**.

(وعندهم) أنه إذا عُقِدَ الزواج بشهادة مجهولى الحال ففيه وجهان، والمذهب أنه يصح. (لأن) الزواج يكون فى القُرى والبادية وبين عامة الناس، بمن لا يعرف حقيقة العدالة، فاعتبار ذلك يشق فاكتفى بظاهر الحال، وكون الشاهد مستورا لم يظهر فسقه. (فإذا) تبين بعد العقد أنه كان فاسقًا لم يؤثر ذلك فى العقد، لأن الشرط فى العدالة من حيث الظاهر أن لا يكون ظاهر الفسق، وقد تحقق ذلك.

شهادة النساء

(وقد) ذكر أن الشافعية والحنابلة: يشترطون فى الشهود الذكورة، فإن عُقِدَ الزواج بشهادة رجل وامرأتين لا يصح، لما رواه أبو عبيد عن الزهرى أنه قال: (مضت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ: أنه لا يجوز شهادة النساء فى الحدود، ولا فى النكاح، ولا فى الطلاق).

(ولأن) عقد الزواج عقد ليس بمال، ولا المقصود منه المال ويحضره الرجال غالبًا، فلا يثبت بشهادة امرأتين كالحدود.

(والأحناف): لا يشترطون هذا الشرط، ويرون أن شهادة رجلين، أو رجل وامرأتين كافية، لقول الله تعالى: **﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾** [البقرة: من الآية٢٨٢]. (ولأنه) مثل البيع فى أنه عقد معارضة فيُعقد بشهادتين مع الرجال.

اشتراط الحُرِّية

ويشترط أبو حنيفة والشافعية: أن يكون الشهود أحرارًا، وأحمد لا يَشْترط الحُرِّية، ويرى أن شهادة العبدين ينعقد بها الزواج، كما تُقبَل فى سائر الحقوق، وأنه ليس فيه نص من كتاب ولا سُنَّة يَردُّ شهادة العبد، ويمنع من قبولها ما دام أمينًا صادقًا تقيًا.

اشتراط الإسلام

(وذكر) أن الفقهاء لم يختلفوا فى اشتراط الإسلام فى الشهود إذا كان عقد بـين مسلم ومسلمة. (واختلفوا) فى شهادة غير المسلم فيما إذا كان الزوج وحده مسلمًا. (فعند) أحمد والشافعى ومحمد بن الحسن: أن الزواج لا ينعقد لأنه زواج مُسـلِم، لا تُقبَل فيه شهادة غير المسلم.

(وأجاز) أبو حنيفة وأبو يوسف: شهادة كتابيَّيْنِ إذا تزوَّج مسلم كتابية..(وأخذ) بهذا مشروع قانون الأحوال الشخصية.

** (ثم) يقول بعد ذلك فى (فقه السنة) تحت عنوان:

عقد الزوَّاج شكلى

عقد الزواج يتم بتحقُّقِ أركانه، وشرائط انعقاده إلا أنه لا يترتب عليـه آثـاره الشرعية إلاَّ بشهادة الشهود، وحضور الشهود خارج عن رضا الطرفين، فهو من هذه الوجهة عقد شكلى، وهو يخالف العقد الرضائى الذى يكفى فى انعقاده اقتران القبول بالإيجاب، ويكون الرضا من المتعاقدين وحده منشئًا للعقد ومكونًا له كعقد الإجازة ونحوه، فهو فى هذه الحالة تترتب عليه أحكامه، ويظله القانون بحمايته دون الاحتياج لشيء كما يقول تحت عنوان.

شروط نفاذ العقد

(فقد) ذكر أنه إذا تم العقد ووقع صحيحًا، فإنه يشترط لنفاذه وعدم توقفه علـى إجازة أحد:

١- أن يكون كُلٌّ من العاقدين اللَّذَين تولَّيا إنشاء العقد تامَّ الأهلية، أى: عـاقلاً بالغًا حُرًّا.

(فإن) كان أحد العاقدين ناقص الأهلية بأن كان معتوهًا، أو صغيرا مميزًا، أو عبدًا؛ فإن عقده الذى يعقد بنفسه ينعقد صحيحًا موقوفًا على إجازة الوَلى، أو السَّيد، فإن أجازه نفذ، و إلاَّ بَطُلَ.

٢- وأن يكون كل من العاقدين ذا صفة، تجعل له الحق فى مباشرة العقد.

(فلو) كان العاقد فُضُوليًّا، باشر العقد لا بوكالة ولا بولاية، أو كان وكيلاً ولكن خالف فيما وُكِّلَ فيه، أو كان وليًّا ولكن يوجد وليٌّ أقرب منه مُقدَّم عليه ؛ فإن عَقَدَ أى واحد من هؤلاء إذا استوفى شروط الانعقاد والصحة يَنعَقِدُ صحيحًا موقوفًا على إجازة صاحب الشأن ثم يقول تحت عنوان:

شروط لزوم عقد الزواج

(يلزم) عقد الزواج إذا استوفى أركانه وشروط صحته وشروط نفاذه.(وإذا) لـــزم فليس لأحد الزوجين ولا لغيرهما حق نقض العقد ولا فسخه. ولا ينتهى إلا بالطلاق أو الوفاة، وهذا هو الأصل فى عقد الزواج. لأن المقاصدَ التى شُرِعَ من أجلها – من دوام العشرة الزوجية وتربية الأولاد والقيام على شؤونهم – لا يمكن أن تتحقق إلاَّ مع لزومه. (ولهذا) قال العلماء: شروط لزوم الزواج يجمعها شرط واحد، وهو ألاَّ يكون لأحد الزوجين حق نقض العقد بعد انعقاده وصحته ونفاذه، فلو كان لأحـــد حـــق فسخه كان عقدًا غير لازم.

** (ولهذا) فقد قال بعد ذلك كذلك تحت عنوان:

متى يكون العقد غير لازم

لا يكون العقد لازمًا فيما يأتى من الصور:

إذا تبين أن الرجل غَرَّرَ بالمرأة أو أن المرأة غَرَّرَت بالرجل.

(مثال) ذلك أن يتزوج الرجل المرأة وهو عقيم، لا يُولد له و لم تعلم بعقمه، فلـــها فى هذه الحال حق نقض العقد وفسخه متى علمت، إلا إذا اختارتـــه زوجًـــا لهـــا، ورضيت معاشرته.

(قال) عمر ﷺ لمن تزوج امرأة – وهو لا يُولد له– أخبرها أنك عقيم وخيِّرها [1].

(ومن) صور التغرير أن يتزوجها على أنه مستقيم، ثم يتبين أنه فاســـق: – فلـــها كذلك حق فسخ العقد.

** وقد قال: ابن تيمية: إذا تزوج امرأة على أنها بكر فبانت ثيِّبًا فله الفسخ، وله أن يطلب بأرش الصداق – وهو تفاوت مهر البكر والثيب – إذا فســـخ قبـــل

(١) أى: خيرها بين البقاء على العقد وبين فسخه.

الدخول سقط المهر (وكذلك) لا يكون العقد لازمًا إذا وجَدَ الرجلُ بالمرأة عيبًا يُنفِّر من كمال الاستمتاع (كأن) تكون مستحاضة دائمًا فإن الاستحاضة عيب يثبت به فسخ النكاح[1].

(وكذلك) إذا وجِدَ بها ما يمنع الوطء كانسداد الفرج.

(ومن) العيوب التي تجيز للرجل فسخ العقد: الأمراض المُنفِّرة: مثل البرص والجنون والجُذام.. (كما) يثبت حق الفسخ للرجل فكذلك يثبت للمرأة إذا كان الرجل أبرص، أو كان مجنونًا أو مجذومًا أو مجبوبًا، أو عنِّينًا [2]، أو صغيرًا.

**(ثم) يقول بعد ذلك في (فقه السُّنَّة) تحت عنوان:

رأى الفقهاء في الفسخ بالعيب

(وقد) اختلف الفقهاء في ذلك: (فمنهم) من رأى أن الزواج لا يُفسَخ بالعيوب مهما كانت هذه العيوب. (من) هؤلاء الفقهاء داود وابن حزم [3]

**(فاذكر) كل هذا أخا الإسلام، وأنت أيتها الأخت المسلمة.. حتى تعرفا ما لكما وما عليكما بالنسبة لما وقفتما عليه من تلك الأحكام التي وقفنا عليها.. (مع) ملاحظة أنه ينبغي عليكما أن تقفا كذلك على كل تلك الأحكام – بالإضافة إلى غيرها – بالتفصيل في نفس المرجع السابق.. وهو (فقه السُّنَّة) بالإضافة إلى غيره من المراجع الفقهية المعتمدة [4]: حتى تكونا من أهل الفقه في تلك الأمور بالذات التي تتعلق بحياتكما الزوجية التي ستحتاجان فيها إلى تلك الأحكام..

(ثم) وإتمامًا للفائدة.. وحتى لا تغرقا مع الغارقين والغارقات الذين **﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا﴾[الكهف: ١٠٤]: (فقد) رأيت أن أقف معكما كذلك على موضوع:

---

(١) الاستحاضة: أى النـزيف، خلاف العادة الشهرية.
(٢) المجبوب: المقطوع الذكر ، والعنِّين: الذى لا يصلُ إلى النساء من الارتخاء.
(٣) فقد ذُكر عنه أن للزوج الفسخ إذا اشترط شرطًا فلم يجده عند الزواج.
(٤) وهى كثيرة تستطيع إن شاء الله الحصول عليها...

الزواج العُرفى

وهل هو حلال أم حرام ؟

(فقد) قرأت فى كتاب (الفتاوى) للإمام الشيخ محمود شلتوت – عليه رحمة الله- (فقد) قرأت تحت هذا العنوان السابق – ص٢٧٠- ما خلاصته، وبتصرف فى العرض:

(أما) الزواج العرفى فهو الزواج الذى لا يُكتَب فى الوثيقة الرسميَّة التى بيد المأذون، وقد تصحبه توصية الشهود بالكتمان، وبذلك يكون من زواج السِّر – الذى سنتحدث عنه بعد ذلك مباشرةً – وربما لا تصحبه توصية بالكتمان فيأخذ إسمه الخاص وهو الزواج العُرفى، وقد يعلم به غير الشهود من الأهل والأقارب والجيران.

(وهو) عقد قد استكمل الأركان والشروط المعتبرة شرعًا فى صحة العقد، وبه تثبت جميع الحقوق من حِلِّ الاتصال، ومن وجوب النفقة على الرجل، ووجوب الطاعة على المرأة، ونسب الأولاد من الرجل، وهو العقد الشرعى الذى كان معهودًا عند المسلمين إلى عَهد قريب.

(وقد) كان الضمير الإيمانى كافيًا عند الطرفين فى الاعتراف به، وفى القيام بحقوقه الشرعية على الوجه الذى يقضى به الشرع، ويتطلبه الإيمان... (ثم) يقول: عن اشتراط توثيق عقد الزواج:

* (وقد) ظل الأمر كذلك بين المسلمين من مبدأ التشريع إلى أن رأى أولياء الأمر أن ميزان الإيمان فى كثير من القلوب قد خَفَّ، وأن الضمير الإيمانى فى بعض الناس قد ذَبُل، فوجد من يَدَّعى الزَّوجية زورًا، ويعتمد فى إثباتها على شهادة شهودٍ هُمْ من جنس المُدَّعِى، لا يتقون الله ولا يراعون الحقَّ، فما تشعر المرأة إلاَّ وهى زوجةٌ لمُزوِّر أراد إلباسها قهرًا ثوب الزَّوجية، وإخراجها من خدرها إلى بيته تحقيقا لشهوته، أو كيدًا لها ولأُسرتها ! كما وجد من أنكره تخلُّصًا من حقوق الزوجية — أو التماسًا للحرية فى التَزوُّجَ بمن يشاء ويَعجَز الطرف الآخر فى إثباته أمام القضاء، وبذلك لا تصل الزوجة إلى حقها فى النَّفَقَة، ولا يصل الزوج إلى حقه فى الطاعة، وقد يضيع نسب الأولاد، ويلتصق بهم وبأمهم العار الأبدى فوق حرمانهم حقوقهم فيما تركه الوالدان.

(وقد) رأى المشرع المصرى — حفظًا للأُسَر، وصونًا للحياة الزوجية والأعـراض من هذا التلاعب- أن دَعَاوَى الزوجية لا تُسمع إلا إذا كانت الزَّوجية ثابتة بورقـة رسمية، وبذلك التشريع صار الذين يُقْدِمُون على الزواج العُرفى، ويلحقهم شيء مـن آثاره السيئة، هم وحدهم الذين يتحملون تبعات ما يتعرضون له من هذه الآثار، كما يتحملون إثم ضياع الأنساب للأولاد، وحرمانهم من الميراث عند الإنكـار، وهـم المسئولون عن تصرفاتهم أمام الله وأمام الناس.

** (كما) يقول قبل ذلك تحت عنوان:

الزواج السرى

(أما) الزواج السِّرِّى فهو نوع قديم من الزواج افترضه الفقهاء وبينـوا معنـاه، وتكلَّموا فى حكمه، وقد أجمعوا على أن منه العقد الذى يتـولاه الطرفـان دون أن يحضره شهود، ودون أن يُعلَن، ودون أن يكتب فى وثيقة رسمية، ويعيش الـزواج فى ظله مكتومًا، لا يعرفه أحد من الناس سواهما. وأجمعوا على أنه باطل لفقده شـرط الصحة، وهو الشهادة، فإذا حضره شهود وأُطلقَت حريَّتهما فى الإخبار به، لم يكن سِرًّا وكان صحيحًا شرعيًا، تترتب عليه أحكامه. أما إذا حضره الشهود وأخذ عليهم العهد بالكتمان، وعدم إشاعته والإخبار به، فقد اختلف الفقهاء فى صحته بعـد أن أجمعوا على كراهته:

فرأت طائفة أن وجود الشهود يخرجه عن السرية، والشهادة وحدها تحقق العلانية، وإذن فلا تأثير فى صحة العقد للتوصية بالكتمان، (ويرى) الإمام مالك وطائفة معه أن التوصية بالكتمان تُسلب الشهادة روحها،والقصد منها، وهو الإعلان الذى يضـمن ثبوت الحقوق، ويزيل الرِّيبة، ويفصل فى الوقت نفسه بين الحلال والحرام — كما جاء فى الحديث الصحيح — **«فصل ما بين الحلال والحرام الدُّف والصوت»**. والشـهادة التى تحقق الإعلان المقصود هى التى لم تقترن بالتوصية على الكتمان، ومجرد العـدد لا يزيل السرية، وكم من سر بين أربعة وبين عشرة لا تزول سريته ما دام القـوم قـد تواصوا بها وبُنِى العقد عليها، ولعل المجالس الخاصة التى يعرفها اليوم أربـاب الفجـور المشترك من أوضح ما يدل على أن كثيرًا ما يكون بين أكثر من اثنين.

(وإذا) كان الزواج السِّرى بنوعيه الذى لم يحضره شهود أو حضروه مع التوصية بالكتمان دائرًا بين البطلان والكراهة، وأنه يحتمل السرية التى هى عنوان المحرم كان جديرًا بالمسلم — الذى شأنه أن يترك ما يُريب إلى ما لا يُريب — أن يمتنع عنه، ولا يُقدم عليه، ولا يَزُجَّ بنفسه فى مداخله الضيقة التى لا تُحمَد عاقبتها.

(ثم) يقول، تحت عنوان:

زواج رعب وقلق لا سكن ورحمة

(إن) الزواج الذى لا يُفارق صاحبه الاضطراب القلبى — والرُّعب والخوف من الأهل والأقارب والناس إذا ظهر واشتهر — لا يمكن أن يكون هو الزواج الشرعى الذى امتَّن الله به على عباده، وجعله سكنًا ومودة ورحمة ! لا يمكن أن يكون هو الزواج الذى يُكَوِّن الأُسَر،ويحفظ الأنساب، وينشئ علاقة المصاهرة بين الناس ! لا يمكن أن يكون هو الزواج الذى رغبت فيه شريعة — أساسها فى العقائد والأخلاق والأعمال — الوضوح والعلانية وموافقة الظاهر للباطن، وإن الشهادة لم تعتبر شرطًا فى صحة الزواج إلاَّ لأنها طريق فى العادة لإعلانه وإشاعته بين الناس، وبها يعم خبره، ويشتهر ويستفيض، فإذا لم تكن الشهادة طريقًا لإعلانه كان اتخاذها مجرد احتيال بشهادة صورية على تحليل ما حرم الله ! وكانت لا قيمة لها فى نظر الشرع والدين.

(وإذا) كان شأن المؤمن أن يستبرئ لدينه وعرضه فإن الزواج السرى يعرضه لريبة دينية، من جهة الأعراض عن الأحاديث الكثيرة المروية عن الرسول — ﷺ— القاضية بإعلان الزواج، والريبة عرضية يحسها فى قرارة نفسه حينما يتخيل أو يقدر ظهور الأمر بين الناس، ولا سبيل للتخلص من هاتين الريبتين — وهو من أقوى ما يفسد على المؤمن إيمانه — إلا بمكافحة الدواعى التى تزين له هذا النوع من الزواج. (وإن) هذه الدواعى — مهما بلغت فى نظره — لا قيمة لها أمام هاتين الريبتين...

** (ثم) بعد ذلك يختم حديثه عن الزواج العُرفى والسِّرِّى بكلام هام.. لابد وأن يكون كذلك (واضحًا) تمام الوضوح أمام الأخ المسلم والأخت المسلمة.. فقال تحت عنوان:

قانون الضمير

(أما بعد): فهذا هو الزواج العُرفى، وذلك هو الزواج السِّرِّى وليعلم الناس أنه لا سلطان عليهم فى ترك هذين النوعين من الزواج، ولا وقاية لهم من شرِّهما إلاَّ الضمائر الحَيَّة التى تتوخَّى أكمل ما شرع الله، وتزن الأعمال بنتائجها...

(وليعلموا) أيضًا أنه ليس فى استطاعة قانون مَا أن يَرُدَّهم عمَّا يؤذيهم ويُشهِّر بهم ما دامت القوانين بطبيعتها لا تتناول إلا ما ظهر واتصل بها، وهذا نوع من قانون الضمير وَكَلَ الله المؤمن إليه، ليَشعُر بمكانته عنده، وأنه عنده ليس يُقاد بالزمام دائمًا، فليضع المؤمن نفسه حيث وضعه الله.

** فلتكونا من أصحاب الضمائر الحَيَّة التى تتوخَّى ما شرع الله.. حتى تكونا فى مأْمن من الضياع الحِّسى والمعنوى. (وحتى) تكونا فى حصانة كاملة بشرع الله القويم الذى لا أمن ولا أمان إلَّا به.

** (وأما)، عن:

حكم زواج المُتعة

(فلقد) سُئِلَ كذلك الإمام الشيخ محمود شلتوت – عليه رحمة الله – عن أصله وفصله، وهل هو حلال أم حرام.. (فأجاب) فى نفس المرجع السابق ص ٢٧٣ بقوله:

(زواج) المتعة – ومنه الزواج إلى أجل – هو أن يتفق رجل مع امرأة خالية من الأزواج أن تُقيم معه مُدَّة ما، مُعَيَّنة أو غير معينة، فى مقابلة مال معلوم.. (ثم) يقول:

(وهذا) زواج لا يُقصد به سوى قضاء الحاجة، وينتهى دون طلاق بمُضى مُدَّته، أو بالمفارقة إن لم تضرب له مُدَّة. ولا ريب فى أن هذا الزواج ليس هو الزواج الذى شرَّعهُ الإسلام ونزل به القرآن.

(ثم) يقول تحت عنوان:

أساس الزواج فى القرآن

(فالقرآن) يرشد إلى أن أساس الزواج السكن والمودَّة والرحمة المتبادلة بين الزوجين وإلى أن أهم ثمراته تكوين الأُسر،وتحصيل الأبناء والأحفاد،والتعاون على تربيتهم، وما أبْعد زواج المُتعَة عن هذا الأساس وهذه الثمرات.

(والقرآن) قد ربط بعنوان الزوجية أحكامًا كثيرة كالتوّارث، وثبوت النسب، والنفقة، والطلاق، والعدة والإيلاء، والظهار، واللّعان، وحرمة التزوج بالخامسة وغير ذلك مما يعرفه الناس جميعًا، وليس شيء من هذه الأحكام بثابت فيما يُعرف بزواج المتعة.. (ثم) يقول:

(والقرآن) قد عرض للزواج بلفظه تارة وبلفظ النكاح أخرى فى آيات كثيرة، ولا يفهم منها ناطق بالضاد(1) سوى الزواج الذى جُعِلَ فى أساسه الدوام، وتكوين الأسر، وربطت به تلك الأحكام التى أشرنا إليها، واقرأ فى ذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ﴾ [البقرة: ٢٢٨]،﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَه﴾[البقرة: ٢٣٠] ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾[النور: ٣٢] ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ [النساء:٢١].
(ثم) يقول:

(اقرأ) هذه الآيات وأمثالها لتعلم أنها – على رغم ما يحاول المفتونون بمشروعية زواج المتعة من تحريفها عن مواضعها – بعيدة كل البُعد عن زواجهم الذى يعلنون أنه مشروع لغاية فى نفوسهم، أو تعصُّبًا لآراء لا تعرفها حجة.

(ثم) يقول – بعد ذلك – موضِّحًا الأساس فى إباحة زواج المتعة أولاً، ثم تحريمها ثانيًا – تحت عنوان:

أُبيحت المُتعة لحِكمَة ثم حُرِّمت

(نعم) ثبت أن النبى ﷺ أباحه للمحاربين فى بعض الغزوات. (وثبت) أيضًا بما لا شك فيه أنه نهى عنه نهيًا عامًا، وحرمه تحريمًا مؤبدًا. (وقد) جمع مسلم فى صحيحه، والحافظ ابن حجر فى شرح البخارى أحاديث النَّهْي، ليرجع إليها من شاء.... (ثم) يقول:

(وما كان) نهى عمر عنها – وتوعده فاعلها أمام جمع الصحابة، وإقرارهم إياه – إلاَّ عَملاً بهذه الأحاديث الصحيحة، واقتلاعًا لفكرة مشروعيته من بعض الأذهان،

(1) أى: باللغة العربية.

(وقد) كان النبى ﷺ يتخذ قرب عهد الناس بالإسلام فى أوقات الضرورة سبيلاً للترخيص فيما دعتهم تلك الضرورة حتى إذا أنسوا الإسلام وأحكامه عاد فحرمه التحريم الذى يريده الله، وهو التحريم العام المؤبد.

(وبهذا) القدر من البيان يتضح أن الرأيين فى زواج المتعة لا يمكن أنْ يوضعا فى ميزان واحد فضلاً عن تساوى كفتيهما.

(وأن) الترخيص فى زواج المتعة لم يخرج عن أن يكون ترخيصًا بأحق المُحَّرمين فى وقت الضرورة، وحداثة عهد الناس بالإسلام، ومثل هذا الترخيص لا يصلح دليلاً على المشروعية.

(وإن) الشريعة التى تُبيح للمرأة أن تتزوج فى السَّنة الواحدة أحد عشر رجلاً، وتُبيح للرجل أن يتزوج كل يوم ما تمكّن من النساء، دون تحمليه شيئًا من تبعات الزواج.. (ثم) يقول: (إن) شريعة تبيح هذا لا يمكن أن تكون هى شريعة رب العالمين، ولا شريعة الإحصان، والإعفاف.

** (فعلى) الأخ المسلم، والأخت المسلمة.. أن يلاحظا كل هذا حتى لا يقعا فى أى محظور.. نهى الشرع عنه.. ولا سيَّما بعد أن وقفا على رأى الإسلام فيه.. (وحسبهما) إذا أرادا أن يعيشا عيشة الطُّهر والعفاف.. وأن يربِّيا أولادهما تربية نظيفة أن يبدءا حياهما بالحلال الذى لا خير إلاَّ فيه،ولا فلاح و لا نجاح إلاَّ باحتضانه.. (ولا شك) أنهما بعد أن وقفا على كل تلك الأحكام الفقهية.. والآراء الواضحة الجلية.. قد تبين لهما ضرورة أن يكونا قد اتفقا على أن، يتزوجا زواجًا شرعيًا لا شبهة فيه..

(هذا) وأحب أن أُذكِّرهما — فى الختام — بأنه لا يصح عقد النكاح إلاَّ بوَلِىّ ذكر وشاهدَى عدل.. (أما) الولى فلقوله تعالى: ﴿**فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ**﴾[البقرة: ٢٣٢]، نزلت فى معقل بن يسار حين حلف أن لا يزوج أخته من مُطلِّقها — وهو فى البخارى — فلو كان للمرأة أن تعقد نكاحها لما نهى عن عضلها [(١)]، ولقوله ﷺ: **«لا**

(١) أى: المنع من الزواج.

نكاح إلا بولى وشاهدَى عدل وما كان من نكاح غير ذلك فهو باطل» رواه ابن حبان فى صحيحه، وقال: لا يصح فى ذكر الشاهدين غيره. (وعن) عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال: **«أيُّما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاث مرات»** رواه أبو داود وابن ماجه والترمذى وقال إنه حسن، وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

والله الموفق للصواب

** وأخيرًا: وفى ختام هذا الموضوع الهام أحب أن أُذِّكر الأخ المسلم والأخت المسلمة، بأهم ما ينبغى عليهما، أن يلاحظاه إذا أرادا أن يتزوَّجا.. حتى يكونا على علم به، وحتى ينفِّذاه على أكمل وجه.. وعلى أساس شرعى سليم

** (وقد) قرأت فى كتاب (ذخيرة الواعظ) [1]، تحت عنوان:

أول الأعمال

أن أول عمل يعمله الذى يرغب فى الزواج أن يستشير أقرب الناس إليه فيمن يخطبها، فإن وافقوا يُرسِل امرأة أمينة لتتعرَّف على حالتها لعل فيها عيبًا يكون مستترًا، ثم بعد ذلك يسأل من يختلط بعشيرتها من جيران وأقارب عن أصلها وسلوكها، ثم ينظرها بحضور محارمها: الوجه والكفين فقط، ثم بعد هذا يقدم الشبكة غير مغالٍ فيها، وهى من قبيل الهدايا التى قال الرسول ﷺ فيها: **«تهادوا تحابوا»**. من رياض الصالحين للإمام النووى.

(مع) ملاحظة أنه ينبغى عليهما قبل تقديم الشبكة إلى العروس: أن يقوم كل واحد منهما بعمل الاستخارة الشرعية التى كيفيتها:

أن يصلى ركعتين من غير المكتوبة، ثم يقول — من يقوم بعمل الاستخارة من الطرفين -: **«اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب. اللهم**

(١) للأستاذ إبراهيم محمد عبد الباقى. ١٥٤ وما بعدها... إلى أخره وذلك مع الاختصار المفيد.

إن كنت تعلم أن هذا الأمر – ويُسمِّيه – خيرًا لى فى دينى ودنياى ومعاشى، وعاقبة أمرى وعاجله وآجله فاقدُرْه لى، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر – ويُسمِّيه – شر لى فى دينى ودنياى ومعاشى وعاقبة أمرى عاجله وآجله فاصرفه عنى واصرفنى عنه، واقدُر لَى الخير حيث كان ثم رضِّنى به، فإنه لا حول ولا قوة إلا بك).

* (كما) أحذرهما من الذّهاب إلى العرّافين والمنجّمين وضاربى الودع والرمل النَّصابين والدجالين...

(لأن) الله تعالى يقول: ﴿**قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [النمل: ٦٥].

(وفى) الحديث الشريف: «**من أرجعته الطِّيرة عن حاجته فقد أشرك**». فقال أحد الصحابة: وما كفَّارة ذلك يا رسول الله ؟ قال: «**أن تقول: اللهم لا طَيْر إلاَّ طَيرُك،ولا خيَر إلاَّ خيرُك، ولا إله غيرك، ثم يمضى لحاجته**» أو يقول: «**اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله**».

* (فإذا) ما انشرح صدره إلى الزواج – وكان هذا أيضًا موافقًا لرغبة العروس وأهلها فى إتمام هذا الخير الذى هو الزواج -: (فإنه) ينبغى عليه أن يستأذن من ولى أمرها أن يرى كفيها ووجهها بحضرة محرم، (ويتفق) على المهر من شبكة وغيرها. وبكل سهولة ويُسر حتى يتم الزواج على خير ما يرام.

* (وعليهما) أيضًا أن يلاحظا أمرًا هامًا، وهو عدم الإسراف فى الولائم حتى لا يكونا من إخوان الشياطين كما يُشير إلى هذا قول الله تعالى:﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ**﴾ [الإسراء: ٢٧]. (ولا سيَّما) فى ولائم العرس التى قد تكون أيضًا مصحوبة بأغنيات يندى لها جبين الفضيلة.. بالإضافة إلى الاختلاط المشين – بين الرجال والنساء – بتلك الصور المخالفة للشَّرع.. والتى يلعب فيها شياطين الإنس والجن دورًا شيطانيًا كبيرًا يؤدِّى فى النهاية إلى ارتكاب المعاصى التى نسأل الله تعالى أن يعافينا منها جميعًا.. وأن يُوفق الشباب الصالح لأن يتزوَّجوا زوجات صالحات.. (وأن) يهدى لهم آباء البنات وأصحاب العمارات حتى يتم الخير إن شاء الله تعالى بكل يسر وبدون تعقيد.

اللهم آمين

الوصية التاسعة والثلاثون بعد المائة

• عن أبى الأحوص رضى الله عنه ، قال :

أتيتُ النبى صلى الله عليه وسلم فى ثوب دُونٍ ، فقال : (أَلَكَ مالٌ؟) قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : (مِنْ أَيِّ المَالِ؟) قُلْتُ : مِنَ الإِبلِ وَالغَنَمِ وَالخَيْلِ والرقيقِ ، قَالَ : (فَإِذَا آتاكَ اللهُ مالاً فلْيُرَ أثرُ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيْكَ وكرامتِه) .

• وعن جابر رضى الله عنه قال :

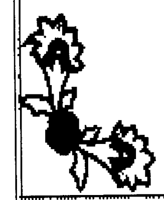
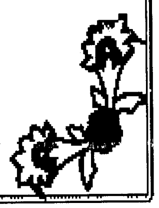
أَتَانَا النبى صلى اللهُ عليه وسلم

فرأى رجلاً شعثاً قد تفرق شعرُه، فقال: (أما كان هذا يجدُ ما يُسكِّنُ به شعرَه، ورأى رجلاً آخر عليه ثيابٌ وسِخةٌ فقال: أما كان هذا يجدُ ما يغسلُ به ثوبَهُ)

رواهما أبو داود والنسائي

* ثوب دون: أى دنىء وردىء.
* وسِخَة بكسر ففتح: أى غير نظيفة.
* وفى حديث رواه الترمذى: «إن الله يحبُّ أن يَرىَ أثر نعمتِه على عبده».

وفى حديث رواه الترمذى بسند حسن: «إن الله طيّب يُحب الطيب، نظيف يُحبُّ النَّظافة...».

فكن أخا الإسلام:

منفذًا للمراد من هذه الوصية العظيمة.. التي ينبغي على الأخ المسلم أن يفهم المراد منها، فهماً جيِّداً.. حتى يكون التنفيذ لها كذلك على أساس إيماني.. يستطيع به أن يكون نظيفاً ومحترماً بين الناس الذين للأسف الشديد لا يحترمون - غالبًا - إلاَّ من كان ذا وجاهة وصاحب مال.. كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله:

يغدو الفقير وكلُّ شيء ضدُّه	**والناس تُغلق دونه أبوابها**
وتراه ممقوتاً وليس بمذنب	**ويرى العداوةَ لا يَرى أسبابها**
حتى الكلاب إذا رأت ذا بِزَّة [1]	**أصغت إليه وحرَّكت أذنابها**
وإذا رأت يوماً فقيراً عارياً	**نبحت عليه وكشَّرت أنيابها**

(وهذا) معناه أنه ينبغي على الأخ المسلم أن يعمل من جانبه على أن يكون مستغنياً عن الناس.. بالعمل الجادِّ في أي ميدان من ميادين العمل الشريفة.. لأن النبي ﷺ يقول: «**اليد العُلياَ خيرٌ من اليد السُّفلى..**» أي: أن اليد التي تعطى أفضل من اليد التي تَمْتدُّ لتأخذ الصدقات.. ولله در من قال:

الفقر يُزرى بأقوام ذوى حَسَب	**وقد يُسوِّد غيرَ السَّيد المالُ**

وأيضا يقول أحدهم:

إن الغنيَّ إذا تكلَّم بالخَطَا	**قالوا أصبتَ وصدَّقوا ما قالا**
وإذا الفقير أصَاب قالوا كلُّهم	**أخطأتَ يا هذا وقلتَ ضلالا**
إن الدراهم في الأماكن كلِّها	**تكسو الرجال مهابة وجمالا**
فهي اللِّسان لمن أراد فصاحةً	**وهي السلاح لمن أراد قتالا**

(وهذا) الكلام أيضا معناه: أنه ينبغى على الأخ المسلم إذا أراد أن يكون مرفوع الرأس ومسموع الكلمة بين الناس أن يكون عاملا ومنتجًا.. لأن العمل الشريف شرف وواجب..

(١) البزة: بكسر الباء: أى الهيئة (مختار الصحاح).

* (ولهذا) فقد ورد فى السنة الشريفة الترغيب فى الاكتساب وغيره:

* (فعن) المقدام بن معد يَكرِب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **«ما أكل أحد طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكُل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده»** رواه البخارى وغيره، وابن ماجه، ولفظه قال: **«ما كسب الرجل كسبًا أطيب**[1] **من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة»**[2].

(ومعنى) أن داود عليه السلام **«كان يأكل من عمل يده»**. (أنه) كان قد سأل الله عز وجل أن يُعلمه حرفة يتعيَّش منها هو وأهله، فألان الله له الحديد، وعلَّمه صنعة الدروع التى تُلبَسُ فى الحرب..قال تعالى: **﴿ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾** [سبأ:١١]. وقال سبحانه وتعالى: **﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾** [الأنبياء:٨٠].

* (وقد) قرأت أنَّ السبب فى هذا.. هو أنه كان يخرج فى مملكته متنكِّراً ليطمئن على نفسه بنفسه. فكان كلَّما سأل أحدًا عن (داود) أثنى عليه.. فيعود مسرورًا إلى قصره. (وفى) يوم ما، خرج متنكِّرًا كعادته ليتجسَّسَ لحساب نفسه.. فتعَّرض له سيدنا جبريل فى صورة آدمى.. فقال له سيدُناَ داود.. يا فتى ما تقول فى داود ؟ فقال له: نعم العبد هو.. غير أن فيه خصلة.. قال وما هى قال: يأكل من بيت مال المسلمين[3].. (وما فى العباد أحَبُّ إلى الله تعالى من عبد يأكل من كسب يده) فلما سمع داود هذا عاد باكياً إلى قصره. وهناك أخذ يدعوا الله تبارك وتعالى أن يعلِّمه صَنعة حتى يعملها.. ويأكل بثمنها مع أفراد أسرته.. فأتاه سيدنا جبريل عليه السلام.. وعلَّمه صنعة الدروع.. وألان الله له الحديد.. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى نص الآيتين اللتين قرأناهما..

---

(١) أى: أحَل وألذ.

(٢) يعنى إذا احتسبه ونوى به الخير كما فى الحديث الآخر **«إذا انفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهى له صدقة»**.

(٣) من بيت مال المسلمين.؛ أى: من خزينة الدولة.

*(وقد) ورد كذلك أن سليمان بن داود عليهما السلام ناجى ربه فى يـوم مـا، وقال: يا رب قد أعطيتنيه مُلكًا لم تعطه أحدًا قبلى، وسألتك أن لا تعطيه أحدًا بعدى فأعطيته.. فإن قصَّرتُ فى شكرك فدُلَّنى على أحد أَشكَر لك مِنِّ.. ؟ فقال الله تعالى: يا سليمان.. عبد يكسب بيديه، يسد جُوعه، ويستر عورته، ويعبدنى.. هو أشكر لى منك.. [1] (فعند) ذلك بكى سيدنا سليمان كما بكى والده من قبل وتضرع إلى الله تبارك وتعالى أن يعلمه صنعة ليعملها بيده.. ويأكل بثمنها مع أهله.. فأتاه جبريـل فعلَّمه صنعة الخوص يتخذ منه القفاف.. فهو أول من عمل الخوص..عليه السلام.

* (وقد) قال الحافظ فى الفتح تعليقًا على هذا الحديث: (وفى الحديث فضل العمل باليد وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره، والحكمة فى تخصـيص داود بالذكر أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفـة فى الأرض كما قال الله تعالى.. وإنما ابتغى الأكل من – عمل اليد وهو الأفضـل – ولهذا أورد النبى ﷺ قصته فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد، وهذا بَعْدُ تقريرٌ أنَّ شَرْعَ مَنْ قَبلَنا شرعٌ لنا، ولا سيَّما إذا ورد فى شـرعنا مدحـه وتحسينه مع عموم قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠]، وفى الحديث أن التكسب لا يقدح فى التوكل، وأن ذكر الشيء بدليله أوقع فى نفس سامعه) ا.هـ.

وفى الحديث – عند النسائى – **«إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه»** ولفظه عند أبى داود: **«إن أطيب ما أكلتم من كسبكم»**.

(قال الماوردى): (أصول المكاسب: الزراعة والتجارة، والصناعة، وأيهُّا أطيب؟ فيه ثلاثة مذاهب للناس، وأشبهها مذهب الشافعى: أن التجارة أطيبُ، والأشْبه عندى أن الزراعة أطيبُ، لأنها أقرب إلى التوكُّل. (وقال) النووى: (وحديث البخارى صريح فى ترجيح الزراعة والصنعة لكونهما عمل يده، لكن الزراعة أفضلهما لعموم النفع بها للآدمى وغيره [2] وعموم الحاجة إليها) ا.هـ.

---

(١) وذلك لأن الشكر من أهم مفاتيح الخير.

(٢) أى: من المواشى والطيور...

* (وقد) قرأت أن جماعة من المتواكلين[1] مروا على سيدنا أبى بكـــر الصّـــدِّيق رضي الله عنه فسألهم: من أنتم ؟ فقالوا متوكِّلون.. فقال: (كذبتم.. إنما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكَّل على الله).

* (وقد) قرأت أن العلماء قد اختلفوا فى مسألة، وهى: هل الاكتساب أفضـــل أو التوكل ؟ فذهبت جماعة: إلى أن الاكتساب أفضل.. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾ [الملـك: ١٥]... (وذهب) آخـــرون إلى أن التوكل أفضل واستدلوا بقوله تعالى:﴿ **وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ..**﴾ [الطلاق: ٣]، وبقوله ﷺ: «**لو توكَّلتُم علـــى الله حـــق توكُّلـــه لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خِماصًا وتروح بطانا**» [2]. (وذهب) آخرون إلى أن الجمع بينهما وهو الأفضل، وقالوا: إن السعى لا ينافى التوكُّل.. (واستدلُّوا) بمـــا ورد فى قصة الأعرابى الذى أراد دخول المسجد على النبى ﷺ وناقته بيده، فقال: يا رسول الله: أُرسِلُ ناقتى توكُّلًا على الله عزَّ وجَلَّ، أم أعقلها وأتوكَّل ؟ فقـــال النبى ﷺ: «**أعقلها وتوكَّل**».

(ويُجاب) عن قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [هود:٣]: بأن المعـــنى أن التوكُّل اعتقاد ما دلَّت عليه هذه الآية: ﴿ **وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود:٦]، وليس المراد به ترك السبب مع الاعتماد على ما يأتى من المخلوق، لأن ذلكَ يجـــر إلى ضد ما يُراد من التوكُّل، وعن الحديث المذكور بأنه ﷺ ذكر الغدو والرواح فى طلب الرزق فقال: «**تغدو خِماصًا وتروح بطانًا**» ولا شكَّ أنهما سببان فى الرزق، فطريقة أهـــل البصائر الطلب مع الإجمال فيه والتوكل على الله، لأن الهزَّ أسقط التمر، كما قيل:

ألم تـــر أن الله أوحـــى لمـــريم ... فهزّى إليك الجذع [3] يسَّاقط الرُّطبْ

ولو شاء أدنى الجذع من غـير هَـزِّه ... إليها ولكن كل شـيء لـه سـبب

* (وقيل) لبعض الحكماء: ما خير المكاسب ؟ فقال: خير مكاسب الدنيا: طلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه للقوة على العبادة، وتقديم فضله لزادٍ يوم القيامة.

---

(١) أى: الذين لا يعملون بدعوى أنهم من الزاهدين..

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(٣) كما أشارت الآية رقم ٢٥ من سورة مريم ﴿**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ**﴾.

(وأما) خير مكاسب الآخرة: فعلم معمول به نشرَتهُ، وعمل صالح قدَّمتَه، وسنة حسنة أحييتها.

(قيل): وما شرُّ المكاسب ؟ قال: أما شرُّ مكاسب الدنيا: فحرام جمعته، وفى المعاصي أنفقتَه، ولمن لا يطيع ربه خلَّفته.

(وأما) شر مكاسب الآخرة: فحقٌّ أنكرته حسدًا، ومعصية قدمتها إصرارًا، وسنة سيئة أحييتها عدوانًا.

* (وقال) أحد الحكماء: الناس فى الكسب على خمس مراتب:

(منهم) من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب فهو: مشرك.

(ومنهم) من يرى الرزق من الله ولا يدرى إذا كان الله سيعطيه أم لا فهو منافق شاك.

(ومنهم) من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى الله لأجل الكسب ولا يؤدِّى حقَّه كما أمر الله تعالى فهو: مؤمن مُسيء،

(ومنهم) من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سببًا ويُخرج حقه ولا يعصى الله لأجل الكسب فهو: مؤمن مخلص.

** (والخلاصة) التى نُريد أن ننتهى إليها هى قول عمر بن الخطاب ﷺ: (يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم واتجروا ولا تكونوا عيَالاً على الناس).

(وكان) يقول: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة):

** (فإذا) كنت أخا الإسلام سُتنفِّذ المراد من قول عمر بن الخطاب فى هذين النَّصين.. (وإذا) كنت إن شاء الله ستجمع الثروات المالية الحلالية عن طريق الاكتساب المشروع.. عن طريق التجارة أو الزراعة أو الصناعة...

** (فإنه) ينبغى عليك أن تشكر الله تعالى على نعمه التى أنعم عليك بها.. لأن الله تعالى يقول.. ﴿ **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم: ٧].

(وأن) تكون منفذا لما أوصاك به النبى ﷺ فى نص الوصية.. وهو:

** (أن) تُظهرَ أثر نعمة الله عليك وكرامته..

* (فقد) روى الترمذى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن الله يحب أن يَرى أثر نعمته على عبده**»، وفى حديث رواه الترمذى بسند حسن: «**إن الله طيِّب يحب الطيِّب، نظيف يحبُّ النَّظافة..**».

(وقد) ورد عن جابر ﷺ قال: أتانا النبى ﷺ فرأى رجلًا شعثًا قد تفرَّق شَعْرُه، فقال: «**أمَا كان هذا يجد ما يُسَكِّن به شَعرُه**».

(ورأى) رجلًا آخر عليه ثياب وسخة، فقال: «**أمَا كان هذا يجد ما يغسل به ثوبه**». رواهما أبو داود والنسائى.

(والخلاصة) التى ينبغى أن نتفق عليها بالنسبة لهذا الموضوع..:

(هى) ما قاله الإمام مالك ﷺ، وهو:

حسِّن ثيابك ما استطعت فإنها ... زينُ الرِّجال بها تُعزُّ وتُكرمُ
ودع التَّخُشن فى الثياب تواضعًا ... فالله يعلم ما تُكنُّ وتكتُمُ
فرثيث ثوبك لا يزيدك رفعة ... عند الإله وأنت عبد مجرم
وجديد ثوبك لا يضُرك بعد أن ... تخشى الإله وتَتَّقى ما يحرُمُ

** (مع) ملاحظة أنك عندما ستظهر فى المظهر الحسن تنفيذًا لأمر الله تعالى فى قوله: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ [الضحى:١١]، فإن هذا لن يكون تكبرا منك...

(فعن) عبد الله بن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرّة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنًا ؟ قال: «**إن الله جميل يحبُّ الجمال: الكبر بطر الحقِّ، وغمطُ الناس**(١)» رواه مسلم والترمذى.

** (وإن) كان من الأفضل: ترك الترَّفع فى اللباس تواضعًا واقتداء بأشرف الخلق محمد صلى الله عليه وأصحابه.

(١) (بطر الحق): أى دفعه ورده (غمط الناس): أى احتقارهم.

* (فعن) معاذ بن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من ترك اللباس**[1] **تواضعا لله**[2]، **وهو يقدر عليه** [3]: **دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق**[4] **حتى يخيّره من أى حلل الإيمان شاء يلبسها**[5]». رواه الترمذى وقال: حديث حسن، والحاكم، فى موضعين من المستدرك، وقال أحدهما: صحيح الإسناد.

* (وعن) أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من أشعث** [6] **أغبر**[7] **ذى طِمْرين** [8]، **لا يؤبه له**[9]، **لو أقسم على الله لأبَرّه** [10]، **منهم البراءُ بن مالك** [11]» رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

* (وعن) ابن عمر رضى الله عنهما يرفعه قال: «**من لبس ثوب شهرة**[12] **ألبسه الله إياه يوم القيامة** [13]، **ثم أُلهب فيه النار** [14]، **ومن تشبَّه بقوم فهو منهم**[15]». ذكره رزين فى جامعه، ولم أره فى شيء من الأصول التى جمعها. (إنما) رواه ابن ماجه بإسناد حسن، ولفظه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لبس ثوب شُهرة فى الدنيا** [16] **ألبَسَهُ الله ثوب مذلّة يوم القيامة، ثم أُلهب فيه نارًا**» رواه أيضًا أخصر منه.

---

(١) يعنى ثياب الزينة التى يتباهى بلبسها لارتفاع قيمتها.
(٢) أى: ذلاً وانكسارًا بين يدى الله جل شانه.
(٣) أى: وهو متمكن من شرائه واتخاذه لا يعجزه ثمنه.. والجملة حال.
(٤) يعنى يناديه سبحانه وتعالى أمام الجمع فى الموقف إشعارًا لفضيلته.
(٥) جزاء له على تواضعه وصبره عن زينة الدنيا
(٦) من الشعث وهو تفرق شعر الرأس لقلة دهنه.
(٧) أى: أصابه الغبار الكثير فعفر ثيابه وبدنه.
(٨) أى: ثوبين خلقين تثنية طمر بكسر فسكون.
(٩) أى: لا يكترث به أحد ولا يهتم بشأنه.
(١٠) يعنى لو أقسم على شيء أنه سيكون لأبرَّ الله قسمه ولم يوقعه فى الحنث.
(١١) وقد روى أنه شهد وقعة اليمامة، وكان فى المسلمين انكشاف فقال له، إخوانه يا براء أقسم على ربك، فقال: اللهم إنى أقسم عليك إلا منحتنا أكتافهم وجعلتنى أول شهيد.. ففتح الله عليهم واستشهد البراء رضي الله عنه.
(١٢) أى: ثوب فخر ورياء..
(١٣) ليعذبه فيه كما تمتع به فى الدنيا.
(١٤) يعنى أشعلها فيه..
(١٥) لأنه تشبه بهم.. فهو شريك لهم ويحشر معهم..
(١٦) أى: من لبس ثوبًا يُريد الاشتهار به بين الناس .

** (وينبغى) أن ينفق من هذا المال الحلال علـى زوجتـه وعيالـه، والفقـراء والمساكين.. وفى سبيل الله. وفى حدود استطاعته:

* (فعن) أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقتـه فى سـبيل الله**[1]، **ودينار أنفقته فى رقبة**[2]، **ودينار تصدقت به على مسكين**[3]، **ودينار أنفقته علـى أهلك، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك**[4]» رواه مسلم.

* (وعن) ثوبان ﷺ مولى رسول الله ﷺ: «**أفضل دينار ينفقه الرجل: دينـار ينفقه على عياله** [5]، **ودينار ينفقه على فرسه فى سبيل الله** [6]، **ودينار ينفقه علـى أصحابه فى سبيل الله** [7]» قال أبو قلابة: بدأ بالعيال [8]، ثم قال:أبو قلابة: أى رجل أعظم من رجل ينفق على عيال صغار يعفهم الله [9]، أو ينفعهم الله به ويغنـيهم ؟» رواه مسلم والترمذى.

** (فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام حتى تكون من أهل الإنفاق.. (وإياك إياك) أن تكون بخيلا – والعياذ بالله – حتى لا تكون آثمًا:

* (فقد) ورد (عن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قـال رسـول الله ﷺ: «**كفى بالمرء**[10] **إثمًا أن يُضيِّع من يقوت** [11]» رواه أبو داود والنسائى والحاكم إلاَّ أنه قال: «**مَنْ يعول**». وقال: صحيح الإسناد.

---

(1) أى: فيما يلزم للجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل.
(2) أى: فى تحرير رقبة وتخليصها من الرِّق.
(3) وهو الذى لا يجد ما يكفيه.
(4) وهم من تعولهم من زوجات وأولاد.
(5) يعنى أن أعظم هذه الدنانير أجرًا وأكثرها ثوابًا هو الذى ينفقه على عياله.
(6) أى: من يعولهم من زوجات وأولاد وخدم...
(7) يعنى على إخوانه الذين يرافقونه فى الجهاد.
(8) لأنهم أولى من غيرهم.
(9) أى: يعفهم عن سؤال الناس.
(10) أى: ذنبًا ومعصية..
(11) أى: من يلزمه قوته كالزوجة والأولاد والخدم.

* (وعن) ؟ أبى هُرَيْرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من يوم يصبح العباد فيه إلاَّ وملكان يُنزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقل الآخــر: اللــهم أعط مُمسكًا تلفا**». رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

** (واعلم) أنك إذا كنت إن شاء الله من أهل الإنفاق.. فإنك بهذا ستكون قــد تحّدثت بنعمة الله تعالى عليك.. وستكون أيضًا من الشاكرين الذين سيزيدهم الله من فضله الذى لا حدود له. ما دُمتَ حَيَّاً..

والله ولى التوفيق

الوصية الأربعون بعد المائة

• عن جابر بن سليم رضي الله عنه قال :

رأيتُ رجلاً يصدُرُ الناسُ عن رأيهِ لا يقولُ شيئاً إلّا صدروا عنهُ، قلتُ : مَنْ هذا؟ قالوا: رسول الله صلى الله عليه وسلم، قُلتُ: عليكَ السلامُ يا رسول الله مرتين، قال: (لا تقل عليكَ السلامُ فإنّها تحيّةُ الميت، قُلْ: السَّلامُ عليكَ) قلتُ: أنت رسول الله؟ قال:

(أنا رسولُ اللهِ الذي إذا أصابكَ ضُرٌّ فدعوتَه كشفَهُ عنك، وإن أصابك عامُ سَنَةٍ فدعوته أنبتَها لكَ، وإنْ كُنت بأرضٍ قفرٍ أوْ فلاةٍ فضلَّت راحلتُكَ فدعَوْتَهُ ردَّها عَلَيْكَ) قلتُ: يا رسولَ اللهِ اعْهدْ إليَّ، قالَ: (لا تسُبَّنَّ أحدًا) قال: فما سَبَبْتُ بعدهُ حُرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاةً، قال: (ولا تحقرنَّ شيئًا من المعروف، وأن تكلِّم أخاك

وأنتَ مُنبَسِطٌ إليهِ فذلكَ من المعروفِ، وارفع إزارك إلى نصفِ السّاقِ، فإنْ أبيتَ فإلى الكعبينِ، وإياكَ وإسبالَ الإزارِ فإنّها من المخيلةِ، وإنَّ اللهَ لا يُحبُّ المخيلةَ، وإنِ امرؤٌ شتمكَ وعيّرك بما يعلمُ فيكَ فلا تُعيّرهُ بما تعلمُ فيهِ، فإنّما وبالُ ذلكَ عليهِ).

رواه أبو داود بسند صالح

إلا صــدروا عنــه: أى: لا يقــول شــيئًا إلاّ قبلــوه وسارعوا فى إنفاذه.
فإنها تحية الميت: أى: من عادتهم فى أشعارهم، كقول بعضهم عليك سلام الله قيس بن عاصم.. وإلا فالمشروع فى السلام للحى والميت واحد.
عام سنة: أى عام قحط.
واعهد إلى: أى: أوصنى.

فكن أخا الإسلام

منفذا لكل ما جاء فى هذه الوصية من توجيهات وتحذيرات وذلك حتى تكون منتفعًا بها كما انتفع (جابر بن سُليم) راوى هذا الحديث.. الذى حكى لنا فى بداية روايته له: أنه رأى رجلًا يصدر الناس عن رأيه.. ولا يقول شيئًا إلَّا صدروا عنــه.. أى لا يقول شيئًا إلا قبلوه وسارعوا فى إنفاذه.. فسأل.. من هذا ؟ فقالوا له: هذا رسول الله ﷺ ، فلما قيل له هذا.. ذهب إليه صلوات الله وسلامه عليه وقــال لــه: عليك السلام يا رسول الله – مرتين – ثم يحكى لنا أن النبى ﷺ قال له على ســبيل التعليم له – ولنا -: **((لا تقل عليك السلام، فإنها تحية الميِّت، قل: السلام عليك))** – مع ملاحظة أن تحية الإسلام هى (السلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه) (فعــن) عمران بن الحصين رضى الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقــال: (الســـلام عليكم) فرَّد عليه ثم جلس، فقال النبى ﷺ : **((عشر))**، ثم جاء آخر فقال: (الســـلام عليكم ورحمة الله)، فرد عليه فجلس، فقال: **((عشرون))**، ثم جاء آخر فقال: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)، فرَّد عليه فجلس، فقال: **((ثلاثون))** [(١)] رواه أبــو داود، والترمذى وقال: حديث حسن–

* (ثم) عاد الراوى – وهو جابر بن سُليم – فقال لرسول الله ﷺ : أنت رســول الله؟ قال: **((أنا رسول الله الذى إذا أصابك عام سَنَة – أى عام قحط – فدعوتــه أنبتها لك))** _ كما يشير إلى هذا الله تبارك وتعالى فى قرآنــه فى قولــه: **﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ * أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ* أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْض أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ*أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ**

(١) أى: ثلاثون حسنة.

(٢) أى: يساوون بين الله تعالى وبين الآلهة التى يدعونها من دونه سبحانه:﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾

يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ*أَمَّنْ يَبْدأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ* قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٠- ٦٥].

(ثم) عاد فقال يا رسول الله اعهد إلى ــ أى أوصنى.. فقال له الحبيب صلوات الله وسلامه عليه: **((لا تَسُبَّنَّ أحدًا))**: لأن الله تعالى يقول ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا**[1] **فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**﴾ [الأحزاب: ٥٨].

* (وعن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((سِبَابُ**[2] **المسلم فسوق، وقتاله كفْر))** متفق عليه.

* (وعن) أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **((لا يرمى رجل رجلًا بالفسّق**[3] **أو الكفر**[4]**، إلاَّ ارتدَّت عليه**[5]**، إن لم يكن صاحبه كذلك))**. رواه البخارى.

* (وعن) أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((المتسابَّان ما قالا، فعلى البادى منهما حتى يعتدى المظلوم**[6]**))** رواه مسلم.

* (وعنه) ﷺ قال: أتى النبى ﷺ برجل قد شرب[7]، قال: **((اضربوه))** قال أبو هريرة: فمنَّا الضارب بيده، والضَّارب بنعله، والضَّارب بثوبه. فلمَّا انصرف قال بعض القوم: أخزاك الله، قال: **((لا تقولا هذا، لا تعينوا عليه الشيطان))** رواه البخارى.

(وعلى) هذا فإن سبَّ المسلم — بغير حق[8] — حرام.. حتى ولو كان قد مات..

---

(١) أى: افتراء عليهم بالكذب.
(٢) أى: السب.
(٣) بأن يقول له: يا فاسق .
(٤) بان يقول له: يا كافر.
(٥) أى: رجعت الرمية عليه.
(٦) أى: يتجاوز حدَّ الانتصار.
(٧) أى: خمراً.
(٨) من جناية أو استحقاق.

(وقد) أشار الإمام النووى إلى هذا فى كتابه: (رياض الصالحين) تحت عنوان:

باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية

وهى: التحذير من الاقتداء به: فى بدعته، وفسقه، ونحو ذلك. فيه الآية والأحاديث السابقة فى الباب قبله.. وهو المعنون بالآتى: باب تحريم سب المسلم بغير حق.

* (وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تَسبُّوا الأموات، فإنهم قد أفضوا** [١] **إلى ما قدَّموا** [٢])) رواه البخارى -

** (ولهذا) فقد قال راوى الوصية: (فما سببتُ بعده حرًا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة)، (لأنه) قد ورد النهى حتى عن سب الديك والبرغوث، والريح .

* (فعن) عمران بن حُصَينَ رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ فى بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة [٣]، فَضَجَرتَ [٤] فلعنتها [٥]، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ((**خذوا ما عليها، ودعوها** [٦]، **فإنها ملعونة** [٧])) قال: عمران: فكأنى أراها الآن تمشى فى الناس ما يعرض لها أحدٌ [٨]. رواه مسلم وغيره.

* (وعن) زيد بن خالد الجهنى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**لا تسُبوا الديك فإنه يوقظ للصلاة** [٩])) رواه أبو داود وابن حبان فى صحيحه إلاّ أنه قال: ((**فإنه يدعو للصلاة**)) ورواه النسائى مسندا ومرسلًا.

---

(١) أى: وصلوا.

(٢) أى: من الأعمال: خيرًا كانت أم شرًا. **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨].

(٣) وهى أنثى الجمل وجمعها نُوق.. وكانت راكبة عليها.

(٤) أى: تعبت وأبطأت فى السير.

(٥) أى: دعت المرأة عليها باللعنة.

(٦) أى اتركوها بلا ركوب على ظهرها.

(٧) وفى رواية: ((لا تصحبنا ناقة عليها لعنة)).

(٨) أى: يتعرض لها بركوب ولا غيره. قال النووى: (إنما قال هذا زجرا لها ولغيرها وكان قد سبق نهيها ونهى غيرها عن اللعن فعوقبت بإرسال الناقة، والمراد النهى عن مصاحبته لتلك الناقة فى الطريق، وأما بيعها وذبحها و ركوبها فى غير مصاحبتها ﷺ وغير ذلك من التصرفات التى كانت جائزة قبل هذا فهى باقية على الجواز لأن الشرع إنما ورد بالنهى عن المصاحبة فبقى الباقى كما كان.

(٩) أى لصلاة الصبح بصفة خاصة.

* (وعن) أنس ﷺ قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فلدغتْ رجلًا برغوثٌ فلعنها، فقال النبى ﷺ: «**لا تلعنها فإنها نبّهت نبيًا من الأنبياء للصلاة**» رواه أبو يعلى واللفظ له، والبزار إلا أنه قال: «**لا تَسُبّه فإنه أيقظ نبيًا لصلاة الصبح**» ورواته رواة الصحيح إلاّ سُويد بن إبراهيم. ورواه الطبرانى فى الأوسط، ولفظه ذُكرت البراغيث عند رسول الله ﷺ فقال: «**إنها توقظ للصلاة**» ورواه الطبرانى ثقات إلاّ سعيد بن بشير.

* (ثم) قال له النبى ﷺ مواصلًا وصاياه:

** «**ولا تحقرنَّ شيئًا من المعروف [1] وأن تكلم أخاك وأنت مُنبسط إليه[2] فذلك من المعروف**»: فقد ورد:

* (عن) عبد الله بن عُمَيرة قال: دخل على جابر ﷺ نفر من أصحاب النبى ﷺ: فقدّم إليهم خبزًا وخَلًّا [3] فقال: كلوا فإنّى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**نعم الإدام الخلّ** [4]» إنه هلاك بالرجل أن يدخل إليه النفر من إخوانه، فيحتقر ما فى بيته أن يقدّمه إليهم [5]، وهلاكٌ بالقوم أن يحتقروا ما قُدّم إليهم. رواه أحمد والطبرانى وأبو يعلى إلا أنه قال: (كفى بالمرء شرًّا أن يحتقر ما قُرِّب إليه) وبعض أسانيدهم حسن «ونعم الإدام الخل»: فى الصحيح، ولعل قوله: إنه هلاك بالرجل إلى آخره من كلام جابر مدرج غير مرفوع. والله أعلم [6].

* (ثم) قال صلوات الله وسلامه عليه مواصلًا وصيّته:

** «**وارفع إزارك [7] نصف الساق، فإن أبيت [8] فإلى الكعبين، وإيّاك وإسبالُ[9] الإزار فإنها المخيلة [10]، وإن الله لا يُحب المخيلة**»: وقد روى:

---

(١) بذلته لغيرك أو بذله غيرك إليك.
(٢) أى كلمه حال كونك منطلق الوجه منبسط الأسارير.
(٣) لأن هذا هو الذى كان موجودا عنده فى ذلك الوقت.
(٤) فإن اعتقا.
(٥) لذلك يمنعه من أداء واجب الضيافة وفيه ازدراء للنعمة.
(٦) انظر (الترغيب والترهيب) ج٣ ص ٦٠٧ مع الهامش.
(٧) أى: قصره.
(٨) أى: كرهت تقصيره إلى هذا الحد.
(٩) أى: إرخاءه وإطالته حتى يجر على الأرض.
(١٠) المخيلة من الاختيال بفتح الميم وكسر الخاء المعجمة، من الاختيال، وهو الكبر واستحقار الناس.

* (عن) ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما رجل ممن كان قبلكم** [١] **يجُر إزاره** [٢] **من الخيلاء** [٣] **خسف به** [٤]. **فهو يتجلجل فى الأرض**[٥] **إلى يوم القيامة**». رواه البخارى وغيرهما.

* (وعن) ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من تعَظّم فى نفسه**[٦]، **أو اختال فى مشيته، لقى الله تبارك وتعالى** [٧] **وهو عليه غضبان**[٨]» رواه الطبرانى فى الكبير واللفظ له، ورواته محتج بهم فى الصحيح، والحاكم بنحوه، وقال صحيح على شرط مسلم.

* (وكان) الإمام علىٌّ كرَّم الله وجهه يقول:

(مالا بن آدم والكبر ؟! تقتله شَرقة، وتُنتنه عرقة، وتُؤلمه بَقّة). ويقول: (مالا ابن آدم والكبر ؟! أوله نُطفة مَذرة [٩]، وآخره جيفة قَذرة [١٠]، وهو ما بين ذاك يحمل العَذرة [١١])، (وكان) أيضًا أحد الحكماء يقول: حَسب المتكبِّر أن يعلم أنه مَّر بمخرج البول مرتين..: من قُبُلِ الأب عند جماع الأم، ومن فرْج الأم عند الولادة.. فعلام الكِبْر إذن.. ؟!!!

* (ثم) بعد ذلك يواصل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وصيته فيقول: «**وإن امرُؤ شتمك وعَيَّرك بما يعلم فيك، فلا تعِّيره بما تعلم فيه، فإنما وبال ذلك عليه**[١٢]».

---

(١) أى: من الأمم السابقة.

(٢) وهو ما يُلبس على النصف الأسفل من البدن.

(٣) أى: مختالًا متبخترًا.

(٤) أى: انشقت الأرض تحت قدمه وابتلعته.

(٥) يقال تجلجل فى الأرض: أى: دخل.

(٦) أى: تكّلف العظمة والكبرياء.

(٧) أى: يوم القيامة.

(٨) جملة حالية من فاعل لقى.

(٩) مذرت البيضة: أى فسدت (مختار الصحاح).

(١٠) القذر: ضد النظافة.

(١١) وهى البراز الذى يخرج من دبر الإنسان.

(١٢) أى: إثمه وسوء عاقبته.

(وفى) رواية لابن حبان: «**وإن امرؤٌ عيَّرك بشيء يعلمه فيك، فلا تعيره بشـــيء تعلمه فيه، ودعه يكون وباله عليه، وأجره لك، ولا تَسُبَّن شيئًا**». قال: فما سببتُ بعد ذلك دابة ولا إنسانًا).

** (وإذا) كان لى بعد ذلك أن أعلق على هذا الحديث الشريف.. (فإنه) حسبى أن أقول للأخ المسلم: إنه حديث عظيم لأنه قد اشتمل على كثير من الوصايا العظيمة والإرشادات الحكيمة التى نحن جميعًا كمؤمنين صادقين إن شاء الله فى أَشَدّ الحاجة إلى دراستها وتنفيذ ما فيها من التوصيات المحمدية.. التى ركَّز النبى ﷺ فيها على أهم ما ينبغى على المسلم.. أن يعرف المراد منه.. حتى يعرف أولًا من هو الخـــالق ســبحانه وتعالى.. و أننا دائمًا وأبدًا فى حاجة إليه وليس هو سبحانه فى حاجة إلينا.. (وأننـــا) ينبغى علينا أن لا نلعن حُرًّا ولا عبدًا ولا بعيرًا ولا شاة.. الخ ولا نحتقرنَّ شيئًا مـــن المعروف نُقدِّمه أو يُقدَّم لنا.. وأن نلتقى بإخواننا ونحن نَبَشٌّ فى وجوههم.. و أن لا نكون من أصحاب الكبر الذين يتعالون على الناس وهم يجرون أُزرهـــم [1] علـــى الأرض من الخيلاء...

إلى آخر ما جاء فى هذه الوصية العظيمة التى أرجو من الأخ المســـلم أن يكـــون منتفعًا بها على الدَّوام حتى يكون من السعداء فى الدنيا والآخرة.

والله ولى التوفيق

(١) جمع إزار.

الوصية الحادية والأربعون بعد المائة

• عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(اليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ).

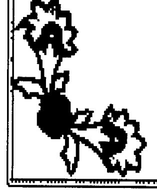
رواه البخاري واللفظ له ومسلم

• وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن ناساً من الأنصار سألوا رسول الله صلى

الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم حتى نفد ما عنده، قال:

(مَا يَكُونُ عِنْدِى مِن خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُم، وَمَنِ ٱسْتَعَفَّ يُعِفَّهُ ٱللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ ٱللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ ٱللَّهُ، وَمَا أَعْطَى ٱللَّهُ أَحَدًا عَطَاءً هُوَ خَيْرٌ لَهُ، وَأَوْسَعُ مِنَ ٱلصَّبْرِ)

رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.



فكن أخا الإسلام

من الرجال الموفَّقين الذين شاء الله تعالى لهم أن يكونوا من أصحاب الأيادى العالية بسبب جهادهم وكفاحهم فى طلب الرزق تنفيذًا للمراد من قول الله تبارك وتعالى فى سورة الجمعة:

* ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة: ١٠] وفى قوله فى سورة الملك: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥].

(وذلك) لأنه لا كرامة للإنسان إلا بالعمل والإنتاج الذى سيكون سببًا فى استغنائه عن سؤال الناس الذين — للأسف الشديد — لا يحترمون ولا يُصَادقون — غالبا — إلا أصحاب الأموال الكثيرة. كما يقول الإمام علىٌّ كرَّم الله وجهه مشيرًا إلى هذه الحقيقة التى لا تخفى علينا:

إن قل مالىَ فلا خلٌّ يُصاحبنى ... أو زاد مالى فكلُّ الناس خلاَّنى

فكم من عدو لبذل المال صاحبنى ... وصاحب عند فقد المال خَلَّانى

* (وقد) قرأت أيضًا توضيحًا لهذا أن رجلًا من الأغنياء كان له صَديق من الفقراء.. فكان يعطيه من مال الله الذى كان عنده.. (ثم) حدث بعد ذلك أن أصبح الفقير غنيًا، والغنى فقيرًا.. فكان هذا الذى كان فقيرًا وأصبح غنيًا.. إذا رأى صاحبه هذا — الذى كان غنيا وأصبح فقيرًا — حوَّل وجهه عنه حتى لا يراه فيضطر لإعطائه.. (فلما) لاحظ صاحبه — الأصيل - هذا ذهب إليه وقال له:

ترانى مُقبلاً فتصد عنِّى ... وتزعم أنَّنى أبغى رضاك

سيغنينى الذى أغناك عنِّى ... فلا فقرى يدوم ولا غناك

* (وقرأت) كذلك أن رجلًا كان من الأغنياء..و كان إذا جلس مع أصحابه يقول لهم: لقد رأيت الفأر يأكل الحديد.. فيقولون له: صدقتَ.. (ثم) بعد ذلك وبعد أن تغير وضعه فصار فقيرًا. جلس مع أصدقائه السابقين وقال لهم:

لقد رأيت الفأر يأكل الخشب. فقالوا له: كذبت.. فقال لهم وهو يبكى.. لقد

كان يأكل الحديد قبل هذا !!! (وإلى) هذا يشير أحدهم فى قوله:

إن الغنـــيَّ إذا تكلَّـــم بالخطـــا قالوا صدقتَ ومـا نطقــتَ مُحالـا
أمـــا الفقـــيرُ إذا تكلـــمَّ صـــادقاً قالوا كـذبتَ وأبطلـوا مـا قالَـا
إن الـــدرهم فى المـــواطن كُلـــها تكسُـو الرجـال مهابـة وجـلالاً
فهـى اللســان لمـن أراد فصـاحَة وهـى السـلاح لمـن أراد قتالَـا

** (ولهذا) كان النبى ﷺ يُرغِّب فى السعى على الرزق.. الذى هو السـبيل إلى الاستغناء عن سؤال الناس:

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«لأن يحتَطِب أحدكم حزمـة على ظهره[1] خيرٌ له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه [2]»** رواه مالك والبخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

* (وعن) أنس رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ فسـأله — أى صـدقة— فقال: **«أما فى بيتك شيء ؟»** قال: بلى حلسٌ [3] نَلبس بعضـه، ونبسـط بعضـه. وقعب[4] نشرب فيه من الماء. قال: **«ائتنى بهما»** فأتاه بهما، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده، وقال: **«من يشترى هذين؟»** قال رجل: أنا آخذهما بدرهم: قال رسول الله ﷺ: **«من يزيد على درهم مرتين، أو ثلاثا ؟»** قال رجل: آنا آخذهما بدرهمين فأعطاهمـا إيَّاه، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى، وقال: **«اشتر بأحدهما طعامًا فأنبذه [5] إلى أهلك، واشتر بالآخر قدومًا [6] فائتنى به»** فأتاه به، فشدَّ فيه رسول الله ﷺ عـودًا بيده، ثم قال: **«اذهب فاحتطب[7] وبع، ولا أرينك خمسة عشر يومًا»**، ففعل، فجاء،

---

(١) أى: يحملها على ظهره ليبيعها ويأكل مع أهله بثمنها.
(٢) يعنى خير له من السؤال مطلقا سواء أعطى ما سأل أو لم يعط.
(٣) وهو كل ما يوضع على ظهر الدابة تحت السرج أو الرحل وما يبسط فى البيت على الأرض تحت حر الثياب أو المتاع وهو القدح الضخم الغليظ.
(٤) وهو القدح الضخم الغليظ.
(٥) أى: فاذهب به إلى أهلك وأعطهم إياه.
(٦) وهو آلة للنحت والنجر..
(٧) أى: جمع الحطب.

* (وقد) سُئِل أحد الحكماء: لماذا تجمع المال وأنت حكيم ؟ فقال لثلاث: لأؤدي به الفرض، وأصون به العرض، وأستغنى به عن القرض..

* (وقد) ورد فى الحديث: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**».

* (هذا) ولما كان المراد من الاستعفاف، هو الاستغناء عن سؤال الناس الذى هو المذلّة الحقيقية – بعكس العمل – كما يقول الإمام علىٌّ كرَّم الله وجهه:

حملى الصَّخر فى قمم الجبالِ *أحبُّ إلىَّ من مِنَنَ الرجالِ*

يقول الناس لى فى الكسب عارٌ **فقلتُ العارُ فى ذُلّ السؤالِ**

** (فقد) رأيت كذلك أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة التى قرأتها فى (الترغيب والترهيب) – ج٢ ص٤٧ وما بعدها – تحت عنوان:

الترهيب: من أن يسأل الإنسان مولاه أو قريبه من فضل ماله، فيبخل عليه، أو يصرف صدقته إلى الأجانب، وأقرباؤه محتاجون

** (وذلك) حتى يكون الأخ المسلم الذى مَنَّ الله عليه بالمال الحلال وصولًا لإخوانه الفقراء دون أن يسألوه.. (وحتى) لا يُعرِّضهم لموقف مذلّة أو مسكنة تأباها الأُخوَّة الإسلامية الحقَّة.

* (فعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**والذى بعثنى بالحق**[1] **لا يُعذِّب الله يوم القيامة: من رحم اليتيم**[2]**، ولَانَ له فى الكلام**[3]**، ورحم يُتْمه وضعفه**[4]**، ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله**[5]**، وقال: يا أمة محمد: والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل، وله قرابة محتاجون إلى صلته** [6] **ويصرفها إلى غيرهم**[7]**، والذى نفسى بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة** [8]» رواه الطبرانى ورواته ثقات.

---

(١) وهذا قسم منه ﷺ. وكان أكثر قسمه: «**والذى نفسه بيده**».
(٢) لأن اليتيم هو أحق الناس بالرعاية والعطف...
(٣) تنفيذاً لأمر الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ﴾.
(٤) وهذا على سبيل التأكيد لما قبله.
(٥) أى: من فضله.
(٦) أى: إلى بره وعطائه وإحسانه.
(٧) فإن ذلك غمط لحق القرابة..
(٨) يعنى لا ينظر الله نظر رحمة وإحسان بل يحرمه ذلك جزاء ما حرم قرابته.

(فقد) قال فى (الهامش) موضحًا المعنى المراد من قول الرسول ﷺ: **((ولم يتطاول على جاره بفضل ما آتاه الله))**: (يعنى) أن من تَفضَّل الله عليه بالغنى ووسَّع عليه فى الـرزق، وله جار فقير لا يجوز له أن يستطيل عليه بغناه، ويظهر له الازدراء ويقول له كما قـال ذلك الجاهل لصاحبه وهو يحاوره: **﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً﴾** [الكهف:٣٤]. بل يجب عليه أن يرعى حق جاره ويَسُّد خُلته، ويقضى حاجته، ويتجنب إيذاءه بالقول أو بالفعل،وفى الحديث الصحيح: **((ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننـتُ أنه سيورِّثه))**.

** (وأما) عن المعنى المراد من قول الرسول ﷺ فى نص الوصية التى ندور حولها: **((وابدأ بمن تعول))** (فقد) ورد فيه (عن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: **((خـير الصدقة ما أبقت غنىً))** أى: التى تبقى لصاحبها بعدها ما يغنيه ويكفيه ويقيـه شـر السؤال وذل الحاجة .. وفى هذا إرشاد إلى الاجتهاد فى كَسْب المال: **((واليد العُليـا خيٌر من اليد السُّفلى))** أى: أن يد المعطى خير من يد الآخذ.. وفيه الحث على العمل والكسْب ليكون فى مقام المعطى دائمًا.. بل وكان أحد المنفقين الصالحين إذا أراد أن يعطى فقيرًا صدقة وضعها فى يده اليمنى.. ثم طلب من الفقير أن يمد يده ليأخـذها لتكون يد الفقير هى العليا [1].. **((وابدأ بمن تعول))** أى: ابدأ بالإنفاق على من تعولهم وتلزمك نفقتهم فإن فَضَل شيء فتصدق به على غيرهم..

(وقد) ورد أيضًا عن أبى هريرة ﷺ أنه قال قال يـا رسـول الله: أى الصـدقة أفضل؟ قال: **((جُهد المقلّ))** أى: أن أفضل الصدقة ما يبذله الفقير من جهده **((وابـدأ بمن تعول))**.. رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح علـى شرط مسلم.

(وقد) قال أبو هريرة معُلقًا على الحديث الذى قبل الأخـير – والـذى رواه فى صحيحه – بعد قول الرسول ﷺ: **((وابدأ بمن تعول))**: تقول امرأتك: أَنفق علىَّ أو طلِّقنى، ويقول مملوكك: أنفق علىَّ أو بعنى، ويقول ولدك: إلى مَن تَكلُنا؟

---

(١) تواضعا.

** (فكن) أخا الإسلام ملاحظا هذا.. فقد ورد: (عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**دينار أنفقته فى سبيل الله**[١]، **ودينار أنفقته فى رقبة**[٢]، **ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك**» رواه مسلم.

* (عن) سعد بن أبى وقاص ﷺ أن رسول الله ﷺ قال له: «**إنك لن تنفق نفقة تبتغى وجه الله إلا أُجِرَت بها حتى ما تجعل فى فِى – أى فى فم – امرأتك**» متفق عليه.

** (ولابد) وأن يكون الأخ المسلم بَارًّا بوالديه. وذلك بالإحسان إليهما. وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما..:

* (فعن) أبى هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه ليعتقه**» رواه مسلم وأبو داود. (وفى) رواية لمسلم: قال: أقبل رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أبايعك على الهجرة والجهاد أبتغى الأجر من الله. قال: «**فهل من والديك أحَدٌ حَيٌّ ؟**» قال: نعم: قال: «**فارجع إلى والديك فأحْسِنْ صُحبتُهمَا**».

* (وعن) أبى أُسيد مالك بن ربيعة الساعدى ﷺ قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذْ جاء رجل من بنى سَلمة فقال: يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شيء أبرُّهما به بعد موتهما قال: نعم: «**الصلاة عليهما** [٣]، **والاستغفار لهما**[٤]، **وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما، وإكرام صديقهما**» رواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه.

** (وكذلك) لابد من صلة الرحم وعدم قطعيته:

(١) أى: فى الجهاد أو فى طاعة الله.

(٢) أى: فى معاونة المملوك المكاتب على عتق رقبته حتى يكون حرًا.

(٣) أى: الدعاء لهما.

(٤) أى: طلب المغفرة لهما من الله تعالى..

*(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت**)) رواه البخارى ومسلم.

*(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ((**أسرع الخير ثوابا: البر وصلة الرحم، وأسرع الشر عقوبة البغى**[1] **وقطيعة الرحم**)). رواه ابن ماجه.

(هذا) وإذا كان النبى ﷺ فى نص الوصية قد قال للإخوة أصحاب اليد السفلى: ((ومن يستعفْ يُعفَّه الله...**)) أى: من يطلب من الله العَّفة أو يتخلّق بخلق العفة يرزقه الله العفَّة.

*(فقد) ورد كذلك ما يوضح هذا المعنى المطلوب فى حديث رواه مالك والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى (عن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ– الصدقة – فأعطاهم، ثم سألوه، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم حتى نفذ ما عنده، قال:((**ما يكون عندى من خير فلن أدخره عنكم، ومن استعفَّ يُعفَّه الله، ومن يستغن يُغْنه الله، ومن يتصبَّر يُصبِّره الله، وما أعطى الله أحدًا عطاء هو خيرٌ له، وأوسع من الصَّبر**)).

(فاذكر) كل هذا أخا الإسلام ونفِّذ المراد منه – بالإضافة إلى الصَّبر الذى أسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلك من المتخلِّقين به – على أن تكون من أصحاب الأيادى العالية..

*(وليكن) اعتمادك دائمًا وأبدًا على الله تعالى الذى يقول: ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾ [الطلاق:٣]. وأنت تذكر دائمًا – أن من رزقه الله الصَّبر فقد رُزق بأوسع الأبواب.. (واذكر) كذلك قول القائل ونفذه:

إن الأمور إذا انسدَّت مسالكُها ... فالصبر يفتق منها كُلَّ ما أُرْتِتجَا
لا تيأس وإن دامت مُطالبة ... إذا استعنت بَصْبرٍ أن ترى فَرجاَ

*(واعلم) أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العُسر يسرًا) [٢]

والله المستعان وهو ولى التوفيق

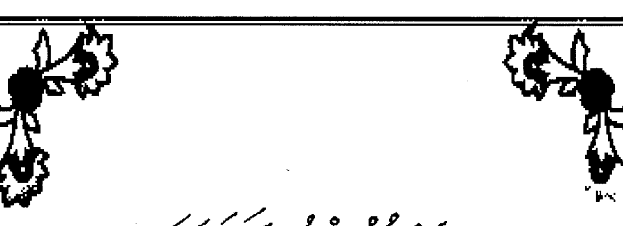
(١) البغى: أى الظلم.
(٢) والحديث من الأربعين النووية: رقم ١٩ وقد رواه الترمذى وغيره.

١٤٢

الوصية الثانية والأربعون بعد المائة

• عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

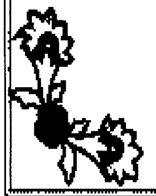
(إذا فَزِعَ أحدُكم في النومِ فليقُلْ: أَعُوذُ بكلماتِ اللَّهِ التَّامَّات مِن غَضَبِهِ وعِقَابِهِ وَشَرِّ عبادِهِ، ومن هَمَزَاتِ الشَّياطِين وأن يَحْضُرُون فإنها لن تَضُرَّهُ)، قَالَ: وكان ابنُ عمرو يُعَلِّمُهَا مَن بَلَغَ من وَلَدِهِ

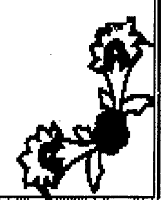


ومن لم يَبْلُغْ مِنْهم كَتَبها في صَكٍّ وعَلَّقها في عُنُقِه .

رواه أصحاب السنن بسند حسن

- (الفزع) : الخوف، و(الأرق) : عدم النوم .
- ومعنى : (فإنها لن تضره) أى الشياطين لا تضره بوسوستها فإن غالب الخوف والفزع وأضغاث الأحلام من الشياطين . .
- وينفع منها تلاوة هذه الكلمات قبل النوم، وأما إذا كانت تلك الأمور ناشئة من أمراض في الجسد أو المعدة أو الرأس .. فالدواء عند الأطباء والشفاء من الله تعالى .
- ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد علمنا هذا من خلال هذا الحديث الشريف الذى رواه لنا عمرو بن شعيب عن أبيه





فكن أخا الإسلام:

منتفعًا بهذه الوصية المُحمَّدية التى كثيرًا ما ستحتاج إليها بسبب الفزع – أى الخوف والأرق – الذى كثيرًا ما سيحدث لأكثرنا فى النوم.. والذى قد يكون الأساس فيه هو الهموم المتعلقة بشئون الحياة ومتطلَّباتها.. والتى فى مقدمتها الدَّين الذى هو همٌّ بالليل وذلٌّ بالنهار..

**(فقد) قرأت أن عليًّا كرَّم الله وجهه قال:

*(أشد خلق الله عشرة: الجبال الرواسى، والحديد يقطع الجبال، والنار تُذيب الحديد، والماء يُطفِىء النار، والسَّحاب المسخَّر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح يقطع السحَاب، وابن آدم يلتحف بُبردَةٍ فيمضى فى الرِّيح، والسُّكْر يغلب ابن آدم، والنوم يغْلب السُّكر، والهمُّ يغلب النومَ)

**(والإنسان) المؤمن لا ينبغى عليه أن يكون مهمومًا أو محزونًا.. ولا سيَّما بالنسبة للأمور التى قدَّرها الله تعالى وقضى بها.. (وذلك) لأن الإيمان بالقَدَر واجب. وينبغى ترك الخوض فى أموره. التى قد تؤدى والعياذ بالله إلى الاعتراض على تصرفات الخالق سبحانه وتعالى.. وبالطبع هذا كفر صريح.. ولله در من قال:

كم عالم يسْكن بيتًا بالكرى وجاهل يملكْ ضياعًا وقُرىَ

لمـّا قرأتُ قوله سبحانه نحن قسمنا بينهم [٢] زال المرى

**(وقد) قرأت كذلك أن رجلا دخل على ابن حنبل رضي الله عنه فقال: عظنى، فقال له: (إن كان الله تعالى قد تكَّفل بالرزق فاهتمامك لماذا [٤] ؟ وإن كان الخلف على

---

(١) أى: بالأجر.

(٢) إنه يعنى قرأ قوله تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..**﴾ [الزخرف: ٣٢]... فاستراح لهذا النص القرآنى و لم يعترض على تصرفات الخالقً سبحانه.. بل ورضى به.. (وقد) ورد فى الحديث القدسى: **((من الناس من أغنيته لفسد حاله، ومن الناس من أفقرته لفسد حاله)).**

(٣) أى: زال الشك..

(٤) إن كل ما أنت مطالب به.. هو الأخذ بالأسباب لأن الله تعالى قد تكَّفل بالأرزاق فقال: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦].

الله حقًّا فالبُخل لماذا ؟ وإن كانت الجنة حقًّا فالراحة لماذا ؟ وإن كانت النار حقًّا فالمعصية لماذا ؟ وإن كان سؤال منكر ونكير حقًّا فالأُنس لماذا ؟ وإن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا ؟ وإن كان الحساب حقًّا فالجمع لماذا [١] ؟ وإن كان كلُّ شيء بقضاء وقدر فالخوف لماذا [٢] ؟.

** (وحتى) يتضح لنا هذا.. ونكون من الراسخين فى عقيدتنا وفهمنا لأمور ديننا التى ينبغى أن تكون منفَّذة فى جميع شئون حياتنا تنفيذًا صحيحًا: (فقد) رأيت أن أُذكر الأخ المسلم بفائدة ذكرها الإمام النووى فى شرح الحديث الثانى من (الأربعين النووية)، وفيها يقول:

* (ذكر صاحب مقامات العلماء، أن الدنيا كلها مقسومة على خمسة وعشرين قسما: خمسة: بالقضاء والقدر، وخمسة: بالاجتهاد، وخمسة: منها بالعادة، وخمسة: بالجوهر، وخمسة: بالوراثة:

(فأما) الخمسة التى فيها بالقضاء والقدر: فالرزق، والولد،والأهل، والسلطان، والعمر.

(وأما) الخمسة التى بالاجتهاد: فالجنة، والنار، والعفة، والفروسية، والكتابة

(وأما) الخمسة التى بالعادة: فالأكل، والنوم، والمشى، والنكاح، والتَغَوُّط.

(وأما) الخمسة التى بالجوهر: فالزهد، والذكاء، والبذل، والجمال، والهيبة.

(وأما) الخمسة التى بالوراثة: فالخير، والتواصل، والسخاء، والصدق، والأمانة.

(ثم) يقول: وهذا كله لا ينافى قولهﷺ : «**كل شيء بقضاء وقدر**»، وإنما معناه أن بعض هذه الأشياء يكون مُرتَّبا على سبب وبعضها يكون بغير سبب.. والجميع بقضاء وقدر) ا .هـ بتصرف.

** (وعلى هذا) فإننى أقول للأخ المسلم: اجعل كل هذا التذكير نُصْب عينيك دائمًا وأبدًا حتى لا يلعب الشيطان بك عقائديًّا.. أو من أى زاوية من زوايا الحياة المتعددة...

---

(١) فقد روى أبو برزة الأسلمىرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ : «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه ؟ وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه ؟» أخرجه الترمذى وقال حسن صحيح. والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية.

(٢) أى ما دمت تعتقد أن كل شيء بقضاء الله تعالى وقدره فالخوف على المستقبل لماذا.. لأن المستقبل بيد الله.. وأنت مطالب فقط بالأخذ بالأسباب التى بها تستحق حفظ الله وتوفيقه لك ..

* * (وإذا) لم تستطع مواجهته.. (فإنه) حسبك أن تستعين بالله تعالى عليه بتنفيذ الوصية العظيمة التى ندور حولها.. والتى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه للراوى، أو لأى صحابى شكى له فزعًا ينتابه فى النوم:

* «**إذا فزع أحدكم فى النوم** [1] **فليقل: أعوذ بكلمات الله التامات** [2] **من غضبه وعقابه، وشر عباده** [3]**، ومن همزات الشياطين** [4] **وأن يحضرون** [5]» وهذه الاستعاذة هى التى أمر النبى ﷺ بأن يستعيذ بالله تعالى بها.. فى قوله تعالى: ﴿ **وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ* وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

(ثم) يقول النبى ﷺ فى نص الوصية: «**فإنها لن تضره**»: وذلك لأن هذه الأمور هى موجبات الفزع لأنه إما صادر من عقاب الله وغضبه، وإما عن توقع شر وأذى من أحد الناس، وإمَّا من تهويل الشيطان وتخييله، فإذا استعاذ بالله عز وجل من ذلك كله أزاحَه عنه وبدله من خوفه أمنًا وسكينة.

قال الراوى: (وكان عبد الله بن عمرو: يلقنها [6] من عقل من ولده [7]، ومن لم يعقل كتبها فى صَكٍّ [8] ثم علقها فى عنقه). رواه أبو داود والترمذى واللفظ له، وقال حديث حسن غريب. والنسائى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

*(وقد) قال فى هامش (الترغيب والترهيب) ج٢ ص٧٨١: (وفى) هذا الحديث دليل على جواز تعليق التمائم للصبيان إذا كانت من القرآن أو الحديث، ولكن جمهور السلف (يُكرِّه) ذلك مطلقًا لورود النهى عنه وتسميته شركًا كقوله عليه

---

(١) أى: قام من نومه فزعًا مرعوبًا.

(٢) وهى كل كلمات الله التى أنزلها فى التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان، وصحف إبراهيم وموسى، والأحاديث القدسية.

(٣) أى: ومن شر كل ذى شر من خلقه.

(٤) أى: ومن الوساوس التى يُلقيها الشيطان فى القلب.. يقال همزه الشيطان إذا وسوس له.

(٥) أى: وأعوذ بك من أن يحضرنى الشياطين وتكيد لى وتؤذينى.

(٦) أى: يحِّفظها له.

(٧) وعقل: يعنى ميَّز.

(٨) أى: كتاب.

السلام: ((**إن الرُّقى والتمائم والتولة شرك**)) (١) وقوله: ((**من تعلّق بتميمة فلا أتم الله له**)) (٢) وقوله: ((**من تعلق شيئًا وُكل له**)).

** (فلاحظ) هذا أخا الإسلام.. ولا تفعله. ما دام فيه خلاف.. على الأقل من باب الاحتياط.. والاحتياط فى الدين واجب.. (ولا سيَّما) فى الأمور المتعلقة بالعقيدة.. لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: ١١٠]. ولأن الله تعالى يقول: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ..** ﴾[النساء: ٤٨].

* (وعن) عمران بن حُصين ﷺأن رسول الله ﷺأبصر على عَضُد رجل حلقة – أراه قال من صُفْر–(٣) فقال: ((**ويحك ما هذه**)) ؟ قال: من الواهنة، قال: ((**أما إنها لا تزيدك إلَّا وهنًا، انبذها عنك فإنك إن مت وهى عليك ما أفلحت أبدًا**)). رواه أحمد.

* (وفى) رواية للنسائى قال: كان خالد بن الوليد رجلًا يفزع فى منامه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال النبى ﷺ: ((**إذا اضطجعت، فقل: بسم الله أعوذ بكلمات الله التامة**))– فذكر مثله – وقال مالك فى الموطأ: بلغنى أن خالد بن الوليد، قال: لرسول الله ﷺ: إنى أروع فى منامى، فقال له رسول الله ﷺ: ((**فقل**))، فذكر مثله.

* (ورواه) أحمد عن محمد بن يحيى بن حبان عن الوليد أنه قال: يا رسول الله إنى أجد وحشةً – أى انقباضًا وشعورًا بالخوف – قال: ((**إذا أخذت مضجعك، فقل:**)) فذكر مثله، ومحمد لم يسمع من الوليد.

---

(١) رواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم باختصار عنه وقال صحيح الإسناد.

(٢) رواه أحمد وأبو يعلى بإسناد جيد، والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(٣) بالضم، وقيل بالكسر ما يُصنع منه الأوانى.. والواهنة عرق يأخذ فى المنكب وفى اليد كلها فيرقى منها.. والوهن: الضعف.

* (ورُوى) عن أبى أُمامة رضي الله عنه قال: حدَّث خالد بن الوليد رسول الله ﷺ عن أهاويل[1] يراها بالليل حالت بينه وبين الليل[2] فقال رسول الله ﷺ: **«يا خالد بن الوليد ألا أعلِّمك كلمات تقولهن، ولا تقولهنَّ ثلاث مرات حتى يذهب الله عنك ذلك»**؟ قال: بلى يا رسول الله بأبى أنت وأُمِّى، فإنما شكوت هذا إليك رجاء هذا منك. قال: **«قل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون»**. قالت عائشة رضى الله عنها: (فلم ألبث إلا ليالىَ حتى جاء خالد بن الوليد، فقال: يا رسول الله بأبى أنت وأُمىِّ، والذى بعثك بالحق ما أتممت الكلمات التى علَّمتنى ثلاث مرات حتى أذْهبَ الله عنىِّ ما كنت أحد ما أُبالى لو دخلت على أسد فى خيسته[3] بالليل) رواه الطبرانى فى الأوسط.

* (وعن) أبى التيَّاح، قال: قلن لعبد الرحمن بن خنبش التميمِّى رضي الله عنه وكان كبيرًا: أدركت رسول الله ﷺ؟ قال: نعم: قلت: كيف صنع رسول الله ﷺ ليلة كادتُه[4] الجن؟ قال: إن الشياطين تحدَّرت[5] تلك الليلة على رسول الله ﷺ من الأودية والشعاب[6]، وفيهم شيطان بيده شعلة[7] من نار يريد أن يحرق بها وجه رسول الله ﷺ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال: **«يا محمد قل»**: قال: **«ما أقول ؟»** قال: **«قل أعوذ بكلمات الله التامة[8] من شر ما خلق، و ذرأ، وبرأ[9]، ومن شر ما ينزل من السماء[10]، ومن شر ما يعرج فيها[11]، ومن فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق[12] إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمن»**. قال: فطفئت نارهم، وهزمهم الله تبارك وتعالى.

---

(١) هى جمع أهوال والمراد بها الأمور المفزعة..
(٢) أى: منعته من قيام الليل.
(٣) خيسة الأسد: بكسر الخاء المعجمة: هو موضعه الذى يأوى إليه.
(٤) يقال كاده يكيده كيدًا بمعنى حاربه وأراده بسوء أو مكروه وخدعة.
(٥) يقال تحدر وتحادر إذا هبط ونزل.
(٦) جمع شعب بكسر فسكون وهو الطريق فى الجبل أو ما انفرج بين جبلين.
(٧) الشعلة بضم فسكون: لهب النار، ويطلق على ما يشعل به النار.
(٨) وفى رواية: (التامات) بالجمع والمراد بها التى تمت صدقا وعدلا...
(٩) هذه الأفعال الثلاثة بمعنى واحد تقريبا.
(١٠) أى: يهبط.
(١١) أى: يصعد.
(١٢) الطارق هو الذى يأتى ليلًا.

رواه أحمد وأبو يعلى، ولكل منهما إسناد جيد محتج به، وقد رواه مالك فى الموطأ عن يحيى بن سعيد مرسلًا، ورواه النسائى من حديث ابن مسعود بنحوه.

* (وعن) خالد بن الوليد ﷺ أنه أصابه أرق [1]، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا أعلمك كلمات إذا قلتهنَّ نمتَ** [2]، **قل: اللهم رب السماوات السبع وما أظلَّت**[3]، **ورب الأراضين وما أقلَّت** [4]، **ورب الشياطين وما أضلَّت** [5]، **كن لى جارًا** [6] **من شر خلقك أجمعين أن يفرط عليَّ** [7] **أحد منهم أو يطغى**[8]، **عزَّ جارك، وتبارك اسمك**». رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط واللفظ له، وإسناده جيد إلاَّ أن عبد الرحمن بن سابط لم يسمع من خالد، وقال فى الكبير: «**عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك**» ورواه الترمذى من حديث بريدة بإسناد فيه ضعف، وقال فى آخره: «**عزَّ جارك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك، ولا إله إلا أنت**».

** (فلتكن) أخا الإسلام منفذا لكل هذا الخير العظيم الذى هو علم رسول الله ﷺ الذى لا ﴿.. وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى..﴾ [النجم ٣:٥] وذلك حتى لا تفزع فى نومك إن شاء الله تبارك وتعالى.. ببركة هذا العلم النافع الذى ينبغى عليك كمؤمن صادق — إن شاء الله — أن تعضَّ عليه بالنواجذ. (وأن) تعلمه لأهلك.. وكل أصدقائك وخلانك.. (مع) ضرورة أن تعمل من جانبك على التخلص من أهم أسباب هذا الأرق الذى يفزعك فى نومك.. (والذى) من أخطره (الدَّين).. (وذلك) بالحرص على سرعة السداد.. (فقد) قرأت عن حاتم الأصم ﷺ

(١) أى عدم الاستقرار فى النوم.
(٢) أى: أزال عنك ما يجده من الأرق وأخذك النوم..
(٣) أى: وما تحتها من الأشياء التى جعلت هى فوقها كالظلة.
(٤) يعنى حملت على ظهرها.
(٥) أى: أغوت وفتنت من الناس.
(٦) أى: حاميًا وحافظا.
(٧) أى: سبق إلى بشر وأذى.
(٨) أى: لا يذل ولا يضام من أجرته وحميته.

أنه قال: (العجلة من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من السنة: إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت[1]، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب). (مع ضرورة) الاستعانة على هذا السداد بالدعاء العظيم الذى علمه الرسول ﷺ لأبى إمامة رضي الله عنه يوم أن دخل الرسول ﷺ المسجد فرآه يجلس فى المسجد فى غير وقت صلاة — ولم تك عادته — فسأله: **((يا أبا أمامة مالى أراك جالسا فى المسجد فى غير وقت صلاة ؟))** فقال: هموم لزمتنى وديون يا رسول الله.. فقال له صلوات الله وسلامه عليه: **((أفلا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟))** يقول أبو أمامة: قلت: بلى يا رسول الله.. فقال له: **((قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال))** [2] يقول أبو أمامة: ففعلت ذلك فأذهب الله همى، وقضى عنى دينى.

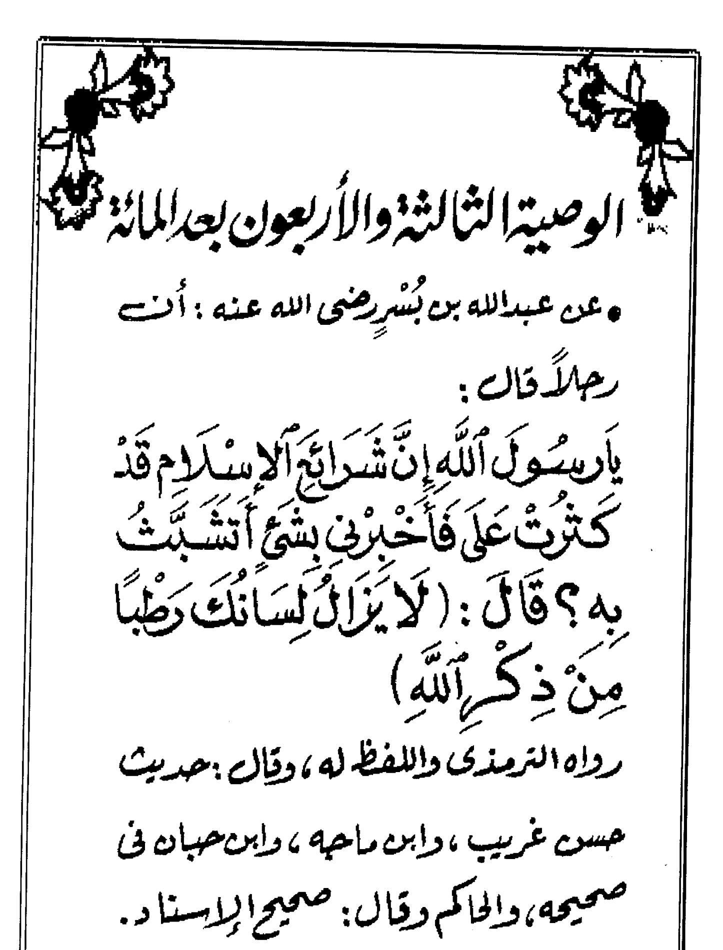
** (وهذا) القول الأخير لأبى أمامة رضي الله عنه معناه أنه نفذ الدعاء تنفيذاً عمليا. بمعنى أنه تخلص من همومه وأحزانه، وتخلص من العجز والكسل، وتخلص كذلك من الجبن الذى هو الشح بالنفس، والبخل الذى هو الشح بالمال.. كما استعان بالله تعالى على غلبة الدين وقهر الرجال. فكانت النتيجة الحتمية لهذا التصديق وهذا التنفيذ العملى.. أن أذهب الله همه وقضى عنه دينه..

** (فلتكن) أنت كذلك أخا الإسلام.. حتى لا يكون هناك فزع فى النوم إن شاء الله.. بالإضافة إلى تنفيذ المراد من الوصية التى كنا ندور حولها.. والتى هى من علم رسول الله ﷺ.. الذى ورد عنه أنه قال: **((إنما بعثت معلما))**..

والله المستعان؛ وهو ولى التوفيق

(١) أى: إعداده للدفن.. لأن هذا سيكون إكراما له..

(٢) هذا الحديث رواه أبو داود..وقد ذكرته بتصرف فى الشرح.

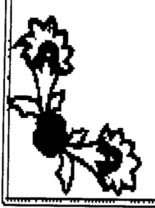


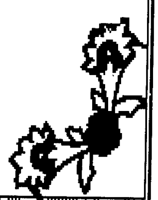
الوصية الثالثة والأربعون بعد المائة

• عن عبدالله بن بُسْرٍ رضي الله عنه : أن رجلاً قال :

يَا رَسُولَ ٱللَّهِ إِنَّ شَرَائِعَ ٱلإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَبَّثُ بِهِ ؟ قَالَ : (لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ ٱللَّهِ)

رواه الترمذي واللفظ له ، وقال : حديث حسن غريب ، وابن ماجه ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : صحيح الإسناد .





فكن أخا الإسلام

منفذا للمراد من هذه الوصية العظيمة التى إن نفذتها إن شاء الله تعالى تنفيذًا صحيحًا.. كنت من أهل الذكر الذى هو طب القلوب ودواؤها،وعافية الأبدان وشفاؤها، ونور الأبصار وضياؤها.. به تطمئن القلوب، وتنفرج الكروب، وتُغفر الخطايا والذنوب.. (ولذلك) أمر الله تعالى به، وحثَّ عليه ورغَّب فيه، ومدح أهله، وبين ما لهم عنده من رفيع الدرجات.. فقال تعالى: ﴿ .. **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد: ٢٨] وقال تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥].

** (وقد) سُئل ابن الصلاح عن القدر الذى يصير به — العبد — من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ؟ فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المثبتة صباحًا ومساءً فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا: كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

(وقال) على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن الله لم يفرض على عباده فريضة إلاَّ جعل لها حدًّا معلوما وعذر أهلها فى حال العذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدًّا ينتهى إليه. (ولم) يَعذُر أحدًا فى تركه إلَّا مغلوبًا على تركه، فقال: ﴿**اذْكُرُوا اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ..**﴾[النساء: ١٠٣]: فى الليل والنهار، والبر والبحر، وفى السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال.

* (ولهذا) كان النبى ﷺ يقول لأصحابه: **((ألا أنبئكم بخير أعمالكم، وأزكاها عند مليككُم، وأرفعها فى درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذَّهب والوَرِق**[1]**، وخير لكَم من أن تَلقَوا عدوَّكُم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟))** قالوا: بلى يا رسول الله، قال: **((ذكر الله))**. رواه الترمذى وأحمد والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

* (وقد) قرأت فى كتاب (الترغيب والترهيب) ج٢، تحت عنوان:

(١) الورق بكسر الراء: أى الدراهم المضروبة من الفضة.

كتاب الذكر والدعاء

الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرًّا وجهرًا والمداومة عليه.. (فإليـك) بعـض الأحاديث المرغِّبة في هذا الخير الذى أرجو أن نكون جميعًا أهلًا له على الدَّوام:

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يقول: **((أنا عند ظـن عبـدى بى**[١]**، وأنا معه إذا ذكرنى** [٢]**، فإن ذكرنى فى نَفْسه**[٣] **ذكرته فى نفسـى** [٤]**، وإن ذكرنى فى ملإٍ** [٥] **ذكرته فى ملإٍ خيرٍ منهم** [٦]**، وإن تَقرَّب إلىَّ شبرًا** [٧] **تَقَربتُ إليه ذراعا** [٨]**، وإن تَقَّرب إلىَّ ذراعًا تقربتُ إليه باعًـا**[٩]**، وإن أتـانى يمشـى أتيتُـه هرولة**[١٠]**))**. رواه البخارى ومسلم، والترمذى والنسائى وابن ماجـه. ورواه أحمـد بنحوه بإسناد صحيح، وزاد فى آخره قال قتادة: **((والله أسرع بالمغفرة** [١١]**))**.

* (وعن) ابن مالك بن يُخامرَ أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لهم: إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله ﷺ [١٢] أن قلتُ [١٣]: أى الأعمال أحـبُّ إلى الله [١٤] ؟ قـال: **((أن تَموت ولسانك رطبٌ من ذكر الله** [١٥]**))** رواه ابن أبى الدنيا والطبرانى واللفـظ لـه، والبزار إلا أنه قال: أخبرنى بأفضل الأعمال،وأقربها إلى الله [١٦]، وابن حبان فى صحيحه.

---

(١) يعنى أعامله بحسب ظنه، فإن ظن بى خيرا.. كان له كذلك، وإن ظن بى شرا.. كان له كذلك.
(٢) أى: بالتوفيق والمعونة والهداية والرعاية .
(٣) أى: سرًا بحيث لا يسمعه أحد..
(٤) أى: سرًا دون أن أُعلم بذلك أحد.
(٥) أى: فى جماعة جهرًا.
(٦) وهو الملأ الأعلى يعنى الملائكة .
(٧) أى: فعل مما أُحبه ما يقربه منى مقدار شبر.
(٨) يعنى فعلت به من القبول والرحمة والثواب ما يساوى ذلك.
(٩) الباع هو مقدار مد اليدين وقيل هو طول ذراعى الإنسان وعضديه وعرض صدره..
(١٠) أى: إسراعًا.
(١١) وهو جملة قصَد بها قتادة تفسير قوله: ((أتيتُه هرولة)).
(١٢) معنى فارقته عليَّه أنى لم أسمع منه شيئا بعده حتى مات.
(١٣) أن ومدخولها فى تأويل مصدر خبر إن أى قولى له.
(١٤) أى: أكثرها محبوبية فهى أفعل تفضيل من اسم المفعول.
(١٥) المراد أن تلزم ذكر الله وتواظب عليه حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك.
(١٦) ويلزم من كونها أحبَّ الأعمال أن تكون أفضلها وأقربها.

* (وعن) جابر ﷺ رفعه إلى النبى ﷺ قال: «**ما عمل آدمٌى عملًا أنجى له من العذاب من ذكر الله تعالى**»، قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال: «**ولا الجهادُ فى سبيلِ الله إلاَّ أنَ يضربَ بسيفه حتى ينقطع** [1]». رواه الطبرانى فى الصغير والأوسط، و رجالهما رجال الصحيح.

* (وعن) أبى موسى ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «**مثل الذى يذكر ربِّه، والذى لا يذكر ربه، مثل الحى والميت**» رواه البخارى ومسلم، إلا أنه قال: «**مثل البيت الذى يُذكر الله فيه**».

* (وعن) أُمِّ أنس رضى الله عنها أنها قالت: يا رسول اله أوصنى، قال: «**اهجري المعاصى**[2]: **فإنها أفضل الهجرة وحافظى على الفرائض** [3]: **فإنها أفضل الجهاد، وأكثرى من ذكر الله: فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كَثرة الذكر** [4]» رواه الطبرانى بإسناد جيد. (وفى) رواية لها عن أم أنس: «**واذكرى الله كثيرًا، فإنه أحبُّ الأعمال إلى الله أن تلقيه بها**». قال الطبرانى: أُمُّ أنس هذه، يعنى الثانية ليست أم أنس بن مالك.

** كما ورد كذلك الترغيب:

فى حضور مجالس الذكر والاجتماع على ذكر الله تعالى

* (فعن) معاوية ﷺ أن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: «**ما أجلسكم ؟** [5]» قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا. قال: «**آلله ما أجلسكم إلاَّ ذلك ؟**» قالوا: آلله ما أجلسنا إلا ذلك ؟ قال: «**أما إنى لم أستحلفكم تُهْمة لكم** [6] **ولكنه أتا جبريل فأخبرنى أن الله عز وجل يباهى بكم الملائكة** [7]» رواه مسلم والترمذى والنسائى.

---

(١) يعنى لا يبلغ المجاهد درجة الذاكر لله ولو ظل يضرب حتى ينكسر سيفه فى يده.

(٢) أى: اجتنبى المعاصى وابتعدى عنها.

(٣) أى: احرصى على أدائها فى أوقاتها ولا تضيعى منها شيئًا.

(٤) يعنى لا تقدمين على الله يوم القيامة بعمل أحبُّ إليه من ذلك.

(٥) يعنى أى شيء حملكم على الجلوس هكذا.

(٦) أى: شكًّا فى خبركم فأنا أعلم صدقكم فيه.

(٧) أى: يفاخر بكم ويقول:انظروا إلى عبادى جلسوا يذكرونني ويحمدوننى.

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قلت يا رسول الله ما غنيمة مجالس الذكر[1] ؟ قال: «**غنيمة مجالس الذكر الجنة** [2]» رواه أحمد بإسناد حسن[3].

* (وعن) أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يقعد قوم يذكرون الله إلاَّ حفَّتهم الملائكة**[4]، **وغشيتُهم الرحمة**[5]، **ونزلت عليهم السَّكينة** [6]، **وذكرهم الله فيمن عنده** [7]» رواه مسلم والترمذى وابن ماجه. كما ورد كذلك فى السنُّة الترهيب:

من أن يجلس الإنسان مجلسا لا يذكر الله فيه ولا يصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله فيه ولم يصلُّوا على نبيهم** [8] **إلا كان عليهم ترة** [9]، **فإن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم** [10]». رواه أبو داود والترمذى، واللفظ له، وقال: حديث حسن ورواه بهذا اللفظ ابن أبى الدنيا والبيهقى.

ولفظ أبى داود، قال: «**من قعد مقعدًا** [11] **لم يذكر الله فيه** [12] **كان عليه من الله ترَةٌ** [13]، **ومن اضطجع مضجعًا** [14] **لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة، وما مَشى أحد ممشى لا يذكر الله فيه إلاَّ كان عليه من الله ترة**» رواه أحمد، وابن أبى الدنيا، والنسائى، وابن حبان فى صحيحه، كلهم بنحو أبى داود.

---

(١) يعنى: ما الذى يرجع به الذاكرون لله من الأجر ويغنمونه من الثواب.
(٢) أى: أنهم يغنمون الجنة فيدخلونها ويتبوءون فيها المنازل العالية.
(٣) وكذلك رواه الطبرانى، وقال شارح الجامع الصغير إسناده حسن.
(٤) أى: جلست حولهم وأحاطت بهم.
(٥) يعنى عمَّتهم وشملتهم.
(٦) وهى الشعور بالرضى والأمن وطُمأنينة القلب.
(٧) يعنى الملأ الأعلى الذى عنده.
(٨) قوله (لم يذكروا) الخ صفة لمجلس أى مجلسًا خاليًا من ذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ بل قطعوه كله فى اللغو الباطل الذى لا خير فيه.
(٩) أى: نقص وحسرة ،
(١٠) أى: وإن شاء تجاوز عنهم وغفر لهم.
(١١) مصدر ميمى بمعنى القعود ويجوز أن يكون اسم مكان.
(١٢) أى: مقعدًا خاليًا من ذكر الله عز وجل.
(١٣) وهذا يشمل ما إذا قعد وحده أو كان فى جماعة فهو أعم من الرواية الأولى.
(١٤) أى: وضع جنبه على الأرض.

* (وعنه)رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله عـز وجل فيه؛ ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم** [1] **إلاَّ كان عليهم حسرة يوم القيامة وإن دخلوا الجنة للثواب))** رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخارى.

* (وعنه)رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((ما من قوم يقومون مـن مجلـس لا يذكرون الله فيه: إلاَّ قاموا عن مثل جيفة حمار** [2]**، وكان عليهم حسـرة يـوم القيامة** [3]**))**. رواه أبو داود والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

** (والآن) أخا الإسلام، إليك أهم أنواع الذكر التى ينبغى عليك أن تكون حريصًا على أن تذكر الله تعالى بها فى جميع أحوالك.. كمـا جـاء أيضًـا فى الترغيب والترهيب..

* (فلقد) ذكر تحت عنوان:

الترغيب فى قول لا إله إلا الله، وما جاء فى فضلها

* (عن) أبى هريرةرضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يـوم القيامة [4] ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **((لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألنى عن هـذا الحديث أحد أولَ منك لما رأيت من حرصك على الحديث: أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو من نفسه** [5]**))**. رواه البخارى.

* (وعن) أنسرضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعاذ رديفُه على الرَّحلِ [6]، قال **((يا معاذ ابن جبل ؟))** قال لبيك يا رسول الله وسعديك [7] ثلاثًا. **قال: ((ما من أحد يشهد أن لا**

---

(١) ظاهر هذا أنه لابد من الإتيان بالأمرين جميعًا من ذكر الله والصلاة على نبيـه صلى الله عليه وسلم (ويجـوز) أن يكون لحوق هذا الوعيد لمن تركهما جميعا فلم يأت بواحد منهما.

(٢) يعنى أن مجلسهم هذا يكون خبيثًا مُنتنًا كما لو كانت فيه جيفة حمار ميت.

(٣) أى: وكان مجلسهم هذا حسرة وندامة عليهم يوم القيامة.

(٤) يعنى من أحق الناس وأولاهم وأكثرهم سعادة بشفاعتك التى ستكون لأهل الكبائر من أمتك.

(٥) يعنى من قالها بلسانه مع اعتقاد القلب لمضمونها، ومع العمل بمقتضاها فتكون عبادته كلها لله.

(٦) أى: على الدابة التى كانا يركباها معا.

(٧) أى: إجابة بعد إجابة وإسعادًا بعد إسعاد. والمعنى:أنا سامع ملبٍّ مطيع.

إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله صدقًا من قلبه [١] **إلاَّ حرمه الله على النار»** قال: يا رسول الله، أفلا أخبر به الناس فيستبشروا؟ قال: «**إذا يتَّكلوا**[٢]»، وأخبر بها معاذ عند موته تأثُّمًا [٣] رواه البخارى ومسلم.

** (كما ورد) أيضًا الترغيب:

فى قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له

* (فعن) أبى أيوب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير**[٤] **عشر مرات: كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل** [٥]». رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

(ورواه) أحمد والطبرانى فقالا: «**كُنَّ له عَدَل عشر رقابٍ من ولد إسماعيل عليه السلام من غير شكٍّ**».

* (وأيضا) ورد الترغيب:

فى: التسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان**[٦] **خفيفتان على اللسان**[٧]، **ثقيلتان فى الميزان**[٨]، **حبيبتان إلى الرحمن**[٩]: **سبحان الله**

---

(١) أى: صادقًا فى شهادته مخلصًا فيها.
(٢) أى: يغتروا بذلك ويتركوا العمل.
(٣) أى: خروجا من إثم كتمان العلم.
(٤) تقدير هذه العبارة بكلمة التوحيد مؤكدة بما لا مزيد عليه ثم أخبر عن اختصاصه تعالى بالملك التام فليس لغيره شركة معه فى شيء منه واختصاصه بالحمد كله فلا يستحق الحمد غيره، ثم أخبر عن تمام قدرته وأنها لا يعجزها شيء.
(٥) يعنى أن مَن قال هذه الكلمة العظيمة هذا العدد المذكور كان له من الأجر ما يساوى أجر من أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل عليه السلام من أعلى الرقاب وأنفَسها.
(٦) كلمتان خبر مقدم وما بعده صفة والمبتدأ سبحان الله وإن كانا منصوبين على الحكاية فهما فى محل رفع وقُدم الخبر ليشَوق السامع إلى المبتدأ فيكون أوقع فى النفس وأدخل فى القبول.
(٧) وذلك للين حروفهما وسهولة خروجهما.
(٨) وذلك لكثرة الأجر المدخر للذاكر بهما والموزون نفس الكلمات وقيل صحائفها.
(٩) يعنى أن الله يحب أن يُذكَر بهما ويُحبُّ من يقولهما.

وبحمده[1] **سبحان الله العظيم** [2]» رواه البخارى ومسلم، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: «**لأن أقول** [3]: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر** [4]: **أحبَّ إلىَّ مما طَلُعت عليه الشمس**[5]». رواه مسلم والترمذى

* (وعن) سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر، لا يضُرُّك بأيِّهن بدأتَ**[6]». رواه مسلم وابن ماجه والنسائى، وزاد:

«**وُهنَّ من القرآن** [7]» ورواه النسائى أيضًا، وابن فى صحيحه من حديث أبى هريرة.

(وقد) ورد كذلك الترغيب:

فى جوامع من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير:

* (فعن) جويرية [8]رضى الله عنها : أن النبى ﷺ خرج من عندها [9]، ثم رجع بعد أن أضحى[10] وهى جالسة [11]، فقال: «**ما زلتِ على الحال التى فارقتُكِ عليها؟**»

(١) واختلف فى معنى هذه العبارة فقيل الباء للملابسة والتقدير أُسبحه متلبسًا بحمدى له من أجل توفيقه إياى للتسبيح، وقيل: للاستعانة..

(٢) أى الموصوف بالعظمة وهى كمال الصفات وسمتها وبلوغها النهاية فى ذلك وأُتى بهذا الإسم الكريم لتربية المهابة فى نفس الذاكر وإشعاره بموجب التسبيح.

(٣) اللام موطئة للقسم وأن والفعل بعدها فى معنى المصدر والتقدير والله لقولي.

(٤) وهذه الكلمات الأربع هى مقول القول.. وقد ورد أن هذه الكلمات الأربع هى الباقيات الصالحات...

(٥) يعنى أحبَّ إلى من الدنيا وما فيها.

(٦)يعنى لا ينقص شيئًا من أجرُهَّن أن تأتى بهَّن على غير الترتيب الموجود فى الحديث وذلك لأن المقصود هو الإتيان بهَّن جميعًا على أى وجه فى التقديم والتأخير.

(٧) يعنى مذكورات فى القرآن.

(٨) هى بنت الحارث أُمُّ المؤمنين رضى الله عنها.

(٩) أى: من بيتها بعد صلاة الصبح.

(١٠) يعنى دخل فى الضحى وهو ارتفاع الشمس.

(١١) أى: تسبح وتذكر الله والجملة حالية.

قالت: نعم. قال النبي ﷺ: «**لقد قلتُ بعدكِ أربع كلمات ثلاثَ مرات لو وُزِنَت بما قلت مُنذُ اليوم لوزنتهُنَّ** [1]: **سبحان الله وبحمده عدده خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**». رواه مسلم وأبو داود، والنسائي، وابن ماجة والترمذي.

(وفي) رواية لمسلم: «**سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضاء نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته**» زاد النسائي في آخره: «**والحمد لله كذلك**» [2].

وفي رواية له: «**سبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله، والله أكبر عدد خلقه، ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**».ولفظ الترمذي: أن النبي ﷺ مرَّ عليها وهي في المسجد [3]، ثم مرَّ بها وهي في المسجد قريب نصف النهار، فقال: «**ما زلت على حالك ؟**» فقالت: نعم، فقال: «**أعلمك كلمات تقولينها: سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله عدد خلقه - ثلاث مرات - سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله رضا نفسه - ثلاث مرات - وذكر زنة عرشه،ومداد كلماته ثلاثًا ثلاثًا**» وقال: حديث حسن صحيح. وفي رواية للنسائي: تكرار كل واحدة ثلاثًا أيضًا [4].

* (وعن) عائشة بنت سعد بن أبي وقاص عن أبيها رضي الله عنه أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى [5]، أو حصى [6] تُسبِّح به [7]، فقال: «**أخبرك بما هو أيسر عليك من هذه [8] أو أفضل ؟**» فقال: «**سبحان الله عدد ما خلق في**

---

(1) أي: لرجحت بهنَّ.

(2) أي مثل سبحان الله بأن تقول: الحمد لله عدد خلقه، الحمد لله رضاء نفسه، الحمد لله زنة عرشه، الحمد لله مدَاد كلماته ثلاث مرات.

(3) أي في مسجد بيتها بعد صلاة الصبح.

(4) يعني مثل رواية الترمذي سواء.

(5) هو عجم التمر ونحوه أي حبه أو بزره واحدته نواة.

(6) أو للشك.

(7) أي: تعد به التسبيح.

(8) أي: أهون وأخف.

السماء[1]**، وسبحان الله عدد ما خلق فى الأرض** [2]**، سبحان الله عدد ما بين ذلك، سبحان الله عدد ما هو خالق** [3]**، والله أكبر مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك، ولا إله إلا الله مثل ذلك، ولا حول ولا قوة إلا بالله مثـــل ذلـــك»**. رواه أبـــو داود والترمذى، وقال: حديث حسن غريب من حديث سعد، والنسائى،وابن حبـــان فى صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

** **كما ورد الترغيب:**

فى قول: لا حول ولا قوة إلا بالله

* (فعن) أبى موسى [4] رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له: «**قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة** [5]» رواه البخارى ومسلم، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**من قال: لا حول ولا قوة إلا بالله كان دواءً من تسعة وتسعين داءً أيسرُها الهـــمُّ**» رواه الطـــبرانى فى الأوســـط والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

** (وقد) **ورد كذلك الترغيب:**

فى أذكار تقال بالليل والنهار

* (فعن) أبى مسعود رضي الله عنه قال: قال النبى ﷺ: «**من قرأ الآيتين من آخر ســـورة البقرة فى ليلة كفتاه**». رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى والنسائى، وابن ماجة، وابن خزيمة.

(ومعنى) كفتاه أى: أجزأتاه عن قيام تلك الليلة، وقيل: كفتاه ما يكون من الآفات تلك الليلة، وقيل: كفتاه من كل شيطان فلا يقربه ليلته، وقيل: معناه حســـبه بهمـــا فضلا وأجرًا.

---

(١) أى: من شمس وقمر ونجوم وكواكب وملائكة..

(٢) أى: من جبال وشجر ودواب وأنهار وبحار.. الخ.

(٣) أى: فى المستقبل من أُناس ودواب وزرع وغير ذلك.

(٤) وهو أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه.

(٥) أى: من الكلمات التى توجب الجنة.. لما تدل عليه من الاستسلام والتفويض المطلق لله والاعتراف بفضله فيما يمد به العبد من الحول والقوة ولولا ذلك لكان له العجز المطلق عن أى تصرف....

* (وعن) جُندُب بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:**((من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله** (١) **غَفر له** (٢)**))** رواه ابن حبان فى صحيحه.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ: **((من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يُكتب من الغافلين))**. رواه ابن خزيمة فى صحيحه والحاكم (٣)، وقال صحيح علـى شرط مسلم (٤).

* (وعن) عبد الله بن مسعود ﷺ قال: من قرأ **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾** كلَّ ليلة منعه الله عز وجل بها من عذاب القبر، وكنَّا فى عهد رسول الله ﷺ نُسميها المانعة، وإنها فى كتاب الله عز وجل سورةٌ من قرأ بها فى ليلة فقد أكثـر وأطـاب (٥). رواه النسائى، واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

** (فلاحظ) كلَّ هذا أخا الإسلام.. وأنت تحرص كلَّ الحرص على أن تكون مـن أُولى **﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** ثم يقولون: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾**[آل عمران: ١٩١].

(واعلم) أن كل ما يوصلك إلى الله سبحانه وتعالى فهو ذكر.. فقراءة القرآن ذكـر، والصلاة والسلام على النبى ﷺ ذكر، والأمر بالمعروف والنهى عـن المنكـر ذكـر، ومدارسة العلوم الدينية والتفقه فيها ذكر.. (واعلم) كذلك أن المقصود من الذكر: تزكية الأنفس وتطهير القلوب، وإيقاظ الضمائر.. (كما يشير) إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: **﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّـهِ أَكْبَـرُ﴾**[العنكبـوت: ٤٥]؛ أى: أن ذكر الله فى النهى عن الفحشاء والمنكر اكبر من الصلاة.. وذلك أن الذاكر حين ينفتح لربه جنانُه،ويلهج بذكره لسانُه، يمده الله بنوره فيزداد إيمانًا إلى إيمانه، ويقينا إلى

(١) أى: طلبًا لثوابه ورضاه.

(٢) أى: ما تقدم من صغائر الذنوب.. أما الكبائر التى منها الزنا والقتل..فإنه لا يكفِّرها إلاَّ التَّوبة الصادقة...

(٣) ولفظه عنده: **((من قرأ فى ليلة مائة آية لم يكتب من الغافلين))**.

(٤) الذى رواه مسلم وأحمد رحمهما الله من حديث تميم الدارى ﷺمرفوعًا : **((من قرأ بمائة آية فى ليلة كُتب له قنوت ليلة))**.

(٥) وقد روى الإمام أحمد رحمه الله من حديث شعُبة عن أبى هريرة ﷺمرفوعًـا: **((إن فى القـرآن سورة ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غُفر له: ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾))**.

يقينه، فيسكن قلبه للحق ويطمئن به.. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[الرعد: ٢٨].

قال فى فقه السنة ج٤ ص٢٠٠ وما بعدها - بعد هذا التركيز - وإذا اطمأن القلب للحق اتجه نحو المثل الأعلى، وأخذ سبيله إليه، دون أن تلفته عنه نوازع الهوى، ولا دوافع الشهوة...

(ومن) ثم عظم أمر الذكر، وجل خطره فى حياة الإنسان، ومن غير المعقول أن تتحقق هذه النتائج بمجرد لفظ يلفظه اللسان، فإن حركة اللسان قليلة الجدوى ما لم تكن مُوطئة للقلب، وموافقة له، وقد أرشد الله إلى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء أثناء الذكر؛ فقال تعالى: ﴿**وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

ثم يقول فى فقه السنة: والآية تشير على أنه يستحب أن يكون الذكر سرا، لا ترتفع به الأصوات، وقد سمع رسول الله ﷺ جماعة من الناس رفعوا أصواتهم بالدعاء فى بعض الأسفار، فقال: «**يا أيها الناس أربعوا** [1] **على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا، إن الذى تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته**». كما يشير إلى حالة الرغبة والرهبة التى يحسن بالإنسان أن يتصف بها عند الذكر.. (ثم يقول):

* (ومن الأدب): أن يكون الذاكر نظيف الثوب، طاهر البدن، طيِّب الرائحة، فإن ذلك مما يزيد النفس نشاطا، (ويستقبل) القبلة ما أمكن، فإن خير المجالس ما استقبل به القبلة.

** (هذا) وإذا كان لى أن أختم هذا التذكير بنصيحة أخوية.. (فهى) أننى أُذكّر الأخ المسلم مرة أخرى.. بل ودائمًا وأبدًا. بضرورة أن يكون على صلة بالله تبارك وتعالى عن طريق ذكره..لأن الله تعالى يقول:﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢] أى: أذكرونى بخدمتى أذكركم بنعمتى.. أذكرونى بالتوحيد أذكركم بالتأييد.. أذكرونى

(١) أى: لا ترفعوا أصواتكم.. لأن الله تعالى ليس أصم ولا غائبًا.

بالشكر أذكركم بالمزيد.. أذكروني بالمحبة أذكركم بالقربة.. أذكروني بالخوف أذكركم بالأمان.. أذكروني بالرجاء أذكركم بتحقيق الآمال.. والله تعالى يقول: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠]..

(والمؤمن) إذا امتدت يده إلى شيء ذكر الله فكَّف يده عمَّا نهى الله عنه، وإذا سعت قدمه إلى شيء ذكر الله فوقف عن السعي إلا فيما يرضى الله، وإذا طمحت عينه إلى شيء ذكر الله فغضَّ بصره عن محارم الله..(وكذلك) سمعه ولسانه وجوارحه مصونة بمراقبة الله تعالى ومراعاة أمر الله والحياء من نظر الله تعالى..

(فهذا) هو الذكر الكثير.. (وأمَّا) الذكر القليل فهو ذكر المنافقين الذين: ﴿يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء:١٤٢]..

(والذكر) المطلوب هو: ذكر القلب، وإنما اللسان طريق إليه.. فمن لازم ذكر الله تعالى بلسانه مخلصًا لله تعالى وصلت بركة الذكر إلى قلبه فعاش قلبه بذكر الله تعالى فعند ذلك يكون ذكره كثيرا.. (وسيكون) بهذا الذكر الكثير إن شاء الله تعالى من الذين ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[الأحزاب:٤١] سواء كانوا من الذكور أم من الإناث.

(ويُقال) ذكرُ اللسان حسنات، وذكر القلب قربات ودرجات (وقال) الإشارة في قوله تعالى: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾[الأحزاب: ٤١]. فإن في الحديث: «**من أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره**» فالُمحب لا ينسى محبوبَهُ في بعد ولا قرب ولا وصل ولا هجر...

* (وفي) التوراة يقول الله: إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال فيَّ جعلتُ نعيمه ولذَّته في ذكري، فإذا جعلت نعيمه ولذَّته في ذكري أحبَّني وأحببتُه،ورفعت الحجاب بيني وبينه.. لا يسهو إذا سها الناس.. أولئك كلامهم كلام الأنبياء.. أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة ذكرتهم فصرفت بهم عنهم (وفي) بعض الكتب يقول الله عز وجل: (يا بن آدم إذا ذكرتني ذكرتك، وإذا تركتني تركتك، والساعة التي لا تذكرني فيها عليك لا لك).

** (وقد) قرأت فى الجزء الأول من (الدين الخالص) كلاما هاما رأيت كذلك أن أثبته هنا إتمامًا للفائدة.. وفيه يقول تحت عنوان:

كيفية الذكر وفضله

** (فينبغى) للعاقل أن يكون حالة الذكر على طهارة متطيِّبًا مُتجمِّلاً مستقبلا القبلة، ويتحرى الانفراد عن الخلق ما استطاع، ويستحضر المعنى بقدر الإمكان. ولا يترك الذكر عند عدم حضور قلبه. بل يذكر متحليا ببقية الآداب راجيًا أن تغشاه نفحة إلهية تنقله من الغفلة إلى الحضور، ومن الحضور إلى المشاهدة... وأن لا يتصرف فى شيء من حروفها بزيادة أو نقصان.. بل يقتصر على الوارد شرعًا.(وليحذر) مما عليه غالب الناس اليوم من تحريف الذكر والإلحاد فى أسمائه تعالى؛ فإنه حرام بالإجماع ولا سند لهم فى ذلك إلاَّ قولهم: وجدنا أشياخنا هكذا يذكرون ؛ وهذا لا يصدر إلا من الجهلة الذين لا يميزون الغَثَّ من السَّمين...

(ثم) يقول: هذا. واعلم أن الذكر حقيقة هو: ما يجرى على اللسان والقلب، وأكمله ما كان فيه استحضار معنى الذكر وما أشتمل عليه من تعظيم الله تعالى ونفى النقائص عنه، (والمراد به) ما يشتمل التسبيح، والتحميد، وتلاوة القرآن، والاستغفار، والصلاة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم وغير ذلك.

(قال) الفخر الرازى: المراد بذكر اللسان: الألفاظ الدَّالة على التسبيح والتحميد والتمجيد (والذكر) بالقلب: التفكير فى أدلّة الذات والصِّفات والتكاليف من الأمر والنهى، وفى أَسرار مخلوقات الله (والذكر) بالجوارح: هو أن تصير مستغرقة بالطاعات، ولذا سمى الله تعالى الصلاة ذكرًا فى قوله: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:٩].

** (ثم) يقول: هذا، والذكر سبعة أقسام:

ذكر العينين: البكاء [(١)]، وذكر الأذن: الإصغاء [(٢)]، وذكر اللسان الثناء [(٣)]، وذكر

---

(١) أى: من خشية الله تبارك وتعالى.

(٢) أى: إلى العلم النافع..

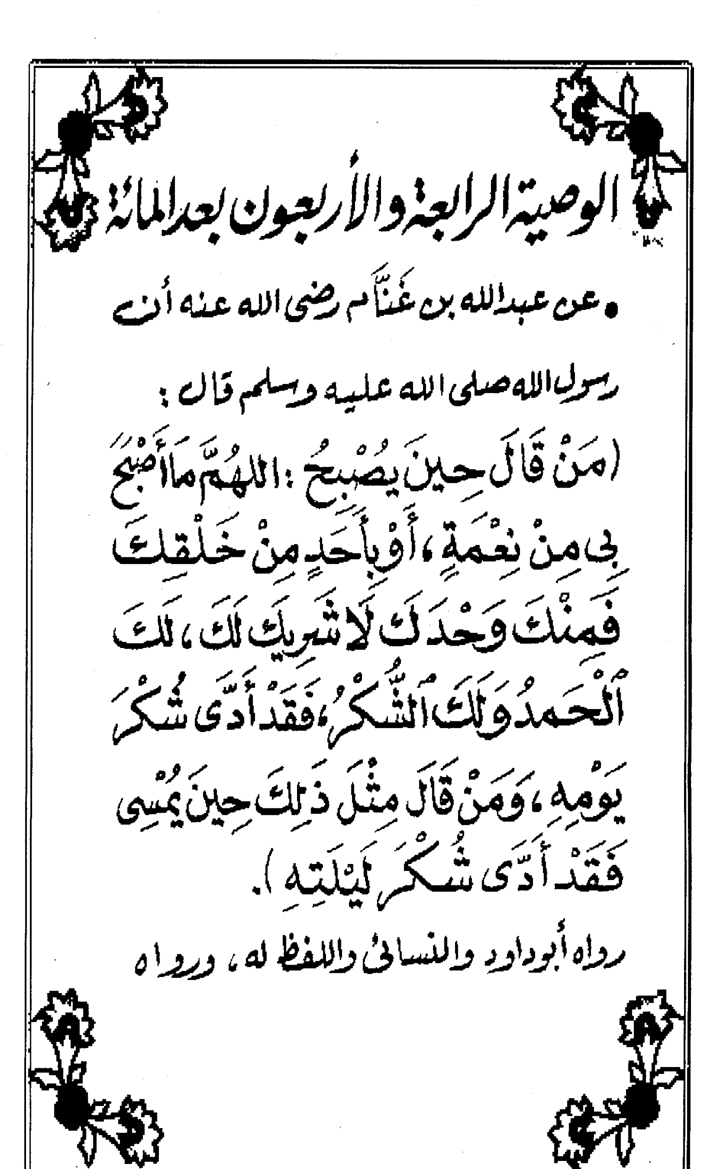
(٣) أى: على الله تبارك وتعالى.. بما هو أهله.

اليدين: العطاء [1]، وذكر البدن: الوفاء [2]، وذكر القلب الخوف والرجاء[3]، وذكر الروح: التسليم والرضا [4].

*(فليكن) كل هذا أخا الإسلام متربعًا على قلبك مع كل تلك المفاهيم الصحيحة لمعنى الذكر حتى تذكر الله بكل جوارحك صحيحًا لا تحريف ولا تخريف فيه.. وحتى تكون إن شاء الله من الذين سيذكرهم الله تعالى فى الملأ الأعلى.. وحسبك أن تفوز بهذا الشرف..

والله ولى الذاكرين.

(١) أى: للفقراء والمساكين وفى سبيل الله.
(٢) أى: بأداء فرائض الله بهذا البدن الطاهر إن شاء الله.
(٣) أى: الخوف من الله والرجاء فى الله.
(٤) بكل ما قضاه الله تعالى.. لأنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

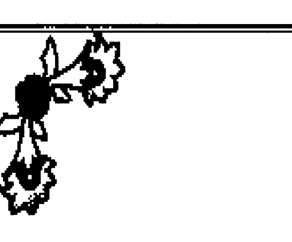
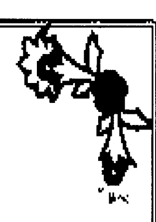


الوصية الرابعة والأربعون بعد المائة

• عن عبد الله بن غنّام رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ، أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ، فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ).

رواه أبو داود والنسائي واللفظ له، ورواه

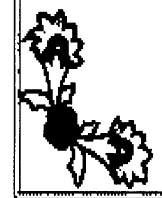
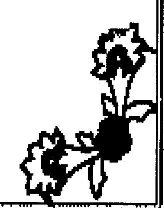



ابن حبان في صحيحه عن ابن عباس

بلفظ دون ذكر المساء، ولعله سقط من

أصلي. وكذلك رواه ابن السني والبيهقي

وإسناده جيد.

فكن أخا الإسلام

منتفعًا بهذا الدعاء العظيم الذى إن دعوتَ الله تعالى به فى الصباح فقد أدَّيت شكر يومك، وإن دعوت الله تعالى به فى المساء فقد أديت شكر ليلتك.. (ثم) حسبك بهذا أن تكون بهذا من أهل الشكر.. الذين أشار الله تعالى إليهم فى قوله:﴿.. **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ [سبأ: ١٣].. (وقد) سمعت والشيء بالشيء يذكر.. أن سيدنا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سمع رجلًا يقول: (اللهم اجعلنى من عبادك القليلين)، فتعجَّب سيدنا عمر ثم قال للرجل.. لماذا تدعوا الله تعالى بهذا الدعاء ؟ فقال له: لأن الله تعالى يقول: ﴿ **وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**﴾ ، فعند ذلك قال سيدنا عمر: (كل الناس أعلم منك يا عمر) !!!

** (هذا) وإذا كان موضوع الشكر هو أهم عنصر فى هذه الوصية العظيمة.. (فإننى) أرى أن أبدأ أولا بأهم الآيات التى وردت فيها كلمة (شكر) فى القرآن الكريم حسب ترتيب السور:

* (ففى) سورة البقرة الآية ١٥٢ يقول تبارك وتعالى:﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ أى: فاذكرونى بطاعتى، أذكركم برحمتى ومغفرتى.﴿**وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ**﴾ أى: واشكروا لى أيها المؤمنون، فيما أنعمت به عليكم من الإسلام، والهداية للدين الحق، ولا تجحدوا إحسانى إليكم فأسْلُبَكم نعمتى.

* (وفى) سورة البقرة الآية ١٧٢ يقول تبارك وتعالى﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ أى: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، وأذعنوا له بالطاعة وأطعموا من حلال الرزق الذى أحللنا لكم﴿**وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**﴾ أى: وأثنوا على الله على ما رزقكم من النِّعم، وإن كنتم منقادين لأمره، سامعين مطيقين له.

* (وفى) سورة النساء الآية ١٤٧ يقول تبارك وتعالى ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ** ﴾ أى: ما يصنع الله بعذابكم، إن شكرتم نعمه وآمنتم برسله ؟﴿ **وَكَانَ اللَّهُ شَاكِراً عَلِيماً**﴾ أى: شاكرًا طاعة عباده، عليمًا بما يعملون من صالح وطالح، ومجازيهم عليها.

* (وفى) سورة إبراهيم الآية: ٧ يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ أى: واذكروا حين أعلم ربكم: لئن شكرتم لأزيدنكم من نعمى ﴿ **وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** ﴾ أى: ولئن كفرتم وركبتم معصيتى، فإن عذابى شديد.

* (وفى) سورة النحل الآية ١١٤ يقول تبارك وتعالى: ﴿ **فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ** ﴾ أى: فكلوا أيها الناس من بهائم الأنعام، التى أحلَّها لله لكم ﴿ **حَلالاً طَيِّباً** ﴾ أى: مذكاة غير محرمة عليكم ﴿ **وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ** ﴾ أى: واشكروا الله على نعمه التى أنعم بها عليكم ﴿ **إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُون** ﴾ أى: إن كنتم تعبدون ربكم، بطاعته فيما أمركم ونهاكم.

* (وفى) سورة النمل الآية ١٧، ١٨، ١٩ يقول تبارك وتعالى: ﴿ **وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوْلِهَا** ﴾ أى: فتبسم سليمان ضاحكا من قول النملة ﴿ **وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ** ﴾ أى: قال رب ألهمنى شكر نعمتك، وأن أعمل بطاعتك وبما ترضاه ﴿ **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾ أى: وأدخلنى فى الجنة مع عبادك الصالحين، الذين اخترتهم لرسالتك.

(وقد) قرأت أن السبب فى هذا هو أن سليمان عليه السلام كان قد خرج بجنوده متجهًا إلى ميدان من الميادين لمواجهة أعداء الله.. وعلى بعد ثلاثة أميال من وادى النمل.. سَمِع النَّملة تقول لبنى جنسها ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ** ﴾.. إلى قوله تعالى: ﴿ **وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ** ﴾ وبعد أن تبسم ضاحكًا من قولها.. وقال ما حكاه الله تعالى إلى قوله: ﴿ **وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ** ﴾: ثم أمر الجند بأن يُعَسْكروا بعيدًا عن وادى النمل حتى يدخل النمل مساكنه.. (وفعلًا) فعل الجُند هذا..(ثم) بعد ذلك أرادت النملة أن تذهب إلى سليمان عليه السلام لكى تشكره.(فلمَّا) أرادت هذا.. أمر الله تعالى الريح فحملتها ثم ألقتها بين يدى سليمان تيسيرًا لُمهمَّتهَا لأنها كانت كما قرأتُ كانت عرجاء وبجناحين — فقال لها سليمان عليه السلام معاتبًا: (لما حذَّرت النمل ؟ أخفت من ظُلمى ؟ أما علمت أنِّى نبى عدلٌ ؟) فقالت له: أما سمعت قولى وهم لا يشعرون؟ مع أنِّى لم أُردْ حَطْمَ النفوس وإنما أردت حَطم القلوب خشية أن يتمَّنين مثل ما أعطيت فيفتتنَّ بالدنيا ويشتغلن بالنظر إليك عن التسبيح والذكر...

** (وقد) قرأت في (حاشية الصاوى) على الجلالين: أنه بعد أن تكلمت النملة مع سليمان مضت مُسرعة إلى قومها فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبى الله؟ قالوا: وما قدر ما نهد له ؟ والله ما عندنا إلاَّ نبقة واحدة.. فقالت: حسنة ائتونى بها.. فأتوها بها فحملتها الجن والإنس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك النبقة من فيها في فيه [1] وأنشأت تقول:

ألم ترنـا نُهـدى إلى الله مالـه	وإن كان عنه ذا غنًى فهـو قابلـه
ولو كان يُهـدَى للجليـل بقـدره	لأقصر عنه البحـرُ يومًـا وسـاحله
ولكننـا نُهـدى إلى مـن نُحبُّـه	فيرضى بها عنـا ويشـكر فاعلـه
ومـا ذاك إلاَّ مـن كـريم فعالـه	وإلاَّ فمـا في ملكنـا مـا يشـاكله

(فقال) لها: بارك الله فيكم.. (فهم) بتلك الدعوة أشكر خلق الله، وأكثر خلق الله.

(وقد) ذُكر كذلك أن النملة هذه من جملة الحيوانات العشرة التي ستدخل الجنة — إن شاء الله — وهى: براق رسول الله ﷺ، وهدهد بلقيس، ونملة سليمان، وعجل إبراهيم، وكبش إسماعيل، وبقرة بنى إسرائيل، وكلب أهل الكهف، وحمار العزيـر، وناقة صالح، وحوت يونس. والله أعلم.

* (وفى) الآيات أرقام ٣٨، ٣٩، ٤٠ من سورة النمل.. وكان سـليمان عليـه السلام قد طلب من الملأ عرش بلقيس من بلاد اليمن.. وإلى هذا يشير الله تعـالى في قوله: ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ* قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٨:٣٩] أى: قال مارد من الجن: أنـا آتيك بعرشها، قبل أن تقوم من مجلسك هذا، الذى جلست فيه للحكم ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أى: وإنى لقوىٌّ على ذلك، أمين على ما فيه من الجواهر ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ أى: قال الذى عنده علم مـن كتاب الله [2]، أنا آتيك بالعرش، قبل أن يرتد إليك طرفـك [3] ﴿ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ أى: فلما رأى سليمان عرش ملكة سبأ حاضرًا لديه ﴿ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ أى: قال: هذا التمكّن والملك والسلطان من فضل ربى ﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ

(١) أى: من فمها في فمه.
(٢) هذا الرجل من الأولياء الصالحين واسمه (آصف بن براخيا) وكان يعلم اسم الله الأعظم ؛ الذى إذا دُعِىَ به أجاب. وهو قول مجاهد.
(٣) أى: قبل أن تغمض عينيك.

شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ﴾ أى: ليختبرنى أأشكر فضله وإحسانه علىَّ، أم أكفر نعمته بترك الشرك له ؟ ﴿فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ أى: ومن شكر نعمة الله عليه فإنما يشكر لنفع نفسه) ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠] أى: ومن كفر إحسانه فلنفسه ظلم، والله غنى عن شكره، لا يضره كفر من كفر، كريم يتفضل بنعمه على خلقه.

* (وفى) سورة العنكبوت الآيات ١٦، ١٧ يقول الله تبارك و تعالى: ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً﴾ أى: وتصنعون كذبًا وباطلًا ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً﴾ أى: إن أوثانكم التى تعبدونها لا تقدر أن ترزقكم شيئًا ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ أى: فالتمسوا الرزق عند الله، قدر كون ما تبتغون ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ أى: وذلُّوا لله واشكروه على رزقه ونعمه ﴿إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أى: إلى الله تُردُّون بعد مماتكم، فيسألكم عن أعمالكم.

* (وفى) سورة لقمان الآية ١٢ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ أى: ولقد أعطينا لقمان [1] الفقه فى الدين، والعقل، والإصابة فى القول.. فاحمد الله على ما آتاك من فضله ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾ أى: ومن يشكر الله على نعمه، فإنما يشكر لنفسه، لأن الله يجزل له الثواب ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ أى: ومن كفر نعمة الله عليه أساء إلى نفسه، لأن الله معاقبه على كفره،والله غنى عن شكره لا حاجة له إليه، وهو محمود على كل حال.

* (وفى) سورة سبأ الآية ١٥ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ﴾ أى: لقد كان لولد سبأ فى مسكنهم علامة بينة، وحجة واضحة دالة على الله ﴿جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ أى: بستانان بين جبلين عن أيمانهم وشمائلهم ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ

(١) الصحيح الراجح من أقوال المفسرين أن (لقمان) لم يكن نبيا وإنما كان حكيمًا، مَنَّ الله عليه بالحكمة، فكان ينطق بها ويعلمها الناس... وقد ذكر الله تعالى بعض هذه الحكم فى سورة لقمان (هامش المختصر).

﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾أي: كلوا مما رزقكم ربكم من هاتين الجنتين، من زروعهما وأثمارها، واشكروا له على ما أنعم به عليكم ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾أي: هذه بلدة طيبة، ليس بها شيء مؤذٍ، وربكم ربٌّ غفور لذنوبكم.

*(وفى) سورة الزمر الآية ٧ يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾أي: إن تكفروا أيها الناس فإن الله غنى عن إيمانكم وعبادتكم، ولا يرضى لعباده أن يكفروا به ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُم﴾أي: وإن تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرضى شكركم له بذلك ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾أي: ولا تؤاخذ نفس بذنب غيرها ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾أي: ثم إلى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم، فيخبركم بما كنتم تعملون، فيجازيكم على ذلك، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بما يستحقه. ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾أي: إن الله لا يخفى عليه شيء فاتقوا الله فى سر أموركم وعلانيتها.

*(وفى) سورة الأحقاف الآية ١٥ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً﴾أي: ووصينا ابن آدم بوالديه، أن يحسن صحبتهما، وأن يبر بهما فى حياتهما، وبعد مماتهما ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً﴾أي: حملته أمه فى بطنها مشقة، وولدته بمشقة ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾أي: وحمل أمه له جنينا فى بطنها، وفطمها له من الرضاع ثلاثون شهرًا ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾أي: إذا بلغ السن التى تناهى فيها قوته ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾أي: حين تكاملت حجة الله عليه، عرف الواجب لله فى بر والديه ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيّ﴾أي: قال: رب ادفعنى وألهمنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىَّ بتوحيدك، وهدايتك لى للعمل بطاعتك، وعلى والدىَّ من قبلى ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ﴾أي: ووفقنى أن أعمل بطاعتك، وطاعة رسولك ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾أي: وأصلح لى أمورى فى ذريتى الذين وهبتهم لى، بأن تجعلهم هداة للإيمان بك، واتباع مرضاتك، والعمل بطاعتك ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾أي: إنى تبت من ذنوبى التى سلفت منى، وإنى من الخاضعين المستسلمين لأمرك ونهيك.

* (وفى) سورة القمر الآيات ٣٣، ٣٤، ٣٥ يقول تبارك وتعالى: ﴿**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ**﴾ أى: كذبت قوم لوط بآيات الله، التى أنذرهم وذكرهم بها لوط عليه السلام ﴿**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِباً**﴾ أى: إنا أرسلنا عليهم حجارة ﴿**إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**﴾ أى: غير آل لوط الذين اتبعوه على دينه، فإنا أنجيناهم من العذاب وقت السحر ﴿**نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**﴾ أى: نعمة أنعمناها على (لوطٍ) وآله، وكرامة أكرمناهم بها من عندنا ﴿**كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ**﴾ أى: وكذلك نثبت من شكرنا على نِعْمتنا فأطاعنا، من جميع خلقنا.

** (وإذا) كنا قد وقفنا على أهم المعانى المتعلقة بشكر الخالق سبحانه وتعالى من خلال تلك الآيات السابقة.. (فإننى) بعد ذلك سأنتقل إلى ما يتعلق بشكر المخلوق من خلال بعض الأحاديث الشريفة التى جاءت فى (الترغيب والترهيب) ج٢ ص١١٤ وما بعدها تحت عنوان:

الترغيب: فى شكر المعروف ومكافأة فاعله والدعاء له

* (فعن) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من استعاذ بالله فأعيذوه** [١]، **ومن سألكم بالله فأعطوه** [٢]، **ومن استجار بالله فأجيروه، ومن أتى إليكم معروفًا فكافئوه** [٣]، **فإن لم تجدوا فادعوا له** [٤] **حتى تعلموا أن قد كافأتموه**)) رواه أبو داود والنسائى، واللفظ له، وابن حبان فى صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرًا قال: ((**من اصطنع إليكم معروفا فجازوه، فإن عجزتم عن مجازاته فادعوا له حتى تعلموا أن شكرتم، فإن الله شاكر يحب الشاكرين**)).

---

(١) وفى رواية ((**من استعاذكم**)) أى: طلب منكم الاستعاذة وهى الإجارة والحماية من ضرورة نزلت به أو حاجة حلت به ـ أو ظلم ناله: فأعيذوه يعنى أعينوه وأغيثوه فإن إغاثة الملهوف واجبة.

(٢) أى: من طلب منكم شيئًا من أمور الدنيا أو الآخرة بالله فأعطوه ما سأل إجلالًا لمن سألكم به إذا كان يستعين به على طاعة وإن كان على معصية فلا يُعطى.

(٣) أى: جازوه عليه بمثله أو بخير منه.

(٤) أى كرروا الدعاء له، بدليل قولهﷺ : ((**حتى تعلموا أن قد كافأتموه**))، والمعنى: من أحسن إليكم أى إحسان.. فكافئوه بمثله فإن لم تجدوا فبالغوا فى الدعاء له جهدكم حتى تحصل المثلية .

* (وعن) جابر رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: «**من أعطى عطاء فوجده فليجز بـه**[1]، **فإن لم يجد فليثن**[2]، **فإن من أثنى فقد شكر، ومن كتم فقد كفر، ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور**»[3] رواه الترمذى عن أبى ذر عنه، وقال: حديث حسن غريب، ورواه أبو داود عن رجل عن جابر، وقال: هو شرحبيل بن سعد، ورواه ابن حبان فى صحيحه عن شرحبيل عنه، ولفظه:

«**من أولى معروفًا فلم يجد له جزاء إلاَّ الثناء فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره، ومن تحلى بباطل فهو كلابس ثَوْبَىْ زور**».

(وفى) رواية لأبى داود: «**من أُبلَى..**» فذكره «**فقد شكره، ومن كتمه فقد كفره**».

(ومعنى): من أُبلىَ: أى أنعم عليه — و إلابلاء: أى الإنعام.

* (وعن) أسامه بن يزيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صُنِعَ إليه معروفٌ فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ فى الثناء**».[4]

وفى رواية: «**من أُولِىَ معروفًا، أو أسْدى إليه معروف، فقال للذى أسداه:جزاك الله خيرًا فى الثناء، فقد أبلغ فى الثناء**» رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب، قال الحافظ: وقد أسقط من بعض نسخ الترمذى، ورواه الطبرانى فى الصغير مختصرًا: «**إذا قال الرجل: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ فى الثناء**».

* (وعن) الأشعث بن قيس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس**». وفى رواية: «**لا يشكر الله من لا يشكر النـاس**». رواه أحمد ورواته ثقات ورواه الطبرانى من حديث بن زيد بنحو الأولى.

---

(١) أى: فليكافىء من أعطاه.

(٢) أى: يذكر من أعطاه بخير ويدعو له ويتحدث بحسن صنيعه.

(٣) يعنى من تمدّح بما ليس فيه وأرى الناس من نفسه ما هو خلو منه فى الواقع. قال المناوى: (أى تزين بشعار الزهاَّد وليس منهم) ومعنى قوله: «كلابس ثوبى زور» أى: كمن لبس قميصًا بكمين آخـرين موهمًا أنه لابس قميصين.

(٤) يعنى وصل فيه إلى غايته وذلك لإسناد جزاءه إلى الله واعترافه بالعجز عن ثنائه عند العجز عـن مكافأته بالإحسان.. فإن قدر فالجمع بينهما أفضل.

(وذلك) لأن تمام شكر الله عز وجل أن يشكر الإنسان من أجرى الله له النعمة على يديه. (ومعنى): «**من لا يشكر الناس**» أى الذين هم أسباب ووسائط ساق الله بهم النعمة إليه: فإنه لم يشكر الله عز وجل على الوجه الكامل.

* (وعن) النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير** [1]**، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر** [2]**، وتركها كفر** [3]**، والجماعة رحمة** [4]**، والفرقة عذاب**» رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده بإسناد لا بأس به، ورواه ابن أبى الدنيا فى كتاب اصطناع المعروف باختصار.

(وعن) أنس ﷺ قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله ما رأينا قومًا أحسن بذلا لكثير، ولا أحسن مواساة [5] فى قليل منهم ولقد كفونا المؤنة [6]. قال: «**أليس تثنون عليهم به، وتدعون لهم ؟**» قالوا: بلى، قال «**فذاك بذاك** [7]» رواه أبو داود والنسائى واللفظ له.

** (فعلى) هذا — فإن الشكر الحقيقى لله تبارك وتعالى وللناس الذين أجرى الله تعالى الخير على أيديهم.. لن يكون إلاَّ بالإنفاق فى أبواب الخير المتعددة التى تتطلب ضرورة المشاركة فيها بقدر المستطاع..

---

(١) يعنى من لا يعترف بما أسدى إليه من قليل النعم وحقيرها فإنه لا يستطيع أن يقوم بشكر ما جَلَّ منها فإن الشكر الحقيقى هو اعتراف القلب وثناء اللسان بكل ما يصل إليه من نعمة فإذا كان لا يشكر القليل منها فهو عن شكر الكثير أعجز.

(٢) يعنى إظهار نعمة الله عز وجل والتحدث بها هو شكر لها واعتراف بها.

(٣) يعنى كتمالها وإخفاؤها هو جحود وإنكار لها.

(٤) ولهذا أوصى الله ورسوله هذه الأمة بالاجتماع والائتلاف، ونهيا عن الفرقة والاختلاف.. فإن الاجتماع بالقوة والعزة والهيبة والتمكين والنصر، وفى الفرقة الضعف والفشل والهزيمة وسقوط الهيبة وطمع الأعداء.

(٥) يعنى مساعدة ومعاونة.

(٦) أى: الحاجة فأوسعوا لإخوالهم المهاجرين فى دورهم ونزلوا عن شطر أموالهم ونسائهم.. وكانوا يأبون أن يأخذوا من المغنم شيئا حتى يستغنى إخوالهم المهاجرون.

(٧) يعنى أن ثناءكم عليهم ودعاءكم لهم بالخير والبركة يكافىء ما يبذلونه لكم ويواسونكم به.

(ولن) يكون إلاّ بمواساة إخواننا الفقراء والمحتاجين حتى نتعاون معهم فى مواجهة أعباء الحياة التى تتطلب كذلك تعاونًا ومساندة إيجابية.. بتلك الصورة التى أشار الله تعالى فى قوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

** (ولهذا).. فإننى أرى أن أقدّم للأخ المسلم بعض الصور الإيجابية التى قرأتها فى كتاب (المُتفرّقات) [١] ج٣ ص ٢٢ وما بعدها، تحت عنوان:

من أجواد الإسلام

(فقد) ذكر أن:

* أسماء بن خارجة كان يقول: ما أُحبُّ أن أردَّ أحداً عن حاجة.. لأنه إن كان كريماً أصون عرضَهُ، أو لئيمًا أصون عنه عرضى.

* (وأن) طلحة بن عثمان رضي الله عنه باع أرضًا بسبعمائة ألف درهم.. فلما جاءه المال، قال: إن رجلًا يبيت هذا عنده لا يدرى ما يطرقه لغرير بالله تعالى، ثم قَسَّمه بين المسلمين.

* (وأن) المنكدر.. لما دخل على عائشة رضى الله عنها قال لها: يا أُمَّ المؤمنين أصابتنى فاقة.. فقالت: ما عندى شيء، فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعثت بها إليك. فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أُسيد.. فأرسلت بها إليه فى أثره.

*(وأن) رجلًا جاء إلى طلحة بن عُبيد رضي الله عنه فسأله برحم بينه وبينه، فقال: هذا حائطى[٢] بمكان كذا وكذا وقد أُعطيتُ فيه مائة ألف درهم، فإن شئتَ فالمال وإن شئتَ فالحائط.

* (وأن) زياد بن جرير قال: رأيت طلحة بن عبيد الله فرَّق مائة ألف درهم فى مجلس وإنه ليخيِّط إزاره بيده.

*(وأن) رجلًا جاء إلى معاوية رضي الله عنه فقال: سألتك بالرحم الذى بينى وبينك إلاّ قضيتَ حاجتى.. فقال معاوية: أَمِنْ قريشٍ أنتَ ؟ قال: لا.. فقال: فأىُّ رحم بينى

(١) لفضيلة الإمام الشيخ أحمد عيسى عاشور.. عليه رحمة الله.

(٢) الحائط: أى البستان.

وبينك ؟ قال: (رحم آدم عليه الصلاة والسلام) فقال معاوية: (رحم مجفوة.. والله لأكونن أول من وَصلها) ثم قضى له حاجته.

* (وأن) الأشعث بن قيس أرسل إلى عدى بن حاتم ﷺ يستعير منه قدورًا.. فملأها وبعث بها إليه، وقال: إنا لا نعيرها فارغة.

* (وأن) رجلا من قريش قدم من سفر، فمرَّ على رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعَدَه الدَّهر وأضَرَّ به المرض فقال: (يا هذا أعنَّا على الدَّهر) فقال لغلامه: (ما بقى معك من النفقة فادفعه إليه) فصبَّ فى حجره أربعة آلاف درهم، فَهمَّ ليقوم فلم يَقدر من الضَّعف، فبكى، فقال له القرشى: ما يُبكيكَ ؟ لعلك اسْتَقْلَلْتَ ما دفعناه إليك ؟ فقال: لا والله، ولكن ذكرتُ ما تأكل الأرض من كرمك، فأبكانى.

* (وأن) عبد الله بن أبى بكر ﷺ مَّر على منزل فاستقى منه، فخرجت امرأة ومعها كوز، وقامت خلف الباب وقالت: تنحُّوا عن الماء فإنى امرأة عزب مات زوجى، فشرب عبد الله وقال: يا غلام احمل إليها عشرة آلاف درهم، فقالت: سبحان الله أتسخر بى ؟ فقال: يا غلام احمل إليها عشرين ألفًا، فقالت: أسأل الله العافية فقال: يا غلام احمل إليها ثلاثين ألفًا.. فما أمست حتى كثر خُطابها.

(وكان) ﷺ يُنفق على أربعين دارًا من جيرانه عن يمينه، وأربعين عن يساره، وأربعين أمامه، وأربعين خلفه. ويبعث إليهم بالأضاحى والكسوة فى الأعياد، ويعتق فى كل عيدٍ مائة مَملوك.

* (وأنه) لما مرض قيس بن عبادة استبطأ إخوانه فى العيادة، فسأل عنهم، فقيل له: إنهم يستَحيُون منك مما لك عليهم من الدَّين.. فقال: أخزى الله مالا يمنع عنى الإخوان من الزيارة، ثم أمر مُناديًا ينادى: من كان لقيس عنده مال فهو منه فى حِلٍّ.. فكُسِرت عتبة داره لكثرة عُوَّاده.

* (وجاء) رجل من الأنصار إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له: يا بن عم رسول الله ﷺ إنه قد وُلدَ لى هذه الليلة مولود وإنى سمَّيته باسمك تبُّركًا بك، وإن أمه

قد ماتت.. فقال له: بارك الله لك في ولدك وآجرك على المصيبة، ثم دعا بوكيله وقال: انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع لأبيه مائتى دينار لينفقها على تربيته.. ثم قال للأنصارى: عُد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفى العيش يبس [1]، وفى المال قلة.. فقال الأنصارى: جُعلتُ فداك.. لو سبقتَ حاتمًا بيوم ما ذكرته العرب.

* (وكان) أجود الناس وأسخاهم سيدنا محمد ﷺ، بل كان أجود من الريح، وفى الحديث: (فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسَلة) (وفى) الصحيح: (وما سُئِل عن شيء قط فقال: لا؛ فإن يكن عنده أعطى وإن لم يكن عنده استدان)

(وأعطى) عُيينة بن حصن مائة من الإبل، (وأعطى) الأقرع بن حابس مثلها (وأعطى) أعرابيًا غنما بين جبلين. فانطلق الأعرابى وقال لقومه: اسلموا فإن محمدًا ﷺ يعطى عطاء من لا يخاف الفقر (ونحر) ﷺ فى حِجَّة الوداع مائة بدنة.

(وقال) أنس بن مالك ﷺ أتى رسولَ الله ﷺ بمال البحرين لم يؤت قبله مثله فوضع فى المسجد ثم خرج فصلى ؛ فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال فما رأى أحدا إلا أعطاه منه. فجاءه عمه العباس فقال: يا رسول الله ﷺ: إنى فاديت نفسى وفاديتُ عقيلاً فقال رسول الله ﷺ «**خُذ**». فحثا فى ثوبه ثم ذهب ليقوم فلم يستطع، فقال: رسول الله مُر مَنْ يرفعه علىَّ.. قال: «**لا**». قال: فارفعه أنت. قال: «**لا**». فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب.. فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفى علينا تَعجُّبًا من حرصه. وما قام رسول الله ﷺ حتى فرَّق المال جميعه.

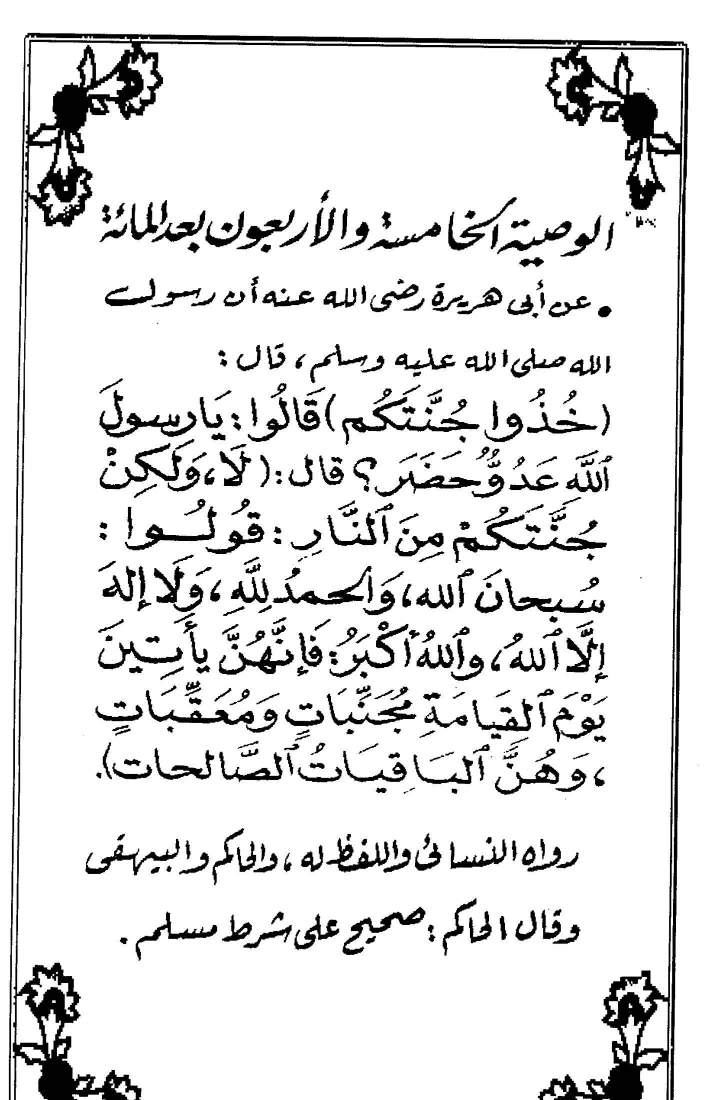
** (فليكن) شكرك لله تبارك وتعالى ثم للناس.. مُترجمًا بهذا الأسلوب الإيجابى.. حتى يبارك الله تعالى لك فى مالك وفى ولدك وزوجك وصحتك وعافيتك.. وحتى تكون بهذا قد شكرت الله تعالى شكرًا حقيقيًا لا سَلْبيًا.. (ونذكر) دائمًا وأبدًا حديث الرسول ﷺ الذى يقول فيه: «**والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه**». من حديث رواه مسلم.

---

(١) أى: جفاف.

** (وكن) حريصًا كل الحرص على التَّقرب إلى الله تبارك وتعالى بهـذا الـدعاء الجامع – الذى هو موضوع الوصية – والذى يُشيرُ إلى أنه لابُد وأن يَنسبَ العبـدُ الصَّادق كلَّ نعمة عليه أو على أحد من الخلق إلى صاحب النِّعم والفضـل العظـيم سبحانه وتعالى الذى يقول: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، وحسبك أخا الإسلام كمـا قرأتَ – قبل هذا – فى نص الحديث أنك إن تقرَّبتَ إلى الله تعالى بـه فى الصـباح والمساء كنت قد أديتَ شكر يومك وليلتك....

والله ولى الشاكرين

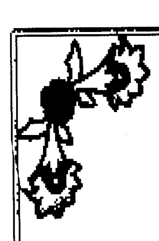
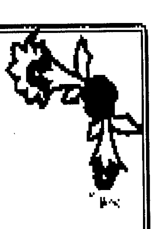


الوصية الخامسة والأربعون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

(خُذُوا جُنَّتَكُم) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَدُوٌّ حَضَرَ؟ قَالَ: (لَا، وَلَكِنْ جُنَّتَكُمْ مِنَ النَّارِ: قُولُوا: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، فَإِنَّهُنَّ يَأْتِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ مُجَنِّبَاتٍ وَمُعَقِّبَاتٍ، وَهُنَّ البَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ).

رواه النسائي واللفظ له، والحاكم والبيهقي وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم.

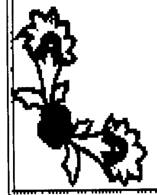
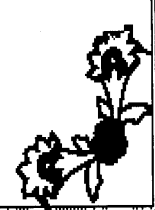



الجُنَّة بضم الجيم: الوقاية، وتطلق على الدرع التى تلبس فى الحرب لتقى صاحبها من السِّهام.

ومعنى قولهم: (عدوٌّ حضر ؟) يُشِير إلى أنهم تصوروا أن عدوا قد دَاهَمهُم. وأن الأمر معناه أن يستعدوا لمواجهته فى معركة حربية مثلًا..

ومعنى أنها جُنتكم: أى: تحجزكم من النار وتحول بينكم وبين دخولها..

و (مُعقِبات) أى: تتعقبكم وتأتى من ورائكم.

فكن أخا الإسلام

فى جُنَّة مستمرة.. بتنفيذ ما أوصاك به الرسول ﷺ كما أوصى جميع أصـــحابه الفضلاء.. (وذلك) بالإكثار من قول: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر): وحسبك ترغيبًا لك فى هذا قول النبى ﷺ بعد ذلك: **«فإنهن يأتين يوم القيامة مٌجنبات ومعقّبات، وهُنَّ الباقيات الصَّالحات»**. التى أشار الله تعالى إليها فى قولـــه: ﴿**وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْـرٌ مَـرَدّاً**﴾ [مريم: ٧٦] أى: والأعمـــال الصالحات خير عند ربك جزاءً لأهلها، وخيرٌ رجوعًا وعاقبة.. وهكذا سيكون شأن التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير.. فهو من أعظم الأذكار التى بها سيكون العبد الذاكر لربه من أقرب المقربين إلى الله تبارك وتعالى.. الذى يقـــول: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٤١ ، ٤٢].

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لأن أقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر: أحبُّ إلىَّ مما طَلَعَتْ عليه الشمس»** رواه مسلم.

(وقد) قرأت فى الترغيب والترهيب.. بعض الأحاديث الشريفة التى وردت فى:

فضل التسبيح، والتكبير، والتهليل، والتحميد

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ مرَّ به وهو يغرس غرسًا، فقال: **«يـــا أبـــا هريرة، ما الذى تغرس ؟»** قلت: غراسًا [(١)]، قال: **«ألا أَدلُّك على غراسٍ خيرٍ من هذا[(٢)]؟ سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تغرس لَكَ[(٣)] بكـــل واحدة شجرة فى الجنة»**. رواه ابن ماجه بإسناد حسن، واللفظ له، والحاكم وقـــال: صحيح الإسناد.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لقيتُ إبراهيم عليه السلام ليلة أُسْرِىَ بِى [(٤)]، فقال: يا محمد: أقرىء أمَّتك منِّى السلام [(٥)]، وأخبرهم أن الجنة**

---

(١) غراس بكسر أوله: ما يُغرس من الشجر.
(٢) افَعل تفضيل بمعنى أخير يعنى أنفع.
(٣) (تغرس لك الخ) بيان لوجه الخيرية.
(٤) وكان قد لقيه فى السماء السابعة مسندًا ظهره إلى البيت المعمور...
(٥) أى: بلِّغهم تسليمى عليهم إذا رجعت إليهم من رحلتك.. فسلام الله ورحمته وبركاته على الخليلين محمد وإبراهيم.. إلى يوم الدين.

طيبة التُّربة [١] **عَذْبَةُ الماء** [٢]**، وأنها قيعان** [٣]**، وأن غراسَها**[٤]**: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»** رواه الترمذى، والطبرانى فى الصغير والأوسط وزاد: **«ولا حول ولا قوة إلا بالله»**... (ورواه) الطبرانى أيضًا بإسناد واه من حديث سلمان الفارسى ؛ ولفظه: قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن فى الجنة قيعانًا فـأكثروا من غرسها»** قالوا: يا رسول الله وما غرسها ؟ قال:**«سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»**.

* (وعن) أبى هريرة وأبى سعيد رضى الله عنهما عن الـنبى ﷺ قـال: **«إن الله اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله: كُتبَت له عشرون حسنة** [٥]**، وحُطَّت عنه عشرون سـيئة، ومن قال: الله أكبر: فمثلُ ذلك** [٦]**، ومن قال: لا إله إلاَّ الله: فمثلُ ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه: كُتبت له ثلاثون حسنة، وحُطَّت عنه ثلاثون سيئة»**. رواه أحمد، وابن أبى الدنيا، والنسائى واللفظ له، والحاكم بنحوه، وقال صحيح على شرط مسلم، والبيهقى، وفى آخره: **«ومن أكثَر ذكرَ الله فقد برِئَ من النفاق**[٧]**»**.

* (وعن) أبى مالك الأشعرىِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«الطُّهـور شَـطرُ الإيمان** [٨]**، والحمد لله: تملأ الميزان** [٩]**، وسبحان الله والحمد لله: تملآن أو تملأ مـا**

---

(١) وقد ورد فى الحديث أن ترابها الزعفران.. ؟

(٢) قال تعالى ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ أى: غير مغير لطول الوقوف.

(٣) جمع قاع وهو الأرض المستوية المنبسطة التى لا نبات فيها..

(٤) أى: ما يغرس فيها.

(٥) يعنى قالها مرة واحدة.

(٦) يعنى أنها تضاعف له عشرين مرة.. وأقل المضاعفة عشر.

(٧) فإن المنافق لا يذكر الله إلا قليلًا...

(٨) أى: نصف الإيمان.. والمراد بالإيمان هنا الصلاة.. لأن الطهارة شرط فى صحة الصلاة.. وقيل: المـراد بالطهور: التخلى عن سائر النجاسات والأقذار حسية أو معنوية.. فتتناول الشرك ورذائل الأخلاق..

(٩) أى: تثقل ميزان العبد يوم القيامة.

بين السماء والأرض[١]**، والصلاة نور** [٢]**، والصدقة: برهان** [٣]**، والصبر: ضياء**[٤]**، والقرآن: حُجَّة لك أو عليك** [٥]**. كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها، أو موبقها** [٦]». رواه مسلم والترمذى والنسائى.

* (وعن) رجل من بنى سُليم قال: عَدهنَّ [٧] رسول الله ﷺ فى يدى أو فى يده[٨]، قال: «**التسبيح: نصف الميزان، والحمد لله: تملؤه، والتكبير: يملأ ما بين السماء والأرض، والصوم: نصف الصبر، والطهور: نصف الإيمان**». رواه الترمذى، وقال: حديث حسن. (ورواه) أيضا من حديث عبد الله بن عمرو بنحوه وزاد فيه: «**لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه**».

** (وهذا) معناه أنه من الخير لنا أن ننفذ وصية الرسول ﷺ، وأن نقول:

* سبحان الله.. التى معناها: تتريه الله تبارك وتعالى. والتَّعجب من قدرته سبحانه وتعالى.. (وإذا) قلت: سبحان الله وبحمده فإن المعنى هو: أسبحه بما علمنى من محامده التى حمد بها نفسه.. (وهى) أيضًا تدل على نفى كل نقص وعيب لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى..

* والحمد لله، تدل: على ثبوت جميع الكمالات له سبحانه وتعالى..

* ولا إله إلا الله، تدل: على نفى الإلهية لغير الله سبحانه وتعالى.. وإثباتها له وحده.. فإن معناها:لا معبود بحق إلاَّ الله.

والله أكبر، فإن التكبير: يدل على صغر الأشياء كلها إلى جنب عظمة الله تبارك وتعالى وكبريائه..

---

(١) قال بعضهم: معناه أنه لو قدر ثوابها جسمًا لملأ ما بين السموات والأرض. والله اعلم.

(٢) أى: انها ستكون نورًا فى قلب المؤمن يهديه إلى الخير كما يُستضاء بالنور الحسى.. وكذلك ستكون نورًا فى قبره وعلى الصراط.. الخ.

(٣) يعنى أنها حجة على إيمان فاعلها..

(٤) يعنى انه يُحرق بحرارته وإشراقه ما يهجم على النفس من ظلمات الشهوات..

(٥) أى: إذا تلاه حق تلاوته وتدبرَّ فيه. كان له. وإذا كان العكس هو الصحيح كان عليه.

(٦) أى: مهلكها.

(٧) الضمير لتلك الخصال المذكورة فى الحديث.

(٨) أو شك من الراوى.

**(ولهذا) فقد أمرنا فى نص الوصية بالإكثار من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر.. (لأنهن) جُنَّتنا من النار.. (وإنهن) يـأتين يـوم القيامـة مُجنِّبات ومُعقِّبات.. أى يُحطْنَ بقائلهن ويشْفَعْن له.. (وهن) الباقيات الصالحات.. أى: أنها تبقى مُدَّخَرة لصاحبها عند الله حتى توزن فى حسناته يوم القيامة.

(وحسب) المؤمن.. أن يعيش مع كل تلك المعانى المتعلقة بتلـك الكلمـات الأربع عن طريق التأمل فى عظمة الخالق سبحانه وتعالى وعن طريق النظر فى بعـض هذا الكون المحيط بنا.. إنه لا شك سيعجز عن مواصلة النظر.. كما يشير إلى هـذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقاً**﴾ أى: بعضها فوق بعض طبقًا فوق طبق — أى: متطابقة كل سماء كالقبة للأخرى، بعضها فوق بعض — ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾ أى: من اختلاف، لا فى سمـاء، ولا فى أرض ﴿**فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ**﴾ أى: فرِّدد البصر فى السموات، هل ترى فيها من صدوع ؟ ﴿**ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ**﴾ أى: ثم ردد البصر يا ابن آدم، مرة بعد أخرى، فانظر هـل ترى من شقوق أو تفاوت فى خلق الرحمن ؟ ﴿**يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئاً**﴾ أى: يرجع إليك بصرك صاغرًا مبعدًا ﴿**وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ أى: وهو كالٌّ متعـب، لم يـرَ خللًـا ولا تفاوتًا..[سورة الملك: ٣، ٤][(١)].

**ولله در من قال:

يقولـون: أيـن الله، أيـن بدائعـه	وذا الكون سفْر واضح وَهْـو كاتبـه
يَشُـكُّون والإيمـان مـلءُ قلـوبهم	ويُبدون ما تلك القلـوب تكّذبُـه !
وأى امرىء فى الكون يُرسل طرفـه	إذا ما بـدت أقمـاره وكواكبـه !
وليس يقـول: الله فى عـرش مجـده	وهذى حواشيه وهـذى مواكبـه !
وأىُّ امـرىء مَـا سَـبَّح الله مـرة	إذا راقب الأزهـار وَهْـيَ تراقبـه !
عجائـب ربى فى الأنـام جليلـة	ولكن جهل المرء لا شـك غالبـه !

* وصدق الله العظيم فهو القائل: ﴿ **وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا**

(١) والتفسير من مختصر تفسير الطبرى بتصرف.

حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ *وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ* لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ *سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ*وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ *وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ* وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ[1] الْقَدِيمِ*لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس: ٣٣ – ٤٠].

فيا عجبًا كيف يُعصى الإله — وكيف يجحده الجاحدُ !
وفى كل شىء له آيةٌ — تدل على أنه الواحدُ !
إذا ما تدبرت آياته — فأنت هو العابد الساجدُ !
وإمّا تشاهد نعماءه — فأنت هو الواله الواجدُ !

* وأيضًا لله در من قال:

تبصَّر حيث كان التَّبصُّر — وفى ذات الإله دع التَّفكُّر
وإن تُرد المهيمن حين تذكر — تأمَّل فى نبات الأرض وانظر

إلى آثار ما صنع المليك !

فأنوار المهَيْمن ساطعات — وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات — أصول من لجين زاهرات

على أغصَانها ذهب سبيك

شموس فى البرية مُشرقات — نجوم فى الدياجى لامعات
بطول الدهر دوما سَابحاتٌ — إلى مالستُ أدرى طائرات

يطير بها الجُرم السَّميكُ

رياضٌ مونقات منعشاتٌ — وألوانٌ لعينك مدهشات
وأغصان تَسُرك ناضرات — على قُضُب الزبرجد شاهدات

بأن الله ليس له شريك

(١) العرجون: شمراخ البلح.

(وحسبي) أن أُسجِّل هُنا [1]. هذا التوحيد الخالص الذى كتبه الشاعر الأزهـــرى الأستاذ الشيخ محمد الأسمر – عليه رحمة الله – تحت عنوان:

الله جَلَّ جلالُهُ

* تعاليت يا رَب، ما أجلَّكَ، خلقتَ الخلقَ، وأجريتَ الرزق، بك ينمو الـــزرع، ويدر الضَّرع.

* سبحانك اللهم.. ما أوسع ملكك، وما أعظم سلطانك، السماء والأرض لك، والملائكة الأطهار جُندُكَ، والملوك المتوَّجونَ عبيدُك.

* تباركتَ وتعاليتَ.. صنعتَ فأعجزتَ، وصورتَ فأحسنتَ.. الجـــن والإنـــس خلقك [2]، والجسْمُ والروُح عملك.. لا إله إلا أنت.. منحتنا بصـــائر لا تنكـــرك، وأبصارًا لا تُدْركُكَ.. يسبِّح الرعد بحمدكَ، ويَترنَّم الطائر بمجدك.. البحار لا تَقَر من خشيتك، والجبال جامدة من هيبتك.. ولقد جرى النَّسيُم بلُطفكَ، وتَقلَّـــب كـــل مخلوق فى رحمتك.

* تباركت تباركت.. لا أول قبلك ولا آخر بعدك..كيف تخفى والشـــمس بعض بيِّناتكَ ؟! وكيف تُدرَك والروح بعض أسرارك ؟! فأنت الأول والآخـــر والظاهر والباطن.

* تعاليت..تعاليتَ آمن بك المؤمن و لم يرك، وجحدك الجاحد ووجوده شاهد بوجودك.

* سبحانك سُبحانك.. بَهرتْنا آلاؤك، وغاب عنَّا لأَلَاؤُك، ماء وحجـــر، وأرض وقمر، وزاحف وطائر، وصادحٌ وباغم.. أنبتَّ لنا من الأرض عجبًا.. نخيل وأشـــجار، وأزاهير وثمار.. ربِّ من أين للورد شَذاهُ، ومن أين للغُصْن عوده ولحاه[3]، ومـــن أيـــن للثمار طعومها المختلفة، وأشكالها المتباينة، وألوانها المتغايرة. من أين كل هذا يا رب؟!

سائغ وغير سائغ، و ناصع وفاقع.. تباركت مُخرج الخضراء من الغبراء، وخـــالق العجب من طينٍ وماء.

---

(١) والذى سجلته قبل ذلك فى الجزء الثانى من المجلد الأول من وصايا الرسول ﷺ.. طبعة دار الاعتصام.

(٢) قدم الجن على الإنس.. لأنهم خلقوا قبل الإنس بآلاف السنين.. كما يشير إلى هذا قول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾.

(٣) اللحاء:مكسور ممدود: قشر الشجَر (مختار الصحاح).

* سبحانك اللهم سبحانك.. جلَّت عظمتك، وتعالت قدرتك.. أعجزت الإنسان بالجبال والنِّمال. بل أعجزتَ الإنسان بذات الإنسان.. عظم ولحم، وعُروق ودم، وظفر وشعر، وسمع وبصر.. قلتَ للسان: ذُق وهو لحمة فذاق، وقلتَ للعين: أبصرى وهى شحمة فأبصرتْ.

* سبحانك اللهم.. وهذا القلب الخافق بم يخفق.. أشهد أن لا إله إلا أنت.. رب المشارق والمغارب، والنجوم والكواكب.. تباعدت فهىُ منفصلة، وتجاذبت فهى متَّصلة.. عجزت عقولنا عن الإحاطة ببعض ما خلقتَ فكيف تُحيطُ بك !!

* سبحانك سبحانك.. هذه دنياك فكيف آخرتك.. وهذا شأن آثارك، فكيف شأنك !! تباركت من إله صادق وتعاليتَ من ربٍّ حقٍّ.

* (وقد) قرأت كذلكً فى كتاب (جواهر الأدب) [1] قصيدة فى (الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك — وفيها يقول:

إلـه العـالمين وكـلِّ أرض	ورب الراسيات من الجبال
بناها وابتنى سبعًا شدادًا	بلا عُمُد يُرينَ،ولا رجال
وسَوَّاها وزيَّنها بنور	من الشمس المضيئة والهلال
ومن شُهب تلألأ فى دُجاها	مَراميها أشدُّ من النِّصَال
وشقَّ الأرض فانبجست عيونا	وأنهارًا من العَذْب الزُّلال
وبارك فى نواحيهَا وزكَّى	بها ما كان من حرث ومال
فكلُّ مُعمَّر لابد يومًا	وذى دنيا يصير إلى زوال
ويَفْنىَ بعد جدَّته ويبْلَى	سوى الباقى المقدَّس ذى الجلال
وسيق المجرمون وهم عُراة	إلى ذات المقامع والنكال [2]
فنادوا ويلنا ويلًا طويلًا	وعَجُّوا فى سلاسلها الطِّوال
فليسوا مَيِّتين فيستريحوا	وكُلُّهُمُ بحرِّ النار صَالى

(١) للأستاذ المرحوم السيد أحمد الهاشمى.. ج٢ ص٢٥٣.

(٢) أى: إلى النار.

وحَلَّ المتقون بَدار صدق (1) وعيش ناعم تحت الظلال

لهم ما يشتهون وما تمنَّوْا من الأفراح فيها والكمال

** (وتلك) هى الخلاصة المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلاَّ وَجْهَه﴾ [القصص: ٨٨]. وقوله: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، وقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ*وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ*يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٣- ١٥].

* (وقد) اتفق أن الرشيد جلس يوما للراحة فقال: مَنْ بالباب من الشعراء ؟ فقالوا: الرقاش، فقال: فليدخل، وليطرفنا بشيء من الملح الأدبية والطرف العربية، فدخل فجلس فطلب منه الرشيد ما يناسب هذا اليوم، فقال: يا أمير المؤمنين:

عش ما تشاء ممتَّعًا فى ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد ثم بعد ذلك ماذا ؟ فقال:

يُسْعى إليك بما اشتهيت فى ظل شاهقة القصور

فقال الرشيد: ثم ماذا ؟ فقال:

فإذا النفوس تغرغرت بزفير حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنًا ما كنتَ إلاَّ فى غرور

فبكى الرشيد حتى علا صوته وبكى من حوله.... فقال بعض المتملّقين:أتى بك أمير المؤمنين لتسُرَّه فكنت سببًا فى حزنه.. فقال له الرشيد: أسكُتْ: المغرور من غررتّموه، وجدنا فى غفلتنا فأيقظنا.. ا. هـ.

تعليق

** ولهذا فإنه ينبغى علينا أن نَتَّعظ نحن كذلك بهذا الوعظ الصَّافِى الذى هزَّ كيان أمير المؤمنين – هارون الرشيد – رحمة الله تعالى.. فكان سببًا فى بكائه.. وكان سببًا فى اتعاظه الذى لا شك أنه تحرك بسببه إلى التوبة إلى الله تعالى.. والحرص على طاعته.. (فلنكن) نحن كذلك هكذا..

والله ولى التوفيق

(1) أى: بالجنة.

فلاحظ كل هذا أخا الإسلام .. وأنت تحرص على أن تكون من الذين يكثـــرون من التسبيح بصفة خاصة فضلا عن جميع أنواع الذكر الواردة عن رسول الله ﷺ ولا سيما إذا تأملت فى آية من آيات الله سبحانه وتعالى.

فقد قرأت أن سليمان عليه السلام كان ذات يوم يركب البساط الذى كان يحمله الريح وحوله الوزراء والمؤمنون من الجن والإنس بالإضافة إلى الطيور التى كانت تحلق فوقه، فمر فى موكبه هذا فوق حقل فلاح يحرث فى أرضه فقال الفلاح: سبحان من أعطاكم ملكا يا آل داود .. فأمر سيدنا سليمان الريح بأن يتزل البساط الذى فوجئ به الفلاح فى حقله.. كما فوجئ بسيدنا سليمان يناديه ثم يسأله عن الـــذى قالـــه.. فقال: قلت سبحان من أعطاكم ملكًا يا آل داود.. فقال له: أما علمـــت هـــذا أن تسبيحة واحدة منك خير من ملك آل داود.

** (فليكن) هذا المعنى الكبير متربعا على قلبك حتى تكون من المسبحين.. وأنت تذكر كذلك قول الله تبارك وتعالى عن سيدنا يونس عليه السلام.. ﴿**فَلَوْلا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ*لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**﴾ [الصـــافات: ١٤٣ – ١٤٤]، وأنه عليه السلام ما أخرجه الله تعالى من بطن الحوت إلا بعد أن قال ما يحكيه الله تعالى فى قوله: ﴿**وَذَا النُّـونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْـتُ مِنَ الظَّالِمِينَ *فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ**﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨]..

* (بل) وأنت تذكر قول الله تبارك وتعالى: ﴿**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾ [الإسراء: ٤٤]..

فـــاغتنم ركعـــتين فى ظلمـــة الليـــل ... إذا كنـــت فارغًـــا تســـتريحًا
وإذا هممـــت بـــالخوض الباطـــل ... فاجعـــل مكانـــه تســـبيحا
واغتنام السكوت أفضل من خـــوض ... وإن كنـــت بالحـــديث فصـــيحا

** (ثم) إذا كان النبى ﷺ: قد ذكر فى أول الوصية — التى ندور حولهـــا — أن التسبيح، والتحميد، والتهليل، والتكبير.. (جُنَّة) أى وقاية من النار.. فى قوله ﷺ فى أول الوصية: «**خذوا جُنتَّكم**» إلى أن قال: «**لا، ولكن جنتكم من النار**»: فإن المعنى هو أن الذكر هذا.. إذا ما كان على أساس من البعد عن الأسباب الموصِّلة إلى النار.. سيحجزهم من النار.. وسيحول بينهم وبين دخولها...

** (وقد) أشار الله تبارك وتعالى فى قرآنه إلى أهم الأسباب الموصلة إلى النـــار.. والتى لابد وأن نجتنبها إذا أردنا أن يؤدى الذكر ثمرته.. فقال تعالى:

* ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾[الكهف: ٢٩].

* ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ*يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ*وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾[الحج: ١٩ :٢٠].

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **((تخرج عنق من النار يوم القيامة لها عينان تبصران، وأذنان تسمعان، ولسان ينطق يقول: إنى وُكِّلتُ بثلاثة: بكلِّ جبار عنيد، وبكّل من دعا مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين))** [1]

إلى آخر الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية التى تحّذرنا من أعمال النار.. التى لابـــد وأن نجتنبَها.. مع الذكر والاستغفار. فى الصباح والمساء وفى الغدو والرواح... الخ

والله ولى التوفيق

(١) أخرجه الترمذى وقال: حسن صحيح – غريب.

الوصية السادسة والأربعون بعد المائة

● عن أم هانئ رضي الله عنها قالت:

مَرَّ رسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عليه وسَلَّمَ ذاتَ يومٍ، فقُلْتُ: يا رسُولَ اللّٰهِ قدْ كبِرتْ سِنِّي، وضَعُفْتُ، أوْ كما قالتْ: فمُرْني بعملٍ أعْملُهُ وأنا جالسةٌ؟ قالَ: (سَبِّحِي اللّٰهَ مِائةَ تسْبيحةٍ، فإنَّها تعْدِلُ لكِ مِائةَ رقبةٍ تُعْتِقِينَها منْ وَلَدِ إسْماعيلَ، واحْمَدِي اللّٰهَ مِائةَ تحْميدةٍ، فإنَّها تعْدِلُ لكِ مِائةَ

فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ تَحْمِلِينَ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَبِّرِي اللَّهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ لَكِ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُقَلَّدَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللَّهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ؛ قَالَ أَبُو خَلَفٍ: أَحْسَبُهُ قَالَ: تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلَا يُرْفَعُ يَوْمَئِذٍ لِأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ مِمَّا يُرْفَعُ لَكِ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ مَا أَتَيْتِ)

رواه أحمد بإسناد حسن، واللفظ له والنسائي

ولم يقل: ولا يرفع. إلى آخره، والبيهقي

بتمامه، ورواه ابن أبي الدنيا فجعل ثواب الرقاب

في التحميد، ومائة فرس في التسبيح، وقال فيه:

(وهلِّلِي اللهَ مائةَ تهليلةٍ لا تذرُ ذنبًا، ولا يسبقُها عملٌ).

ورواه ابن ماجه بمعناه باختصار، ورواه

الطبراني في الكبير بنحو أحمد، ولم يقل: أحسبه

ورواه في الأوسط بإسناد حسن إلا أنه قال فيه:

قالت: قُلْتُ: يارسُولَ اللهِ قدْ كبرتْ سِنِّي، ورَقَّ عظْمِي، فَدُلَّنِي عَلَى

عملٍ يُدْخِلُني الجنّةَ، قال: (بَخٍ بَخٍ لقدْ سألتَ، وقال فيه: وقُولي: لا إلهَ إلّا اللهُ مائةَ مرّةٍ، فهو خيرٌ لكِ ممّا أطبقتْ عليه السّماءُ والأرضُ، ولا يُرفعُ يومئذٍ عملٌ أفضلُ ممّا يُرفعُ لكِ إلّا مَنْ قالَ مثلَ ما قُلتِ، أوْ زادَ).

ورواه الحاكم بنحو أحمد، وقال صحيح الإسناد، وزاد قولي:

(ولا حَوْلَ ولا قُوّةَ إلّا باللهِ، لا

تترك ذنباً، ولا يشبهها عملٌ».

* أم هانئ، هي بنت أبي طالب أخت علي رضي الله عنها وعنه وهي التي كان رسول الله ﷺ نائماً عندها ليلة الإسراء..

* ومعنى: (ضعفت) أي: عن القيام والحركة..

* ومعنى: (وأنا جالسة) أي: لا يحتاج مني إلى حركة وتعب..

* و(تعدل) أي: تساوي..

* و(بخ بخ) أي: حسن حسن، وهي كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتُكرر للمبالغة والأفصح فيها التنوين.



فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية التي زوَّد بها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليـــه.. أم هانئ بنت عمه أبي طالب- أخت عليٍّ كرَّم الله وجهه- عندما أخبرته بأن سنَّها قد كبر، وجسمها قد ضعُف.. ثم طلبت منه أن يأمرها بعمل تعمله وهي جالسة.. بحيث لا يتطلب منها حركة أو تعباً.. فقال لها صلوات الله وسلامه عليه: « **سبِّحى الله مائة تسبيحة، فإنها تعدل**[1] **لك مائة رقبة تعتقينها من ولد إسماعيل** » الحديث الذى رواه أيضاً ابن أبي الدنيا: فجعل ثواب الرقاب في التحميد، ومائة فرسٍ في التسبيح، وقال فيه: (**وهلِّلى الله مائة تهليلة، لا تذر ذنباً، ولا يسبقها عمل**).

رواه ابن ماجة بمعناه باختصار، ورواه الطبراني في الكبير بنحو أحمد، ولم يقـــل: أحسبه، ورواه في الأوسط بإسناد حسن إلا أنه قال: قالت: قلت يا رسول الله قـــد كبرت سنِّي، ورقَّ عظمي، فدلَّني على عملٍ يدخلني الجنة، قال:«**بخ بـــخ**[2] **لقـــد سألت**»، وقال فيه، «**وقولي: لا إله إلا الله مائة مرة، فهو خير لك مما أطبقت عليه السماء والأرض، ولا يرفع يومئذٍ عمل أفضل مما يرفع لك إلا من قال مثـــل مـــا قلت، أو زاد**».

ورواه الحاكم بنحو أحمد، وقال: صحيح الإسناد، وزاد قولي: «**ولا حول ولا قوة إلا بالله لا تترك ذنباً، ولا يشبهها عمل** ».

(فهذه) الوصية وما جاء بعدها من روايات.. تُشير إلى فضل التسبيح، والتحميد، والتكبير، والتهليل.. كما تشير وبوضوح إلى أهم نتائج كل هذا الخير من ثواب مُضاعف.. يملأ ما بين السماء والأرض.

(وهذا) العدد الذى ورد في تلك الروايات يعتبر ورْداً من الأوراد التي إن حافظ المؤمن عليها- بالإضافة إلى جميع الأذكار الشَّرعية الواردة عن رسول الله ﷺ- كان من الفائزين الذين ﴿**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب:٣٥]... (ولهذا)، فقد ورد:

(١) أي:تساوى.

(٢) أي: حسن حسن.. وهي كلمة تُقال عند المدح.

(عن) أبي موسى ﷺ ،قال: قال النبي ﷺ : **«مثل الذى يذكُر ربَّهُ، والـــذى لا يذكر ربه، مثل الحيِّ والميِّت»** رواه البخارى ومسلم، إلاَّ أنه قال: **«مثل البيت الذى يُذكر الله فيه»**.

(وروى) عن أبي ذر ﷺ عن النبي ﷺ قال: **« ما من يوم وليلة إلاَّ وللَّه عَّز وجلَّ فيه صدقة**[١] **يَمنُّ بها على من يشاء من عباده**[٢]**، وما مَنَّ لله على عبدٍ بأفضل مـــن أن يلهمه ذكره**[٣]**»**.رواه ابن أبي الدنيا.

(وروى)عن معاذ ﷺ عن رسول الله ﷺ أن رجلاً سأله فقال: أي المجاهـــدين أعظم أجراً؟ قال: **«أكثرهم لله تعالى ذكراً»** قال: فأى الصالحين أعظـــم أجـــراً ؟ قال: **« أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكراً »**، ثم ذكر الصـــلاة، والزكـــاة، والحـــج، والصدقة، كل ذلك ورسول الله ﷺ يقول: **«أكثرهم لله تبارك وتعالى ذكـــراً »**، فقال أبو بكر لعمر: يا أبا حفص: ذهب الذاكرون بكل خير، فقال رسول الله ﷺ: **«أجَلْ»**. رواه أحمد والطبراني.

(وهذا) معناه أن جميع هذه العبادات قد شرعت من أجل ذكر الله عزَّ وجلَّ.

(وقد) ورد كذلك (عن) أبي هريرة ﷺ قال: قـــال رســـول الله ﷺ : **« إن لله ملائكةً**[٤] **يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر**[٥]**، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا هلمَّوا إلى حاجتكم**[٦]**، فيحفُّوهم**[٧] **بأجنحتهم إلى السماء الدنيا.قـــال فيسألهم ربهم**[٨]**، وهو أعلم بهم** [٩]**:ما يقول عبادى ؟ قال: يقولون: يسـّــبحونَك، ويكبرِّونك، ويحمدونك، ويمجِّدونك**[١٠]**»**.

---

(١) الصدقة من الله على عباده هى الفضل والإحسان.

(٢) جملة (يمنُّ بها) صفة الصدقة، أى ينُعم بها على من يختارهم ممن يعلم أنهم أهل لها.

(٣) يعنى أن أفضل عَطية يعطيها الله للعبد هو أن يوفقه لمداومة ذكره ويشرح لذلك صدره ويبعد عنه الشواغل الصارفة.

(٤) يظهر أن هؤلاء الملائكة زائدون على الحفظة وغيرهم من المرتَّبين مع الخلائق وأنهم مختصون بذلك.

(٥) أى: يبحثون ويفتشون عن مجالس الذكر.

(٦) أى: أقبلوا على بُغيتكم.

(٧) يعنى يجلسون حولهم ويحيطون بهم.

(٨) يعنى أنهم بعد أن يفرغ من ذكرهم يصعدون إلى الله عز وجل فيسألهم.

(٩) الجملة الإعتراضية نَفى بها توهَّم أن يكون هذا السؤال من الله استخباراً عن حالتهم.

(١٠) أى: تلهج ألسنتهم بذكرك..

«قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك[1] قال فيقول وكيف لو رأوني[2] ؟قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادة[3]، وأشدَّ لـــك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا. قال: فيقول: فما يسألوني[4] ؟قال: يقولون: يسألونك الجنة[5]، قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله مارأوها.قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظم فيها رغبةً.قال: فممَّ يتعوَّذون؟ قال: يقولون: يتعوَّذون مـــن النار.قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال: فيقـــول: فكيف لو رأوها؟.

قال: يقولون:لو رأوها كانوا أشدَّ منها فـــراراً، وأشـــدَّ لهـــا مخافـــة[6]،قـــال: فيقول:أُشهدُكُم أني قد غفرتُ لهم [7] قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فـــلان ليس منهم إنما جاء لحاجة[8].قال:هم القوم لايشقى بهم جليسهم[9]» رواه البخارى واللفظ له، ومسلم، ولفظه قال:« إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة [10] فضـــلاء يبتغون مجالس الذكر فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحـــفَّ بعضـــهم بعضًا بأجنحتهم حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء، فإذا تفرَّقوا عَرَجوا وصَعَدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم:من أين جئتم؟ فيقولون: جئنا مـــن عند عبادك فى الأرض يســـبحونك، ويكبرونـــك، ويهلّلونـــك، ويحمـــدونك، ويسألونك.قال: فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك.قال: وهـــل رأوا جـــنَّتى؟

---

(١) ولا ينبغى لأحد أن يرى الله فى هذه النشأة...

(٢) يعنى إذا كانوا يجتهدون فى ذكرى من غير أن يرونى فكيف يكون حالهم لو رأونى.

(٣) وهذا مقام الإحسان..

(٤) يعنى فأى شيء يطلبون منى.

(٥) التى نسأل الله تعالى أن يجعلنا لها.. اللهم آمين.

(٦) نسأل الله تعالى أن يعيذنا منها..

(٧) وهذه الشهادة للتنويه بشأنهم فى الملأ الأعلى.

(٨) أى: من حاجات الدنيا و لم يقصد الذكر.

(٩) أى: لا يشقى من صحبهم واجتمع بهم.

(١٠) وفى رواية (سَيَّاحين فى الأرض).

قالوا: لا يارب. قال: فكيف لو رأوا جنَّتى؟.قالوا: ويستجيرنك[1]قـال: ومـمَّ يستجيرونى؟ قالوا:من نارك يا رب.قال وهل رأوا نارى؟ قالوا: لا يـارب.قـال: فكيف لو رأوا نارى؟ قالوا:ويستغفرونك. قالوا: فيقول: وأعطيتهم مـا سـألوا، وأجرهم مما استجاروا.قال: يقولون: ربِّ فيهم فلان عبد خطَّاء[2] إنما مَرَّ فجلس معهم؟ قال: فيقول: وله غفرت[3]، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم)).

ملاحظات وأحكام هامة تتعلق بالذكر

(هذا) وإذا كان هناك تذكير آخر أريد أن أُضيفه إلى ما وقفنا عليه..(فإننى) أُريد أن أقف مع الأخ المسلم على أهم الأساسيات المتعلِّقة بذكر الله تبارك وتعالى، وذلك من خلال كتاب:

الأذكار..للإمام النووى.. حيث يقول ما خلاصته[4]:

الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلـب واللسـان جميعاً، فإن اقتصر على أحدهما فالقلب أفضل..

(ثم) لا ينبغى أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أن يظن به الرياء بـل يذكر بهما جميعاً ويقصد وجه الله تعالى.. (ثم) يقول:

(واعلم) أن فضيلة الذكر غير منحصرة فى التسبيح والتهليل والتحميد والتكـبير ونحوها (بل) كل عامل لله بطاعة فهو ذاكر لله تعالى (كذا) قاله سعيد بن جُبيرﷺ وغيره من العلماء.(وقال) عطاء رحمه الله: مجالس الذكر هى مجالس الحلال والحـرام: كيف تشترى وتبيع، وتصلى وتصوم، وتنكح وتطلق، وتحج، وأشباه ذلك...(ثم) يقول موضحًا المراد من قول الله تبارك وتعـالى فى سـورة الأحـزاب: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ**﴾ إلى قوله تعالى:﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّـهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّـهُ لَهُـمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ : فذكر حديثاً رواه مسلم (عن) أبى هريرةﷺ أن رسـول الله ﷺ

---

(١) أى: يطلبون منك أن تجيرهم وتحميهم من نارك..

(٢) صيغة مبالغة أى كثير الخطايا والذنوب.

(٣) أى: إكراماً لجلوسه معهم وصحبته إيَّاهم قد غفرتُ له معهم.

(٤) باختصار وتصرف.

قال: « **سبق المفرِّدون** » قالوا: وما المفردون يا رسول الله ؟ قال:« **الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**».

(ثم) قال: (وقد) اختلف فى ذلك، (فقال) الإمام أبو الحسن الواحدى: قال ابن عباس رضى الله عنهما: المراد يذكرون الله فى أدبار الصلوات، وغدوًا وعشيًا، وفى المضاجع، وكلما استيقظ من نومه، وكلما غدا أو راح من منزله ذكر الله تعالى. (وقال) مجُاهد: لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا. (وقال) عطاء: من صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل فى قول الله تعالى: ﴿ **وَالذَّاكِرِينَ اللَّـهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ** ﴾ (وقد) جاء فى حديث أبى سعيد الخُدْرى ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلَّى ركعتين جميعًا كُتبا فى الذاكرين الله كثيراً والذاكرات**» رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه فى سننهم. (وسُئِل) الشيخ الإمام أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله عن القدر الذى يصير به من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات ؟ فقال: إذا واظب على الأذكار المأثورة المُثْبتة صباحًا ومساًء فى الأوقات والأحوال المختلفة ليلًا ونهارًا وهى مبينة فى كتاب (عمل اليوم والليلة) —كان من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات... (ثم) يقول:

(وقد) أجمع العلماء على جواز الذكر بالقلب واللسان للمُحْدِث، والجُنُب والحائض، والنُفَساء..(وذلك) فى التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير، والصلاة على رسول الله ﷺ ، والدعاء وغير ذلك (ولكن) قراءة القرآن حرام: على الجُنب، والحائض،والنفساء.. سواء قرأ قليلًا أو كثيرًا حتى بعض آية (ويجوز لهم) إجراء القرآن على القلب من غير لفظ (وكذلك) النظر فى المصحف وإمراره على القلب..

(ويجوز) للجنب، والحائض عند المصيبة أن يقولوا: ﴿**إِنَّا لِلَّـهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة:١٥٦]، وعند ركوب الدابة: ﴿ . **سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَـٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ**﴾[الزخرف: ١٣] وعند الدعاء: ﴿.. **رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ**﴾ [البقرة:٢٠١] إذا لم يقصد به القرآن (ولهما) أن يقولا: بسم الله،

والحمد لله إذا لم يقصد به القرآن سواء قصدا الذكر أو لم يكن لهما قصدًا، ولا يأثمان إلا إذا قصدا القرآن.

(ويجوز) لهما قراءة ما نسخت تلاوته كالشيخة وكالشيخ إذا زنيا فارجموهما (وأما) إذا قالا لإنسان: ﴿ **خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً** ﴾[مريم:١٢]، أو قال: ﴿**ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ**﴾ [الحجر:٤٦]. ونحو ذلك (فإن) قصدا غير القرآن: لم يحرم، وإذا لم يجدا الماء تيمَّما وجاز لهما القراءة (فإن) أحدث بعد ذلك لم تحرم عليه القراءة (كما) لو اغتسل..

(ثم) لا فرق بين أن يكون تيمُّمه لعدم الماء فى الحضر أو فى السفر فله أن يقرأ القرآن بعده (وإن) أحدث: وقال بعض أصحابنا: إن كان فى الحضر صلَّى به وقرأ به فى الصلاة، ولا يجوز أن يقرأ خارج الصلاة والصحيح جوازه ... لأن تيمُّمه قام مقام الغُسل.

ولو تيمَّم الجنب ثم رأى ماءً يلزمه استعماله: فإنه يحرم عليه القراءة، وجميع ما يحرم على الجنب حتى يغتسل، ولو تيمم وصلَّى وقرأ ثم أراد التَّيمُّم لحدث أو لفريضة أخرى أو لغير ذلك: لم تحُرم عليه القراءة..(هذا) هو المذهب الصحيح المختار..

(ثم) يقول الإمام النَّووى: وفيه وجه لبعض أصحابنا: أنه يحُرم، وهو ضعيف.. أما إذا لم يجد الجنب ماءً ولا تراباً: فإنه يصلِّى لحرمة الوقت على حسب حاله، وتحُرم عليه القراءة خارج الصلاة.. ويحرم عليه أن يقرأ فى الصلاة ما زاد على الفاتحة.. (وهل) تحرم الفاتحة؟: فيه وجهان أصحهُما: لا تحُرم، بل تجب، فإن الصلاة لا تصح إلا بها..(وكما) جازت الصلاة لضرورة تجوز القراءة، والثانى: تحرم، بل يأتى بالأذكار التى يأتى بها من لا يحسن شيئاً من القرآن ...(ثم) بعد ذلك يقول:

(وينبغى) أن يكون الذاكر على أكمل الصفات، فإن كان جالساً فى موضع استقبل القبلة، وجلس متذلِّلاً مُتخشِّعاً بسكينة ووقار مطرقاً رأسه، ولو ذكر على غير هذه الأحوال: جاز ولا كراهة فى حقِّه (لكن) إذا كان بغير عُذر كان تاركًا للأفضل..(والدليل) على عدم الكراهة قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ**

وَالْأَرْض وَاخْتِلاف اللَّيْل وَالنَّهَار لَآياتٍ لِأُولِي الْأَلْبَاب*الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١]، وفى الصحيح (عن) عائشة رضى الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يتكئ فى حجرى وأنا حائض فيقرأ القرآن) رواه البخارى ومسلم، وفى رواية: (ورأسه فى حجرى وأنا حائض).

(وينبغى) أن يكون الموضع الذى يذكر فيه خالياً- أى عن كل ما يشغل البال- وأن يكون نظيفًا- أى طاهرًا من سائر عن الأنجاس- فإنه أعظم فى احترام الذكر والمذكور، ولهذا مدح الذكر فى المساجد والمواضع الشريفة.

(وينبغى) أن يكون فَمُهَ نظيفًا، فإن كان فيه تغُّير أزاله بالسواك، فإن كان فيه نجاسة أزالها بالغَسلِ بالماء، فلو ذكر ولم يغسلها فهو مكروه، ولا يَحُرم..

(ولو) قرأ القرآن وفَمَه نَجِس[١]: كُره، وفى تحريمه وجهان لأصحابنا أصحَّهما: لا يحرم... (ثم) يقول:

(واعلم) أن الذكر محبوب فى جميع الأحوال إلاَّ فى أحوال ورد الشرع باستثنائها.. نذكر منها طرفًا...(فمن ذلك) أنه:

(يكره) الذكر حالة الجلوس على قضاء الحاجة، وفى حالة الجماع، وفى حالة الخطبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفى القيام فى الصلاة بل يشتغل بالقراءة، وفى حالة النُّعاس..

(ولا يُكره) لا فى الطريق ولا فى الحمَّام [٢].والله أعلم.

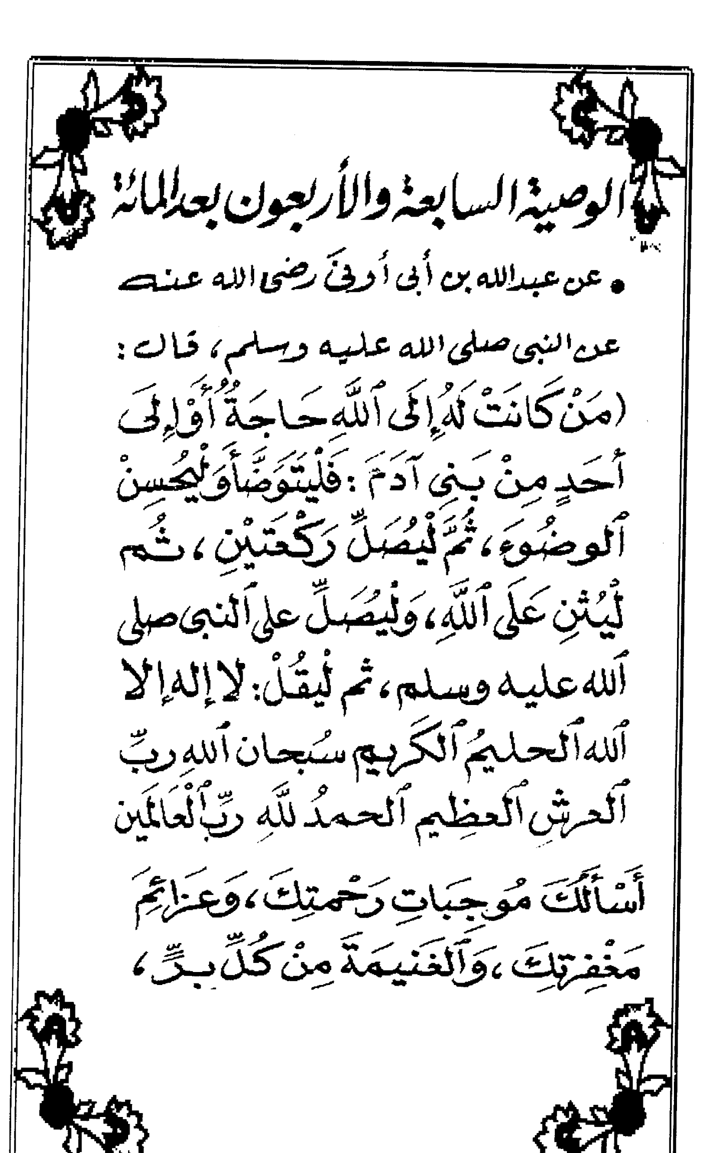
(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام ونفذ الصحيح منه.. حتى تُثاب إن شاء الله تعالى على ذكرك ... وتكون من الذاكرين..

والله ولى التوفيق

---

(١) كأن يكون مثلا قد شرب خَمَراً، أو أكل لحم خنزير والعياذ بالله وقد يكون شرب الدُّخان كذلك سببًا فى تنجيس الفم.. فلابد من تطهير الفم من كل هذا النجس.. فضلًا عن حرمته.. بإجماع العلماء والعقلاء..

(٢) على أن يكون هذا فى السر دون أن يجهر به ولا سيِّما إذا كان هناك مرحاض فى داخل الحمام.. غالبًا.



الوصية السابعة والأربعون بعد المائة

• عن عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

(مَنْ كَانَتْ لَهُ إِلَى اللَّهِ حَاجَةٌ أَوْ إِلَى
أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ: فَلْيَتَوَضَّأْ وَلْيُحْسِنْ
الْوُضُوءَ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ
لِيُثْنِ عَلَى اللَّهِ، وَلْيُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صلى
الله عليه وسلم، ثم لِيَقُلْ: لا إله إلا
الله الحليم الكريم سبحان الله رب
العرش العظيم الحمد لله رب العالمين

أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ
مَغْفِرَتِكَ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ،

وَالسَّلامَةَ مِن كُلِّ إِثْمٍ ، لا تَدَعْ لِي ذَنبًا إِلَّا غَفَرْتَه ، وَلا هَمًّا إِلَّا فَرَّجْتَهُ ، وَلا حَاجَةً هِيَ لَكَ رِضًا إِلَّا قَضَيْتَهَا يا أَرحَمَ الرَّاحِمِينَ) .

رواه الترمذى وابن ماجه بسند حسن

• وروى أحمد بسند صحيح عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الوضوء ، ثُمَّ صَلَّى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل مُعَجَّلاً أو مؤَخَّرًا) .

فكن أخا الإسلام

منتفعًا بهذه الوصية العظيمة التي ستحتاج إليها دائمًا وأبدًا.. لأننا جميعًا وبدون استثناء في حاجة إلى الله، وليس الله في حاجة إلينا.. وصدق الله تعالى فهو القائل: **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾** [فاطر:١٥]، **﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾** [هود:٦].

(وبهذا) فإنه حسبك إذا كانت لك حاجة عند الله تبارك..أن تنفِّذ وصية الرسول ﷺ .. وهي كما جاء في نصها: أن تتوضأ وتُحسن الوضوء.. ثم تُصلي ركعتين.. ثم تُثني على الله تبارك وتعالى..ثم تصلي على الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.. ثم تقول: **«لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل برٍّ، والسلامة من كل إثم، لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا همًّا إلَّا فرجته، ولا حاجة هي لك رضاً إلا قضيتها يا أرحم الراحمين».**

فإنك إذا نفَّذت كل هذا بصدق وتصديق لقائله صلوات الله وسلامه عليه.. فإن الله تعالى لن يتخلَّى عنك.. وسيكون عونًا لك على اجتياز محنتك التي تَمُرُّ بها..لأنه تعالى رحيم ولطيف بعباده..

(وقد) روى أحمد بسند صحيح (عن) أبي الدرداء رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: **«من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم صلى ركعتين يتمهما أعطاه الله ما سأل[١] مُعجلًا أو مُؤخَّرًا»**. (فهو) القائل سبحانه: **﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾** [غافر:٦٠]. (فعن) النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«الدعاء هو العبادة، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي[٢] أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾** [غافر:٦٠][٣]. رواه أبو داود والترمذي واللفظ له، وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

---

(١) أي: من الخير.. له ولغيره من الرحماء.. المؤمنين.
(٢) أي: اعبدوني بدليل قوله بعدها ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾
(٣) أي: أذلاَّء صاغرين.

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **من سرَّه أن يستجيب الله لـه عند الشدائد**[1] **فليُكثر من الدُّعاء عند الرخاء** »[2]. رواه الترمذى والحاكم من حديثه، ومن حديث سلمان وقال فى كل منهما: صحيح الإسناد.

(وعن) عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **ما على الأرض مسلم يدعو الله بدعوة إلاَّ آتاه تعالى إيَّاها، أو صرف عنه من السوء مثلها ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم**»، فقال رجل من القوم: إذاً نُكثر. قال: «**الله أكثـر**». رواه الترمذى واللفظ له، والحاكم، كلاهما من رواية عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وقال الترمذى:حديث حسن صحيح غريب، وقال الحاكم صحيح الإسناد، قال الجراحى: يعنى الله أكثر إجابة.

(وإذا) كان موضوع الوصية هو الدعاء.. فإننى أحبّ أن يعلم الأخ المسلم:أن الدعاء الوارد فى القرآن نوعان: أحدهما: دعاء مسألة كما فى قوله تعالى: ﴿**ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً**﴾ [الأعراف:٥٥] وقوله تعالى: ﴿ **أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ [البقرة:١٨٦].

والثاني:دعاء ذكر وثناء كما فى قوله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحمَنْ**﴾ [الإسراء:١١] وقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:١٨٠]، وكلا النوعين عبادة مأمور بها.(ففى) الحديث الشريف: (الدعاء هو العبادة) رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح..

(وعلى) هذا، فإنه ينبغى على الأخ المسلم أن يكون على صلة بالله تبارك بأيٍّ من النوعين.. وهو موقن بالإجابة ما دامت الدعوة مستوفية للأمرين المشار إليهما فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[البقرة:١٨٦].

أى:أنه لابد وأن يكون مستجيباً لله تبارك وتعالى بمعنى أن يكون مُنَفِّذاً لأوامره ومجتنبًا لنواهيه.. وأن يكون أيضًا فى نفس الوقت مؤمنًا إيمانًا جازمًا بأن الله تعالى وحده هو القادر على أن يخرجه من جميع أزماته. (وأنه) ليس هناك مخلوق على

(١) جمع شديدة وهى الأزمة المستحكمة والكُربة العظيمة..

(٢) ومعنى الحديث أن العبد إذا ذكر الله عزوجل ودعاه فى أيام يُسره فإن الله يذكره فى أيام بلائه وشدته ففى الحديث: « **تَعرف إلى الله فى الرخاء يعرفُك فى الشدة**».

وجه الأرض يستطيع أن ينفعه أو يضره.. حتى الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه الذى قال الله تعالى مخاطبًا إياه: **﴿قُلْ لا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلا ضَرّاً إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[الأعراف:١٨٨].

(ولهذا) كان من الشرك أن تسأل غير الله تبارك وتعالى.. وأن تذهب كما يفعل كثير من الجهلاء المنحرفين عن طريق العقيدة الصحيحة.. إلى ضريح من أضرحة أحد الصالحين لكى يسأله من دون الله: (بل) إن بعضهم – كما رأيت بعينى رأسى– يلقى فى داخل الضريح خطاباً فيه ما فيه من التضرعات.. التى كتبها له أحد النصابين – على باب المسجد– بعد أن أخذ منه مبلغًا من المال.. وربمَّا طلب منه المزيد من المال حتى يوصّيه عليه..

إننى عندما رأيت هذا تعجبت.. ثم قلت: أين علماء المسجد.. ألم يروا هذا الشرك الأكبر الذى لو رآه الجاهليون فى العصر الأول لضحكوا علينا.

(ثم) كذلك والله لو خرج الصالحون من قبورهم ورأوا هذا...لضربوا فاعليه بالنِّعال.. (فإنا لله وإنا إليه راجعون).

(وأحب) أن يلاحظ الأخ المسلم كذلك..أنه لا طواف حول القبر.. لأنه لا طواف إلا حول الكعبة.. ولا تقبيل للقبر.. لأنه لا تقبيل إلا للحجر الأسود...

(بل) إن عمر بن الخطاب ﷺكان إذا قبَّل الحجر الأسود يقول: (إنِّى لأعلم أنك حجرٌ لا تَضُرُّ ولا تنفع، ولولا أنِّى رأيتُ رسول الله ﷺيقبِّلك ما قَبَّلتكُ). رواه البخارى ومسلم.

(وهذا) النص الصحيح يُشير إلى أنَّ الدَّاعى إلى ذلك –من جانب عمر بن الخطاب ﷺ هو الأتباع المحض، وبذلك تعرف فساد ما عليه عامَّة أهل زمانُنا من تقبيل أعتاب الصالحين.. والتبُّرك بهم..بما لم يأذن به الله ورسوله.

(وما) كان كل هذا للأسف الشديد إلا بسبب علماء السوء الذين يقولون ما لا يفعلون.. والذين يرون بأعينهم كل هذا الضلال.. ولا يقولون كلمة حق للّه..

ولسوف يُسألون عن كل هذا بين يدى الله تبارك وتعالى الذى سيحمِّلهم مسـئوليته أمام الأشهاد..(ولهذا) فإننى أُذكِّر الأخ المسلم بالوصية العظيمة التى يقول فيها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لعبد الله بن عباس رضى الله عنهما- وقد كـان رديفًا له على الدابة يومًا-:

« يا غلام إنى أُعلِّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدهُ تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كَتَبهُ الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفَّت الصـحف». رواه الترمذى؛ وقال: حديث حسن صحيح.

(وفى) رواية غير الترمذى: «**احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفُكَ فى الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك.واعلـم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**».

(وإذا) كان شاهدنا فى هذا الحديث العظيم هو قول الرسول ﷺ : « **إذا سـألت فاسأل الله**»: فإن المعنى المراد منه – كما جاء فى شرح الأربعين النووية-: أن هـذا النص يشير إلى أن العبد لا ينبغى له أن يعلق سره بغير الله، بل يتوكل عليه سـبحانه وتعالى فى سائر أموره..(ثم) إن كانت الحاجة التى يسألها لم تجر العادة بجريانها علـى أيدى خلقه كطلب الهداية والعلم والفهم فى القرآن والسنة وشفاء المرضى وحصول العافية من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة: سأل ربه ذلك..

(وإن) كانت الحاجة التى يسألها جرت العادة أن الله تعالى يجريها على أيدى خلقه كالحاجات المتعلقة بأصحاب الحرف، والصنائع، وولاة الأمور: سأل الله تعـالى أن يُعطِّف عليه قلوبهم، فيقول: اللهم حنِّنْ علينا قلوب عبادك وإمائك.. وما أشبه ذلك، ولا يدعو الله تعالى باستغنائه عن الخلق، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم سمع عليًّـا – كرم الله وجهه- يقول: (اللهم أغننا عن خلقك)، فقال: «لا تقل هكذا، فإن الخلق يحتاج بعضهم إلى بعض، ولكن قل: اللهم أغننا عن شرار خلقك »، وأما سؤال الخلق

والاعتماد عليهم فمذموم..(ويُروى) عن الله تبارك وتعالى فى الكتب المنزَّلة: (**أيقرع بالخواطر باب غيرى وبابى مفتوح، أم هل يؤمل للشدائد سواى، وأنا الملك القادر، لأكسُونَّ من أمل غيرى ثوب المذلَّة بين الناس**).

(وأحب) كذلك وإتماماً للفائدة أن أستكمل مع الأخ المسلم ما قاله الإمام النووى عليه رضوان الله.[واعلم أن الأمة ... إلخ] [1]، فلقد قال: لما كان قد يطمع فى برٍّ من يحبه، ويخاف شرَّ من يحذره:قطع الله اليأس من نفع الخلق بقوله: ﴿**وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ**﴾[يونس:١٠٧] ولا ينافى هذا كله قوله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿**فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُون**﴾ [الشعراء:١٤].

وقوله تعالى: ﴿**إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى**﴾ [طه:٤٥]. وكذا قوله تعالى: ﴿**خُذُوا حِذْرَكُمْ**﴾ [النساء:٧١]. إلى غير ذلك، بل السلامة بقَدَر الله، والعطب بقَدَر الله.. والإنسان يفر من أسباب العطب إلى أسباب السلامة.. قال الله تعالى: ﴿**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التهلكة**﴾ [البقرة:١٩٥].

(ثم) يقول الإمام النووى شارحًا المعنى المراد من قول الرسول ﷺ : ((**واعلم أن النصر مع الصبر**)):

يقول الرسول ﷺ : ((**لا تتمنو لقاء العدو وأسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ولا تفروا فإن الله مع الصابرين**)) وكذلك الصبر على الأذى فى موطنٍ يعقبه النصر..(ثم) إن معنى قوله ﷺ ((**وإن الفرج مع الكرب**)): أن الفرج هو الشدة فى البلاء، فإذا اشتدَّ البلاء أعقبه الله تعالى الفرج، كما قيل: اشتدى أزمة تنفرجى — وكما قيل: إذا اشتد الكرب هان، أو:

ضاقت ولما استحكمت حلقاتُها ... فُرجت وكنت أظنُّها لا تفُرجُ

(ومعنى) قوله ﷺ : ((**وأن مع العسر يسراً**))، هو ما جاء فى حديث أنه ﷺ قال:((**لن يغلب عُسر يُسرين**))، هو أن الله تعالى ذكر العسر مرتين، وذكر اليسر مرتين، لكن عند العرب أن المعرفة إذا أُعيدت معرفة توحَّدت، لأن اللام الثانية للعهد،

(١) كما جاء فى الأربعين النووية ... الحديث التاسع عشر.

وإذا أعيدت النكرة نكرة تعددت، فالعسر ذكر مرتين معرفًا[1]، واليسر ذكر مرتين منكّرًا فكان اثنين، فلهذا قال رسول الله ﷺ: ((**لن يغلب عسر يسرين**)). ولله درّ من قال مُشيرًا إلى هذا المعنى الكبير:

إذا اشتدت بك البلوى ففكر في (ألم نشرح)
فعسر بين يسرين إذا افكّرته تفرح

(فافهم) كل هذا أخا الإسلام وكن مؤمنًا به حتى لا تيأس من فضل الله تعالى الذى يقول: ﴿ **وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً** ﴾ [النساء:٣٢]، مع ملاحظة أنك لابد وأنت تسأل الله من فضله.. أن تأخذ بالأسباب المشار إليها فى قول الله تعالى ﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة:١٠]،ويقول﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥]

(وهذا) معناه أنه ليس من الإسلام أن يكون الإنسان متواكلًا – أى تاركًا للعمل بدعوى أنه من الزاهدين فى الدنيا–وإنما لابد وأن يكون متوكلًا على الله – أى آخذًا بالأسباب مع تفويض الأمر إلى الله تبارك وتعالى.

(ولهذا) فقد قال العلماء:ليس الزَّاهد من لا مال عنده، وإنما الزَّاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتى مثل ما أوتى قارون.. (أى) أن الزاهد الحقيقى فى الدنيا هو الذى تكون الدنيا فى يده لا فى قلبه.. لأنها إذا كانت فى يده استطاع أن يستغلها فى طاعة الله.. (وأما) إذا كانت متربِّعة على قلبه..فإنه سيكون مطيّةً لها – تركبه هى وتوجِّهه إلى أى اتجاه شاءت ولو إلى الهاوية.. (ولهذا) قالوا:

كن زاهداً فيما حوت أيدى الورى تضحى إلى كل الأنام حبيبَا
أو ما ترى الخُطَّافَ حرم زادهم فغدا رئيسًا فى الجُحُور قريبَا

وللشافعى ﷺ فى ذم الدنيا:

ومن يذق الدنيا فإنى طعمتُها وسيق إلينا عذبُها وعذابُها
فلم أرها إلّا غرورًا وباطلًا كما لاح فى ظهر الفلاة سرابُها

---

(١) فكان واحداً.

وما هي إلا جيفة مستحيلة ... عليها كلاب هَمُّهنَّ اجتذابها
فإن تجتنبها كنت سلمًا لأهلها ... وإن تجتذبها نازعتك كلابُها
فدع عنك فضَلات الأمور فإنها ... حرام على نفس التقى ارتكابها

(وقد) شرح الإمام النووي[1] المعنى المراد من قول الإمام الشافعي:

(حرام على نفس التقى ارتكابها)، فقال قوله هذا: يدل على تحريم الفرح بالدنيا، وقد صرح بذلك البغوى فى تفسير قوله تعالى: ﴿ **وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾[الرعد:٢٦]، ثم المراد بالدنيا المذمومة طلب الزائد على الكفاية. أما طلب الكفاية فواجب.قال بعضهم: وليس ذلك من الدنيا. وأما الدنيا فالزائدة على الكفاية، واستدل بقوله تعالى: ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤] فقوله تعالى ذلك إشارة إلى ما تقدم من طلب التَّوسع والتبسُّط. قال الشافعي رحمه الله تعالى: طلب الزائد من الحلال عقوبة ابتلى الله بها أهل التوحيد..(وقد) قال بعضهم:

لا دار للمرء بعد الموت يسكنُها ... إلَّا التى كان قبل الموت يبنيها
فإن بناها بخير طاب مسكنه ... وإن بناها بشر خاب بانيها
النفس ترغب فى الدنيا وقد علمت ... أن الزهادة فيها ترك ما فيها
فاغرس أصول التقى ما دُمتَ مُجتهدًا ... واعلم بأنك بعد الموت لاقيها

(ثم) بعد ذلك إذا فرح بالدنيا لأجل المباهاة والتفاخر والتطاول على الناس فهو مذموم. (ومن) فرح بها لكونها من فضل الله تعالى فهو محمود...الخ.

(فافهم) هذا أخا الإسلام حتى لا تخلط بين التواكل والتوكل..(وقد) قرأت أن جماعة دخلوا على الإمام الجنيد عليه رحمة الله [2] فقال لهم: لماذا جئتم؟ قالوا: جئنا نطلب الرزق قال: إن علمتم أين هو فاطلبوه قالوا: نسأل الله؟ قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه..قالوا: نجلس فى البيت ونتوكل على الله وننتظر ما يكون؟

فقال: التوكل على الله التجربة شك.. قالوا: وما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة.. أى:

على المرء أن يسعى ... وليس عليه إدراك النجاح

(١) فى شرح الحديث الحادى والثلاثون من الأربعين النووية.
(٢) وهو من علماء السلف الصالح عليهم رضوان الله.

(وقد) قرأت كذلك أن جماعة من المتواكلين سألوا أحد العلماء العاملين فقالوا له: لماذا لا يعطينا الله تعالى أرزاقنا مرة واحدة دون تعب أو انشغال بها.. وما الحكمة فى السعى على الرزق؟ فقال لهم: لو رزق الله العباد من غير كَسْب لتفرغوا للفساد ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد.. ثم تلا قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ** ﴾ [الشورى:٢٧].

(فليكن) كل هذا أيها الأخ المسلم مفهوماً بالنسبة لك حتى تنفذه على أساس صحيح يجمع بين العمل للدنيا والعمل للآخرة..

فما أحسنَ الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس للرجل

(ولتكن) على صلة بالله تبارك وتعالى عن طريق الدعاء.. الذي لابد وأن يكون مصحوبًا بالأخذ بالأسباب كما علمت وأن يكون الأساس فيه هو أن تكون أهلًا للاستجابة.. التى لن تكون أهلاً لها إلا بأكل الحلال.. وتنفيذ الأوامر واجتناب المنهيات..

مع ملاحظة قول القائل:

كيف ندعوا الإله فى كل كرب   ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجوا إجابة لدعاء   قد سددنا طريقها بذنوب

(وليكن) المفتاح للدعاء.. ولا سيَّما إذا كانت هناك حاجة إلى الله.. هو الصلاة كما جاء فى نص الوصية التى درنا حولها:

ألا فى الصلاة الخير والفضلُ أجمع   لأن بها الأرقاب لله تخضعُ

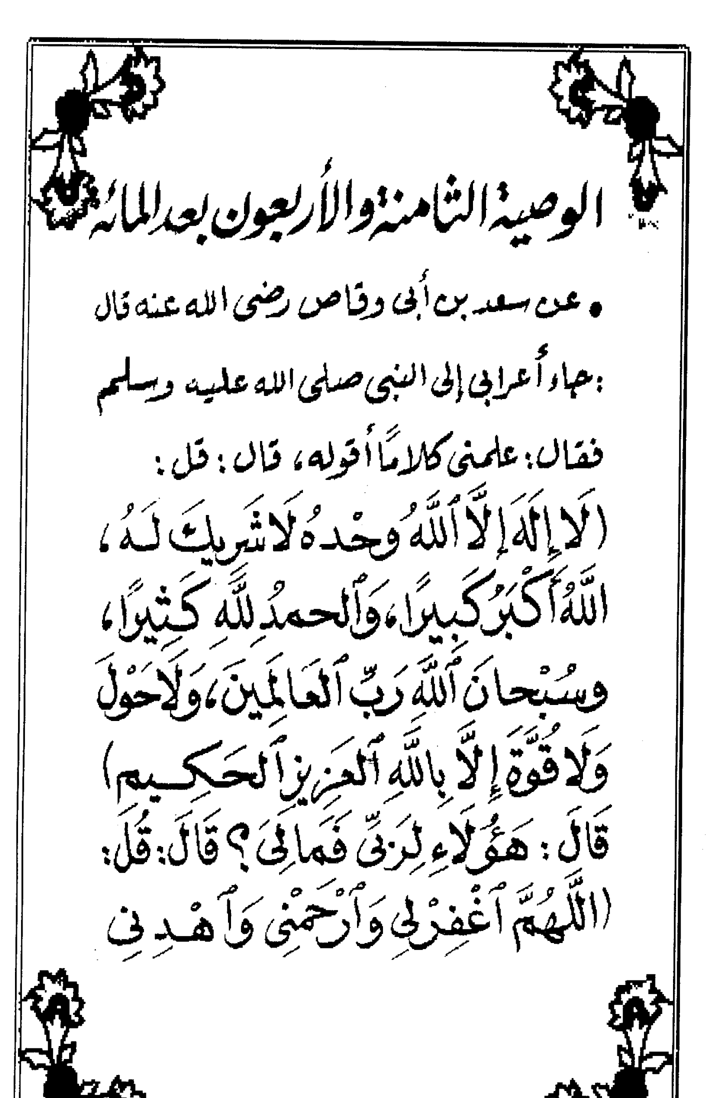
وأول فرض فى شريعة ديننا   وآخر ما يبقى إذا الدين يُرفع

فمن قام للتكبير لاقته رحمة   وكان كعبد باب مولاه يقرع

وكان لرب العرش حين صلاته   نجيًّا فيا طوبى له حين يخشع

والله نسأل أن يجعلنا أهلًا للاستجابة، وأن يقضى حاجاتنا بفضله ورحمته..

اللهم آمين



الوصية الثامنة والأربعون بعد المائة

• عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: علمني كلاماً أقوله، قال: قل:

(لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، ٱللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ) قَالَ: هَؤُلَاءِ لِرَبِّي فَمَا لِي؟ قَالَ: قُلْ: (ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِي وَٱرْحَمْنِي وَٱهْدِنِي

وَارْزُقْنِى) وزادَ من حديث أبى مالك الأَشْجَعِيِّ: (وَعَافِنِى). وفى رواية قَالَ: (فإِنَّ هؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ)

رواه مسلم

* ومعنى قوله: (هؤلاء لربى): لأنها كلمات ذكْر وثناء على الله كلها.

* (فما لى؟) أى: ماذا أقول فيما ينفعنى من الدعاء... وهذا الدعاء جامع لكل ما يحتاجه العبد فإنه لابد من مغفرة تستر ذنبه، ومن رحمة يهدى الله بها قلبه، ويصلح أمره، ومن عافية فى دينه ودنياه يسلم بها من البلاء والفتن، ومن رزق حسن.

فكن أخا الإسلام

منتفعًا بهذه الوصية العظيمة الصحيحة التي هي من علم رسول الله ﷺ الذى ورد عنه أنه قال: «**إنما بعثت معلمًا**» ، والذي سنظل نغترف من بحر علمه الفيَّاض – الذى لن ينضب أبدًا– لأنه من كلمات الله تبارك وتعالى الذى يقول لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى ختام سورة الكهف ﴿**قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً * قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف:١٠٩، ١١٠].. (نعم) سنظل نغترف من بحر علم رسول الله ﷺ– الذى هو من وحى الله تعالى – ما حيينا.. لأننا فعلاً فى أشد الحاجة إليه لصالح دنيانا ولصالح أخرانا..كما أشار نص الوصية الذى جاء فيه..

أن أعرابيًا جاء إلى النبى ﷺ وقال له: علمنى كلامًا أقوله.. فقال له: « **قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيراً، وسبحانه الله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم** ». فقال له الأعرابي: (هؤلاء لربى فما لى؟)– أى: لأنها كلمات ذكر وثناء على الله تبارك وتعالى من أولها إلى آخرها.. فما لى؟

(وهذا) معناه أن الأعرابي كان على نور من ربه... ولهذا فقد فهم المراد من هؤلاء الكلمات..(فقال) له النبى ﷺ معلماً إياه ما يخصه ويخص جميع المؤمنين والمؤمنات من العلم النافع أو الدعاء الجامع: « **قل: اللهم اغفر لى، وارحمنى، واهدنى، وارزقني** » وزاد من حديث أبى مالك الأشجعى: (وعافنى). وفى رواية قال: «**فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك**».

(ولهذا) فقد رأيت حتى ننتفع بهذا الخير– ولو إجمالاً– أن أدور مع الأخ المسلم والأخت المسلمة.. حول معانى هؤلاء الكلمات الأولى المتعلقة بالثناء على الله تبارك وتعالى، وحول معانى كلمات الدعاء الذى يجمع بين خيرى الدنيا والآخرة.. مع ملاحظة قول القائل:

ما أحسنَ الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس للرجل

(فإليهما) أولا المعنى المراد من قول:

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

(فإن) معنى: (لا إله إلا الله)[1] وهى كلمة التوحيد.. أنه لا معبود بحق إلاّ الله.. (وهى) الكلمة التى بعث الله من أجلها الرسل، وأنزل الكتب، وجعلها فارقة بين الإيمان والكفر، وبين أهل السعادة وأهل الشقاوة..(فهى) الأساس الذى لا يقبل الله من أحد عملاً إلا إذا بنى عليها، (وهى) القطب الذى لا تدور رحى الشريعة إلاّ به (وهى) زبدة رسالات الرسل وخلاصة دعوتهم، ومفتتح كلامهم.. فما أرسل أحد منهم إلى قومه إلا كان التوحيد أول ما يدعوهم إليه(وهى) كلمة التقوى التى ألزمها الله حزبه وأولياءه وحرم منها أعداءه..

قال تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح:٢٦].. (وقد) جمعت هذه الكلمة العظيمة التى هى عنوان الإسلام بين النفى والإثبات، فنفت بصدرها[2] الإلهية عن كل ما سوى الله عزَّ وجل، وأعلنت البراءة من كل معبود باطل، وأثبتت بعَجُزِها[3] الإلهية لله وحده..

ولهذا قالوا فى تفسيرها: لا معبود بحق فى الوجود كله إلا الله، فهى فى معنى قول مؤسس الحنيفية إبراهيم خليل الرحمن: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧]

(ومعنى)كلمة:

لا شريك له

أى ليس لغيره شركة معه فى شيء من اختصاصه فى ملكه.. وهو الصمد الذى قد كمل فى غناه وسؤدده، وعلمه وحلمه، والخلق يصمدون إليه أى يقصدونه فى حوائجهم فهو الغنى بذاته عن كل أحد، والكل فقير إليه لا يستغنون عنه لحظة.

---

(١) كما جاء فى هامش الترغيب والترهيب- للمنذرى- ج٢ص١٨٩ وما بعدها-
(٢) أى: فى أولها.
(٣) أى: فى آخرها.

(وعلى هذا) فإنه ينبغى أن يكون التوحيد- وهو إفراد الله تعالى بالعبادة- أساساً فى جميع عباداتنا.. بمعنى أن نعبد الله تعالى وحده.. تحت شعار واحد وهو:

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣]. وبمعنى أن لا نسأل إلا الله، وأن لا نخاف إلا من الله، ولا ننحنى إلا لله، ولا نتوكل إلا على الله، ولا نعتمد إلا على الله....(ونحن) نسأل الله تبارك وتعالى أن لا نموت إلا على التوحيد الخالص.. كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله الذى يتضرع به إلى الله تعالى:

يا رب إن ذنوبى فى الورى كثرت … وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتك بالتوحيد يَصْحبهُ … حب النبى وهذا القدر يكفينى

(وإليهما) ثانيا المعنى المراد من قول:

الله أكبر كبيراً

(فإن) معنى: الله أكبر.. يدل على صغر الأشياء كلها إلى جنب عظمة الله سبحانه وتعالى وكبريائه..

(ولهذا) فإنه حسب المؤمن أن يقف على هذا المعنى الكبير حتى لا يعظِّم غير الله تبارك وتعالى.. الذى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١].. ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾ [الإخلاص:٤].

(وقد) جاء فى القرآن والسنة التحذير من الكبر والنهى عنه.. حتى لا يكون هناك تكبُّر على الناس، والضعفاء منهم بصفة خاصة... ففى القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً﴾ [الإسراء:٣٧، ٣٨]. ويقول: ﴿وَلا تُصَعِّرْ [1] خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان:١٨].

(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: « **بينما رجل ممن كان قبلكم يجر إزاره من الخيلاء فخسف به فهو يتجلجل فى الأرض [2] إلى يوم القيامة** » .رواه البخارى والنسائى.

---

(١) صَعَّر خده تصعيرًا أى:أماله من الكبر.

(٢) أى: يغوص وينزل فيها.

(وعن) أبى هريرةرضي الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ يقول عز وجل: « **العــز إزارى والكبرياء ردائى، فمن ينازعنى عذبته** ».رواه مسلم.

(فعلى) المتكبر أن يعرف من هو.. وأن يذكر أنه من التراب وإلى التراب سيعود.. وأنه يضع جبهته على الأرض[1] خضوعًا له تبارك وتعالى.. حــتى لا يتعــالى علــى الناس.. وأن يخشى دائمًا الكبير المتعال.. وإلا خسف الله تعالى به حسيًّا ومعنويًّــا.. والعياذ بالله:

وإليهما ثالثًا المعنى المراد من قول:

الحمد لله كثيراً

الحمد لله: كلمة تدل على ثبوت جميع الكمالات لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين.. (وقيل) معناها: إخبار عن ثبوت كمال الحمد له سبحانه، وتعالى، وهى فى معنى الفعل كأنه قال: أحمد الله رب العــالمين، أى مــالكهم، وســيدهم، ومربيهم، والحافظ لهم، والمتصرف فيهم.. (وكان) وكيع يقول: الحمد لله شــكر لا إله إلا الله..(وفعلاً) هى شكر لله سبحانه وتعالى على كل نعمة من نعمــه الــتى لا تحصى ولا تُعدُّ.. والتى أهمها نعمة الإسلام.. وحفظ الله تعالى لنا ولأهلينا من كــل سوء.. (وقد) قرأت أن رجلًا مرَّ على رجل مريض.. وكان المرض قــد أقعــده.. فسمعه يقول: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلى به كثيرًا من خلقه.. (فذهب) إليه وقال له: ما الذى عافاك الله منه...؟ لقد رأيت جميع المصائب وقد تراكمت عليك !!؟

فقال له: إليك عنى يا بطَّال.. فإنه عافانى إذ أطلق لى لسانًا يوحده، وقلبًا يعرفــه، وفى كل وقت يذكره..

ثم قال:

حمـــــدتُ الله ربى إذ هــــــدانى ... إلى الإســــلام والـــدين الحنيـــف

فيـــذكره لســـانى كـــلَّ وقـــت ... ويعرفـــه فـــؤادى بـــاللطيف

---

(١) إن كان يصلى.. وإلا فإنه لا وزن له عند الله ولا عند المؤمنين..

(وإليهما) رابعًا المعنى المرَاد من قول:

سبحان الله رب العالمين

فإن المعنى هو: أنها كلمة تنزيه تدل على نفى كل نقص وعيب لا يليق بجلاله سبحانه وتعالى وهى من أحب الكلام إلى الله تبارك وتعالى، (وقد) ورد أن من قالها[١] فى يوم مائة مرة غُفرتْ له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، وأنها من غراس الجنة.

وأنها من الباقيات الصالحات، وأنها من الدعاء الذى دعا به سيدنا يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت (فعن) سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **« دعوة ذى النون[٢] إذ دعاه[٣] وهو فى بطن الحوت[٤]:لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين[٥]، فإنه لم يدع بها رجل مسلم[٦] فى شيء قطُّ إلا استجاب الله له »** [٧].رواه الترمذى واللفظ له، والنسائى والحاكم، وقال: صحيح الإسناد. (وأنها) أيضًا من تسبيح الملائكة (..الحافين من حول العرش) الذين (يسبحون بحمد ربهم) أى يصلون حول العرش شكرًا له سبحانه وتعالى..

(وإليهما) خامساً المعنى المراد من قول:

ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم

فإن المعنى هو: أن فيها نهاية التفويض لله عز وجل إذ معناها البراءة من كل حول و قوة، والاعتراف بأنهما من الله عز وجل وحده.. ولهذا كانت كنزًا من كنوز الجنة..

---

(١) بإضافة وبحمده.. أى سبحان الله وبحمده. فى حديث رواه مسلم والترمذى والنسائى.

(٢) يعنى صاحب الحوت.. يونس عليه السلام: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ [القلم: ٤٨].

(٣) أى: دعا الله عز وجل أن يخلصه من محنته وأن يتوب عليه من ذنبه.

(٤) أى: فى جوفه..

(٥) فقد توسل عليه السلام إلى ربه بكلمة التوحيد التى هى أفضل الكلام ثم بتنزيهه وتقديسه عن كل ما لا يليق بذاته من النقائض والعيوب ثم إقراره على نفسه بالظلم وارتكاب المخالفة وهذا أفضل ما يقدمه الداعى بين يدى دعائه..

(٦) أى: يجعلها فى مقدمة دعائه.

(٧) بنص الآية الكريمة التى يقول الله تعالى فيها: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾

(فعن) أبى موسى رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال له: « **قل: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها كنز من كنوز الجنة**» رواه البخارى ومسلم، وأبو داود، والترمذى، والنسائى وابن ماجه. (وأيضًا) لأنها تنفى من قلب العبد الغرور وتملأه من الثقة بالله والاعتماد عليه... ولولا فضل الله عليه وإمداده إياه بماله من حول وقوة يتصرف بهما.. لم يكن للعبد أن يقوم بأى عمل صالح..

(وأما) عن الدعاء الذى زوده الرسول ﷺ به لكى يتقرَّب إلى الله تعالى به.. والذى يجمع له دنياه وأخراه، وهو: «**اللهم اغفر لى، وارحمنى، وارزقنى، وعافنى**».فإن الدعاء هذا- فعلاً- من الأدعية العظيمة التى ينبغى علينا نحن المؤمنين بصفة خاصة أن نكثر من التضرع إلى الله تعالى به.. عسى أن يتقبله الله تعالى منَّا.. (فيغفر لنا) ذنوبنا التى نقر بها ونعترف ونحن نستغفره سبحانه بسيد الاستغفار الذى ورد(عن) شدَّاد بن أوس رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « **سيّدُ الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىَّ، وأبوء**[1] **بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.** (من) **قالها فى النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة** ».رواه البخارى.

(وأما) عن طلب الرحمة من الله تبارك وتعالى.. فإنها لن تكون إلا للرحماء الذين يرحمون الناس.. والحيوان: (فعن) جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** ».رواه البخارى ومسلم والترمذى، ورواه أحمد وزاد: « **ومن لا يغفر لا يغفر له**» وهو فى المسند أيضاً من حديث سعيد بإسناد صحيح.

(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: « **الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم**[2] **من فى السماء** ».رواه أبو داود والترمذى بزيادة وقال: حديث حسن صحيح.

(١) أبوء: أى: أقر وأعترف.

(٢) أى: يرحمكم الله تبارك وتعالى الذى فى السماء قدرته وعظمته ورزقه.

(وعن) معاوية بن قرَّة عن أبيه ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى لأرحم الشاة أن أذبحها، فقال: «**إن رحمتها رحمك الله**»[1]. رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والأصبهانى.

(وأما) عن الرزق الذى يرجو العبد ربه أن يمنحه إياه..(فإنه) لابد وأن يطلب بالسعى والمشى فى مناكب الأرض كما أمر الله تعالى فى قرآنه- كما علمنا قبل هذا ـ (وكما) قال عمر بن الخطاب ﷺ.. (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة).. وهذا الكلام الواضح هو المشار إليه فى قول الرسول ﷺ : « **لو أنكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا وتروح بطانًا** ».رواه الترمذى. وقال: حديث حسن عن عمر ﷺ.. (وهذا) معناه أن الطير كانت تتحرك من أعشاشها خماصًا أى ضامرة البطون من الجوع ثم تعودُ آخر النهار بطاناً: أى ممتلئة البطون.(وقد) ورد فى الحديث القدسي « **يابن آدم أمدد يدك إلى باب من العمل أفتح لك بابًا من الرزق**».. (وقد) ورد كذلك فى الحديث الشريف: « **لو ركب ابن آدم الريح هرباً من رزقه لركب الرزق البرق حتى يدخل فى فمه**».

(وأما) عن العافية.. وهى السلامة التى إن تحققت بالنسبة لنا.. (فإنها) ستكون من أجلِّ النعم التى تتطلَّب منَّا شكراً إيجابياً.. نستطيع به أن نؤكِّد أننا قد عرفنا حق الله تعالى علينا.. (وذلك) لن يكون إلا بمداومة الأعمال الصالحة الخالصة لوجه الله تبارك وتعالى إلى آخر لحظة فى حياتنا.. ونحن نسأل الله تعالى حسن الخاتمة..

اللهم آمين

---

(١) لأنه من لا يرحم لا يُرحم.

الوصية التاسعة والأربعون بعد المائة

• عن أبي سعيد الخُدْرِيّ رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(مَنْ رَأَى مِنْكُم مُنْكَرًا فليُغَيِّرْهُ بيدِه، فَإِنْ لمْ يَسْتَطِعْ فَبِلسَانِه، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِه، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمان)

رواه مسلم وابن ماجه والنسائي، ولفظه:

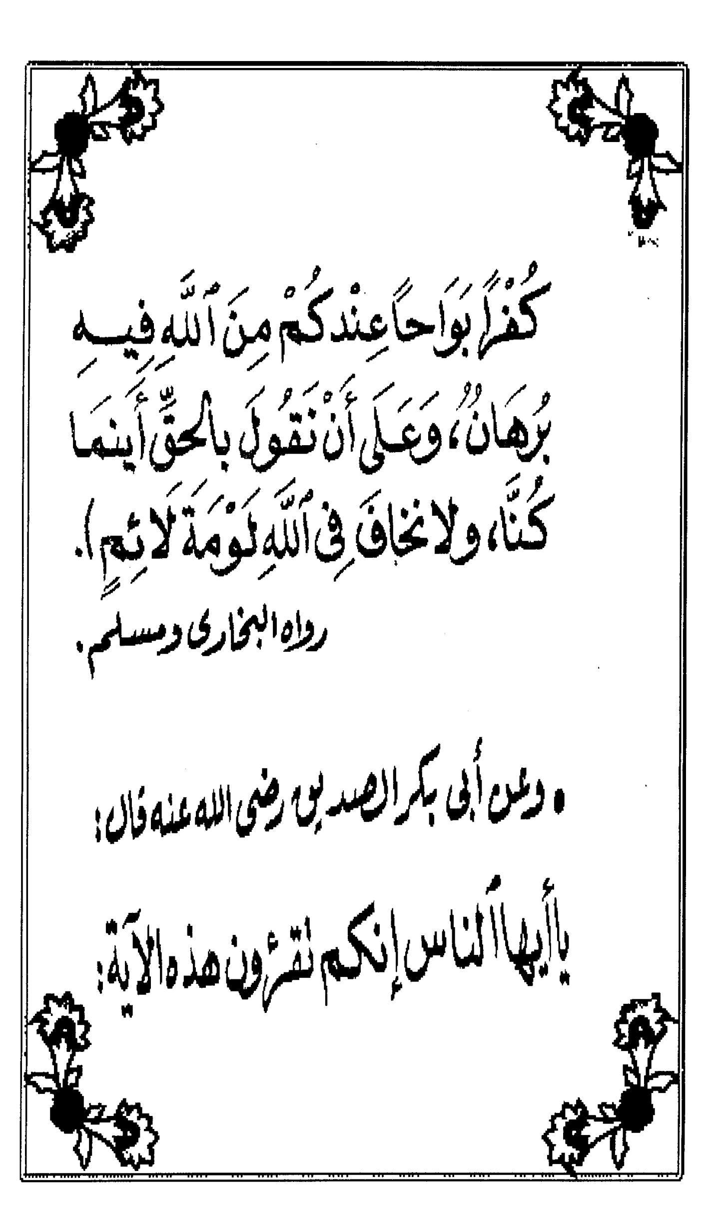
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

• (من رأى مِنْكُم مُنْكَرًا فَغَيَّرَهُ بيده فقدْ بَرِئَ، وَمَنْ لمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُغَيِّرَهُ

فغيّره بلسانه فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيّره بلسانه فغيّره بقلبه فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان)

• وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع، والطاعة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله: إلا أن تروا



كُفْراً بَواحاً عِنْدكُمْ مِنَ اللهِ فيه
بُرهانٌ، وعَلى أَنْ نَقُولَ بالحقِّ أَينَمَا
كُنَّا، ولا نخافَ في اللهِ لَوْمَةَ لائمٍ).

رواه البخاري ومسلم.

• وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال:

يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية:

(يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضُرُّكم مَنْ ضَلَّ إذا اهتديتم)،

وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يَعُمَّهم الله بعقاب من عنده)

رواه أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح، وروى الحاكم وصححه:

(إذا رأيت أُمّتي تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّعَ منهم):

فكن أخا الإسلام

من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر حتى لا تكون من الذين أشار الله تعالى إليهم فى قوله: ﴿**لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرائيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ* كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**﴾ [المائدة: ٧٨ : ٧٩]

(وأعنى) بهذا أن تكون منفذًا للمراد من وصية الرسول ﷺ التى يقول فيها: ((**من رأى منكم منكرًا**)): أى شيئاً قبَّحه الشرع فعلاً أو قولاً ((**فليغيره**)) أى: فليزله وجوباً إن استطاع ... ((**بيده**)): أى إن كان من سلطته أن يفعل هذا لله وفى الله[1] ((**فإن لم يستطع فبلسانه**)) أى: فليغيره بلسانه كإهانة مُرْتكبه وتوبيخه.

((**فإن لم يستطع فبقلبه**)) أى: إن خاف ضرراً فالواجب إنكاره بقلبه بأن يكرهه به ويعزم على تغييره إن قدر.. ((**وذلك أضعف الإيمان**)): وذلك أى إنكاره بالقلب أضعف الإيمان...

(قال) المناوى: أى خصاله، فالمراد به الإسلام: أى آثاره وثمراته..

(وهذا) الحديث رواه مسلم وابن ماجه والنسائى، ولفظه، أن رسول الله ﷺ قال: ((**من رأى منكم منكراً فغيَّره بيده فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره فغيَّره بلسانه فقد برئ، ومن لم يستطع أن يغيره بلسانه فغيره بقلبه فقد برئ، وذلك أضعف الإيمان**)) ، (وهذا) الحديث بروايتيه قد بين فيه النبى ﷺ مراتب النهى عن المنكر والحد الأدنى لهذا الإنكار الذى بفقده يفقد الإيمان ولا يبقى منه فى القلب شىء.. ومعنى: ((**فقد برئ**)) أى: برئت ذمته من عهدة الواجب وسلم من المؤاخذة.. لأنه فعل غاية ما يقدر عليه..

(وعن) عبادة بن الصامت ﷺ قال: (بايعنا رسول الله ﷺ على السمع، والطاعة فى العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله. إلا أن تروا كفراً بواحاً (أى جهارًا) عندكم من الله فيه برهان، وعلى أن نقول بالحق أينما كنَّا،

---

(١) ولأنه سيُسأل عنه يوم القيامة.

ولا نخاف فى الله لومة لائمٍ)؛ أى: لا نرهب فى سبيل الله إنكار منكرٍ، ولا نبالى بسخطٍ أحد فى رضا الله عز وجل. وهذا الحديث رواه: البخارى ومسلم.

(فليكن) هذا هو مفهومنا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. حتى نكون إن شاء الله تعالى من أهله، ولو بالمرتبة الأخيرة التى هى أضعف الإيمان.. وذلك بعد أن نعجز تماماً عن الأولى والثانية.

(مع) ملاحظة: أن التغيير باللسان مستطاع لكثير من الناس، وإن كانوا ينكرون ذلك فراراً من المسئولية، وما دام الإنكار مع الحكمة والموعظة الحسنة فإنه سيكون مُستطاعًا إن شاء الله..

(وأيضًا) مع ملاحظة أن الإنكار بالقلب: البغض والكراهية- بمعنى أن يمر على المنكر وهو كاره لفاعليه.. وهو يقول من أعماق قلبه: اللهم إن هذا عمل باطل فغيِّره- ولابد أن يقيم على هذه الكراهية دليلاً كإهمالٍ لمرتكبه، والبعد عن مخالطته والتعامل معه..

(وإلَّا) كان شريكاً له فى الإثم.. كما قال الإمام علىٌّ كرَّم الله وجهه: (الراضى بفعل قومٍ كالداخل فيه معهم، وعلى كل داخل فيه إثمان: إثم العمل به وإثم الرِّضَى به).

(وقد حدث فى يوم ما أن كنت أركب مترو حلوان [1] الذى توقف- وكان هذا فى وقت الصباح- وهو فى الطريق إلى محطة (باب اللوق) لعطل كهربائى.. فحدث وأنا أقف مع بعض الرُّكاب فى عربة من العربات.. أن سمعت أحد الشباب المستهترين- الذين نسأل الله أن يهديهم- وهو يقول لصاحب له مثله: اقرأ آية الكرسى حتى يتحرك القطار.. فقال له صاحبه هذا بكل سفاهة واستهتار: اقرأ أنتً آية (الترابيزة) إذا أردت أن يتحرك القطار.. فكان القول البذىء هذا كأنه طعنة فى صدرى.. ولا سيَّما عندما سمعت ورأيت بعض السفهاء الواقفين يضحكون مجاملة أو مشاركة لهذا السفيه الذى قال هذا..

فما كان منى وبكل حزم وشجاعة إلا أن اندفعت أدافع عن القرآن الكريم الذى أنزله الله تعالى لكى يكون دستوراً للأمة الإسلامية إلى يوم الدين..

(١) وكان هذا قبل مشروع مترو الأنفاق بحوالى خمس سنوات.

وأنا أقول لهؤلاء السفهاء الذين قالوا وشاركوا فى هذا الجرم الكبير ولو بابتسامة تفيد أنهم راضون عن هذا القول المشين الذى هزَّ كيانى هزًّا عنيفاً:

ألم تجدوا غير القرآن.. حتى تعبثوا وتسيئوا إلى آية من أعظم آياته.. (بل) هى سيدة آى القرآن فعن أبى هريرة ﷺ **أن** رسول الله ﷺ قال: «**لكل شيء سنام، وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هى سيدة آى القرآن**» رواه الترمذى عن حكيم بن جبير، عن أبى صالح، عن أبى هريرة وقال: حديث غريب.

ورواه الحاكم من هذه الطريق أيضاً، ولفظه: «**سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن لا تقرأ فى بيت وفيه شيطان إلا خرج منه: آية الكرسى**» وقال: صحيح الإسناد.

(وأخذت) أذكِّرهم بمثل هذا.. إلى أن قلت لهم:

أتعرفون ما هى آية الكرسى؟ إنها قول الله تعالى: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥].

(فكانت) النتيجة السريعة لهذا الوعظ الحكيم المدَّعم بالأدلة القرآنية والنبوية أن انضم أكثر الركاب إلى صفِّى وكادوا أن يلقوا بالسفيهين من عربة القطار الواقفة..فمنعتهم من هذا وأنا أقول لهم: دعُوهما لله الذى سيتصرف معهما بمعرفته.. ثم قلت لهم جميعاً قولوا: تبنا إلى الله ورجعنا إلى الله، وندمنا على ما فعلنا من الذنوب والمخالفات.. فقالوها جميعاً.. كما قالها السفيهان معهم.. ففرحت بهذا فرحاً عظيماً.. لأننى قد أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة..

(وحدث) أيضاً فى يوم ما — وكان هذا فى مساء يوم من أيام شهر رمضان المبارك- أن ذهبت إلى شبرا المظلات لكى أركب سيارة من هناك إلى (بهتيم) لإلقاء محاضرة هناك بعد صلاة التراويح وكان هذا قبل المغرب بساعة فركبت فعلًا سيارة فيها سبعة أفراد (وفى) الطريق حدث أن أخرج الراكب الذى كان بجوارى علبة

دُخان وأشعل سيجارة وبدأ يشرب فيها بلا مبالاة بمشاعر الركاب الصائمين أو على الأقل احترامًا لهذا الشيخ المعمَّم الذى يركب بجواره فكان لابد- وأن أواجه بنفسى سفاهة هذا الذى تجرد من الحياء الذى هو أهم شعبة من شعب الإيمان..

فما كان منّى وبكل حزم إلا أن مددت يدى وأخذت (السيجارة) من فمـــه ثم ألقيتها من نافذة السيارة..وأنا أقول له اتق الله..(فأراد) أن يعتدى علىَّ..

(فما كان) منى عندما استدار إلىَّ بوجهه لكى يضربنى.. إلا أن صفعته صـــفعة شديدة على وجهه..

(وعندما) حاول أن يتعامل معى بالمثل.. (أوقف) السائق السيارة.. فى منتصف الطريق وأقسم بأنه لن يوصِّله.. وكان هذا نزولاً على رغبة الركَّاب الآخـــرين الذين شكرونى على هذا.. وهم يقسمون أنهم كانوا يريدون أن يسبقونى إلى هذا الفعل..!!!

(وهكذا)كما رأينا نستطيع جميعاً أن نتصرف.. ولكن على شـــريطة أن يكـــون التصرف بالحكمة والموعظة الحسنة.. وبالعلم الذى لابد وأن يكون مستعملاً فى مثل هذه المواقف التى أشرت إليها..

(وقد) يقول بعضنا: ولماذا كل هذا.. وقد قال الله تعالى: **﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** [المائدة: ١٠٥]

(ولهذا) فإننى أذكِّر الأخ الذى يستدل بهذه الآية الكريمة على ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.. بهذا الحديث الشريف الذى أرجو أن يكون فيصلاً فى هذا الموضوع لله وفى الله:

(فعن) أبى بكر الصديق رضي الله عنه قال: (يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾** وإنى سمعـــت رســـول الله ﷺ يقول: ((**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده**))رواه أبو داود، والترمذى وقال: حسن صحيح، وروى الحاكم وصححه: ((**إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودِّع منهم**)).

(ثم) إليه كذلك بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي وردت كذلك تحت عنوان:

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

ففى القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤]، ويقول: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ [١] يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١]﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طـه:١٣٢].

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ [٢]وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥] ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال:٢٥].

وقد ورد فى السنة المطهرة

(عن) النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «**مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا[٣] على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على من فوقهم فقالوا: لو أنَّا خرقنا فى نصيبنا خرقًا ولم نؤذ مَنْ فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخذوا [٤] على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**»رواه البخارى والترمذى.

(وعن) ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلَّا كان له من أمته حواريون[٥] وأصحاب يأخذون بسنَّته ويقتدون بأمره، ثم**

---

(١) أى: نصراء بعض.

(٢) إشارة لأداب الدعوة.

(٣) أى: اقترعوا.

(٤) من أخذت على يديه منعته عمَّا يريد فعله كأنك أمسكت بيده.

(٥) الحواريون جمع حوارى وهو الناصر المعين.

إنها تخلُف من بعدهم خُلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمـــن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبـــه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم.

(وعن) تميم الدارى ﷺ عن النبى ﷺ قال: « **الدِّين النصيحة**» قاله ثلاثًا، قـــال: قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: «**لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**»رواه البخارى ومسلم واللفظ له.

(فليكن) كل هذا التذكير- الذى يعتبر كذلك بالنسبة لك أمرًا بالمعروف ونهياً عن المنكر- نُصب عينيك.. حتى تكون أنت كذلك من الآمرين بالمعروف والناهين عـــن المنكر.. ولا سيَّما إذا كنت عالماً.. وإلَّا كنت والعياذ بالله من الـــذين يقولـــون مـــا لا يفعلون.. وكن حكيمًا فى وعظك وإرشادك حتى تحقق الهدف الأسمى من هذا الـــوعظ والإرشاد.. (وليكن) وعظك وإرشادك من القلب حتى يصل إلى قلوب سامعيك.. لأنه كما يقولون: إذا خرج الكلام من القلب وصل إلى القلب.. أما إذا خرج من اللسان لا يتجاوز الآذان..(وكن) شجاعاً فى أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر.. وأنت تـــذكُر قول سيدنا لقمان الحكيم لولده: ﴿**يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْـهَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [لقمان:١٧].

(بل) وأنت تذكر قول رسول الله ﷺ : « **قل الحق وإن كان مُرًا.. لا تخف فى الله لومة لائم** ».. (وتذكر) كذلك دائمًا وأبدًا أن الجبن لـــن ينجيـــك مـــن المهالك..

(فلقد) ورد أن خالد بن الوليد ﷺ الذى رُوِىَ أنه لم يكن هنـــاك فى جســـده موضع بدون طعنة رمح أو سيف لم يمت فى ميدان القتال وإنما مات على فراشه وهو يقول: (وهاأنذا الآن أموت على فراشى كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبنـــاء). نعم لا نامت أعين الجبناء الذين يداهنون وينافقون على حساب الـــدين.. (ونحـــن) نسأل الله تعالى أن لا يجعلنا منهم.. ولا على شاكلتهم..

اللهم آمين

الوصية الخمسون بعد المائة

• عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إذا حضرتم المريض أو الميت فقولوا خيرًا، فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون) قالت: فلما مات أبو سلمة أتيت النبيّ صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله إنّ أبا سلمة قد مات. قال: (قولي: اللّهمّ اغفر لي وله، وأعقبني منه عقبى حسنةً)

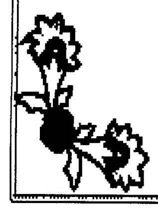
قَالَتْ : فَقُلْتُ ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم)

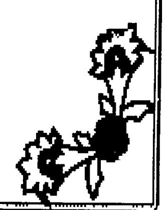
رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي

• وعنها قالت : دَخَلَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم على أبي سَلَمَةَ ، وقد شَقَّ بَصَرُهُ فأغمضَهُ ثُمَّ قَالَ : (إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ) فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ : (لَا تَدْعُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ ،

فَإِنَّ ٱلْمَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا
تَقُولُونَ) ثُمَّ قَالَ: (ٱللَّهُمَّ ٱغْفِرْ لِأَبِي
سَلَمَةَ وَٱرْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي ٱلْمَهْدِيِّينَ
وَٱخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي ٱلْغَابِرِينَ، وَٱغْفِرْ
لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱفْسَحْ لَهُ
فِي قَبْرِهِ وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ)

رواه مسلم





فكن أخا الإسلام

منتفعًا بهذه الوصية التى تتعلق بزيارة المريض وما ينبغى أن ننفذه معه عند احتضاره.. ثم ما ينبغى أن نقوله بعد موته من الدعاء له.. إلى أن نقوم بتجهيزه للدفن.. ونشيِّع جنازته إلى أن نوارى جسده فى التراب، أو نغلق القبر عليه.. وما هو مطلوب منا بعد هذا..

(إنَّ) كلَّ هذا سأدور معك حوله- وبإيجاز- حتى تكون ملتزماً بالوارد فيه.. وحتى لا تكون من المبتدعين الذين يفعلون مع الميت ما ليس مشروعاً.

وحتى لا أطيل عليك فإليك:

فضل المريض

(فقد) جاء فى (الدين الخالص) ج٧ص٣ وما بعدها: أن المرض نعمة من الله تعالى على عباده الصالحين...

(فعن) أنس بن مالك رضي الله عنه: أن امرأة أتت النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله ابنة لى كذا وكذا ذكرتُ من حسنها وجمالها، أتربك[1] بها، قال: **((قد قبلتُها))**، فلم تزل تمدحها حتى ذكرت أنها لم تصدع و لم تشتك شيئاً قط(قال): **((لا حاجة فى ابنتك))** أخرجه أحمد وأبو يعلى بسند رجاله ثقات.

(وعن) أبى سعيد وأبى هريرة- رضى الله عنهما- أن النبى ﷺ قال: **((ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذى ولا غمٍّ حتى الشوكة يشاكُها إلَّا كفَّر الله بها من خَطاياه))**.أخرجه أحمد والشيخان.

(ففى) هذين الحديثين بشارة عظيمة للمؤمن لأنه لا ينفكُّ غالبًا عن ألمٍ من مرضٍ أو نحوه.. وفيهما أن الأمراض والآلام بدنية أو قلبية تكِّفر ذنوب من يصاب بها. وظاهرهما تعميم جميع الذنوب لكن خصَّه الجمهور بالصغائر (لحديث) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: **((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفاراتٌ لما بينهن[2] ما اجتنبت الكبائر))** أخرجه أحمد ومسلم والترمذى.

---

(١) أتربك بها: أى أغنيك بها.يقال أترب الرجل إذا استغنى.

(٢) أى: من الصغائر.

(وأما) عن:

فضل الله تعالى على المريض

(أنه) إذا مرض أو منعه مانع من طاعة كان يؤدِّيها وهو صحيح مقيم: أن يعطيه الله تعالى أجر ما كان يعمله من الخير ومنعه منه مرض أو غيره.

(فعن) أبي بُريده عن أبي موسى الأشعرى قال: سمعت النبى ﷺ غير مرَّة ولا مرتين يقول: « **إذا كان العبد يعمل عملاً صالحاً فشغله عنه مرض أو سفر كُتِبَ له كصالح ما كان يعمل وهو صحيح مقيم**» أخرجه أبو داود والبيهقى وكذا البخارى بلفظ: « **إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا**»

(وقد) ورد فى:

فضل الصبر على المرض وغيره

(عن)ثابت عن أنس قال: (أتى النبى ﷺ على امرأة تبكى على صبى لها، فقال لها: «**اتقى الله واصبرى**» فقالت: وما تبالى أنت بمصيبتى؟ فقيل لها هذا النبى ﷺ فأتته فلم تجد على بابه بوَّابين، فقالت: يا رسول الله لم أعرفك.فقال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**». أخرجه الخمسة وأبو نعيم والطبرانى والبيهقى.

أى: لا يكون الصبر الكامل المترتب عليه الثواب العظيم والأجر الجزيل إلَّا عند أول نزول المصيبة بخلاف ما كان بعد ذلك فإنه بمرور الأيام يسلو...

(وأما) عن:

عيادة المريض

(فهى) حق من حقوق المسلم على المسلم (لحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**حق المسلم على المسلم ست**»: قيل: ما هنَّ يا رسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلم عليه وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمِّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**» أخرجه أحمد والشيخان.

(وعيادة المريض): سنَّة مؤكَّدة عند الجمهور (لقول) ابن عباس رضى الله عنهما: (عيادة المريض أول يوم سنةٌ وبعد ذلك تطوُّع) أخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه النضر أبو عمر وحديثه حسن.

(ويلحق) بعيادة المريض تعهده وتفقد أحواله والتلطف به، وربما كان ذلك سببًا لنشاطه وانتعاش قوته..

(وقد) ورد فى:

فضل العيادة

(عن) ثوبان أن النبى ﷺ قال: **«من عاد مريضاً لم يزل فى خرفة الجنة حتى يرجع»** قيل يا رسول الله وما خرفة الجنة ؟ قال: **«جناها»**. أخرجه أحمد ومسلم والترمذى والبيهقى.

(وعن) ثابت البنانى عن أنس أن النبى ﷺ قال: **« من توضأ فأحسن الوضوء وعاد أخاه المسلم مُحتسبًا بوُعِدَ من جهنم مسيرة سبعين خريفاً »** فقلت: يا أبا حمزة ما الخريف؟ قال: العام رواه أبو داود.

(وأما) عن أهم:

آداب العيادة

(فهى) كما جاء أيضًا فى (الدين الخالص)، أنه:

يُستَحبُّ لعائد المريض أن يدعو له بالشفاء ويأمره بالصبر.

(فعن) عائشة بنت سعد بن أبى وقاص أن أباها قال: (اشتكيت بمكة فجاءنى النبى ﷺ يعودنى ووضع يده على جبهتى ثم مسح صدرى وبطنى ثم قال: **«اللهم اشف سعدًا وأتمم له هجرته»** أخرجه أبو داود والبيهقى وكذا البخارى مطولا.

(وعن) ابن عباس أن النبى ﷺ قال: **« من عاد مريضاً لم يحضر أجله، فقال: عنده سبع مرار: أسأل الله العظيم ربَّ العرش العظيم أن يشفيك؛ إلا عافاه الله من ذلك المرض»**أخرجه الثلاثة وابن حبان.

(ويستحب) أن يقول الزائر للمريض: لا بأس عليك، طَهُور إن شاء الله.

(فعن) ابن عباس أن رسول الله ﷺ دخل على رجل يعوده فقال: **« لا بأس طَهُور إن شاء الله»** فقال كلاًّ بل هى حمَّى تفور على شيخٍ كبير حتى تزيره القبور، فقال النبى ﷺ : **«فنعم إذًا»** أخرجه البخارى.

(ويستحب) للزائر أن يضع يده على مكان المرض ويسمى الله تعالى ويدعو للمريض لما تقدم ولقول عائشة: (كان رسول الله ﷺ إذا عاد مريضًا يضع يده على المكان الذى يألم ثم يقول: **«باسم الله»** أخرجه أبو يعلى بسند حسن.

(ويُستَحب) للزائر أن يطيِّب نفس المريض بإطماعه فى الحياة وقرب الشفاء:

(فعن) أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال: « **إذا دخلتم على المريض فنفِّسوا له فى الأجل فإن ذلك لا يرد شيئًا وهو يطيِّب بنفس المريض**».أخرجه ابن ماجه والترمذى بسند فيه لين.

(ويستحب) لعائد المريض أن يطلب منه الدعاء فإن دعاءه مستجاب:

(فعن) أنس أن النبى ﷺ قال: « **عودوا المرضى ومروهم فليدعوا لكم فإن دعوة المريض مستجابة وذنبه مغفور**» أخرجه الطبرانى فى الأوسط وفيه عبد الرحمن بن قيس الغبِّى وهو متروك الحديث.

(ويستحب) تخفيف العيادة وعدم تكريرها فى اليوم إلا إن رغب المريض فى ذلك فإن رغب فى التطويل أو تكرير العيادة من صديق ونحوه ولا مشقة فى ذلك فلا بأس به (ويؤيده) حديث عروة عن عائشة قالت: (لما أصيب سعد بن معاذ يوم الخندق رماه رجل فى الأكحل[1] فضرب عليه النبى ﷺ خيمةً فى المسجد ليعوده من قريب) أخرجه أبو داود ومسلم وكذا البخارى مطوَّلاً.

(ووجه) الدلالة: أن النبى ﷺ ضرب عليه الخيمة فى المسجد لتسهل عليه عيادته كثيراً.

(ويستحب) لمريد العيادة الوضوء (لحديث) أنس السابق فى فضل العيادة.

(ويستحب) للعائد الذى يُتبرَّك به أن يتوضأ ويصب عليه وضوءه [2] (لقول) جابر: (مرضْتُ مرضًا فأتانى النبى ﷺ يعودنى وأبو بكر وهما ماشيان فوجدانى أغمى علىَّ فتوضأ النبى ﷺ ثم صبَّ وضوءه علىَّ فأفقت فإذا النبى ﷺ فقلت: يا رسول الله كيف أصنع فى مالي؟ كيف أقضى فى مالى ؟ فلم يجبنى بشيء حتى نزلت آية الميراث) أخرجه البخارى.

(ويستحب) للعائد أن لا يتناول عند المريض طعامًا ولا شرابًا فإنه مكروه مضيِّع لثواب العيادة (لحديث) أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: « **إذا عاد أحدكم مريضًا فلا**

---

(١) الأكحل: بفتح فسكون ففتح عرق فى الذراع إذا قطع لا يرفأدمه حتى يموت صاحبه.

(٢) الوضوء بفتح الواو: الماء الذى يتوضَّأ به.

يأكل عنده شيئًا فإنه حظّه من عيادته» أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس. وفيه موسى ابن وردان ضعفه ابن معين والذهبى.

(وفى) معنى الأكل ما اعتيد من إتحاف الزائر بشرب القهوة أو الشراب أو اللبن أو نحو ذلك. فينبغى تجنبه للعائد إلا الأصل- كالوالد مثلًا-فى عيادة فرعه فلا يمنع ذلك (لحديث) سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال: « **أنت ومالك لأبيك»** أخرجه الطبرانى والبزار وفيه عبد الله بن إسماعيل الحورانى قال أبو حاتم لَيِّن وبقية رجاله ثقات.

(وأما) ما هو مطلوب منا بعد ذلك عندما تحين لحظة احتضار المريض- فقد ورد بالإضافة إلى نص الوصية التى ندور حولها- (عن) أم سلمة رضى الله عنها أنها قالت:

(دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة، وقد شقَّ بصره فأغمضه ثم قال: « **إن الروح إذا قُبض تبعه البصر»** فضجَّ ناس من أهله، فقال: « **لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير، فإن الملائكة يؤمِّنون على ما تقولون»** ثم قال: « **اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهدِّيين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين، واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين، وافسح له فى قبره ونوِّر له فيه»** [1] رواه مسلم.

(مع) ملاحظة أنه:

يسن عند الاحتضار

(تلقين) المحتضر- الذى فى سياق الموت من المسلمين- (لا إله إلا الله) لما رواه مسلم وأبو داود والترمذى (عن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«لقِّنوا موتاكم: لا إله إلا الله »** أما غير المسلمين فإنه يعرض الإسلام عليهم فقط.

(وروى) أبو داود، وصححه الحاكم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»**.

(والتلقين) إنما يكون فى حالة ما إذا كان لا ينطق بلفظ الشهادة فإن كان ينطق بها فلا معنى لتلقينه.

(ويسنُّ) توجيهه إلى القبلة مضجعًا على شقِّه الأيمن (لما رواه) البيهقى والحاكم وصححه (عن) أبى قتادة: أن النبى ﷺ لما قدم المدينة، سأل عن البراء بن معرور؟

(١) كما جاء فى (فقه السنة) ج٤ بإيجاز وتصرف. وإضافات.

فقالوا: توفّى، وأوصى بثلث ماله لك، وأن يُوجَّه للقبلة لما احتضر. فقال: النبى ﷺ : «**أصاب الفطرة، وقد رددت ثلث ماله على ولده**» ثم ذهب فصلى عليه وقال: «**اللهم اغفر له وارحمه، وأدخله جنتك، وقد فعلت**» قال الحاكم: ولا أعلم فى توجيه المحتضر إلى القبلة غيره.

(ويُسن) تغميض عينيه إذا مات.. وتسجيته –أى تغطيته– صيانة عن الانكشاف وسترًا لصورته المتغيِّرة عن الأعين.. والمبادرة بتجهيزه للدفن متى تحقق موته.. (كما) يُسنُّ قضاء دينه..(وقد) كان النبى ﷺ ، يمتنع عن الصلاة على المديون، فلما فتح الله عليه البلاد، وكثرت الأموال صلى على من مات مديونًا وقضى عنه، وقال فى حديث البخارى: «**أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن مات وعليه دين، ولم يترك وفاءً، فعلينا قضاؤه، ومن ترك مالاً فلورثته**».

(ويُستحب) أن يسترجع المؤمن عند موت أحد أقاربه، بقوله: ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٥٦]، وأن يدعو له بالرحمة والمغفرة كما ورد فى سنة الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه.

(مع ملاحظة) ما رواه البزار بسند رواته ثقات أن رسول الله ﷺ قال: «**صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة: مزمار عند نعمة، ورنَّة عند مصيبة**»، وفى الصحيحين عن أبى موسى أنه قال:(أنا برىء ممن برىء منه رسول الله ﷺ برىء من الصالقة، والحالقة، والشاقة)، والصالقة: التى ترفع صوتها بالندب والنياحة، والحالقة: أى التى تحلق رأسها عند المصيبة، والشاقة: أى التى تشق جيبها عند المصيبة..

(وأيضًا) مع ملاحظة: أنه قد أجمع العلماء، على أنه يجوز البكاء على الميت، إذا خلا من الصراخ والنوح، ففى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال:« **إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا أو يرحم، وأشار إلى لسانه.(وبكى ﷺ) لموت ابنه إبراهيم وقال: « إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يُرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»، (وبكى) لموت أميمة بنت ابنته زينب، فقال له سعد بن عبادة: يا رسول الله أتبكى؟ أو لم تنه زينب؛ فقال: « **إنما هى رحمة جعلها الله فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**».

(وروى) الطبراني عن عبد الله بن زيد قال: رخص في البكاء من غير نوح..(فـإن) كان البكاء بصوت ونياحة، كان ذلك من أسباب ألم الميت وتعذيبه. (فعن) ابن عمـر قال: لما طُعن عمر أُغمى عليه، فصيح عليه، فلما أفاق قال: أما علمتم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الميِّت ليعذَّب ببكاء الحى**».رواه البخارى ومسلم.. (اللهمَّ) إذا تبرأ الميت من هذا النواح أو كل فعل يخالف الشرع قبل وفاته.. فإنه لا يُعذَّب..

(ولهذا) فإنه ينبغى على الأخ المسلم أن ينبه على أهله بأن لا يفعلوا بعد وفاته مـا نهى عنه رسول الله ﷺ من لطم للخدود وشقِّ للجيـوب.. وأن يقولـوا كلامـاً جاهلياً.. مثل: يا جملى، أو يا غزالى.. أو ما شابه هذا.. وأن يعلن براءته منـهم إن فعلوا تلك المخالفات.. (بل) عليه أن يكتب وصية بهذا المضمون ثم يُشهد عليها بعض إخوانه المؤمنين.. وهو يسأل الله تعالى لنا وله حسن الخاتمة.. اللهم آمين.

(وقد) ورد فى الحديث الشريف الذى رواه مالك والبخارى ومسلم وأبـو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه: (عن) ابن عمر رضى الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال: « **ما حق امرئ مسلم**[1] **له شيء يوصى فيه**[2] **يبيت فيه ليلتين** » وفى روايـة: «**ثلاث ليال إلا ووصيته مكتوبة عنده**».

قال نافع[3]: سمعت عبد الله بن عمر يقول: ما مرَّت علىَّ ليلة منذ سمعـت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي مكتوبة).

(ولهذا) فقد رأيت أن أضع بين يدى الأخ المسلم نصَّ وصية شرعية عظيمة كتبها أحد الصالحين فى ختام كتابه: (عظة الموت)، وفيها يقول تحت عنوان:

الوصية الشرعية[4]

بسم الله الرحمن الرحيم: والصلاة والسلام على النبى محمد صلوات الله وسـلامه عليه.. (أما بعد): فهذا ما أوصى به ....

---

(١) يعنى لا يحق ولا ينبغى.

(٢) أى: يريد أن يوصى فيه، وشيء يشمل الوصية بالمال وغيره.

(٣) وهو ابن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

(٤) وقد راجعتها وأضفت إليها بعض الملاحظات والتنبيهات المتصلة بموضوعها.. وهى للأخ الفاضل الحاج شبل محمد سعودى أكرمه الله تعالى.

بعد أن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور (ثم) إنه يوصى من ترك من أهله بأن يتقوا الله ويصلحوا ذات بينهم، ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصيهم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب، وهو: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢].

(وقد) أوصيتهم كذلك أنا:....................

بما أوصى به الرسول ﷺ أمته، وهو: «**الصلاة.الصلاة، وما ملكت أيمانكم**»: وأرجو الله العمل على ما فيه راحتى ورحمتى ورضا ربى عنِّى، أن يوفّقهم، لأن ينفذوا وصيتى الآتية:

١-أن يحضرنى حين الاحتضار بعض الصالحين، وأخصُّ:...، ....

..................................، ....

ليذكرونى بحسن الظنِّ بربى، ورجاء رحمته، ومغفرته.

٢- أن يلقنوني كلمة التوحيد بين آونة وأُخرى.

٣- وإذا فاضت روحى أن يغضوا بصرى(١)، ويدعوا لى بخير.

٤-أن يلقّنوا أهلى ما ورد من آيات وأحاديث فى فضيلة الصبر حتى يصبروا وحتى يعّوضهم الله خيراً منى، وأن يؤجرهم فى مصيبتى، ويخلف لهم خيراً منى.

٥- أن يجردونى من ثيابى التى مت فيها ويغطونى بثوب آخر.

٦- الإسراع بقضاء ما علىَّ من دين يدفع من تركتى(٢)، وهو:..................، ....، ....

ويقوم بهذا:..

٧- أن يقتصروا فى إعلام وفاتى على الأهل والأصحاب وأهل الصلاح، ولا ينعونى للمفاخرة والتظاهر.. لأن النبى ﷺ نهى عن النعى(٣).

---

(١) أى: يغمضوا عينيه.

(٢) مع ملاحظة أن مؤخر الصداق دين للزوجة يسدَّد كذلك لها من جملة الديون قبل توزيع التركة..

(٣) كما جاء فى حديث رواه الترمذى وقال حديث حسن (الترغيب والترهيب) ج٤ص٦٦٧.

٨-وأن يتخذوا من أهلى أقربهم إلىَّ، وأكثرهم ورعًا.. لكى يسترونى، ويضعونى فى قبرى[1] وأرجو أن يتولّى الغسل:
....
فإن لم يكن فـ:..
ومراقبة الكفن:..
ومراقبة الجنازة:..
وأن يتولّى الصلاة علىَّ:...
وأن يتولّى دفنى:...
٩- أن يعجَّل بتجهيزي ودفنى إلَّا لعذر وضرورة، كانتظار من يرجى منهم الخير للصلاة علىَّ والدعاء لى، وأخصُّ بالذكر:...
....
١٠- أن يمنع رفع الصوت بالنياحة والندب ولطم الخدود، وشق الجيوب، والدعاء بدعوى الجاهلية.

١١- أن أكفَّن فى ثلاثة أثواب بيض إن استطاعوا.

١٢- أن لا يتغالوا فى كفنى ولا يسرفوا فيه مهما كانت ثروتى[2].

١٣- أن يحذروا كلَّ الحذر أن يكون الكفن من الحرير لأن هذا لا يحل للرجال.. وكره كثير من أهل العلم للمرأة أن تكفن فى الحرير[3].

١٤-أن يمنع خروج النساء إلى المقابر مطلقاً سواء خلف الجنازة أو الأعياد أو المواسم أو الجمع، وغير ذلك.. ويمنع بياتهنَّ فيها لأن خروجهن سيترتب عليه فتنة غالبًا.. فما بالك ببياتهن؟؟؟

---

(١) السنة التى جرى عليها أهل العلم أن يجعل الميت فى قبره على جنبه الأيمن ووجهه تجاه القبلة ويقول واضعه: بسم الله وعلى صلة رسول الله، أو على سنة رسول الله، ويحل أربطة الكفن.

(٢) وتكفن المرأة فى خمس لفائف.

(٣) لما فيه من السرف وإضاعة المال والمغالاة المنهى عنها. وفرقوا بين كونه زينة لها فى حياتها وكونه كفنًا لها بعد موتها.. (فقه السنة) ج٤ص٨٣.

١٥- أن يكثروا من المصلّين عليَّ، مع رجائى منهم إخلاص الدعاء لى.

١٦- أن يكثروا من الصلاة عليَّ من الرجال والنساء والصِّبيان، إن أمكن ذلك[١] (فمن الحديث: «**ما من ميِّت يصلِّى عليه أمته من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له[٢] إلّا شُفِّعوا**» [٣] رواه أحمد ومسلمٌ والترمذى.

١٧- أن يكونوا حال السير مع الجنازة مفكرين فى الموت وفيما بعده مكثرين للدعاء لى — فى السر[٤] - فإن الله يحب الصمت عند تشييع الجنازة، كما أخبر الرسول ﷺ .

١٨-أن يمنع نحو الطبول والرايات والمجامر والبخور..

١٩- أن يمنع الذبح تحت النعش، وعند القبر لأنه من عمل الجاهلية. (فقه السنة) ج٤ ص١٤٥.

٢٠- أن يؤمر بالإسراع بالجنازة[٥] (لكن) بحيث لا ينتهى إلى شدة يخاف معها حدوث مفسدة الميت أو مشقة على الحامل أو المشيع.. كما قال فى الفتح[٦] .

٢١- أن يمنع جلوس المشِّيعين، حتى توضع الجنازة على الأرض.

(فقد) روى البخارى «**من تبع جنازة فلا يقعد حتى توضع عن مناكب الرجال، فإن قعد أمر بالقيام**». وهذا مذهب أكثر الصحابة والتابعين والأحناف والحنابلة والأوزاعى وإسحاق.. (وعند) الشافعية: لأن هذا قبل وضعها على الأرض [٧].

٢٢- أن يقول من يتولى دفنى- داخل القبر-: بسم الله وعلى مِلَّة رسول الله ﷺ؛ أو على سنة رسول الله ﷺ .. ثم يحل أربطة الكفن.

(١) والأفضل أن يصلُّوا عليه جميعًا صلاة جنازة واحدة.. وذلك بأن يصف الرجال، ثم الصبيان، ثم الخناثى، ثم النساء.. كما يحدث تماماً فى صلاة الجماعة.

(٢) أى: يخلصوا له الدعاء.

(٣) أى: قبلت شفاعتهم.

(٤) لأنه يكره رفع صوت بذكر أو قراءة أو غير ذلك اثناء تشييع الجنازة..(فقه السنة). ج٤ص١١٧.

(٥) قال القرطبى: مقصود الحديث أن لا يتباطأ بالميت عن الدفن، لأن التباطؤ ربَّما أدَّى إلى التباهى والاختيال.

(٦) (فقه السنة) ج٤ ص١١٥.

(٧) واتفقوا على أن من تقدم الجنازة فلا بأس أن يجلس قبل أن ننتهى إليه.

٢٣- أن لا يحثوا الحناء فى القبر أو يضعوا – مرتبة- أو وسادة ونحو ذلك تحت الميت فى القبر.

٢٤- أن يكون قبرى كقبور أصحاب رسول الله ﷺ ، وذلك بأن لا يرفع عن الأرض أكثر من شبر. (ليعرف أنه قبر، ويحرم رفعة زيادة على ذلك.. كما ورد فى السنة الصحيحة (فقه السنة) ج٤ ص١٣٦.

٢٥- أن يمنع البناء على قبرى، وألَّا يُكتب عليه شىء، أو يغرس عليه أى نوع من الشجر. لأن هذا منهى عنهُ (فقه السنة) ج٤ ص١٤٨).

٢٦- أن يمنع من الجلوس أو الوقوف على القبر.

٢٧- وبعد الفراغ من الدفن يقف المشيعون على قبرى ويطلبون لى من الله المغفرة والتثبيت.

٢٨- أن يمنع ما يقع من اجتماع الصفوف عند القبر كأولياء أو أبناء للميت لكى يمر الناس عليهم لمصافحتهم على سبيل التعزية، فإن ذلك من البدع، ويكتفى بالتعزية الأولى عند اللقاء الأول لأهل الميت.

٢٩- أن يمنع ما جرت به العادة من الإتيان بمن يقرأ القرآن أيام المأتم، وفى كل ليلة جمعة، وفى ليلة الأربعين، وبعد مُضىٍّ سنة من الوفاة.. لأن هذا من البدع المنكرة.. التى ينفق عليها من أموال اليتامى.. (وأيضًا) لأن مدة العزاء ثلاثة أيام.. اللهمَّ إذا كان (فلان) مسافرًا فجاء بعد هذا.. ولو بعد سنة.. فأخبر بأن فلاناً قد مات.. فإنه لا مانع أن يذهب إلى بيته لكى يعزى أهله..

٣٠- وأيضا مع ملاحظة أن التعزية المشروعة، هى: (أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك) (فقه السنة) ج٤ ص١٦٥. ولا تقل: البقية فى حياتك.. لأن الميت لم يمت وهناك بقية من حياته.. حتى تطلُب إضافتها إلى عمر الذى تُعزِّيه...

(والأفضل) أن تكون التعزية لمن فاته تشييع الجنازة فى ذلك: المترل، أو المسجد، أو المصنع وجميع الأمكنة.. أى تكون التعزية عَرَضًا، ولا يتهيأ لها المصابون من أهل الميت، ولا يحتشدون لها فى مكان.

٣١- أن لا يستأجروا جماعة لعمل عتاقة، أو سبحة، أو إسقاط صلاة.. أو غير ذلك.. لأن هذا من البدع.

٣٢-أن يمنع أهل الميت من صُنع طعام يجمعون عليه الناس..خصوصًا النائحات المجتمعات على منكر سوى ما ذكر.

٣٣- أن لا يقرأ القرآن على القبر- وخصوصًا بتلك الصورة المزرية- التي تسيء إلى القرآن وأهله...

٣٤- هذا وقد أوصيت بمبلغ قدره:..

والأشياء:.. من مالي يصرف على الفقراء من ذوي القربى واليتامى.

والمساكين خصوصاً العاملين بالسنة المطهَّرة كما أوصى بالآتي:...................................من مالي يكون تحت تصرف..

.........ينفق على الوعظ والإرشاد وإقامته الشعائر الإسلامية، وجعلت النظر في ذلك ....الكتب الآتية أهبها لطلب العلم...

وإني أبرأ إلى الله تعالى من كل فعل أو قول يخالف هدى الرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه – فهذه وصيتي بلّغتها: ﴿**فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:١٨١]

أسال الله لي وللمسلمين التوفيق وخاتمة السعادة والموت على الشهادة.

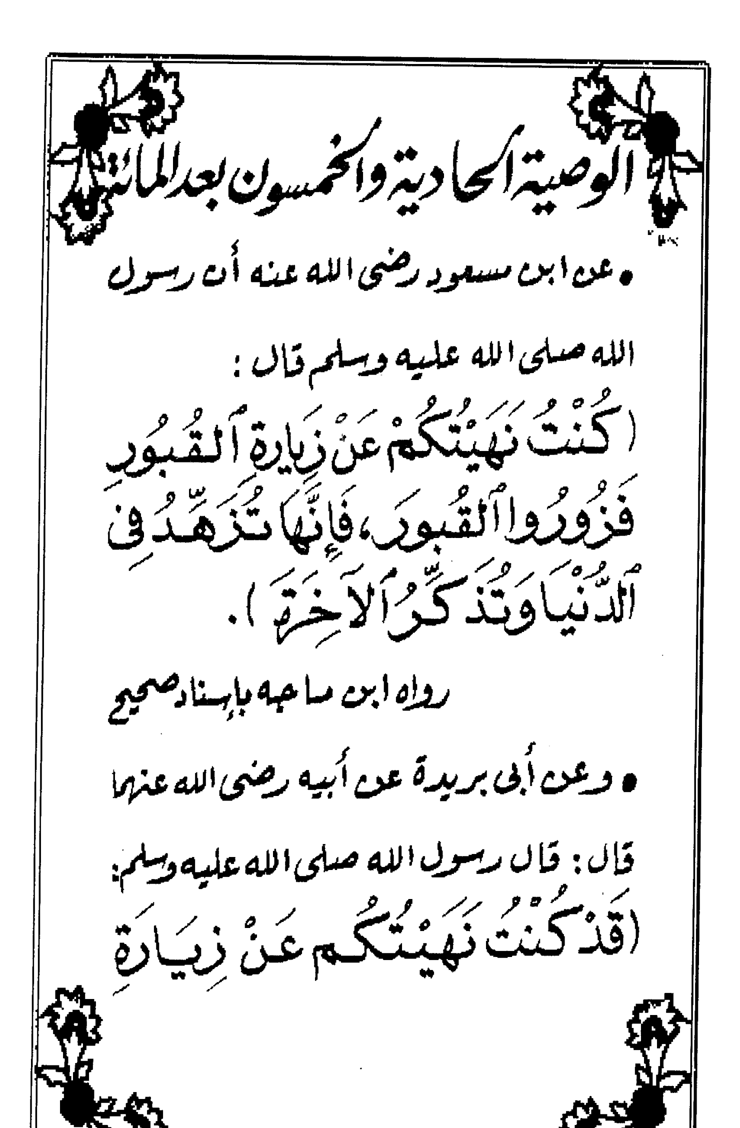
وسبحان ربك رب العزّة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

التاريخ..........................سنة ١٤٠٠هـ.

الموصى الشاهدان

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بكل هذا التذكير الهام، وأن يجعله حجة لنا لا علينا.. حتى نلقاه على كلمة التوحيد

اللهم آمين



الوصية الحادية والخمسون بعد المائة

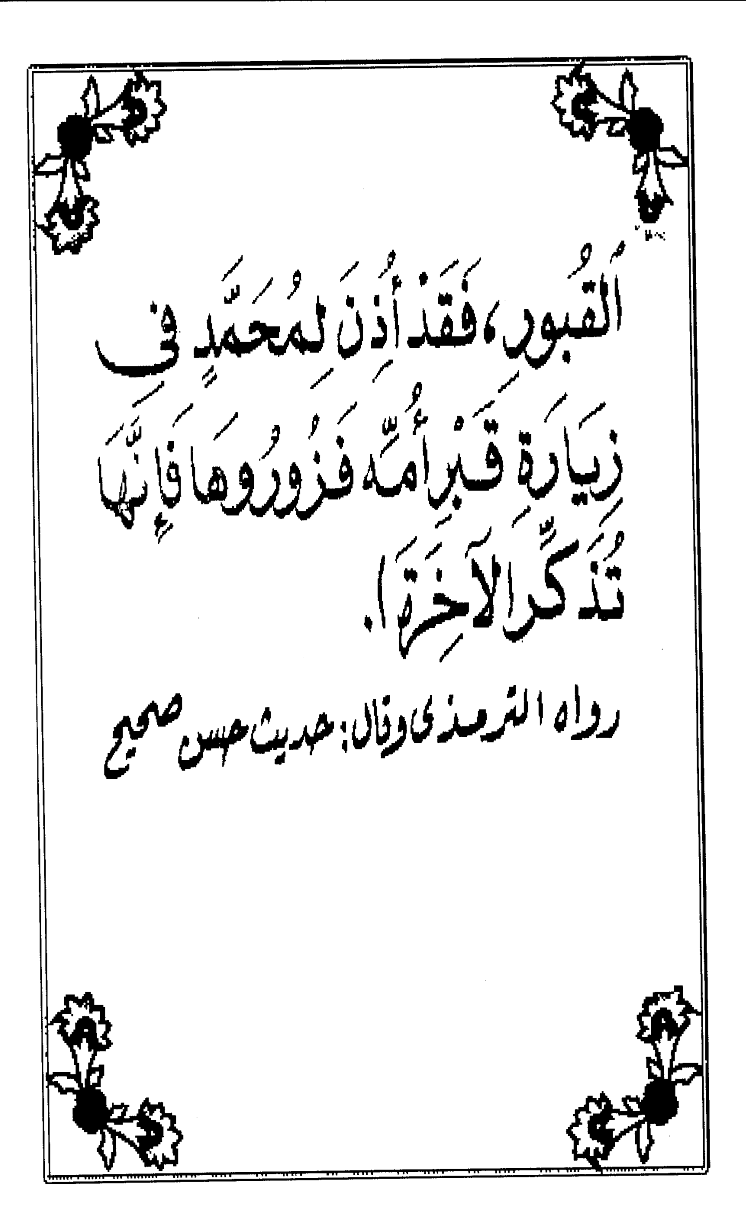
• عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ ٱلْقُبُورِ فَزُورُوا ٱلْقُبُورَ، فَإِنَّهَا تُزَهِّدُ فِي ٱلدُّنْيَا وَتُذَكِّرُ ٱلآخِرَةَ).

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح

• وعن أبي بريدة عن أبيه رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(قَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ


الْقُبُورِ، فَقَدْ أُذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي
زِيَارَةِ قَبْرِ أُمِّهِ فَزُورُوهَا فَإِنَّهَا
تُذَكِّرُ الآخِرَةَ).
رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية.. بعد أن تقف على الحكمة فى نهى الرسول ﷺ عن زيارة القبور فى أول مراحل الدعوة الإسلامية .. (فقد) جاء فى (الدين الخالص) ج٨ ص٦٢، وما بعدها.. (أن) النبى ﷺ كان قد نهاهم عن زيارة القبور –كما جاء فى نص الوصية–: أولاً لقرب عهدهم بالجاهلية فربما تكلَّموا بما اعُتيدَ حينئذ من فحش القول. فلمَّا انتشر الإسلام، واطمأنوا به، وعُرِفَت أحكامه، واشتهرت تعاليمه.. (وعرفوا) أنه ليس مشروعًا فى الإسلام وطء القبور، ولا أن يستعين الزَّائر بأهلها، ولا سؤالهم شيئًا من دون الله.. كما أنه ليس مشروعًا أن يطوف الزائر حول القبر أو أن يقبِّله.. لأنه لا طواف إلاَّ حول الكعبة، ولا تقبيل إلاَّ للحجر الأسود..

(وأنه) لابد وأنْ يقصد بزيارتها وجه الله تعالى، وإصلاح القلب، ونفع الميت بالدعاء له، وما يتلى عنده[1].. لأن زيارتها تحدث فى القلب خشية وتذكُّرًا للموت..

(بعد) أن علَّمهم النبى ﷺ.. ونهاهم عن الأفعال التى كانت من أفعال أهل الكتاب فى الجاهلية..

(وقال) لهم كما جاء فى نص الوصية: « **كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروا القبور، فإنها تزهد فى الدنيا وتذكّر الآخرة**». رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

(وعن) عبد الله بن بريدة بن الخصيب الأسلمى عن أبيه أن النبى ﷺ قال:«**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإنها تذكركم الآخرة**» وفى رواية: «**فإن فى زيارتها تذكرة**» أخرجه أحمد ومسلم والأربعة وابن حبان والحاكم والبيهقى.

(وعن) أبى سعيد الخُدرى أن النبى ﷺ قال: « **نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها ولا تقولوا هُجرًا** »[2] أخرجه الشافعى وأحمد، وأخرجه الحاكم بلفظ: «**نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن فيها عبرة**» وقال صحيح على شرط مسلم.

---

(١) أى: من القرآن بنية التلاوة والتبَّرك بالقرآن.. لا بنية الدعاء لأن هذا.. ليس متفقًا عليه.. كما سنعرف بعد هذا.. إن شاء الله تعالى.

(٢) الهجر: بضم فسكون: القول السوء.

(والأمر) فى هذه الروايات للندب عند الجمهور للتعليل بعده (وقال) ابن حزم: إنه للوجوب – للرجال-.

(وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ زار قبر أمِّه فبكى وأبكى من حوله، فقال النبى ﷺ: **«استأذنت ربى أن أستغفر لها فلم يؤذن لى، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى، فزوروا القبور فإنها تُذكِّر الموت»** أخرجه أحمد ومسلم والبيهقى والحاكم وصححه والأربعة إلا الترمذى.

(وقد) اتفق العلماء على أن مات قبل البعثة و لم تبلغه الدعوة يموت ناجياً.(وإنما) بكى النبى ﷺ لتذكر الآخرة وعدم إدراك أمِّه أيامه

(هذا) وقد وردت أدلة كثيرة صريحة فى أن آباءه ﷺ ناجون (منها) حديث واثلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال: **« إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة، واصطفى من بنى كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم »** أخرجه مسلم والترمذى وقال حديث حسن صحيح وهذا لفظه..(ومن) المعلوم أن الخيرية والاصطفاء من الله تعالى، والأفضلية عنده لا تكون مع الشرك .[1]

(وتعليقى) على هذا هو أنه ينبغى علينا-نحن الرجال- إذا أردنا أن نزور القبور.. أن نزورها زيارة شرعية خالية من أعمال أهل الجاهلية.. وأن تكون الزيارة للعظة والاعتبار وحتى يتحقق هذا على أساس شرعى سليم.. فإننى أرى أن أقف مع الأخ المسلم على:

كيفية الزيارة

كما جاء أيضا فى (الدين الخالص) ج٨ ص٦٥ وما بعدها..

فلقد ذكر أنه يُسنُّ أن يخرج الزائر متواضعًا مراقبًا الله تعالى.. معتبرًا بمن تَقَدَّمه من الموتى قاصداً وجه الله تعالى، ونفع الميت بالسلام عليه والدعاء له. فإذا وصل القبر قام مُسلِّمًا داعيًا مسنقبل القبلة على المشهور عند الحنفيين بلا تمسحٍ بالقبر، ولا طوافٍ

(١) انظرها من (الدين الخالص) ج٨ ص٦٣ باختصار..

حوله، ولا دعاء صاحبه(وقيل) يستقبل وجه الميت، وهو قول الشافعى. وكذا الكلام فى زيارة النبى ﷺ (قال) أبو الليث: لا يُعرف وضع اليد على القبر سُنَّة ولا مُستحبًّا بل هو بدعة منكرة من عادة أهل الكتاب.

(ويُستحب) للزائر أن يدنو من قبر المزور بقدر ما كان يدنو من صاحبه لوكان حيّاً وزاره، وهو بالخيار إن شاء زار قائماً وإن شاء قعد كما يزور الرجل أخاه فى الحياة. ولا يستلم القبر بيده ولا يقبِّله (قال) أبو الحسن محمد الزعفرانى: واستلام القبور وتقبيلها كما يفعله العوام من المبتدعات المنكَرة يجب تجنبه ويُنهى فاعله، فمن قصد السلام على ميت سلَّم عليه من قِبَل وجهه، وإذا أراد الدعاء تحوَّل عن موضعه واستقبل القبلة.

(وأما) عن الأدعية التى من السنة أن تدعو بها.. فقد ذكر صاحب (الدين الخالص) تحت عنوان:

ما يقوله الزائر للقبور

أنه (يُستحب) للزائر التسليم على أهل القبور والدعاء لهم بالعافية والرحمة والمغفرة..(ثم) ذكر بعض الأحاديث التى منها ما ورد:

(عن) سليمان بن بُريدة عن أبيه قال: كان النبى ﷺ يعلِّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: ((**السلام عليكم أهل الدِّيار من المؤمنين والمسلمين وإنَّا إن شاء الله بكم لاحقون، أنتم فرطُنا[1]ونحن لكم تبع ونسأل الله لنا ولكم العافية**)) أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه والبيهقى.

(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مرَّ بقبور المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال:((**السلام عليكم يا أهل القبور يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلُفنا ونحن بالأثر**)). أخرجه الترمذى وحسنه.

(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: كان النبى ﷺ – كلما كان ليلتها– يخرج من آخر الليل إلى البقيع فيقول: ((**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون، غداً مؤجَّلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهمَّ اغفر لأهل بقيع الغرقد**)) أخرجه مسلم.

---

(١) (الفرط) بفتحتين: أى السابق.

(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: فقدت النبى ﷺ فإذا هو بالبقيع فقال: **«السلام عليكم دار قوم مؤمنين، أنتم فرطنا وإنا بكم لاحقون، اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنّا بعدهم»** أخرجه ابن ماجه.

(وقال) أنس: مرَّ رجل بالمقابر فقال: **«اللهمَّ ربَّ الأرواح الفانية، والعظام النَّخرة، التى خرجت من الدنيا وهى بك مؤمنة، أدخل عليها روحاً[1] منك، وسلاماً منّا: فاستغفر له من مات من لدُن آدم»** أخرجه ابن النجار.

(فهكذا) تكون الزيارة الشرعية.. وهكذا نستطيع أن نزور أمواتنا وإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ونحن نسأل الله تعالى أن يثيبنا على هذا، وأن يجعل دعاءنا مقبولاً بالنسبة لهم. (وذلك) لأنهم هناك وفى العالم الآخر ينتظرون دعاءً كهذا.. عسى أن يكون سبباً فى إدخال رحمات الله عليهم..

(فعن) أنس ﷺ أنه قال لرسول الله ﷺ : يا رسول الله إنا نتصدق عن موتانا، ونحجُّ عنهم، وندعوا لهم، فهل يصل ذلك إليهم؟ فقال: **« نعم، إنه ليصل إليهم ويفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أُهدى إليه»**[2] أخرجه أبو حفص العكبرى.

هذا بالإضافة إلى ما ذكره فى (الدين الخالص) ج٨ تحت عنوان:

القُرَب تهدى إلى الميت

(فلقد) ذَكَر أن الميت ينتفع بما يهدى إليه من القرب التى هى من الطاعات وأنواع البر كالصدقة، والدعاء، والصلاة، والصيام، وغيرها...

(ثم) ذكر بعض الأدلة التى منها، قول الله تعالى:﴿**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ**﴾ [الحشر: ١٠].

(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أن سعد بن عبادة تُوفيت أمُّه وهو غائب عنها فقال: يا رسول الله إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، فهل ينفعها إن تصدقت بشىء عنها؟ قال: **« نعم »**.قال: فإنى أُشهدك أن حائطى[3] المِخْرف صدقة عليها. أخرجه أحمد والبخارى والثلاثة.

---

(١) الرَّوح: بفتح الراء المشدَّدة، أى الرحمة.

(٢) انظر ص٣٠٩ ج١ فتح القدير لابن الهمام.

(٣) الحائط:أى البستان، والمخرف:أى المثمر.

(وعن) أبي هريرة ﷺ أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إن أبي مات وترك مالاً ولم يوُصِ فهل يَكفرُّ عنه أن أتصَّدق عنه؟ فقال: **((نعم))**. أخرجه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه.

(وعن) سعد بن عبادة ﷺ قال: للنبي ﷺ :إن أميِّ ماتت وعليها نذر أفيجزئ عنها أن أعتق عنها؟ قال: **((اعتق عن أمِّك))**.أخرجه مالك وأحمد والبخارى والنسائى.

(وعن) عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قال: ((**من مات وعليه صيام صام عنه وليُّهُ**)).أخرجه أحمد والشيخان.

(وروى) أن رجلاً سأل النبيﷺ فقال: كان لى أبوان أبرُّهما حال حياتهما فكيف لى ببرهما بعد موتهما؟ فقال له النبيﷺ : **((إن من البر بعد الموت أن تصلّى لهما مع صلاتك، وتصوم لهما مع صيامك))**.أخرجه الدار قطنى.

(وعن) أبى هريرة أن النبيﷺ قال: **((إذا مات الإنسان انقطع عمله إلاَّ من ثلاثة**[1]: **صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له))** أخرجه السبعة إلاَّ البخاري..

(ثمّ) يقولُ بعد ذلك فى (الدين الخالص):

(والأحاديث) فى هذا كثيرة وكلها تدل على أن الميت ينتفع بعمل الحى من دعاء وصلاة وصدقة وصيام وحج وغير ذلك من أنواع البر من أن ينقص من أجر العامل شيء، وبه قال جمهور أهل السنة منهم الحنفيون وأحمد (وقد) أمر الله تعالى بالدعاء للوالدين بقوله﴿ **وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً** ﴾ [الإسراء:٢٤]، كما أخبر باستغفار الملائكة للمؤمنين، فقال تعالى: **وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ [الشورى: ٥] وقال:﴿ **الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** ﴾ [غافر:٧].

(ثم) يقول:

---

(١) أى: أن عمل الميت ينقطع بموته، فلا ثواب له بعد إلاَّ فى هذه الأشياء الثلاثة لكونه كان سببها، فإن الولد من كسبه، وكذا العلم الذى خلفه من تعليم أو تصنيف وكذا الصدقة الجارية.

(فهذه) الأدلة تفيد القطع بحصول الانتفاع بعمل الغير ولا ينافيه قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ [النجم:٣٩] لأن المؤمن إذا عمل عملًا خيريًا وقصد به أخاه المؤمن وصل إليه ثوابه بسبب إيمانه فكأنه من عمله – إلى أن يقول بعد ذلك موضِّحاً بعض الملاحظات الهامة التي لابد وأن يقف عليها الأخ المسلم.. حتى يعرف المتفق عليه من القُرَب التي تُهدى للميت.

(هذا):

(واعلم):أن العبادة ماليَّة وبدنية، فالمالية كالصدقة: (نبَّه) الشارع بوصول ثوابها على وصول ثواب سائر الأعمال المالية، أما أداء الدَّين فبالإجماع ولو كان من أجنبي بلا إذن.(ونبَّه) بوصول ثواب الصوم وهو من العبادة البدنية على وصول ثواب العبادات البدنية (ونبَّه) بوصول ثواب الحج المركَّب من عبادتين مالية وبدنية على وصول ثواب المركَّب منهما.

(ومشهور) مذهب مالك والشافعي أن ثواب العبادة البدنية لا يصل كالصلاة والصيام، وقراءة القرآن أخذاً بعموم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (وقد) علمت أن الآية لا تنافى انتفاع الميت بعمل غيره من قراءة وغيرها.ولذا قال الحنفيون وأحمد: إنه ينتفع بعمل غيره إذا أُدِّى بخشوع وخضوع ووقار ولم تكن القراءة بأجر، وكانت على الوجه المشروع (قال) ابن القيم: أفضل ما يُهدى إلى الميت: العتق، والصدقة، والاستغفار، والدعاء له، والحج عنه:

(وأما) قراءة القرآن وإهداؤها له تطوُّعاً بغير أجرة فيصل إليه ثوابها كما يصل ثواب الصوم والحج (ولذا) اختار المحققون من أصحاب مالك والشافعى أن ثواب القراءة يصل إلى الميت إذا جُعِلَت من قبيل الدعاء بأن يقول: اللهمَّ اجعل لفلان مثل ثواب ما قرأت .[1]

إلى أن يقول بعد ذلك (فى الدين الخالص) بعد أن عرض أغلب الآراء. (فالراجح) الذى تشهد له الأدلة الثابتة: أن قراءة القرآن عند القبر مكروهة لأنه لم يثبت فيها

(١) وأنا أتساءل: كيف أهب ثواب شيء لا أدرى إذا كان الله تعالى قد قبله منى أم لا؟.. والله أعلم.

مرفوع صحيح ولا حسن و لم ينقل عن أحد من الصحابة ولا التابعين، ولـــذا قـــال الإمام أحمد: القراءة عند القبر بدعة ... والله الموفق للصواب.

(ثم) بعد ذلك هناك حكم آخر لابد وأن نقف عليه إتماماً للفائدة، وهو:

زيارة النساء للمقابر

(فلقد) قال أيضًا – تحت هذا العنوان المذكور أعلاه: يَحرُم على النســاء زيـــارة القبور إن ارتكبن فى زيارتها ما يُغضب الواحد الغيور.. وعليه تحمل الأحاديث الواردة فى لعن زائرات القبور.

(ومنها) حديث ابن عباس قال: (لعن رسول الله ﷺ زائرات القبـــور) الحـــديث أخرجه أحمد والأربعة والبزار وابن حبان والحاكم وحسنه الترمذى (وحـــديث)أبى هريرة رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ لعن زوَّارات القبور) أخرجه أحمـــد وابـــن ماجـــه والترمذى وصححه وابن حبان.

أى: دعاء عليهنَّ بالطرد عن رحمة الله تعالى لما يقع منهُنَّ حال الزيارة من الجزع وشق الجيوب ولطم الخدود والتَّبرج. (وقد) قال القرطبى: هـــذا اللعـــن إنمـــا هـــو للمُكثِرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع الزوج وما ينشأ منهن من الصِّياح ونحوه (فقد) يقال إذا أمِنَ جميع ذلـــك فلا مانع من الإذن– لهن بالزيارة– لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء، فإذا كانت زيارتهن بلا تعديد ولا نوح فهى مكروهة تحريماً عند بعض الحنفية والمالكيـــة والشافعية لظاهر الأحاديث (وقال) بعض الحنفية وأكثر الشافعية والحنبليـــة: تُكـــره زيارتهن تتريهاً للأحاديث عن التحريم قول أم عطية: (نُهينا أن نتبع الجنائز و لم يعـــزم علينا) أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجه والبيهقى.

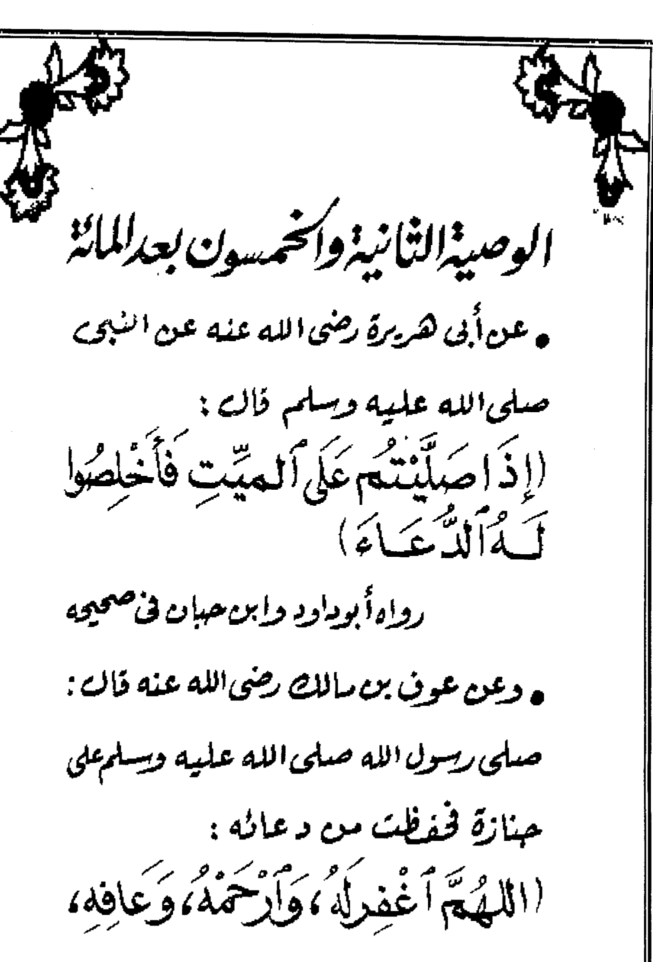
(والخلاصة) التى أستريح إليها بالنسبة لهذا الموضوع، هى أنه من القواعد المقرَّرة: أن درء المفاسد مُقدَّم على جلب المصالح. (ومن) ثم فقد ذهب شيخ الإسلام تقـــى الدين ابن تيمية وغيره: إلى عدم جواز الزيارة للنساء..

(وذلك) لأن المرأة بطبيعتها بكَّاءة ولن تستطيع أن تكون ملتزمة لا فى المظهر ولا فى المخبر.. ولهذا فإنه من الأفضل لها وللميت أن لا تذهب بتاتاً إلى المقابر.. لأنه قد

ورد في الحديث: «**إن الميت ليعذَّب ببكاء أهله عليه**» وإذا أرادت أن تدعو له بالرحمة والمغفرة.. فليكن هذا في قعر بيتها..

وكذلك إذا أرادت أن توزع شيئاً من الصدقات أو من الفطائر عليه فليكن هذا على الأقارب الفقراء.. أو على أبناء الميت اليتامى الذين قد يكونون في أشدِّ الحاجة إلى هذا الطعام.. وهم أولى..

والله الموفق للصواب



الوصية الثانية والخمسون بعد المائة

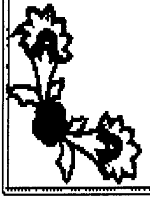
• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

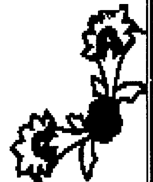
(إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى الْمَيِّتِ فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعَاءَ)

رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه

• وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه:

(اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ،

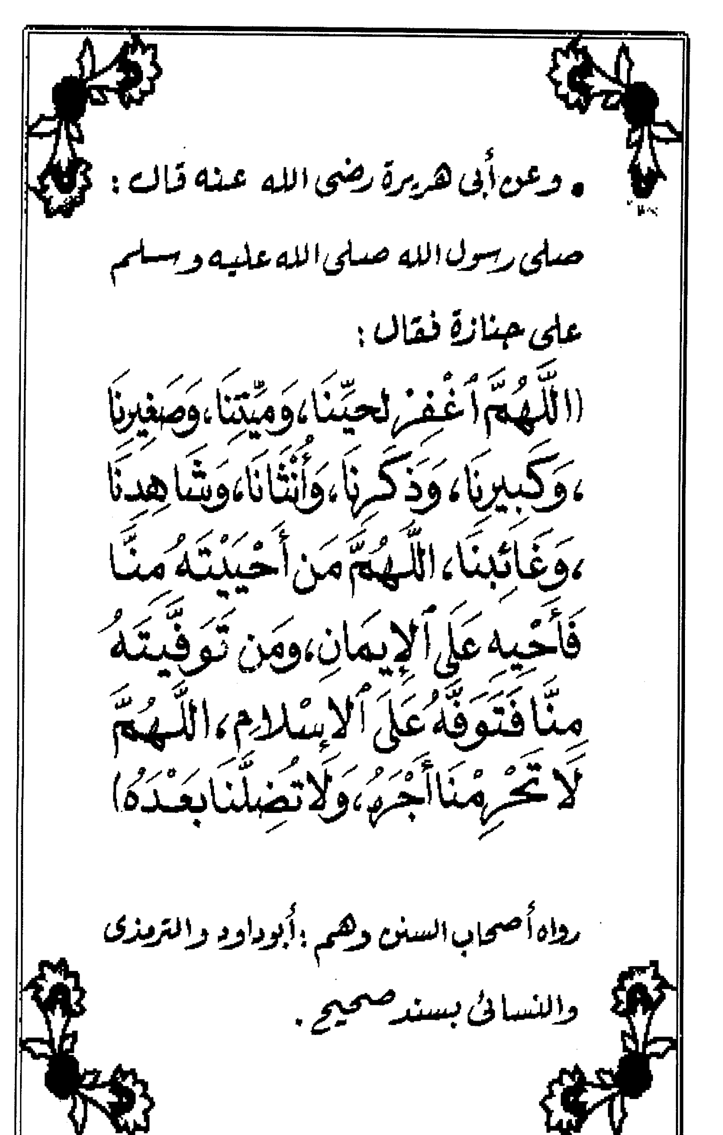




وَٱعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَٱغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَٱلثَّلْجِ وَالبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ ٱلخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ ٱلثَّوْبَ ٱلأَبْيَضَ مِنَ ٱلدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلًا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ ٱلجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ ٱلنَّارِ) قَالَ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ ذَلِكَ ٱلمَيِّتَ.

رواه مسلم والنسائي والترمذي.

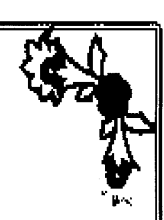




• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فقال:

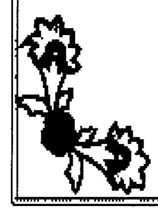
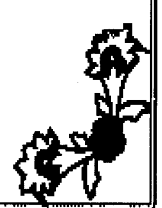
((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا، وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا، وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا، وَأُنْثَانَا، وَشَاهِدِنَا، وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِيمَانِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِسْلَامِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلَا تُضِلَّنَا بَعْدَهُ))

رواه أصحاب السنن وهم: أبو داود والترمذي والنسائي بسند صحيح.

• ولأبي داود والنسائي :

(اللهم أَنت ربُّها، وأَنْتَ خَلقتَها، وأنت هَديتَها للإسلام، وأنت قَبَضْتَ رُوحَها، وَأَنْتَ أعلم بسرِّها وَعلانِيتِها، جِئْنا شُفعاءَ لَهُ فَاغفِر لَهُ ذنبه)

فكن أخا الإسلام:

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التى حسبنا جميعًا أننا سنتعلم من خلال شــرحها إن شاء الله تعالى كيف سنصلى صلاة الجنازة التى يجهلها للأسف الشديد أكثر المسلمين مع أنها من أهم ما ينبغى أن يدرسوه وأن يحفظوا أهم ما يتعلق به من أحكــام.. (وهـــذا) التقديم ينسحب بصفة خاصة على صلاة الجنازة التى سَيُصَلَّى علينا جميعاً بها.. فى يوم ما، أو فى لحظة من اللحظات التى يعلمها الله تعالى وحده..

(وذلك) لأننا جميعاً، وبدون استثناء – سنموت، إن عاجلاً وإن آجلاً، وإلى هذا يشير أبو العتاهية فى قوله الذى ينبغى أن نفهم المراد منه:

سيصـــير المـــرء يومًـــا	جســـدًا مـــا فيـــه رُوحُ
بـــين عـــينى كـــلّ حـــىٍّ	علـــمُ المـــوت يلـــوح
كلنـــا فى غفلـــة والمـــو	ت يغـــدو ويـــروح
نُـحْ علـى نفسـك يـا مسْـ	ـكين إن كنـت تنـوح
لتمـــوتنَّ وإن عمَّـــر	ت مـــا عمَّـــر نـــوح

(وهذا) الشعر الوعظى معناه.. أن كل واحد منا –ذكراً كان أم أنثى– لابد وأن ينتظر الموت فى كل لحظة..

(وإلى) هذا المعنى أيضاً أشار أحدهم فى قوله:

إنمـــا الـــدنيا فنـــاء	لـــيس للـــدنيا ثبـــوتْ
إنمـــا الـــدنيا كبيـــت	نســـجته العنكبـــوتْ
كـــل مـــا فيهـــا لَعَمْـــرى	عـــن قريـــب ســـيموتْ
ولقـــد يكفيـــك منـــها	أيُّهـــا العاقـــلُ قـــوتْ

(ولهذا) فقد قال الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه لعبد الله بـن عمـر رضى الله عنهما، الذى يقول: (أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال: «**كن فى الـدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»: وكان ابن عمر رضى الله تعالى عنهما يقول معلِّقًا على هذا النصح الصافى: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحَّتك لمرضك، ومن حياتك لموتك)[1]

(١) رواه البخارى.

أى: لا تركن إليها، ولا تتخذها وطناً، ولا تحدِّث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها إلّا بما يتعلق الغريب به فى غير وطنه الذى يريد الذهاب منه إلى أهله.

(وهذا) أيضًا هو معنى قول سلْمان الفارسى ﷺ : (أمرني خليلي صلى الله عليه وآله وسلم: أن لا أتخذ من الدنيا إلّا كمتاع الرَّاكب).. (ومما) قيل فى هذا المعنى:

أتــبنى بنـــاء الخالـــدين وإنمـــا مقامُـــك فيهـــا لـــو عقلـــتَ قليـــلُ
لقد كـــان فى ظـــلّ الأراك[1] كفايـــةٌ لمـــن كـــان فيهـــا يعتريـــه رحيـــل

وأيضًا قيل فى هذا المعنى:

ترجـــو البقـــاء بـــدار لا بقـــاء لهـــا وهل سمعـــت بظـــل غـــير منتقـــل

كما قال آخر أيضاً:

سُـــجنتَ بهـــا وأنـــت لهـــا مُحـــبُ فكيـــف تُحـــبُ مـــا فيـــه سُـــجْنتا
فـــلا تَلـــهو بـــدار أنـــت فيـــه تفـــارقُ منـــك يومًـــا مـــا لهوتَـــا
وتطعمُـــكَ الطعـــام وعـــن قريـــب ســـتُطعمُ منـــك مـــا منـــها طُعمْتَـــا

(وليس) هذا معناه.. أننا نطالب بأن نهمل الدنيا إهمالاً، وألاّ نعيرها شـيئاً مـن الاهتمام.. ولكن الذى نُطالب الإخوة والأخوات من المسلمين والمسلمات به.. هو ألاّ تلهينا الدنيا عن الآخرة..

وألاّ تشغلنا الآخرة عن العمل للدنيا التى هى مزرعة الآخرة.. (فقد) ورد فى الأثر: (خيركم من لم يترك آخرته لدنياه، ولا دنياه لآخرته، و لم يكن كلاً على الناس).

(والتُجّار) الذين تلهيهم تجارتهم عن ذكر الله، والأغنياء الذين تلهيهم أموالهم عن الآخرة.. (والمتعبدون) الملازمون بيوت الله دون أن يعملوا ليأكلوا ويطعموا المسئولين عنهم من عمل أيديهم (والسائحون) من بلد إلى بلد لا طلباً للعلم، وإنمـا قـتلاً للوقت... إلخ هؤلاء وهؤلاء يسيئون إلى الإسلام بانتمائهم إليه.. لأن الإسلام ديـن عمل وإنتاج..

وليس من الإسلام أن يكون الإنسان كالآلة المعطلة.. أو كالأرض التى لا نبـات فيها بسبب الكسل الذى كان النبى ﷺ يستعيذ بالله تعالى منه، فيقول: **((اللـهم إنى**

(١) أى: شجر الأراك الذى يتخذ منه السواك.. أو السواك نفسه.

أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» [1].

(وقد)ورد عن النضر بن يحيى أنه قال: بلغنا عن بعض أهل العلم أنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلاَّ بأربعة: بالعلماء، والأمراء، وأهل القرآن، وأهل الكسب..

(وبعض) الزُّهاد فسَّر هذا الكلام فقال: أما الأمراء، فهم الرعاة يرعون الخلق، وأما العلماء: فهم ورثة الأنبياء، وهم الذين يدلون الخلق إلى الآخرة والناس يقتدون بهم، وأمَّا أهل القرآن: فهم جُند الله على الأرض لقمع الكفار، ويقولون: دين الله الإسلام، وأما أهل الكسب: فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق.. (ثم) قال: إذا صارت الرعاة ذئابًا: فمن يرعى الغنم، والعلماء: إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدنيا فبمن يقتدى الخلق، والقرَّاء: إذا ركنوا إلى الدنيا من أجل الفخر والخيلاء، ومن أجل الطمع، فمن يظفر بالعدو، وأهل الكسب إذا خانوا الناس، فكيف تأمن بهم الناس.

(ولما) كان الكسب هو شاهدنا فى هذا التذكير (فإننى) أرى أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأقوال الحكيمة التى سيحتاج إلى المراد منها لصالح أخرته..بل ودنياه.(فقد) قال بعض الحكماء: إذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعاً:(أولها): أن يكون لسانه نقيّاً عن ثلاثة: الكذب، واللغو، والحلف.

(وثانيها): أن يكون صافياً من ثلاثة: الغشِّ، والخيانة، والحسد.

(وثالثها): أن يكون محافظاً لثلاث: الجمعة، والجماعات، وطلب العلم فى بعض الساعات.

(وعن) على بن أبى طالب قال: التاجر إذا لم يكن فقيهاً، ارتطم فى الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم يعنى غرق فيه، فإذا لم يعرف الحلال من الحرام لم يأمن أن يقع فى الربا.

(فإذا) كان الأخ المسلم سيلاحظ كل هذا حتى يكون من أهل الكسب الحلال، وحتى لا يكون عالة على غيره من الناس (فإننى) أنصحه كذلك بأن لا يُنسيه طول

---

(١) الحديث رواه أبو داود عن أبى أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

الأمل نهايته المحتومة التي لابد وأن يعمل لها ألف حساب.. قبل فوات الأوان.. وقبل أن يقول: ﴿ **رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

(فقد) قيل: (من قصر أمله، قَلَّ همُّه، وتنّور قلبه) لأنه إذا استحضر الموت اجتهد فى الطاعة، ورضى بالقليل.

(وقال) ابن الجوزى: الأمل مذموم إلاَّ للعلماء، فلولا أملهم لما أَلَّفوا ولا صنَّفوا.. وفى الأمل سرٌّ لطيف، لأنه لولا الأمل لما تهنَّا أحد بعيش، ولا طابت نفسه أن يشرع فى عمل من أعمال الدنيا.. (وقد) ورد فى الأثر (لولا الأمل لانقطع الرجاء).

(وقد) ورد كذلك عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنما الأمل رحمة من الله لأمتى، ولولا الأمل ما أرضعت أم ولدها، ولا غرس غارس شجراً**» رواه الخطيب عن أنس ﷺ (والمذموم) من الأمل هو الاسترسال فيه وعدم الاستعداد لأمر الآخرة، فمن سلِم من ذلك لم يُكلَّف بإزالته.

(وقد) ورد فى ذم الاسترسال فى الأمل حديث أنس رفعه: «**أربعة من الشقاء: جمود العين، وقسوة القلب، وطول الأمل، والحرص على الدنيا**». رواه البزار.

(وقال) فى تنبيه الغافلين: روى عن قتادة عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يُهرم من ابن آدم كل شيءٍ، إلاَّ ثنتان: الحرص والأمل**».

(وروى) عن على بن أبى طالب ﷺ أنه قال: (أخوف ما أخاف عليكم اثنتان: طول الأمل واتباع الهوى، فإن طول الأمل يُنسى الآخرة، واتباع الهوى يصد عن الحق) (وروى) عن النبى ﷺ أنه قال: «**صلاح هذه الأمة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالبخل وطول الأمل**».

(والخلاصة) التى لابد وأن ننتهى إليها بعد ذلك، وقبل أن ننتقل إلى موضوعنا الأصلي، هى: أن السبب فى تقصير الأمل، وعدم الاسترسال فيه، هو تذكر الموت والقبر والثواب والعقاب وأهوال القيامة..(وقد) ورد فى الحديث أن رسول الله ﷺ قال: « **أكثروا من ذكر هازم اللذات، فإنه ما ذُكِرَ فى قليل إلاَّ كثَّره، ولا فى كثير**

إلا قلَّله» أى: ما ذكر فى قليل من العمل الصالح إلاَّ كَثُر ثوابه، ولا فى كثير من الأمل إلاَّ قلله.

(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: أتيت رسول الله ﷺ عاشر عشرة فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله من أكيس الناس[1] ؟ قال: « **أكثَرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً أولئك الأكياس»**.

(وروى) أن امرأة شكت إلى عائشة رضى الله تعالى عنها قساوة قلبها، فقالت لها: أكثري من ذكر الموت، ففعلت، فرقَّ قلبها.

(وقال) عبد الله بن عقبة: عدت رجلًا مريضًا، فلما قعدتُ عنده، قلت: كيف تجدك؟ فأنشد يقول:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتى ... غداة أقَلَّ الحاملون جنازتى
وَعجَّل أهلي حفر قبرى وصيَّروا ... خروجى وتعجيلى إليه كرامتى
كأنهم لم يعرفوا قط صورتى ... غداة أتى يومى علىَّ وساعتى

(فإذا) كان هذا هو مصيرنا.. وإذا كانت تلك هى نهايتنا..(فإن) هذا هو قضاء الله تعالى الذى لا مفر منه.. كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: **﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾** [النساء: ٧٨]

(ثم) إذا كنَّا جميعًا سنموت — كل فى موعده- كما يشير الله تعالى فى قوله: **﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾** [الرعد: من الآية٣٨] وكما قال تعالى: **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾** [الأعراف:٣٤]: فإنه ينبغى علينا جميعًا أن نستعد للحظة الفراق.. وأن يكون كل واحد منَّا عونا لأخيه الذى سبقه إلى الله.. فى تجهيزه للدفن.. (ولما) كانت الصلاة على الجنازة من أهم ما ينبغى علينا أن نقوم به – كرجال- بالنسبة لمن مات قبلنا من الذكور والإناث- فإننى أرى أن أبدأ الآن فى تذكير الأخ المسلم، بـ:

---

(١) أى: من أعقل العقلاء.

كيفية صلاة الجنازة

كما جاء فى (الدين الخالص) و(فقه السنة)، فإليك:

أولاً: (فضلها): (فقد) ورد عن أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: [من تبع جنازة وصلّى عليها فله قيراط، ومن تبعها حتى يُفرغ منها فله قيراطان أصغرهما مثل أحد، أو أحدهما مثل أحد] أخرجه السبعة وقال الترمذى: حسن صحيح.

وثانياً: (**حكمها**): فهى فرض كفاية بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿**وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ**﴾ [التوبة: ١٠٣].

(وعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ كان يؤتى بالرجل المتوفّى عليه الدَّين فيسأل: هل ترك لدينه فضلاً؟ فإن حدث أنه ترك وفاءً صلّى وإلاَّ قال للمسلمين « **صلوا على صاحبكم** » الحديث أخرجه الشيخان. (وقد) نقلوا الإجماع على أن صلاة الجنازة فرض كفاية....(وقد) واظب النبى ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم والأمة من لدن النبى ﷺ إلى يومنا هذا عليها.

وثالثاً: (**سببها**): فإن سبب لزومها الميت المسلم، لأنها شُرعَت قضاءً لحقه فيصلى على كل مسلم مات بعد الولادة صغيراً كان أم كبيراً ذكراً كان أم أنثى إلا البغاة، وقطّاع الطريق ونحوهم، ولا يُصلى على من وُلِدَ ميتًا. وإن مات فى حال ولادته. فإن كان خرج أكثره صُلِّى عليه وإن كان أقله لم يُصَلِّ عليه اعتبارًا للأغلب.

ورابعاً: (**شروطها**): وهى عامة وخاصة:

(فالعامة): هى ما يُشترط — أى للصلاة المفروضة فرض عين[1]- إلاَّ الوقت، فيشترط لها الطهارة الحقيقية، والحكمية[2]، واستقبال القبلة، وستر العورة، والنية.. حتى إنهم لو صلُّوا على جنازة والإمام غير طاهر فعليهم إعادتها، لأن صلاة الإمام غير جائزة، فكذا صلاتهم لأنها مبنية على صلاته. (ولو كان) الإمامُ متطهرًا والقوم على غير طهارة: جازت صلاة الإمام، وليس عليهم

(١) أى: الصلوات الخمس.

(٢) أى: التى تكون بالتراب على سبيل التيمم.. بالنسبة للوضوء أو الغسل .... للأسباب التى سنعرفها بعد.

إعادتها، لأن حق الميت تَأدَّى بصلاة الإمام. ولو تحرَّوا على جنازة فأخطأوا القبلــة: جازت صلاتهم لأن المكتوبة تجوز فهذه أولى، وإن تعمدوا خلافها لم تجز لأن استقبال القبلة شرط لا يسقط حالة الاختيار كما فى سائر الصلوات ...

(وأما) شروطها الخاصة، فأربعة:

(**الأول**): إسلام الميت فلا يُصلَّى على كافر لقوله تعــالى: ﴿**وَلا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَداً**﴾ [التوبة: ٨٤].

(**الثانى**): طهارة الميت: فلا تصح على غير شهيد لم يُغسَّل إلا إذا دُفِن بَغير غسل و لم يمكن إخراجه إلا بالنبش، فإنه يُصلَّى على قبره بغير غسل للضرورة عند الحنفيين والحنبليين. فيصلى على الغريق إذا غرق قبل الغسل كالغائب البعيد، لأن الغُسْل تعذَّر لمانع فأشبه الحى إذا عجز عن الغسل والتيمم صلى على حسب حالــه (وقالــت) المالكية: الغسل والصلاة متلازمان فى الطلب، فكل من وجب غُسلُه وجبت الصلاة عليه وبالعكس. وليسا متلازمين فى الفعل وجوداً وعدماً، لأنه قد يتعذَّر الغسل تجب الصلاة عليه كما لو كثرت الموتى جدًّا فتعذر الغسل والتيمم، فإن الطهارة تســقط دون الصلاة. ومن دفن بلا غسل نُبِشَ قبرُهُ وأُخرج للغسل ما لم يتغيَّر وإلاَّ صلى على قبره بلا غسل (وقالت) الشافعية: لا يُصلى على غير الشهيد بلا غسل مطلقاً. فلــو مات فى بئر أو انهدم عليه جدار ونحوه وتعذَّر إخراجه وغسله لم يصل عليه.

وتصح الصلاة بعد غسله قبل تكفينه مع الكراهة.

(**الثالث**): وضع الميت أمام المصلِّى عليه، فلا تصح على محمول على الأعنــاق أو الدَّابة، ولا على موضوع خلف المصلى عند الحنفيين وهو المعتمد عند مالك مطلقاً، والصحيح عند الشافعية والحنبلية إذا كانت الجنازة حاضرة ؛ فإن صلى عليها وهــى على أعناق الرجال لم تجز عند الثلاثة وعلى المعتمد عند مالك ....

(**الرابع**): من شروط صحة الصلاة على الجنازة حضور الميت كلِّه أو جُلِّه[1] فلا تصح على غائب عند الحنفيين ومالك (وروى) عن أحمد لأنه كالإمام.

(١) كأن يكون مثلا- والعياذ بالله- قد مات فى حادث، فأتى به أو بمعظمه لكى يصلى عليه.

(وقال) الشافعى وجمهور السلف تجوز الصلاة على الغائب وهو المشهور عن أحمد (لحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ نعى للناس النجاشى فى اليوم الذى مات فيه، وخرج بهم إلى المصلَّى فصف أصحابه وكبَّر أربع تكبيرات) أخرجه السبعة.

(هذا).. وإن كان خلاف فى هذا.. (فقد) أجاب بعض الحنفيين عن ذلك بما تقدَّم من أنه يصير كالميت الذى يُصلِّى عليه الإمام وهو يراه ولا يراه المأمومون فإنه جائز اتفاقًا. (والأحاديث) فى هذا كثيرة وهى صريحة فى جواز الصلاة على الميت الغائب سواء أصُلِّى عليه فى البلد التى مات فيها أم لا. وسواء أكانت البلد التى مات فيها جهة القبلة أم لا وهذا هو الراجح، والله أعلم.

وخامسًا: (وقت صلاة الجنازة): (فإنه) ليس لها وقت محدود بل يصلَّى عليها متى حضرت ولو فى أوقات النهى عند الحنفيين والشافعى (لحديث) على رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **ثلاث لا يؤخَّرن: الصلاة إذا أتت، والجنازة إذا حضرت، والأيِّمُ إذا وجدت كفئًا**» أخرجه أحمد والحاكم والترمذى وقال: غريب ليس بمتصل.

(فتجوز) صلاة الجنازة فى كل الأوقات ولا تُكره فى أوقات النهى، ولكن يُكره أن يتحرى صلاتها فى هذه الأوقات بخلاف ما إذا حصل ذلك اتفاقاً (وعن) ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**لا تتحرَّوا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرنى شيطان. فإذا طلع حاجب الشمس فلا تصلُّوا حتى تبرز، وإذا غاب حاجب الشمس فلا تصلُّوا حتى تغيب**» أخرجه مالك وأحمد والنسائى بسند حسن.

(وقالت) المالكية: لا تُكره صلاة الجنازة وقت الاستواء ولا بعد صلاة الصبح قبل الإسفار، ولا بعد صلاة العصر قبل الإصفرار، وتكره بعدهما.(وتحرُم) وقت الطلوع والغروب إلاَّ إن خيف تغيرها فتجوز.

(وقالت) الحنبلية: تجوز صلاة الجنازة بلا كراهة فى كل وقت إلا وقت الطلوع والاستواء والغروب فتُكره (لحديث) عقبة بن عامر قال: (ثلاث ساعات: كان النبى ﷺ ينهانا أن نصلِّى فيهنَّ أو نُقبِر فيهنَّ موتانا: حين تَطلُع الشمس بازغة حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف الشمس للغروب حتى تغرب) أخرجه البيهقى والجماعة إلاَّ البخارى.

وسادساً:(مكانها): فإنه تجوز صلاة الجنازة فى أى مكان طاهر ولو فى المسجد بلا كراهة، عند الشافعى وأحمد وإسحاق (لحديث) عبَّاد بن عبد الله بن الزبير (عــن) عائشة قالت: لما تُوفِّى سعد ابن أبى وقاص وأُتى بجنازته أمرت به عائشة أن يُمرَّ بــه عليها، فشق به فى المسجد ودعت له، فأنكر ذلك عليها، فقالت: ما أسرع الناس إلى القول، ما صلى النبى ﷺعلى (ابنى بيضاء إلاَّ فى المسجد سهيل وأخيــه). أخرجــه البيهقى والسبعة إلا البخارى (وقال) الترمذى حديث حسن، والعمل عليه عند بعض أهل العلم (قال مالك: لا يُصلَّى على الميت فى المسجد

(وقال) الشافعى: يُصلَّى عليه فى المسجد واحتج بهذا الحديث (وبهذا) قــال ابــن حبيب المالكي وجمهور من الفقهاء، وقد ورد فيه آثار (منها) ما روى هشام بن عرفة عن أبيه قال ما صُلَّى على أبى بكر إلاَّ فى المسجد. أخرجه ابن أبى شيبة وسعيد ابن منصور بسند رجاله ثقات (وعن) ابن عمر رضى الله عنهما أن عمر – صُلى عليه فى المسجد، وصَلى عليه صهيب– أخرجه البيهقى وابن أبى شيبة.

(وقال) الحنفيون ومالك فى المشهور عنه: تكره الصلاة تنزيهًا على الميت خارجه، لأن المساجد إنما أُعدَّت للمكتوبة وتوابعها، كنافلة وتدريس علم، وتقدَّم أن النبى ﷺ خرج إلى المُصلَّى وصلى على النجاشى ...(وتُكره) الصلاة على الجنازة فى المقبرة بين القبور عند جمهور العلماء، وقال أبو هريرة وعمر بن عبد العزيز: لا تُكره، (وعــن) مالك: روايتان.

وسابعها: (أركانها)، وهى ثمانية:

(الأول): النية– وهى لغة: العزم على الشيء، وشرعاً: العزم عليه مقترناً بفعلــه – وهى ركن عند المالكية والشافعية، وشرط عند الحنفيين وأحمد، لقوله تعالى: **﴿وَمَا أُمِـرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾** [البينة: من الآيــة٥]، فإن الإخلاص هو النية، لأنه عمل من أعمال القلب (ولحديث): **((إنما الأعمال بالنيات))**. أخرجه الشيخان عن عمر.

(والثانى): التكبيرات الأربع: وهى ركن لا تصح صلاة الجنازة إلاَّ بها بالإجمــاع (لحديث) جابر أن النبى ﷺ صلى على النجاشى فكبَّر أربعًا. أخرجه الشيخان. (مع)

ملاحظة أنه لو نقص مُصلّي الجنازة عن أربع تكبيرات بأن سلم بعد الثالثة، فإن كان عمداً بطلت صلاته عند الجمهور، وإن سلّم ناسيًا كبَّر الرابعة وسلم (لقول) حميد الطويل:صلى بنا أنس فكبَّر ثلاثًا ثم سلَّم فقيل له فاستقبل القبلة ثم كبَّر الرابعة ثم سلَّم. أخرجه البخاري معلّقًا. ولا يُشرع فيها سجود للسهو. (ولو) زاد الإمام على الأربع التكبيرات لا يتبعه المقتدى بل ينتظر تسليمه ليسلم معه على المختار عند الحنفيين والشافعي..

(ومن) كبَّر خمساً، فإن كان ناسياً: لم تَبطُل صلاته ولا يسجد للسهو كما كبَّر أو سبح فى غير موضعه. وإن كان عمداً فوجهان:

(أحدهما): تَبطُل صلاته لأنه زاد ركناً، فأشبه من زاد ركوعاً.

(والثانى): لا تبطل وهو الصحيح...

(وقالت) المالكية: إن زاد الإمام على أربع عمداً لم ينتظره المأموم سواء رآه مذهباً أم لا، ويُكره انتظاره، بل يسلّمون وصلاتهم جميعاً صحيحة لأن التكبير فى صلاة الجنازة ليس بمنزلة الركعات من كل وجه، فإن انتظروه فينبغى عدم البطلان، وإن زاد سهواً أو جهلاً يجب انتظاره على المعتمد. فإن لم ينتظروه فينبغي الصحة.(وإن) شكوا أزاد عمداً أم سهواً؟ انتظروه على الظاهر. فإن لم ينتظروه فالصلاة صحيحة.

(الثالث): القيام للقادر عليه — فلا تصح قاعداً أو راكباً بلا عذر عند الحنفيين وأحمد وهو الصحيح عند المالكية والمشهور عند الشافعية ...(وقال) مالك فى المشهور عنه ومحمد بن الحسن: تصح صلاة الإمام فقط، وهو رواية عن أحمد، لأنه لا يصح اقتداء القائم بالقاعد لعذر عندهم.

(الرابع): قراءة الفاتحة- فهى ركن بعد التكبيرة الأولى عند الحنبلية، وهو المشهور عند الشافعية....(والعمل) على هذا عند بعض أهل العلم من الصحابة وغيرهم: يختارون أن يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى، وهو قول الشافعي وأحمد وإسحاق، وقال بعضهم: لا يقرأ فى الصلاة على الجنازة، إنما هو الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه ﷺ والدعاء للميت، وهو قول الثورى وغيره من أهل الكوفة.

(وقال) الحنفيون ومالك: لا قراءة فى صلاة الجنازة (لقول) ابن مسعود (لم يُوقّت لنا فى الصلاة على الميت قراءة ولا قول، كبِّر ما كبَّر الإمام وأكثر من طيب الكلام). أخرجه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح.

(**الخامس**): الصلاة على النبى ﷺ فهى ركن عند الشافعية والحنبلية بعد التكبيرة الثانية — يقول الزهرى: أخبرنى أبو أمامه بن سهل أنه أخبره رجل من أصحاب النبى ﷺ أن السنة فى الصلاة على الجنازة أن يكبِّر الإمام ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبيرة الأولى سرًّا فى نفسه، ثم يصلى على النبى ﷺ ويخلص الدعاء للجنازة فى التكبيرات لا يقرأ فى شيء منهن ثم يسلم سرًّا فى نفسه. أخرجه الشافعى فى مسنده والنسائى والبيهقى وعبد الرزاق بسند صححه الحافظ ابن حجر.

(وأقل) الصلاة على النبى ﷺ : (اللهم صل على محمد)، وأكملها: (اللهم صلِ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم فى العالمين إنك حميد مجيد).

(وقالت) المالكية: تُندب الصلاة على النبى ﷺ بعد التكبيرات الأربع (لقول) ابن شهاب: أخبرني أبو أمامة بن سهل بن حنيف أنه أخبره رجال من أصحاب النبى ﷺ فى الصلاة على الجنازة: أن يكبِّر الإمام ثُم يصلى على النبى ﷺ ويُخلص الصلاة فى التكبيرات الثلاث، ثم يسلم تسليمًا خفيفًا حين ينصرف.

والسنة أن يفعل من وراءه مثل ما فعل إمامه، قال الزهرى: حدثنى بذلك أبو أمامة وابن المسيب يسمع: فلم يُنكر ذلك عليه. أخرجه البيهقى.

(**السادس**): الدعاء للميت- وهو ركن بالإجماع- (لحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء**» .أخرجه أبو داود وابن ماجة والبيهقى وابن حبان.

(ومعنى) أخلصوا له الدعاء أى: اجعلوا الدعاء له خالصاً مقصوداً به وجه الله تعالى سواء أكان الميت محسناً أم مسيئاً، فإن العاصى أحوج الناس إلى دعاء إخوانه المسلمين وأفقرهم إلى شفاعتهم. ولذا قدم بين أيديهم للشفاعة له، ولا يكون الإخلاص إلا بصفاء الخاطر من الشواغل الدنيوية وبالخضوع بالقلب والجوارح.

(ويحتمل) أن المعنى: خصُّوا الميت بالدعاء (وبه) قال جمهور الشافعية، فيقول: (اللهم اغفر له وارحمه) ونحوه، وأكثر الفقهاء على جواز تعميم الدعاء .

(وحديث) أبى هريرة ليس نصّاً فيما قاله الشافعية، فلا يصلُح حجة لهم، ويكفى أقل الدعاء نحو (اللهم اغفر له).

(ويُسنُّ) كونه بعد الثالثة عند الحنفيين (لحديث) فضالة بن عُبيد أن النبى ﷺ سمع رجلًا يدعو فى صلاته لم يحمد الله و لم يُصلِّ على النبى ﷺ فقال:((**عَجَّل هذا**)) ثم دعاه ثم قال له: ((**إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد الله، أو بتحميد الله تعالى، ثم يصلى على النبى ﷺ ، ثم يدعو بعد**)) أخرجه أحمد والثلاثة والبيهقى والحاكم وصححه الترمذى.

(وهو)-(أى الدعاء)- واجب بعد التكبيرة الثالثة عند الشافعية والحنبلية، ولا دليل على تخصيصه بها وأقله ما يقع به اسم الدعاء..

(ثم) بعد ذلك، وبعد التلخيص لأهم تلك الأحكام الهامة[1].. يقول فى (الدين الخالص) ج٧ ص٢٩٤ وما بعدها تحت عنوان:

الدعاء بالمأثور

(ولا يتعين) فيه لفظ سوى أن يكون بأمور الآخرة وإن دعا بالمأثور فما أحسنه..

(ولما) كان هذا المأثور، هو موضوعنا الأصلي الذى ندور حوله من خلال الوصية العظيمة التى تتعلق بصلاة الجنازة والأدعية المأثورة فيها.

(**فإننى**) أرى أن أبدأ الآن فى تزويد الأخ المسلم بتلك الأدعية المأثورة بالإضافة إلى النص الذى تدور حوله:

(فعن) عوف بن مالك ﷺ قال: صلىَّ: النبى ﷺ على جنازة فحفظنا من دعائه: ((**اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مُدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقَّيت الثوب الأبيض من الدَّنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة،**

(١) التى أرى ضرورة أن يعود إليها الأخ المسلم حتى يقف عليها بالتفصيل المذهبى.. فى (الدين الخالص) ج٧، وغيره من المراجع التى من أهمها أيضاً: (فقه السنة)ج٤....

وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار)). قال عوف: (حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت). أخرجه أحمد ومسلم والنسائى والترمذى وابن ماجه والبيهقى.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أنه قال: كان النبى ﷺ إذا صلّى على جنازة قال: ((**اللهم اغفر لحينا وميتنا، وشاهدنا وغائبنا، و صغيرنا وكبيرنا، وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منّا فأحيه على الإسلام، ومن توفّيته منّا فتوفه على الإيمان: اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده**)). أخرجه أحمد والأربعة والبيهقى.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ دعا فى الصلاة على الجنازة فقال: ((**اللهم أنت ربها، وأنت خلقتها، وأنت رزقتها، وأنت هديتها للإسلام، وأنت قبضت روحها، وأنت أعلم بسرّها، وعلانيتها، جئنا شفعاء له فاغفر له ذنبه**)) أخرجه أحمد وأبو داود والبيهقى.

(وقال) واثلة بن الأسقع: صلى بنا النبى ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول: ((**اللهم إن فلان بن فلان فى ذمتك، وحبل جوارك، فقه من فتنة القبر وعذاب النار، وأنت أهل الوفاء والحق، اللهم فاغفر له وارحمه، فإنك أنت الغفور الرحيم**)) أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه بسند جيد. (وقد قال) بعد ذلك فى نفس المرجع:

(هذا) وقد جمع الشافعي- من مجموع الأحاديث الواردة- دعاء رتبه واستحبّه قال يقول: (اللهم هذا عبدك وابن عبدك خرج من رَوْح الدنيا وسعتها- ومحبوبه وأحبّاؤه فيها- إلى ظلمة القبر وما هو لاقيه.

كان يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك وأنت أعلم به. اللهم إنه نزل بك وأنت خير منزول به. وأصبح فقيراً إلى رحمتك وأنت غنى عن عذابه. وقد جئناك راغبين إليك شفعاء له. اللهم إن كان محسناً فزد فى إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عنه، ولقّه برحمتك رضاك، وقه فتنة القبر وعذابه، وأفسح له فى قبره، وجاف الأرض عن جنبيه، ولقّه برحمتك الأمن من عذابك حتى تبعثه آمنًا إلى جنتك برحمتك يا أرحم الراحمين)[1].

(وأما) غير المكلف: فلا يُستَغْفَر له، بل يدعو بما فى حديث أبى هريرة: ((**اللهم اجعله لنا سلفاً وفرطاً وأجراً**)). أخرجه البيهقى.

---

(١) انظر ص٢٣٨ ج٥ مجموع النووى، و(روح الدنيا) بفتح الراء: نسيم الحياة، و(ما هو لاقيه) أى الملكان والأهوال وغيرها، (ولقّه) بتشديد القاف، أى أنله وأعطه بسبب رحمتك ورضاك.

(**السابع**): السلام: فهو ركن بعد التكبيرة الرابعة-يسلم مرة عند مالك والشافعي وأحمد (وواجب) مرتين يميناً ويساراً ينوى بهما الميت والقوم عند الحنفيين. (وأقله): السلام عليكم، أو سلام عليكم (لقول) ابن مسعودﷺ: (ثلاث خلال كان النبيﷺ يفعلهن تركهن الناس: إحداهن التسليم على الجنازة مثل التسليم في الصلاة). أخرجه البيهقي والطبراني في التكبير بسند رجاله ثقات.

(وأما) صفة السلام: فالواجب عند الحنفيين تسليمتان يمينًا ويسارًا لما تقدم. والمختار عند مالك: سلام واحد. (والمشهور) عن الشافعي: أنه يستحب تسليمتان (وقال) في الأم: تسليمة واحدة يبدأ بها ملتفتًا إلى يمينه ويختمها ملتفتًا إلى يساره فيدير بها وجهه وهو فيها، وقيل: يأتي بها تلقاء وجهه وهو أشهر. (وقال) أحمد: يسلم تسليمة واحدة، وقال: من سلم عليها تسليمتين فهو جاهل جاهل، ويستحب أن يسلمها عن يمينه كسائر الصلوات، وإن سلم تلقاء وجهه فلا بأس يقول: السلام عليكم ورحمة الله. وإذا قال: السلام عليكم أجزأ.

(ويُسن) الإسرار بالسلام عنده واختار القاضي أن المستحب تسليمتان.

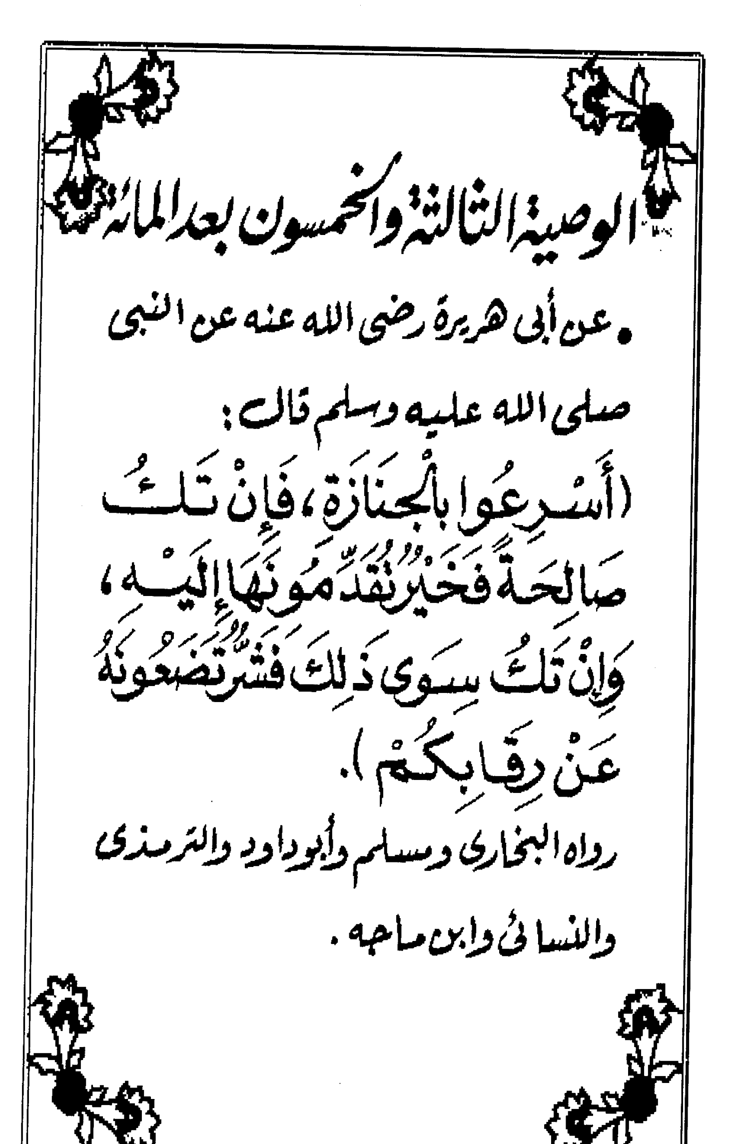
(**الثامن**): الترتيب بين الأركان — فهو: فرض عند الشافعي وأحمد بأن يقرأ الفاتحة بعد التكبيرة الأولى، ويصلي على النبيﷺ بعد الثانية، ويدعو للميت بعد الثالثة، ويسلم بعد الرابعة.. إلخ.

(وهناك) أحكام يستطيع الأخ المسلم أن يقف عليها وكذلك موضوع الأحق بالإمامة في الجنازة، والصلاة على متعدد.. والأحوال التي تعاد صلاة الجنازة فيها.

(**والخلاصة**) التي أريد أن ننتهي إليها، هي أن (أجمع) كيفية لكل ما ورد: أن ينوى الصلاة على من حضر، ويكبِّر رافعاً يديه، ثم يضع اليمنى على اليسرى، فوق السرة، ثم يأتي بدعاء الاستفتاح، ويتعوَّذ ويقرأ الفاتحة ويؤِّمن ويقرأ سورة قصيرة، ويدعو للميت سراً، ثم يكبر الثانية ويصلي على النبيﷺ بالوارد عَقبَ التشهد، ثم يدعو للميت، ثم يكبر الثالثة ويدعو للميت ثم يكبر الرابعة ويدعو بنحو قوله: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [البقرة:٢٠١]. ثم يسلم.

(ونحن) نسأل الله تعالى حسن الختام.

اللهم آمين



الوصية الثالثة والخمسون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(أَسْرِعُوا بِالْجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهَا إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ سِوَى ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ).

رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه.

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة.. حتى تسارع إلى الله تبارك وتعالى بطلب المغفرة منه سبحانه، قبل أن يسبقك قطار عمرك.. فتنتهى حياتك الأولى.. التى ستُجهَّز بعدها للدفن حتى يسارَع بك إلى أول مترل من منازل الآخرة.. ألا وهو القبر.. الذى سيكون بالنسبة لك إما روضة من رياض الجنة، وإما حفرة من حفر النار.. وأرجو أن يكون الأول هو مصيرك إن شاء الله.. ولكىْ يتحقق هذا الرجاء..فإنك لابد وأن تكون من المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى، عن الذين وعدهم الله تعالى بالمغفرة والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار ...

﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]

﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴾ [آل عمران:١٣٣-١٣٦]: وأيضًا يقول الله تبارك وتعالى: **﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** [الحديد:٢١].

(وإذا) كان شاهدنا فى الآيات الأولى التى هى من سورة آل عمران، والآية الثانية من سورة الحديد: هو الأمر بالمسارعة إلى الله تبارك وتعالى، والتَّسابق إليه سبحانه وتعالى طلباً للمغفرة والجنات التى تجرى من تحتها الأنهار..(وإذا) كان الله تبارك وتعالى قد قال فى ختام الآيات الأولى: **﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**[آل عمران:١٣٦]، وقال فى ختام الآية الثانية: **﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾** : فإنه يجب على الأخ المسلم أن ينفذ أمر الله تعالى فى هذين النصين.. حتى يفوز بأجر العاملين، والفضل

العظيم.. ابتداء من اللحظة الأولى التي سيكون فيها داخـــل قـــبره..(فقـــد) ورد في حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **((إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ وآله وسلم. فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنـــة، فيراهما جميعاً ويفسح له في قبره سبعون ذراعاً، ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثـــون. وأما الكافر أو المنافق فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجـــل؟ فيقـــول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال له: لا دريت ولا تليت[1]، ويضرب بمطارق من حديد ضربةً بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها مـــن يليـــه غـــير الثقلين[2]، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه))**.أخرجه أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي واللفظ للبخاري.

(وعن) البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وآله وســـلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلْحَد. فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجلسنا حوله وكأنَّ على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكُت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: **((استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثًا))** ثم قال: **((إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال على الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأنَّ وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنـــة، وحنوط [3]من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مدَّ البصر.**

ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها الـــنفس المطمئنة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كمـــا تســـيل القطرة من في[4] السقاء، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عينٍ حتى يأخـــذوها

(١) أي: لا عرفت الحق بنفسك ولا اتبعت من يعرف.
(٢) وهما الجن والإنس.
(٣) حنوط كرسول:طيب يخلط للميت خاصة ، وكل ما طيب به الميت من مسك وغيره.
(٤) أي: من فم القِربة.

فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض.قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا : ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون : فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمُّونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له، فيفتحون لهم. فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة. فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض، فإنى منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله ؟، فيقولان له: وما دينك ؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول : هو رسول الله ﷺ ، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادى مناد من السماء: أنْ صَدَق عبدى فأفرشوه من الجنة ، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة .قال: فيأتيه من رَوْحها[1] وطيبها، ويفسح له فى قبره مدُّ بصره. ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرُّك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجئ بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: ربِّ أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

(قال) وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح[2] فيجلسون منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب، فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود[3] من الصُّوف المبلول، فيأخذها. فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عينٍ حتى يجعلوها فى

(١) الروح بفتح الراء وسكون الواو: أى الرحمة

(٢) المسوح جمع مسح كحمل وحمول: الثوب الخشن.

(٣) السفود- بوزن التنور: الحديدة التى يشوى بها اللحم.

تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ﴾ [الأعراف: من الآية٤٠] **فيقول الله: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً، ثم قرأ:﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ باللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** [الحج:٣١]. **فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فيقولان له؟ ما دينك ؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى. فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى. فينادى مناد من السماء أن كذب فأفرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسَمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول: أبشر بالذى يسوءك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: فمن أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: ربِّ لا تقم الساعة ».**

(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت : سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن عذاب القبر؟ فقال « **عذاب القبر حق**» (الحديث) أخرجه الشيخان.

(وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **إن الموتى ليعذبون فى قبورهم حتى إن البهائم لتسمع أصواتهم** » أخرجه الطبرانى فى الكبير بسند حسن.

(وعن) أنس رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: « **لولا أن لا تدافنوا** (٢) **لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر**» أخرجه أحمد ومسلم والنسائى.

---

(١) وسم الخياط، أى ثقب الإبرة.

(٢) تدافنوا بفتح التاء على حذف إحدى التاءين و(لا) يحتمل أن تكون زائدة، والمعنى لولا الخوف من الموت والدفن بسبب سماع ذلك لدعوت، ويحتمل أن يكون المعنى لولا خوف ترك دفن موتاكم، لما يحصل لكم من الفزع والأهوال لدعوت.

(ثم) قال فى الدين الخالص ج١ ص٦٣- بعد ذكر هذه الأحاديث السابقة-:

(هذا): والمنعَّم والمعذَّب عند أهل السنة الجسد والروح جميعاً (واعلم) أنه وردت أحاديث دالة على اختصاص هذه الأمة بالسؤال فى القبر دون الأمم السابقة.

قال العلماء: السرُّ فيه أن الأمم كانت تأتيهم الرسل، فإن أطاعوهم فـــالمراد، وإن عصوهم اعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب. فلما أرسل الله النبى محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أمسك عنهم العذاب وقُبل الإسلام ممن أظهره سواء أخلص أم لا، وقيَّض لهم مـــن يسألهم فى القبور ليخرج الله سرَّهم بالسؤال، وليميز الله الخبيث من الطيب. وذهب ابن القيم إلى عموم المسألة[1].

(ثم) يقول: ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور حياة بها يدرك أثر النعيم والعذاب، ولو تفتتت أجسادهم. وهو أمر غيبى لا نبحث عن كيفيتة.

وحال صاحبه كحال النائم يرى الملاذ والمؤلمات، ولا يرى من بجواره شيئاً. وإنما ستر عنا رحمة بنا لقوله فى الحديث: ((**لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يســـمعكم من عذاب القبر**)).

(هذا): ولا يُسأل الأنبياء والصالحون والصبيان والشهداء (لحديث) راشد بن سعد عن صحابي أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المـــؤمنين يفتنـــون فى قبـــورهم إلا الشهيد؟ فقال: ((**كفى ببارقة السيوف على رؤوسهم فتنة**))[2] أخرجه النسائى.

(وعلى) هذا، فإننا نستطيع أن نفهم المراد من الوصية التى ندور حولها، وهو أن نعجِّلَ بتجهيز الميت للدفن لأن التعجيل بتجهيز الميت من الأمور الخمسة التى يسن التعجيل بها.. كما يقول حاتم الأصم عليه رضوان الله: (العجلة من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من السنة: إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب).

وإن المسارعة بالجنازة معناها –كما جاء فى نص الوصية- أننا سنقدم المـــؤمن إلى الخير الذى ينتظره، وأننا سنضع غير المؤمن عن رقابنا (وظاهر) الأمر بالإســـراع فى المشى ويحتمل الأمر بالإسراع فى التجهيز .

---

(١) انظر ص١٦٠ ج٢ سبل السلام طبعة: صبيح.
(٢)أى: يمتحنون بالسؤال فى القبر.. وكفى.

(وقال) النووى: الأول هو المتعيَّن، لقوله: (**فشر تضعونه عــن رقــابكم**) قــال بعضهم: ولا يخفى أنه يمكن تصحيحه على المعنى الثانى بأن يجعل الوضع عن الرقاب كناية عن التبعيد عنه وترك التلبس به ... وفى الحديث استحباب الإسراع بالجنــازة دون الخبب[1].. والخبب: ضرب من العَدْوْ، وقيل: هو الرَّمَل.

(وعن) أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: كان النبى ﷺ يقول: « **إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدِّمونى، وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها ؟ يسمع صــوتها كــل شــىء إلا الإنسانَ، ولو سمع الإنسان لصعق** ».رواه البخارى.

(وقد) أشار فى (الدين الخالص) ج٧ ص٣٣٥ تحت عنوان:

كيفية السير فى الجنازة

إلى أنه يسن لحامليها الإسراع بها إسراعاً وسطاً لا يضطرب معه الميــت علــى النعش، ولا يحصل منه مشقة على الحامل أو المشيع (لحديث) سعيد بن المسيب .

(عن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: « **أسرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخيراً تضعونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم** » أخرجه السبعة والبيهقى.

(وقال) عطاء حضرنا مع ابن عباس جنازة ميمونة زوج الــنبى ﷺ فقــال: «**إذا رفعتم نعشها فلا تزعزعوها ولا تزلزلوها**» أخرجه أحمد ومسلم.

(وروى) عُيينة بن عبد الرحمن عن أبيه أنه كان فى جنازة عثمان بن أبى العاص وكنَّا نمشى مشياً خفيفاً فلحقنا أبو بكر فرفع سوطه فقال: (لقد رأيتنا ونحن مع النبى ﷺ نرمل رملاً)[2] أخرجه أبو داود والنسائى والبيهقى والحاكم بأسانيد صحيحة.

(وهذا) مستحب باتفاق العلماء، وشذَّ ابن حزم فقال بوجوب الإسراع بالجنازة. وهو عند بعض السلف والحنفيين المشى بها مسرعين دون الخبب- وهو شدة الإسراع فى السير- (وقال) الشافعى والجمهور: المراد بالإسراع ما فوق المشى المعتاد، ويُكره

(١)وهو شدة الإسراع فى السير.

(٢) من باب طلب، أى نسير سيراً فوق المعتاد ودون الهرولة.

الإسراع الشديد، ومال القاضي عياض إلى نفي الخلاف، فقال: من استحب الإسراع. أراد الزيادة على المشي المعتاد، ومن كرهه أراد الإفراط فيه كالرمل- وهو السير سيراً فوق المعتاد ودون الهرولة-

(وحتى) يكون حمل الجنازة حملاً موافقاً للسنة، فإنني أرى أن أزود الأخ المسلم كذلك بما جاء في نفس المرجع السابق تحت عنوان:

كيفية حمل الجنازة

(فلقد) جاء فيه، أنه (يُسنُّ) أن يحملها أربعة من الرجال إن كان الميِّت كبيراً، فيكره كون الحامل أقلَّ من ذلك ، والحمل على الدَّابة والظهر ونحوه مما لا كراهة فيه. (وأما) الصغير فلا بأس أن يحمله واحد (ويُسنُّ) أن يبدأ الحامل بمقدم الجنازة يضعه على كتفه الأيمن، ثم يضع مؤخرها عليه، ثم يضع مقدمته على يساره، ثم مؤخرها على يساره (لقول) ابن مسعود ﷺ: (إذا تبع أحدكم الجنازة فليأخذ بجوانب السرير الأربعة ثم ليتطوع بعد أو يذر فإنه من السنة). أخرجه البيهقي وابن ماجه وأبو داود الطيالسي بسند رجاله ثقات وهو موقوف في حكم المرفوع لقوله: (فإنه من السنة).

(وعن) أنس بن مالك ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **من حمل جوانب السرير الأربع**[1] **كفر الله عنه أربعين كبيرة**» أخرجه الطبراني في الأوسط وفيه على بن أبي سارة وهو ضعيف (وبهذا) قال الحنفيون، وروى عن أحمد والشافعي، وعن أحمد أنه يدور على السرير فيأخذ بعد ياسرة المؤخرة يامنة المؤخرة ثم المقدمة.

(ومشهور) مذهب الشافعي أن الأفضل أن يحمل بين العمودين (لحديث) إبراهيم بن سعد عن أبيه عن جده قال: (رأيت سعد بن أبي وقاص في جنازة عبد الرحمن بن عوف قائماً بين العمودين المقدمين واضعاً السرير على كاهله) أخرجه الشافعي وأحمد.

(هذا) ويحرم حمل الجنازة على هيئة مزرية كحمله في قفة وغرارة[2]، وعلى هيئة يخاف منها سقوطه .فإن خيف تغيره قبل أن يهيأ له ما يحمل عليه، فلا بأس أن يُحمل

---

(١) أي: بالتناوب مع الحاملين في الجوانب الأربع.
(٢)كالزكيبة.. مثلاً.

على الأيدى والرقاب حتى يوصل إلى القبر. (ويُطلب) ستر سرير المرأة بمكبة توضع فوق النعش، وتغطّى بثوب لتستر المرأة عن أعين الناس.

والصحيح أن أول من اتُّخِذ لها نعش مستور فاطمة الزهراء رضى الله عنها. (روت) أم جعفر بنت محمد بن جعفر أن فاطمة بنت النبى ﷺ قالت: يا أسماء، إنى قد استقبحت ما يصنع بالنساء. إنه يُطرح على المرأة الثوب فيصفها، فقالت أسماء: ألا أريك شيئاً رأيته بأرض الحبشة ؟ فدعت بجرائد رطبة فحنتها ثم طرحت عليها ثوباً، فقالت فاطمة رضى الله عنها: ما أحسن هذا وأجمله؟ يعرف به الرجل من المرأة وأوصت أن يتخذ لها ذلك ففعلوه) أخرجه البيهقى.

(وأما) ما قيل من أن أول ما اتخذ ذلك فى جنازة زينب بنت النبى ﷺ وأنه أمر بذلك (فباطل) غير معروف (قال) النووى: نبهت عليه لئلا يُغترَّ به.. ا.هـ.

(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام وكن منفذاً للمراد منه.. (ثم) كن دائمًا وأبداً مسارعاً إلى الله تعالى بفعل الخيرات وترك المنكرات.. قبل أن يدركك الموت الذى يطلبنا جميعاً نحن الأحياء.. ليلًا ونهاراً.. وأنت تذكر قول الله تعالى: ﴿ **لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ** ﴾ وقول أبى العتاهية[1] عليه رحمة الله:

أنلهوا وأيّامنا تذهب	**ونلعب والموتُ لا يلعبُ ؟**
عجبت لذى لعب قد لها	**عجبت !ومالى لا أعجبُ؟**
أيلهو ويلعبُ مَنْ نفسُه	**تموتُ ومنزلهُ يخرُبُ؟**
نرى كلَّ ما ساءنا دائمًا	**على ما سرَّنا يغلبُ**
نرى اللَّيل يَطلُبنا والنهارَ	**ولم ندر أيهُما أطلبُ**
أحاط الجديدان[2] جمعًا بنا	**فليس لنا عنهما مَهربُ**
وكُل له مدة تنقضى[3]	**وكل له أثر[4] يكتبُ**

---

(١) المتوفى سنة ٢١١هـ.

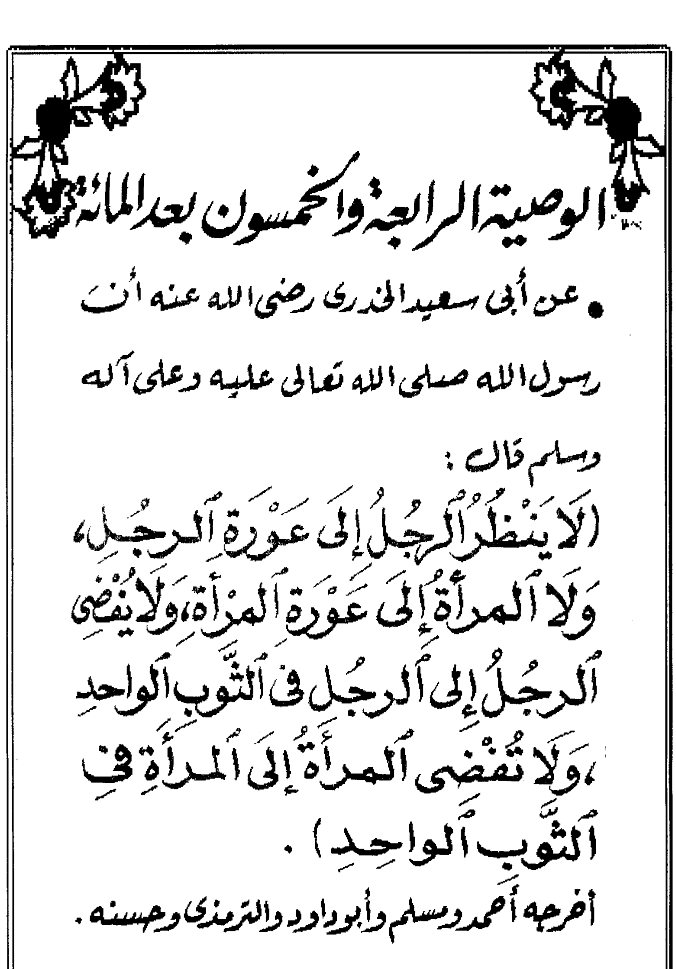
(٢) أى: الليل والنهار.

(٣) أى: وكل إنسان له عمر محدود لابد من انقضائه.

(٤) أى: وكل إنسان له أعمال تُحصى عليه ويُحاسب بها.

(ولتكن) دائماً وأبداً على صــلة بــالله تبــارك وتعــالى إلى آخــر لحظــة فى حياتك..(وذلك) بفعل الخيرات وترك المنكرات..حتى إذا ما جاءك ملك الموت عليه السلام كنت فرحًا مسرورًا به.. كسيدنا بلال ﷺ الذى ورد أنه وهو يحتضر كانت ابنته تبكى بجواره وهى تقول: وا أبتاه، وا كرباه، وا حُزناه.. فقال لهــا: لا تقــولى ذلك: لا كرب على أبيك بعد اليوم اليوم نلقى الأحبة محمداً وحزبه..

والله ولى التوفيق

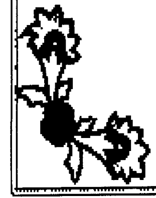


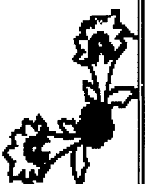
الوصية الرابعة والخمسون بعد المائة

• عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال:

(لا يَنْظُرُ ٱلرجُلُ إلى عَوْرَةِ ٱلرجُلِ، وَلا ٱلمرأةُ إلى عَوْرَةِ ٱلمرأة، وَلا يُفْضِي ٱلرجُلُ إلى ٱلرجُلِ في ٱلثَّوبِ ٱلواحِدِ، وَلا تُفْضِي ٱلمرأَةُ إلى ٱلمرأةِ في ٱلثَّوبِ ٱلواحِدِ).

أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي وحسنه.





فكن أخا الإسلام، وأنت أيَّتها الأخت المسلمة

من المنتفعين والمنتفعات بهذه الوصية العظيمة التي ينبغي عليكما أن تدرساها دراسة مستفيضة.. حتى لا ينظر أحدكما إلى عورة الآخر بتلك النظرة أو بتلك النظرات التي كانت ولا تزال أساساً في جميع الحوادث الأخلاقية .. كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله:

كُلُّ الحوادث مبداها من النظر ومُعظم النار من مُستصْغَر الشَّرر

(ولهذا) فقد أمر الله تعالى حبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه في سورة النور[1]، بأن يأمر المؤمنين والمؤمنات بأن يغضوا من أبصارهم وأبصارهن ... فقال تعالى:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [سورة النور:٣٠] أي: قل للمؤمنين بالله يكفُّوا عن النظر إلى ما يشتهون مما نُهوا عن النظر إليه**﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾** أي: أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها عن أبصارهم، قال ابن جرير: هذا مستلزم لحفظ الفروج من الزنى، لأن من سترها عن النظر سترها عما هو أبعد منه، وقد رجح القرطبي أن المراد بالآية ستر الفروج عن الأبصار وحفظها من الزنى لعموم اللفظ- **﴿ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾** أي: أن الغض والحفظ أطهر لهم عند الله وأفضل **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** أي:إن الله مُطَّلع على ما تصنعون من غضِّ البصر، وحفظ الفرج **﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾** أي: وقل للمؤمنات من أمتك، يغضضن من أبصارهنَّ عما يكره الله النظر إليه **﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾** أي: عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها، بلبس ما يسترها **﴿وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾** أي: ولا يظهرن زينتهن للناس، الذين ليسوا لهن بمحرم **﴿إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾** أي: إلا الوجه والكفين[2] **﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾**

(١) (والتفسير من مختصر تفسير الطبري) بتصرف يسير.

(٢) رأى ابن جرير هذا مبناه على أن الوجه والكفين ليسا بعورة، والصحيح الذي تؤيده النصوص، ويتمشى مع روح الإسلام أن الوجه والكفين من العورة التي يجب سترها ولا يجوز إبداؤها إلّا لضرورة أو حاجة كما بينه العلماء.

أى: وليلقين خمرهن على جيوبهن[1] ليسترن بذلك شعورهن، وأعناقهن[2] ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ أى: ولا يُظهرن الزينة الخفيَّة غير الظاهرة﴿ إلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ أى: إلا لأزواجهن﴿أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ أى: أو لأحد من هؤلاء المذكورين ﴿أَوْ نِسَائِهِن﴾ أى:أو نساء المسلمين[3]﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ أى: من الإماء المشركات﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ أى: أو الذين يتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا حاجة له من النساء ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ أى: أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء لصغرهن ﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ أى: ولا يجعلن فى أرجلهن من الحلى[4] ما إذا مشين، أو حركتهن علم الناس ما يخفين من ذلك ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُون﴾ أى:وارجعوا أيُّها المؤمنون إلى طاعة الله، فيما أمركم ونهاكم ﴿ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ أى: لتفلحوا وتدركوا طلباتكم لديه، بطاعتكم لأوامره ونواهيه.

(ولهذا) فإننى أرى أن أقف مع الأخ المسلم والأخت المسلمة – بعد أن وقفت معهما على تفسير الآيتين من سورة النور – على المعنى المراد من الوصية التى تدور حولها، بالإضافة إلى رواية أخرى:

(فعن) أبى سعيد الخدرى ﷺ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: **«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد، ولا تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد»** أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى وحسنه.

(١) أى: صدورهن، وأصل الجيب فى اللغة فتحة الثوب من جهة الصدر.

(٢) فى هذه الآية دليل على تغطية الوجه لأن الخمار هو الذى تغطى به المرأة رأسها، فإذا أنزلته على صدرها لتغطيه، غطت ما بينهما وهو الوجه.

(٣) هذا قوله ابن عباس، وقال آخرون: إن المراد جميع النساء، وقول السلف محمول على الأولى والأحب.

(٤) كالخلخال الذى يوضع فى القدم.

(وعن) بهز بن حكيم عن أبيه عن جده معاوية بن حيدة قال: قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال: « **احفظ عورتك إلاَّ من زوجتك أو ما ملكت يمينك**»، قلت: فإذا كان القوم بعضهم فى بعض[1] ؟ قال:« **إن استطعت أن لا يراها أحد فلا يرينها** ».

قلت: فإذا كان أحدنا خالياً ؟ قال: «**فالله أحق أن يُستحيا منه**» أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وحسنه الترمذى وصححه الحاكم.

(فمفهوم) الحديث الأول — الذى هو نص الوصية — أنه تحذير من كشف العورة...(ومفهوم) الحديث الثانى، ومن قوله ﷺ : « **إلاَّ من زوجتك أو ما ملكت يمينك**»: يدل على أنه يجوز لهما النظر إلى ذلك منه، وقياسه أنه يجوز له النظر إلى عورة نفسه وعورتيهما، ويدل أيضًا على أنه لا يجوز النظر لغير من استثنى، ومنه الرجل للرجل والمرأة للمرأة، (وفى) الحديث دليل على أنه لا يجوز التَّعرى فى الخلاء مطلقاً، وقد استدل البخارى على جوازه فى الغُسل (بحديث) أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: « **إن موسى كان رجلاً حييّاً ستِّيرًا لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بنى إسرائيل، فقالوا: ما يستتر هذا التَّستر إلا من عيب بجلده: إما برصُ، وإما أدرة[2]، وإما آفة، وإن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى، فخلا يوماً وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عَدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه فطلب الحجر فجعل يقول: ثوبى حجر، ثوبى حجر حتى انتهى إلى ملأ من بنى إسرائيل.فرأوه عرياناً أحسن مما خلق الله تعالى، وأبرأه مما يقولون، وقامَ الحجر فأخذ ثوبه فلبسه**» .. (الحديث) أخرجه البخارى والترمذى، (وبحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**بينما أيُّوب يغتسل عرياناً فخرَّ عليه جراد من ذهب، فجعل يحثى فى ثوبه**[3]**، فناداه ربه عز وجل: يا أيوب ألم أكن أغنيتك عمَّا ترى؟ قال: بلى وعزتك، ولكن لا غنى لى**

---

(١) بعضهم فى بعض: أى من بعض كما فى رواية: كأصل وفرع، أو المراد الجنس مع جنسه كالرجال والإناث.

(٢) نوع من المرض الجلدى.. والله أعلم.

(٣) أى: يجمع فى ثوبه.

عن بركتك» .. أخرجه البخارى. قال ابن بطال: دل على جـواز الاغتسـال عُرْيَانًا، لأن الله تعالى عاتب أيوب عليه السلام على جمع الجراد، و لم يعاتبه على الاغتسال عرياناً.

(هذا) وإذا كان لى أن أعلّق على كل هذا، فإنني أُريد أن أذكّـر الأخ المسـلم والأخت المسلمة.. بأن الخير كل الخير.. فى حفظ الفروج.. عن طريق غضِّ الأبصار كما علمنا — فى تفسير الآيتين من سورة النور — (وذلك) لأن النظرة الخبيثة هـى السبيل الميسَّر إلى ارتكاب جريمة الزنا.. كما يشير الشاعر إلى هذا فى قوله: (نظـرة فابتسامة فسلام فكلام فموعد فلقاء).

(ولهذا)، فقد أمرنا الله تعالى — كذكور وإناث — بالغض من أبصارنا..ومن فضله تعالى علينا.. أن جعل للعينين سترين..(فقد) ورد فى الحديث القدسى أن الله تعـالى قال مخاطباً عبده: (**وإن مما أنعمتُ عليك أن جعلتُ لك عينين تنظر بهما، وجعلتُ لهما غطاءً**[1]**، فانظر بعينيك إلى ما أحللتُ لك، فإن عرض لك ما حرَّمتُ عليك فأطبق عليهما غطاءهما**).

(وإذا) كان الله تبارك وتعالى قد قال فى الآية الثانية من سـورة النـور: ﴿ **وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِن**﴾: فإن هذا معناه أن المرأة تشـتهى كمـا يشـتهى الرجل.. بل وأكثر..(وحتى) تتضح الصورة لنا..(وحتى) نعرف كيف كان النبى ﷺ يغَار على نسائه.. إليكما هذا الحديث الذى ورد:

(عن) أم سلمة رضى الله عنها قالت: كنتُ عند رسـول الله ﷺ ، وعنـده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم- الأعمى[2]-، وذلك بعد أن أُمرنا بالحجاب، فقال النبى ﷺ : « **احتجبا منه** »، فقلنا: يا رسول الله: أليس هو أعمى: لا يبصـرنا، ولا يعرفنا؟ فقال النبى ﷺ : « **أفعمياوان أنتما ألستما تبصـرانه!**» [3] رواه أبـو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

(١) وهما الجفنان العلويَّان..

(٢) الذى عاتب الله فيه رسوله صلوات الله وسلامه عليه فى قولـه: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى**﴾ [عبس١:٢] فكان النبى ﷺ يستقبله بالأحضان وهو يقول له: مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى...

(٣) أى: تريانه.

(إن) حديثاً كهذا.. لابد وأن يكون سبباً فى انتباهنا نحن الرجال.. ونحن الأزواج والآباء بصفة خاصة حتى نغار على بناتنا ونسائنا..(ومما) يؤسف له أن الغيرة الآن قد أصبحت شبه معدومة.. لدرجة أن بعض الآباء أو الأزواج يصرحون لبناقمن وأزواجهن بأن يذهبن إلى ما يُسمَّى- بحلاق النساء- لكى يمّشط لهنَّ شعورهنَّ، ويدلك لهن وجوههن، ويقلّم لهن أظافرهنَّ.

لكى تخرج الواحدة من كل منهن بعد ذلك شيطانة.. بتلك الصورة التى أشار إليها الرسول ﷺ فى قوله: « **صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليؤجد من مسيرة كذا وكذا** » رواه مسلم.

(ومعنى) (كاسيات): أى من نعمة الله (عاريات) أى: من شكرها، وقيل: معناه: تلبس ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها، ومعنى (مائلات): قيل: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه، و (مميلات): أى: يعلّمن غيرهن فعلهنَّ المذموم. وقيل: مائلات يمشين متبخترات، مميلات لأكتافهنَّ. وقيل: مائلات يمشطن المشطة الميلاء. وهى مشطة البغايا. ومّميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة (رءوسهن كأسنمة البخت) :أى يكبّرنها ويعظّمنها بلف عمامة أو عصابة أو نحوها.

(وصدق) رسول الله ﷺ :فإن هذا الإخبار يعتبر معجزة له..(لأن) هذا الذى أخبر عنه.. من فعل الغانيات العاهرات فى هذا الزمان المأسوف عليه، والذى نحن فيه قبل نهاية القرن العشرين..(بل) وفى أوائل القرن الحادى والعشرين.

(هذا) بالإضافة إلى الخلوة المحرمة المشار إليها فى قول الرسول ﷺ : « **لا يخلونَّ أحدكم بامرأة**[1] **إلاَّ مع ذى محرم**» متفق عليه [2].

(١) أى: أجنبية منه.. لأن الشيطان سيكون ثالثهما.

(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(وعن) عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ: « **إيَّاكم والدُّخول على النساء!**»[1] فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحمو؟.قال: «**الحمو الموت**»[2] متفق عليه (الحمو) قريب الزوج كأخيه وابن أخيه وابن عمه.

(وأحبُّ) هنا أيضًا أن أذكر المرأة المستهترة بأنها عندما ستخرج بتلك الصورة المُشينة بعد أن تستعطر.. فإنها ستكون زانية..والعياذ بالله:

(وعن) أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **كل عين زانية، والمرأة إذا استعطرت، فمرت بالمجلس كذا وكذا، يعني زانية**» رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(ورواه) النسائي وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحهم، ولفظهم: «**أيَّما امرأة استعطرت، فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية، وكُل عين زانية** » رواه الحاكم أيضًا، وقال: صحيح الإسناد.

(حتى) ولو كانت في الطريق إلى المسجد من أجل الصلاة:

(فعن) موسى بن يسار رضي الله عنه قال: مرَّت بأبي هريرة امرأة وريحها تعصف[3]، فقال لها: أين تريدين يا أمة الجبار؟ قالت: إلى المسجد. قال: وتطيَّبت؟ قالت: بلى؛ قال: فارجعي فاغتسلي فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يقبل الله من امرأة صلاة خرجت إلى المسجد، وريحها تعصف حتى ترجع فتغتسل**» رواه ابن خزيمة في صحيحه. قال: باب إيجاب الغسل على المطيبة للخروج إلى المسجد، ونفي قبول صلاتها إن صلت قبل أن تغتسل، إن صحَّ الخبر.

(فعلى) المرأة أن تلاحظ هذا.. حتى تتقي الله تعالى في نفسها فتستر عوراتها.. (وعليها) كذلك أن تتقي الله في زوجها..

---

(١) أي: الأجنبيات على وجه الخلوة بهن..وهن مكشوفات.

(٢) أي: إن الخوف منه أكثر من غيره لتمكنه من الوصول إلى المرأة أي الخلوة بالحمو مؤدية إلى الهلاك.. وخراب البيوت والعياذ بالله. (وقيل): هو والد الزوج أو أخوه اللذان يعيشان معه في بيت واحد فلابد له من الدخول على المرأة.. ومعنى: (أفرايت) أي أخبرني عن حكمه وهل يمنع أيضًا من الدخول كما يمنع غيره.

(٣) يعني تفوح وتنتشر بشدة.

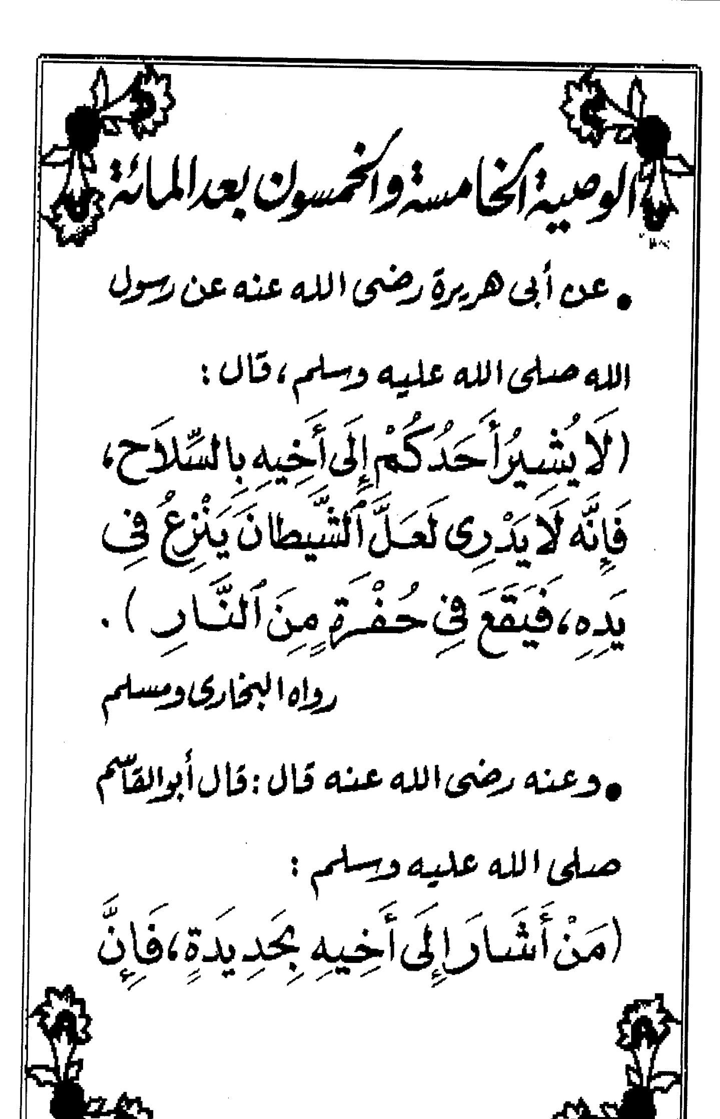
بمعنى أن تطيعه إذا ما طلبها.. فتمكنه من نفسها- اللهم إلا إذا كان هناك عـــذر شرعى[1]- لا يبيح له هذا..(فعن) زيد بن أرقمﷺ قال: قال رسول اللهﷺ :**((المرأة لا تؤدِّى حق الله تعالى عليها حتى تؤدِّى حقُّ زوجها كله، ولو سألها وهى علـــى ظهر قتب[2] لم تمنعه نفسها))** رواه الطبرانى بإسناد جيد. (وعن) طلق بن علىﷺ أن رسول اللهﷺ قال:**((إذا دعا الرجل زوجته لحاجته[3] فلتأته[4] وإن كانت على التنور))**[5] رواه الترمذى وقال: حديث حسن، والنسائى، وابن حبان فى صحيحه.

(وعلى) الأخ الزوج أن يعينها على طاعة الله..(وأن) لا يأمرها بكشف عورة من عوراتها.. لأنها لو كانت مطيعة لله فإنها لن تطيعه فى معصية الله..(بـــل) وعليـــه أن يكون قدوة لها فى فعل كل خير وترك كل منكر.. حتى يكون زوجاً صالحاً.. وحتى يبارك الله تعالى له فى كل أفراد أسرته.

(مع) ملاحظته وملاحظتها أن الله تعالى يقول**﴿يَـوْمَ يَفِـرُّ الْمَـرْءُ مِـنْ أَخِيـهِ ۝ وَأُمِّـهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَاحِبَتِهِ[6] وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** [سورة عبس:٣٤-٣٧].

والله المستعان على تحقيق طاعته، وتنفيذ أوامره، واجتناب نواهيه.

(١) كحيض أو نفاس.. أو كان هذا الطلب فى نهار رمضان.. فإنه يُحرم عليها أن تلبى مطلبه.
(٢) أى: وهى راكبة على ظهر بعيرها.
(٣) أى: لقضاء حاجته معها.
(٤) واللام للأمر وهو يقتضى الوجوب.
(٥) أى: وإن كانت تخبز على التَّنور.
(٦) وهى زوجته.



الوصية الخامسة والخمسون بعد المائة

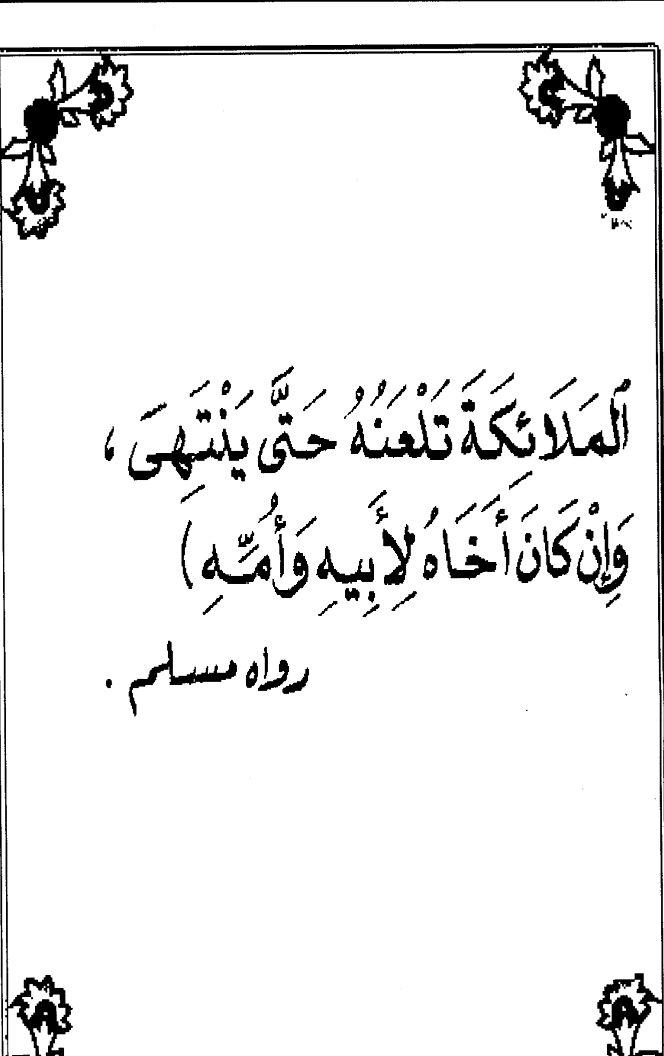
• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال:

(لَا يُشِيرُ أَحَدُكُمْ إِلَى أَخِيهِ بِالسِّلَاحِ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَعَ فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ).

رواه البخاري ومسلم

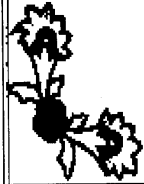
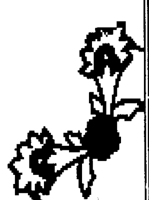
• وعنه رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم:

(مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ



الْمَلائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّى يَنْتَهِيَ ،
وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ)

رواه مسلم .

فكن أخا الإسلام

من المؤمنين الفُطناء الذين لن يستطيعَ الشيطان أن يلعب بهم.. وأن يجعلهم كالآلة الحادَّة فى يده.. يوجِّهها كسلاح إلى من يشاء من عباد الله.. لكى يكون هذا سببًا فى وقوع البعيد الذى ضحك عليه، أو لعب به.. داخل حفرة من النار..

(وهذا) المضمون هو المشار إليه فى نص الوصية..(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال أبو القاسم ﷺ : « **من أشار إلى أخيه بحديدة، فإن الملائكة تلعنه حتى ينتهى، وإن كان أخاه لأبيه وأمِّه** ».رواه مسلم.

(فمعنى) : « **لا يشير أحدكم**»:هذا خبر فى معنى النهى «**فإنه لا يدرى لعلَّ الشيطان يترع فى يده**» أى: فيصيب السلاح أخاه.. و:«**من أشار إلى أخيه بحديدة**» أى: بقطعة أو بعضًا من الحديد على جهة التهديد..«**فإن الملائكة تلعنه**» أى: تدعو عليه باللَّعنة لترويعه المسلم..«**حتى ينتهى**» أى: حتى يكفَّ عن ذلك.. «**وإن كان أخاه لأبيه وأمِّه**» أى: وإن كان شقيقاً له فلا يجوز له أن يروِّعَه..

(وعن) عبد الله بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبى ﷺ ، فنام رجل منهم، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه، ففزع، فقال رسول الله ﷺ : « **لا يحل لمسلمٍ أن يروِّع مسلمًا**». رواه أبو داود.

(فمعنى): ففزع، أى: قام من نومه مرتاعاً، «**يروع مسلمًا**»، أى: يُخيفه ويفزِعُه (وقوله):«**لا يحل**»: يفيد أنه حرام، فإن نفى الحل مستلزم للحرمة.

(وعن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : « **سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر**».رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

(ففى) الحديث الأول الذى هو نص الوصية التى ندور حولها.. بالإضافة إلى الأحاديث المشروحة مفرداتها ومعانى كلماتها بعد هذا.. ينهى ويحذِّر من كل فعل يروِّع المسلم، فضلاً عن سباب المؤمن الذى قال عنه أنه فسوق، وعن قتاله الذى قال عنه أنه كفر..

(وهذا) معناه أن النهى هذا، أو التحذير هذا.. (يجب) أن يُنفَّذ تنفيـذًا إيجابيـا.. (بمعنى) أن يتجنَّب المسلم كل ما يروِّع أخاه المسلم، (وأن) يجتنب سباب المؤمن حتى لا يكون فاسقًا، وقتاله حتى لا يكون كافراً والعياذ بالله .

(مع) ملاحظة أن الشيطان الرجيم سيكون وراء كل تلك الأسْباب التى لا عائـد من ورائها إلاَّ الضياع والخسران.. فى الدنيا والآخرة..(لأنه) كما يقول الله تعالى عنه فى قرآنه:﴿ **يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ [فاطر: ٦]، ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً**﴾ [البقرة: ٢٦٨].

(وهو) أيضًا فى نفس الوقت لا سلطان له على عباد الله المؤمنين..(ولهـذا) فإنـه ينبغى على الأخ المؤمن أن يتسلَّح ضده- دائماً وأبداً- بذكر الله تعالى الذى يقـول: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف:٣٦] ، أى: ومـن يغفل عن ذكر الرحمن.. نجعل الشيطان قريناً له وملازماً له فى غدوه ورواحه.. وفى كـل تصرفاته..(وقد) ورد فى رؤيا رآها الحبيب المصطفى ﷺ فى منامه أنه قال: «**ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطيَّر الشياطين عنه**»[1].

(ومن) أجل هذا، فإنه ينبغى على الأخ المسلم أن ينفِّذ وصية الرسول ﷺ حتى لا يحدث بينه وبين أخيه المسلم ما حدث بين قابيل وأخيه هابيل بسبب الحقد والحسـد اللَّذَين كانا بسبب الأخت الجميلة- وهى التى وُلدت مع قابيل فى بطن واحدة- والتى كان مقرراً أن يتزوَّجها هابيل بأمر من الله تبارك – على أن تتزوج أختُه التى ولدت معه أخاه قابيل..(لأن الله)تبارك وتعالى كان قد أمر أبانا آدم بأن يزوج أبناءه بصورة عكسية .. حتى يكون هناك النسل المتكاثر الذى يُعمِّر الكون تحقيقاً للخلافة المشـار إليها فى قول الله تبارك للملائكة﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ .

(ولكن) قابيل اعترض على هذا الأمر وقال لأبيه هذا الرأى من عندك وليس من عنـد الله.. لأنك تحب أخى هابيل أكثر.. ولهذا فإنك تريد أن تزوجه بأختى الجميلة..

(١) وهو من أصح الأحاديث.

(فرفع) أبونا آدم الأمر إلى الله تعالى – وهو أعلم- لكى يهديه إلى الحل .. فقال الله تعالى له: مرهما بأن يقدما قرباناً لله.. والذي سيُقبل قربانه.. هو الذى سيكون زوجاً للفتاة الجميلة..

– وكانت علامة قبول القربان أن تنزل نار من السماء لتحرقه أو تختطفه- فذهب قابيل ثم عاد بحزمة قمح من أردأ الحزم[1] وقدمها قرباناً لله – لأنه كان فلاَّحاً- وذهب هابيل ثم عاد بكبش عظيم وقدمه قرباناً لله- لأنه كان راعياً للغنم- فنزلت نار من السماء فاختطفت كبش هابيل- الذى قيل أنه ظل يرتع فى رياض الجنة حتى افتدى الله به إسماعيل عليه السلام- فقال له أخوه قابيل: ﴿**لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**﴾ [المائدة:٢٧: ٢٩]

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ**﴾ [المائدة:٣٠] أى: فزينت له نفسه قتل أخيه ﴿**فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ وكان قد جلس يُفكِّر فى كيفية تنفيذ ما توعد به أخاه هابيل.. فجاءه أستاذه إبليس وأراه كيف ينفذ جريمته.. فأحضر طائراً.. ثم وضع رأس الطائر فوق حجر.. ثم حطَّم رأس الطائر بحجر آخر..

(ففعل) بأخيه مثل ما فعل اللَّعين بالطائر..وكان هابيل نائما وقد توسَّد حجراً[2].. فذهب القاتل الأول – قابيل- ثم عاد بحجر آخر فحطَّم رأس أخيه به.. (ثم) وضعه بعد ذلك فى جراب ثم حمله فوق عاتقه وسار به بعيداً.. وهو لا يدرى ماذا يفعل به بعد هذا.. إلى أن فاحت رائحة هذا الجسد.. فكان لابد وأن يُوارَى تحت التراب.. ولكى يتم هذا.. أراد الله تعالى أن يجعل القاتل الأول هذا تلميذاً للغراب الذى علمه كيف يوارى سوأة أخيه. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿**فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ**﴾ [المائدة: ٣١]، وكان الغرابان قد اقتتلا إلى أن تغلب أحدهما على الآخر فقتله.. ثم حفر الغراب القاتل للغراب المقتول حفرة ثم واراه تحتها بأظافره.. فلما رأى هذا: ﴿**قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**﴾.

(١) حتى قيل أنه وجد فيها سنبلة سليمة ففركها وأكلها فى الطريق..
(٢) أى: جعل رأسه فوق الحجر كالوسادة.

(ثم) بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢].

ثم بعد ذلك يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣]

(فهذا) درس قرآني لابد وأن ننتفع به حتى لا نكون على شاكلة قابيل.. الذى سن سنة سيئة عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة..

(ولنكن) جميعاً كمسلمين صادقين من المنفذين لما جاء فى هذا الحديث الشريف الذى رواه مسلم:

(عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى ها هنا**- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- **بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه».**

(ففى) هذا الحديث الصحيح نهى رسول الله ﷺ (عن) التَّحاسد المذموم وهو تمنى زوال نعمة الغير ليحصل عليها الحاسد لنفسه.. (وقد) أمرنا الله تعالى فى قرآنه بأن نستعيذ به من شر هذا الحسد المذموم فقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:١: ٥] (كما) نهى (عن) التناجش، وهو أن يزيد المتناجش فى ثمن سلعة ليغر غيره، وهو حرام لأنه غش وخديعة (كما) نهى (عن) التباغض، وهو عكس الحب لله الذى لن يكمل الإيمان إلا به، (كما) نهى(عن) التَّدابر، وهو أن يهجر أخاه، وإن رآه أعطاه دبره أو ظهره..

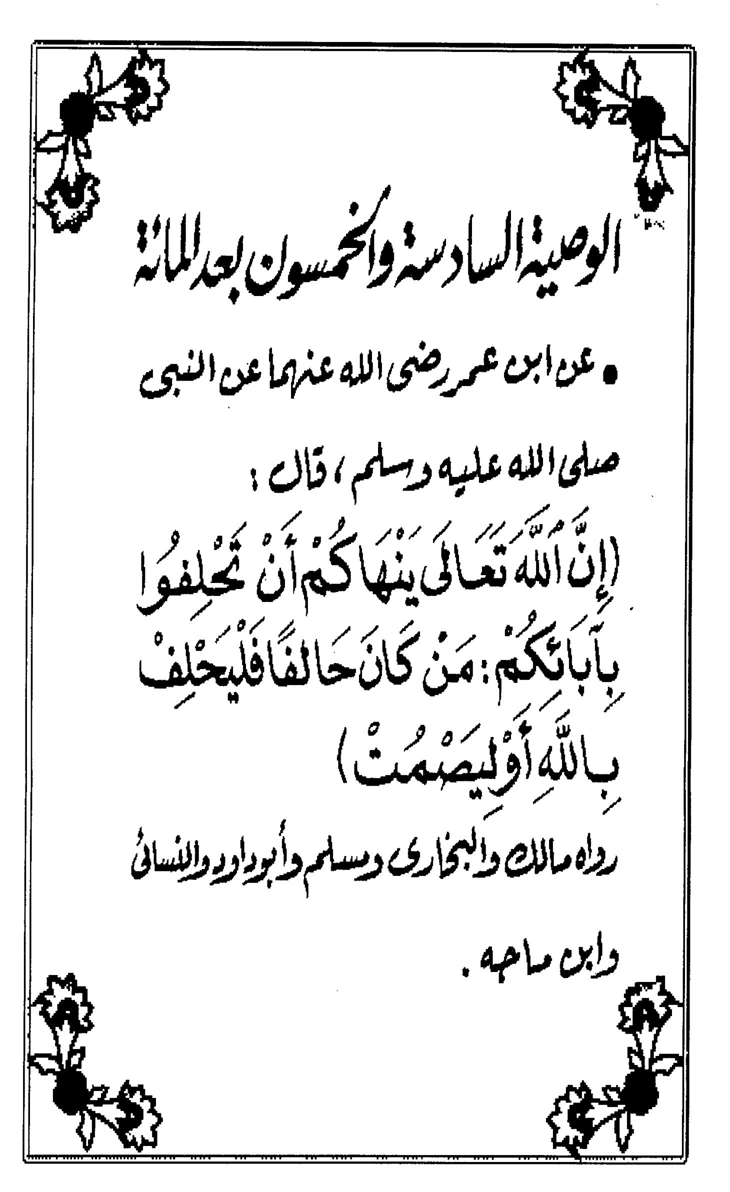
(كما) نهى (أن) يبيع الأخ على بيع أخيه.. وصورته أن يبيع أخوه شيئًا، فيأمر المشترى بالفسخ ليبيعه مثله وأحسن منه بأقل من ثمن ذلك.. وهذا حرام..

(وكذلك) يأمرنا الرسول ﷺ بأن نكون عباد الله إخوانًا متحابين لله وفى الله.. حتى تتحقق الأخوة الإسلامية المشار إليها بعد ذلك فى قوله: « **المسلم أخو المسلم** »، وهذا يتطلب (أن) لا يظلم المسلم أخاه المسلم بمعنى أن يأكل أمواله بالباطل، أو يعتدى على حقوقه، (ولا) يكذبه، بمعنى أن يكون مصدِّقاً له عند الاستشهاد به فى موقف يتطلب شهادته (ولا) يخذله، بمعنى أن ينصره ويعينه ويدفع عنه الأذى ما استطاع (ولا يحقره)، بمعنى أن لا يحكم على نفسه بأنه خير من غيره.. وقد يكون العكس هو الصحيح. لأن الله تعالى يقول: ﴿**لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ**﴾ [الحجرات: ١١]، (ثم) بعد ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه: «**بحسب امرئ من الشر**» أى يكفيه من الشر «**أن يحقر أخاه** » يعنى أن هذا شر عظيم يكفى فاعله عقوبة هذا الذنب.

(ثم) بعد ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه «**كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه**» إشارة إلى ما قاله ﷺ فى حجة الوداع، وهو: « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا**»، (وقد) استدل الكرابسى بهذا الحديث على أن الغيبة والوقوع فى عرض المسلمين كبيرة إما لدلالة الاقتران بالدم والمال، وإما للتشبيه بقوله: كحرمة يومكم هذا، فى شهركم هذا، فى بلدكم هذا..(وقد) توعَّد الله تعالى بالعذاب الأليم عليه، فقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الحج: ٢٥] (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا.. الذى ذكَّرته به.. من خلال التعليق على نص الوصية.. (لأنه) يعتبر أساساً فى الترويع الذى قد يكون مثلاً سببا فى موت المسلم المروَّع بالسكتة القلبية أو بالخوف الشديد الذى قد يكون موتاً بطيئاً بالنسبة له..(مع) ملاحظة أن الأمن والأمان – فى هذه الحياة الأولى – هما أهم شيء ينشده الإنسان فى هذه الحياة حتى يكون آمناً فى سربه.. بالإضافة إلى قوت يومه..

ويوم أن يتحقق له هذا.. فإنه سيكون من أسعد الناس الذين أطعمهم الله تعالى ﴿**مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾ [قريش: ٤]

والله المستعان على تحقيق هذا الأمان الذى هو روح الحياة.



الوصية السادسة والخمسون بعد المائة

• عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال:

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ: مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ)

رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية التى ينهانا فيها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه عن الحلف بالآباء-أو بأى مخلوق آخر- كما كانوا يفعلون فى الجاهلية.. لأن النهى بهذا التعبير -الذى جاء- فى نص الوصية يقتضى حرمة الشيء المنهى عنه....

(وإذا)كان النبىﷺ قد قال بعد ذلك فى نص الوصية: « **من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت**» أو «**ليذر**» كما فى رواية أخرى:

فإن هذا معناه أننا لابد وأن نترك الحلف بغير الله لأن هذا لا يجوز.. ولا يجوز الحلف إلا بأسمائه تعالى وصفاته..(وقد) قال فى الفتح: (قال العلماء: السر فى النهى عن الحلف بغير الله تعالى، أن الحلف بالشيء يقتضي تعظيمه، والعظمة فى الحقيقة إنما هى لله وحده).

(وفى) رواية لابن ماجه من حديث بُريده قال: سمع النبىﷺ رجلاً يحلف بأبيه، فقال: «**لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصْدُق، ومن حُلِفَ له بالله فليرضَى، ومن لم يرضَ بالله فليس من الله** »:

(وعنه)رضي الله عنه أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يُحْلَفْ بغير الله، فإنى سمعت رسول اللهﷺ يقول:«**من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**». رواه الترمذى وحسنه، وابن حبان فى صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

(وفى) رواية الحاكم: سمعت رسول اللهﷺ يقول: «**كل يمين يُحلف بها دون الله شرك**».

(ومعنى) قولهﷺ : «**فقد كفر أو أشرك**»، وفى رواية: [فقد كفر وأشرك]: أى فَعَلَ فعْلَ أهل الشرك وتشبه بهم — إذ كانت أيمانهم بابائهم وما يعبدونه من دون الله- فقد أَشرك غير الله فى تعظيمه.. وفى هذا الحديث — الذى ندور حوله- بالإضافة إلى الروايات الأخرى وعيد شديد لمن يحلف بغير الله من المخلوقين..

(وقال) الجمهور: لا يكفر كفراً ينقله عن الملَّة، ولكنه من الشرك الأصغر كما نصَّ على ذلك ابن عباس وغيره.. (وعليه) أن يقول: (لا إله إلا الله).. لأن ذلك سيكون كفارة له مع الإكثار من الاستغفار (ولهذا) فقد رأيت توضيحاً لكل هذا.. أن أُلخِّص لك ما جاء فى (فقه السنة) ج٣ص ١٠٨ تحت عنوان:

الأيمان

(فلقد) ذكر أن الأيمان:جمع يمين، وهى اليد المقابلة لليد اليسرى، وسُمِّى بها الحلف لأنهم كانوا إذا تحالفوا أخذ كلٌ بيمين صاحبه وقيل: لأنها تحفظ الشيء كما تحفظه اليمين.

(ومعنى) اليمين فى الشرع: تحقيق الأمر أو توكيده بذكر اسم الله تعالى أو صفة من صفاته.. أو هو عقد يقوِّى به الحالف عزمه على الفعل أو الترك. واليمين، والحلف، والإيلاء، والقسم بمعنى واحد.

(ثم) قال بعد ذلك مشيرًا إلى نص القسم المشروع: (ولا يكون) الحلف إلّا بذكر اسم الله أو صفة من صفاته، سواء أكانت صفات ذات، أم صفات أفعال، كقوله: والله، وعزة الله، وعظمته، وكبريائه، وقدرته، وإرادته، وعلمه.. كذا الحلف بالمصحف أو القرآن أو سورة منه أو آية منه.

(وقد) قال الله تعالى فى قرآنه: ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ [الذاريات:٢٣]، وقال: ﴿**فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ**﴾ [المعارج:٤٠].

(كما ورد فى السنة (عن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: كانت يمين النبى ﷺ: «**لا، ومقلّب القلوب**». (وعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا اجتهد[1] فى الدعاء قال: «**والذى نفس أبى القاسم بيده**» رواه أبو داود.

(ثم) أشار بعد ذلك إلى بعض الأيمان التى اختلف فيها بين الأئمة، وهى:

[أَيْم الله، وعَمْرُ الله، وأقسمت عليك]:قسم.

[وأيم الله]: يمين، لأنها بمعنى والله، أو:وحق الله.

[ويمين الله]: يمين عند الأحناف والمالكية، لأن معناها: أحلف بالله.

وقالت الشافعية: لا تكون يميناً إلاّ بالنية ، فإن نوى الحالف اليمين انعقدت، وإن لم ينو لم تنعقد.

وعند أحمد: روايتان أصحهما أنها تنعقد.

(١) أى: بالغ فى الدعاء.

وعَمْرُ الله: يمين عند الأحناف والمالكية، لأنها بمعنى وحياة الله وبقائـه.(وقـال) الشافعي رضي الله عنه، وأحمد وإسحاق: لا يكون يميناً إلا بالنية.

(وكلمة) أقسمْت عليك، وأقسمت بالله: يرى بعض العلماء أنه يكون يميناً مطلقاً، ويرى أكثرهم أنه لا يكون يميناً إلاَّ بالنية.

(وذهبت) الشافعية: إلى أن ما ذكر فيه اسم الله يكون يميناً، وأن ما لم يذكر فيـه اسم الله لا يكون يميناً وإن نوى اليمين.

(وقال) مالك رضي الله عنه، إن قال الحالف: أقسمت بالله: كان يميناً، (وإن) قال:أقسمت أو أقسمت عليك، فإنه فى هذه الصورة لا يكون يميناً إلا بالنية.

(ثم) يقول تحت عنوان:

الحلف بأيمان المسلمين

(أن) الحلف بأيمان المسلمين: لا يلزم به شيء.

(ومن) قال: إن فعلتُ كذا فعليَّ صيام شهرٍ، أو الحجُّ إلى بيت الله الحرام:

(أو قال):إن فعلتُ كذا فكل ما أملكه صدقة.. (فهذا) وأمثاله فيه كفـارة يمين متى حنث، وهو أظهر أقوال العلماء، وقيل: لاشيء فيه.(وقيل): إذا حنث لزمه ما علَّقه وحلف به.

(ثم) يقول تحت عنوان:

الحلف بأنه غير مسلم– أو الحلف بالبراءة من الإسلام.

(من) حلف أنه يهودى، أو نصرانى، أو أنه بريء من الله أو من رسوله ﷺ : إن فعل كذا ففعله: (قال) جماعة من العلماء منهم الشافعي: ليس هذا بيمين ولا كفارة عليه.

لأن النصوص اقتصرت على التهديد والزجر الشديد.

(روى) أبو داود والنسائى (عن) بُريده عن أبيه أن النبى ﷺ قال: ((**من حلـف**

فقال: إني برئ من الإسلام، فإن كان كاذباً فهو كما قال[1]**، وإن كان صادقاً فلن يرجع إلى الإسلام سالمًا»**[2].(وعن) ثابت بن الضَّحاك أن النبي ﷺ قال: «**من حلف بغير ملة الإسلام فهو كما قال** ».

(وذهب) الأحناف وأحمد وإسحاق وسفيان والأوزاعي: إلى أنه يمين، وعليه الكفارة إن حنث.

(ثم) يقول بعد ذلك، تحت عنوان:

الحلف بغير الله محظور

(وإذا) كانت اليمين لا تكون إلاَّ بذكر اسم الله أو ذكر صفة من صفاته، فإنه يَحُرم الحلف بغير ذلك، لأن الحلف يقتضى تعظيم المحلوف به، والله وحده هو المختص بالتعظيم. (فمن) حلف بغير الله فأقسم بالنبى، أو الولى، أو الأب، أو الكعبة، أو ما شابه ذلك، فإن يمينه لا تنعقد، ولا كفارة عليه إذا حنث، وأثم بتعظيمه غير الله.

(وقد) جاء النهى عن الحلف بغير الله إذا كان يُقصد بذكره التعظيم كالحالف بالله يقصد بذكره تعظيمه، أما إذا لم يقصد التعظيم، بل يقصد تأكيد الكلام، فهو مكروه من أجل المشابهة، ولأنه يشعر بتعظيم غير الله (فقد) قال الرسول ﷺ للأعرابي: «**أفلح وأبيه** »: قال البيهقي: إن ذلك كان يقع من العرب ويجرى على ألسنتهم من دون قصد.(وأيَّد) النووى هذا الرأى وقال: إنه هو الجواب المرضى.

(ثم) يقول تحت عنوان:

شرط اليمين وركنها

ويشترط فى اليمين: العقل، والبلوغ، والإسلام. وإمكان البر والاختيار، فإن حلف مُكرهًا لم تنعقد يمينه (وركنها) اللفظ المستعمل فيها. (وحكم اليمين): أن يفعل الحالف المحلوف به فيكون بارًّا، أو لا يفعله فيحنث وتجب الكفارة.

---

(١) أى: هو كما قال عقوبة له على كذبه.

(٢) أى: إن قصد بذلك إبعاد نفسه لم يكفر. وليقل: لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ . ويستغفر الله ويتوب إليه. وإن أراد الكفر إذا فعل المحلوف عليه كفر والعياذ بالله.

(وأما) عن:

أقسام اليمين

(فهى) ثلاثة: اليمين اللغو، واليمين المنعقدة، واليمين الغموس.

(واليمين اللغو): هى الحلف من غير قصد اليمين، كأن يقول المرء: والله لتأكلنَّ، أو لتشربَنَّ، أو لتحضرنَّ، ونحو ذلك لا يريد به يميناً، ولا يقصد به قسماً، فهو من سقط القول:

(فعن) عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت: أنزلت هذه الآية: ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾ [البقرة: ٢٢٥]: فى قول الرجل: (لا والله، وبلى والله، وكلا والله). رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

(وقال) مالك ﷺ والأحناف، والليث، والأوزاعى: (لغو اليمين أن يحلف على شيء يظنُّ صدقه، فيظهر خلافه فهو من باب الخطأ) (وعند) أحمد ﷺ: روايتان كالمذهبين.

(وحكم هذا اليمين): أنه لا كفارة فيه، ولا مؤاخذة عليه.

(واليمين المنعقدة): هى اليمين التى يقصدها الحالف ويصمِّم عليها، (فهي) يمين متعمَّدة مقصودة وليست لغواً يجرى على اللسان بمقتضى العرف والعادة، (وقيل): اليمين المنعقدة هى أن يحلف على أمر من المستقبل أن يفعله أو لا يفعله.

(وحكمها): وجوب الكفارة فيها عند الحنث.

قال الله تعالى ﴿**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ**﴾ [البقرة:٢٢٥]،

وقال تبارك وتعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ [المائدة:٨٩].

(واليمين الغموس): وتسمى أيضًا الصَّابرة: وهى اليمين الكاذبة التى تُهضم بها الحقوق، أو التى يُقصد بها الفسق والخيانة (وهى) كبيرة من كبائر الإثم- ولا كفارة فيها[1]- لأنها أعظم من أن تُكفَّر، وسُمِّيت غموسًا لأنها تغمس صاحبها فى نار جهنم، وتجب التوبة منها، ورد الحقوق إلى أصحابها إذا ترتب عليها ضياع هذه الحقوق.

(يقول) الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النحل:٩٤].

(وأما) عن:

كفارة اليمين

(فهى) الإطعام، أو الكسوة، أو العتق: على التخيير، فمن لم يستطع، فليصم ثلاثة أيام..(وهذه) الثلاثة مرتبة ترتيباً تصاعديًا، أى تبدأ من الأدنى للأعلى، فالإطعام أدناها، والكسوة أوسطها، والعتق أعلاها..

(قال) تعالى:﴿ **فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾ [المائدة:٨٩] (مع) ملاحظة أنه لا يشترط التتابع فى الصوم ، فيجوز صيامها متتابعة، كما يجوز صيامها متفرقة. (وأيضاً): مع ملاحظة أنه قد اتفق الأئمة الثلاثة على أن كفارة اليمين لا يجزئ فيها إخراج القيمة عن الإطعام والكسوة، وأجاز ذلك أبو حنيفة رضي الله عنه.

(وأيضاً) مع ملاحظة قول الله تعالى: ﴿ **وَلا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [البقرة: ٢٢٤]: أى: لا تجعلوا الحلف بالله مانعاً لكم من البر والتقوى والإصلاح..

﴿ **قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ** ﴾ [التحريم: ٢] أى: شرع لكم تحليل الأيمان بعمل الكفارة.

(١) وقال الشافعى، ورواية عن أحمد رضى الله عنهما فيها الكفارة.

(روى) أحمد والبخارى ومسلم أن النبى ﷺقال: «**إذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيراً منها، فأت الذى هو خير وكفِّر عن يمينك**».

(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام ونفِّذ الصواب فيه.. وأحذر المحظور منه..

(ثم) هناك ملاحظات هامة ختم بها صاحب (فقه السنة) تلك الأحكـام، تحت عنوان:

أقسام اليمين باعتبار المحلوف عليه

(فقال): وعلى هذا، يمكن تقسيم اليمين باعتبار المحلوف عليه إلى الأقسام الآتية:

١-أن يحلف على فعل واجب، أو ترك محرم : فهذا يحرم الحنث فيه لأنه تأكيد لما كلفه الله به من عبادة.

٢- أن يحلف على ترك واجب أو فعل محرم: فهذا يجب الحنث فيه لأنه حَلَـف على معصية، كما تجب الكفارة.

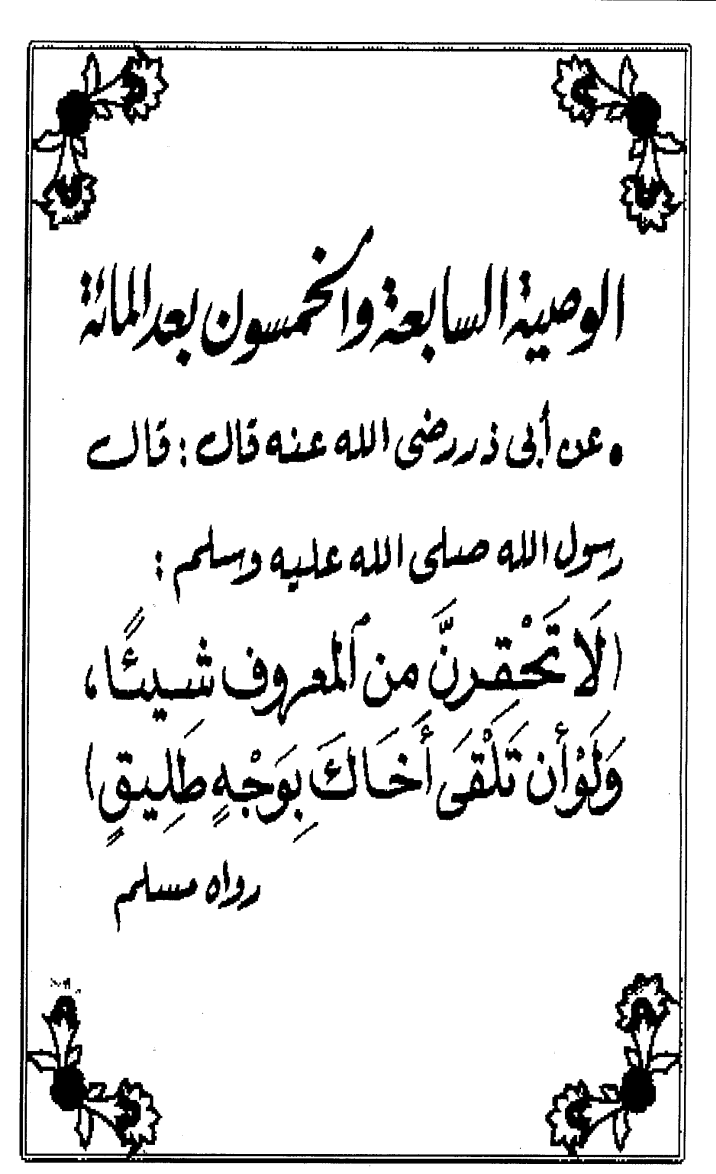
٣- أن يحلف على فعل مُباح، أو تركه: فهذا يُكره فيه الحنث ويندب البر.

٤-أن يحلف على ترك مندوب أو فعل مكروه: فالحنث مندوب، ويكره التمادى فيه وتجب الكفارة.

٥- أن يحلف على فعل مندوب، أو ترك مكروه: فهذا طاعة لله، فيندب له الوفاء ويكره الحنث.

(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام.. وكن حريصًا كل الحرص على اجتناب مـا نهينا عنه جميعًا فى نص الوصية.. حتى لا نكون من أهل الشرك أو الكفر والعياذ بالله .. (مع) حرصك أيضًا على الرجوع إلى كل تلك الأحكام بالتفصيل فى (فقه السنة) وجميع كتب الفقه المعتمدة حتى تتزود بأكثر من هذا...

والله ولى التوفيق



الوصية السابعة والخمسون بعد المائة

• عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لَا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئًا، وَلَوْ أن تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ)

رواه مسلم

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية العظيمة التى تُرغِّبنا جميعاً فى بذل المعروف لإخواننا لله وفى الله.. ولا سيما الفقراء منهم والمساكين.. الذين ينبغى أن يكون فى مقدمتهم أولو الأرحام الذين أشار الله تعالى إلى أولويتهم فى آية البرِّ التى يقول الله فى نصها: **﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِر** [1] **مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ** [2] **ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾** [البقرة: ١٧٧].

(وقد) ورد فى السُّنة المطهرة ما يُرغِّب فى كل هذا:

(فعن) سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا**» وأشار بالسبابة والوسطى وفرَّج بينهما. رواه البخارى. «**وكافل اليتيم**» أى القائم بأموره.

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس المسكين الذى تـردُّه التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللُّقمتان، إنما المسكين الذى يتعفَّف**» [3].متفق عليه.

وفى رواية فى الصحيحين: «**ليس المسكين الذى يطوف**[4] **على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتَّمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**».

(وعنه) عن النبى ﷺ قال: «**السَّاعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله**».

وأحسبه قال: «**وكالقائم الذى لا يفتر وكالصائم الذى لا يفطر**» متفق عليه.

---

(١) أى: ولكن ذا البر..

(٢) أى: على حبه لله..أو على حبه للمال..

(٣) أى: يترك سؤال الناس مع فقره.

(٤) أى: يدور.

(وقد) ورد فى السنة المطهرة كذلك: (عن) أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**كل سلامى**[1] **من الناس عليه صدقة كلَّ يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل فى دابته فتحمله عليها أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الأذى عن الطريق صدقة**». رواه البخارى ومسلم.

(وعن) جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**كل معروف صدقة، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْقٍ، وأن تفرغ من دَلْوِك فى إناء أخيك**» رواه أحمد والترمذى.

(فمن) كل تلك الأحاديث الشريفة يتضح لك المعنى المراد من قول الرسول ﷺ فى نص الوصية التى ندور حولها: «**لا تحقِّرنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق**». أى: لا تستقلَّنَّ أقل معروف تبذله لأحد من إخوانك، ولو كان هذا المعروف لقاءك إيَّاه بوجه منبسط متهلِّل: (وهذا) يدل على اهتمام الإسلام بنشر روح المودة والتعاطف والتباذل بين الإخوان، وإن ذلك لا يعدُّ قليله قليلاً فإنه عند الله بمكان عظيم.

(وهذا) معناه كذلك أنه ينبغى على الأخ المسلم أن لا يبخل على نفسه بأى معروف يبذله.. حتى ولو كان المعروف هذا فى غير موضعه.. كما يُشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

ازرع جميلاً ولو فى غير موضعه ... فلن يضيع جميل أينما وُضع

ولله در عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فلقد قال: (صاحب المعروف لا يقع وإن وقع وجَد مُتَّكأً).

---

(١) أى: أعضاء الإنسان، وهى ثلاثمائة وستون عضواً.. على كل عضو منها صدقة كل يوم ... وكل عمل بر من تسبيح أو تهليل أو تكبير أو خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة فمن أدَّى هذه الصدقة فى أول يومه فقد أدى زكاة بدنه فيحفظ بقية يومه.. (انظر: شرح الحديث السادس والعشرين من الأربعين النووية) ص٦٤.

(وقرأت) كذلك مثلاً- عاميًّا- جاء فيه:

(اعمل المعروف وألقه فى البحر).. (وقد) قيل: أن رجلاً سمع المثل هذا فأعجبه.. ثم قال: لابد وأن أنفذ المراد منه.. (وفعلاً) أحضر صندوقاً مصفَّحًا بالزنك.. ثم كتب اسمه وعنوانه فى داخله.. بعد أن ملأه بخيرات الله من طعام وفواكه....إلخ ثم ألقاه فى البحر..(وكان) الملك فى عصره قد خرج مع بعض رجاله فى رحلة مائية فضلَّت السفينة الطريق حتى ابتعدوا عن المملكة.. وحتى كادوا أن يهلكوا بسبب الجوع والعطش.. فرأوا فى البحر صندوقاً كبيراً تلعب به الأمواج.. فانتشلوه ليروا ما فيه..(وبعد) أن فتحوه وجدوا فيه ضالتهم المنشودة من طعام وشراب..كان سببًا فى إنقاذهم من الهلاك..(ففرحوا) بهذا فرحاً شديداً..ودعوا لهذا الرجل .. بعد أن قرءوا اسمه وعرفوا عنوانه..(ثم) بعد أن عادوا إلى المملكة.. أرسل الملك إلى هذا الرجل الكريم..

فجاءه..وعندما سأله الملك عن هذا الصندوق الذى انتشلوه من البحر.. ووجدوا اسمه مكتوباً فيه..

فأخبره بالسبب الذى كان المثل أساساً فيه.. فقال له الملك: لقد أصاب معروفك موضعه.. ثم أمر بأن يملأ له الصندوق بالجواهر الثمينة.

(وقرأت) كذلك تأكيداً لهذا المعنى الكبير أنه فى غزوة من غزوات الرسول ﷺ أسرت (سفَّانة) ابنة حاتم الطائي.. فقالت للأصحاب.. أريد محمداً.. فذهبوا بها إليه..

فقالت له: يا محمد كان أبي يفك العاني[1]، ويقَرى الضيف[2]، ويعين على نوائب الدهر.. وأنا ابنة حاتم الطائى.. فقال لها صلوات الله وسلامه عليه: **((يا جارية هذه صفات المؤمنين، لو كان أبوك مسلماً لترحَّمنا عليه))**..ثم قال لأصحابه: **((خَلُّوا عنها، فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق، والله يحب مكارم الأخلاق))**. (ثم) بعد ذلك، وقبل أن تنصرف عائدة إلى قومها.. طلبت من النبى ﷺ أن يأذن لها بأن تدعو له بثلاث دعوات.. فأذن لها.. فقالت: ملكتك يد افتقرت بعد غنى، ولا ملكتك يد غنيت بعد فقر، ولا جعل الله لك إلى لئيم حاجة.

(١) أى: الأسير

(٢) أى: يكرم الضيف.

ثم عادت بعد ذلك إلى أخيها عديٍّ بن حاتم الطائي..وقالت له: جئتك من عند خير الناس..(ثم) عادت معه بعد ذلك إلى الرسول ﷺ وأسلما.

(وقرأت) أن حاتم الطائى- والدهما-كان أكرم رجل فى الجاهلية- أى قبل الإسلام- لدرجة أنه كان يوقد النار فوق الجبل ليراها الجائع، وكان يقول لعبده اذهب فإن أتيتنى بضيف فأنت حر.

وقد قرأت كذلك تحت عنوان:

أجود من حاتم

أن رجلًا من الأنصار جاء إلى ابن عباس رضى الله عنهما، فقال له يا ابن عم رسول الله ﷺ إنه قد ولد لى فى هذه الليلة مولود وإنى سميته باسمك تُبركًا بك، وإن أمه ماتت: (فقال) له: بارك الله لك فى ولدك ، وآجرك على المصيبة، ثم دعا بوكيله وقال انطلق الساعة فاشتر للمولود جارية تحضنه، وادفع لأبيه مائتى دينار لينفقها على تربيته، ثم قال للأنصارى:عد إلينا بعد أيام فإنك جئتنا وفى العيش يبس[1]، وفى المال قلة.فقال الأنصارى: جعلت فداك لو سبقت حاتماً بيومٍ ما ذكرته العرب.

(كما) قرأت كذلك، تحت عنوان:

أجود الناس

أن رسول الله ﷺ كان أجود بالخير من الريح المرسلة، ففى الحديث: «**فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة**».

وفى الصحيح: (وما سُئِل عن شيء قط فقال: لا، فإن يكن عنده أعطى، وإن لم يكن عنده استدان). (وأعطى) عيينة بن حصين مائة من الإبل، (وأعطى) الأقرع ابن حابس مثلها، (وأعطى) أعرابياً غنماً بين جبلين، فانطلق الأعرابي وقال لقومه: اسلموا فإن محمداً ﷺ يُعطي عطاء من لا يخاف الفقر (ونحر) ﷺ فى حجة الوداع مائة بدنة.

(وقال) أنس بن مالك ﷺ أتى رسول الله ﷺ بمال من البحرين لم يؤت قبله مثله، فوضع فى المسجد، ثم خرج فصلى، فلما فرغ من صلاته جلس ثم دعا بالمال،

(١) أى: جفاف.

فما رأى أحدًا إلاّ أعطاه منه.. فجاءه عمه العباس فقال: يا رسول الله إنى فاديت نفسى وفاديت عُقيلًا، فقال رسول الله ﷺ :((**خذ**)) فحثا فى ثوبه، ثم ذهب ليقوم فلم يستطيع، فقال: يا رسول الله مر من يرفعه عليَّ، فقال: لا.

قال: فارفعه أنت. قال: لا فنثر منه ثم احتمله على كاهله وذهب.. فما زال رسول الله ﷺ يُتبعه بصره، حتى خفى علينا تعجباً من حرصه.وما قام رسول الله ﷺ حتى فرَّق المال جميعه.

(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام حتى تكون كريماً، لا بخيلًا..(مع) ملاحظة أنه:

من أوصاف الكريم..كما قال حكيم

(أن لا يكون حقوداً، ولا حسوداً، ولا شامتاً، ولا باغياً، ولا ساهياً، ولا لاهياً، ولا فاجراً، ولا فاخراً، ولا كاذباً، ولا ملولاً، ولا يقطع إلفه، ولا يؤذى إخوانه، ولا يضيع الحفاظ، ولا يجفو فى الوداد.. يعطى من لا يرجو، ويؤمن من لا يخاف، ويعفو عن قدرة ؛ ويصل عن قطيعة، من أعطاه شكره، ومن منعه عذره، ومن لا يسأله ابتدأه، وإذا استضعف أحداً رحمه، وإذا استضعفه أحد رأى الموت أكرم له منه).

(وليكن) تضرعك دائمًا وأبدًا- كفقير أو محتاج إلى الله تبارك وتعالى وحده.. عسى أن يفتح لك أبوابه..

مع الأخذ بالأسباب.. فقد ورد فى الحديث القدسى: ((**يا بن آدم أمدد يدك إلى باب من العمل أفتح لك باباً من الرزق**))، وأنت تذكر قول الإمام علىٌّ كرَّم الله وجهه:

لنقل الصخر من قمم الجبال ... أحبُّ إلىَّ من مِنَنَ الرجال

يقول الناس لى فى الكسب عار ... فقلت العار فى ذُلّ السؤال

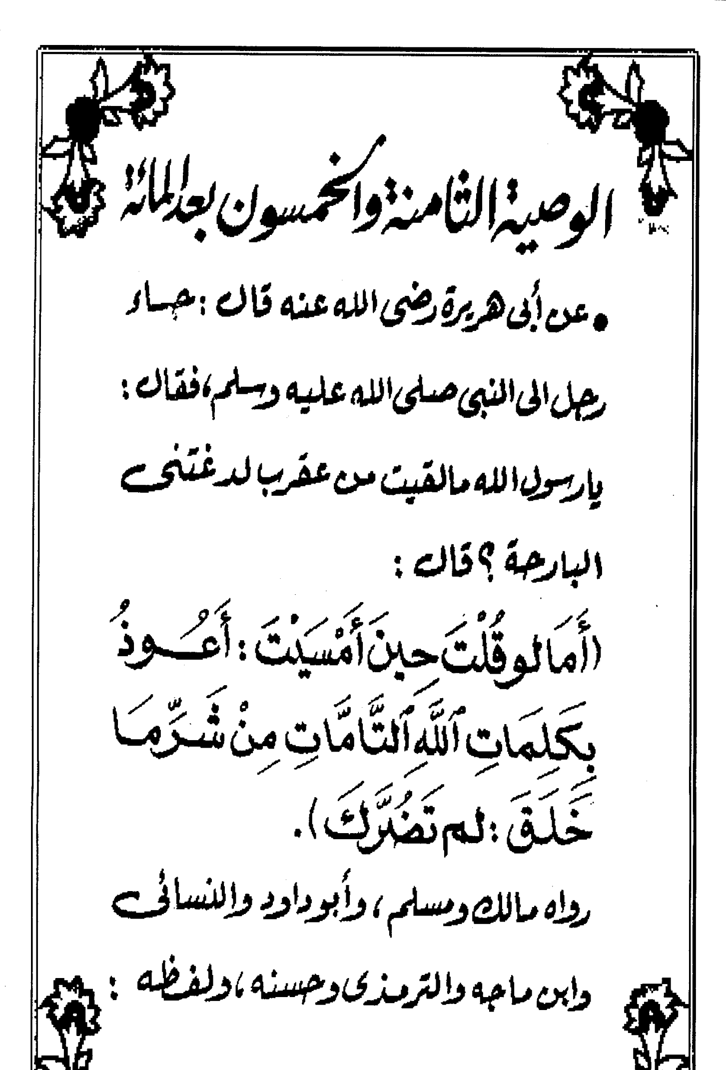
(بل) وأنت تذكر دائمًا وأبدًا قول الرسول ﷺ : ((**لأن يأخذ أحكم أحبله[1] ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فَيَكُفَّ الله بها وجهه[2] خيرله من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**)) رواه البخارى عن عبد الله الزبير بن العوام رضي الله عنه

والله ولى التوفيق

---

(١) جمع حبل.
(٢) أى: فيمنع الله بها ذاته من الحاجة.





الوصية الثامنة والخمسون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة؟ قال:

(أَمَا لو قُلْتَ حينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لم تَضُرَّكَ).

رواه مالك ومسلم، وأبو داود والنسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه، ولفظه:

• (مَنْ قَالَ حِينَ يُمسِى ثَلاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ٱلتَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَاخَلَقَ: لَمْ تَضُرَّهُ حُمَةٌ تِلْكَ ٱللَّيْلَةَ) قَالَ سُهَيْلٌ: فَكَانَ أَهْلُنَا تَعَلَّمُوهَا، فَكَانُوا يَقُولُونَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ، فَلُدِغَتْ جَارِيَةٌ مِنْهُمْ فَلَمْ تَجِدْ لَهَا وَجَعًا)

ورواه ابن حبان في صحيحه بنحو الترمذي، وقد أخرج مسلم وأحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة ومالك عن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول:

(مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ ٱللَّهِ ٱلتَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ).

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التى هى من (صيدلية) الرسول ﷺ.. ولاسيما إذا لدغتك عقرب. والعياذ بالله _ (فقد) ورد كذلك فى رواية الترمذى التى حسنها، عن رسول الله ﷺ قال:

* **«من قال حين يمسى ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم تضره حمة تلك الليلة»**: أى من قال حين يمسى ثلاث مرات: (أعوذ بكلمات الله التامات): أى ألتجئ إليك _ يا الله_ وأتحصن بكلماتك التامات (يعنى) الكاملات الواقيات أو النافذات الماضيات ...

(من شر ما خلق) أى: من كل مخلوق مضر (لم تضره) إن شاء الله تعالى ببركة: هذه الاستعاذة العظيمة الكاملة التى هى _ كما أشرت قبل هذا _ من صيدلية الرسول محمد ﷺ الذى لا: ﴿.. **يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى** [1] ﴾، ومعنى: (حمة) أى السم، وقيل: لدغة كل ذى سم، وقيل: غير ذلك، ومعنى قوله: (فلم تجدلها وجعاً) أى: ببركة هذا الدعاء العظيم الذى كان سبباً فى عدم تأثير السم فيها أى فى الجارية، كما قال سهيل بعد ذلك: (فكان أهلنا تعلموها، فكانوا يقولوها كل ليلة، فلدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعًا)

* (وقد) أخرجه مسلم وأحمد والنسائى والترمذى وابن ماجه وابن شيبة ومالك عن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من نزل مترلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم يضره شيء حتى يرتحل من مترله ذلك** ».

**(وقد) قرأت كذلك فى مختصر من زاد المعاد [2] للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، تحت عنوان:

علاج لدغة العقرب:

كما جاء فى مسند ابن أبى شيبة، أنه (بينما رسول الله ﷺ يصلى إذ لدغته عقرب فى أصبعه فانصرف وقال: « **لعن الله العقرب ما تدع نبياً ولا غيره**»، ثم دعا بإناء فيه ماء وملح فجعل يضع موضع اللدغة فى الماء والملح ويقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين).. (وهذا) معناه أنه فى الملح نفع كثير من السموم.

(١) سورة النجم: ٣، ٤ بلفظ: (وما ينطق..)
(٢) الذى اختصره وإنشاء عليه تعليقات الأستاذ محمد أبو زيد عليه رحمة الله.

قال صاحب القانون: [1] يضمد به مع بذر الكتان للسع العقرب.. وذكره غيره.. (وفى) الملح من القوة الجاذبة المحللة ما يجذب السموم ويحللها.

* * (وهذا) معناه كذلك أنه ينبغى على الأخ المسلم أن يأخذ بالأسباب.. مع التضرع إلى الله تعالى بالأدعية الواردة عن رسول الله ﷺ فى الأخذ بأسباب العلاج.. روحياً.. لأن الله تعالى أنزل الداء والدواء.. مع الاعتماد عليه سبحانه وتعالى أولاً وأخيراً فى الشفاء.. كما يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾ [الشعراء: ٨٠] ولله در من قال:

ذهبت أنادى طبيب الورى ... وروحى تناجى طبيب السماء

طبيبين ذاك ليعطى الدواء ... وذاك ليجعل فيه الشفاء

* * (وقد) قرأت فى مختصر الزاد.. تحت عنوان:

إرشاده ﷺ إلى أحذق الطبيبين

أنه جاء فى موطأ مالك عن فريد بن أسلم أن رجلاً جرح فاحتقن الدم فدعا رجلين من بنى إنمار فنظرا إليه، فزعم أن الرسول ﷺ قال لهما: « **أيكما أطب**؟[2] » فقال: أوفى الطب خير يا رسول الله ؟ فقال: « **أنزل الدواء الذي أنزل الداء** ».

* (ولهذا) فإنه ينبغى الاستعانة فى كل علم وصناعة فالأحذق من فيها لأحق لأنه إلي الإصابة أقرب.

* (وقد) ورد كذلك:

(في) صحيح مسلم أنه كان في وفد ثقيف رجل مجذوم [3]، فأرسل إليه النبي ﷺ : «**ارجع فقد بايعناك**»: (وروي البخاري) عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**فر من المجذوم فرارك من الأسد**»، وفي سنن ابن ماجه: «**لا تديموا النظر إلي المجذومين**».

---

(١) وهو القانون فى الطب لابن سينا.

(٢) أى: أيكما أحذق فى الطب..أى أمهر فيه.

(٣) أي: مصاب بداء الجذام.. وهو مرض جلدي.. عافانا الله منه..

* (وفي الصحيحين): ((**لا يوردن مُمرِض علي مُصح**)) ويذكر عنه ﷺ: ((**كلم المجذوم وبينك وبينه قدر رمح أو رمحين**)) [١].

** (وهذا) الهدي المحمدي _ السابق _ يشير إلي ضرورة أن نتقي الأمـــراض المعدية.. ونرشد الأصحاء إلي ضرورة مجانبة أهلها.. لأن الوقاية _ كما يقولـــون _ خير من العلاج.

** (وقد) قرأت كذلك في مختصر الزاد.. تحت عنوان:

هديه ﷺ في تداويه لنفسه والأمر به لغيره

أنه قدر روي مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: ((**لكل داء دواء، فإذا أصـــاب دواء الداء برئ بإذن الله عز وجل**))، وفي الصحيحين: ((**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء**)) وفي مسند الإمام أحمد عن أسامة بن شريك قال: (كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا: يا رسول الله أنتداوي ؟ فقال: ((**نعم يا عباد الله فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد**)) قالوا: ما هو ؟ قال ((**الهرم**)) [٢].

وفي لفظ: ((**إن الله لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء عَلِمه مَنْ علمه، وجهله مـــن جهله** [٣])) (وفي) المسند والسنن عن أبي خزامة قال: قلت: يا رسول الله، أرأيت رقي نسترقيها ودواء نتداوي به، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئاً ؟ فقال: ((**هي من قدر الله**)). (وقد) روي أنه دخل علي مريض يعوده فقال: ((**أرسلوا إلي الطبيـــب**)) فقال قائل: وأنت تقول ذلك يا رسول الله ؟ قال: ((**نعم، إن الله عز وجل لم يـــنزل داء إلا وأنزل له دواء**)).

** (فقد) تضمنت هذه الأحاديث إثبات الأسباب والمسببات، وإبطال قول من أنكرها، والرد علي من أنكر التداوي.

---

(١) وهذا يوافق ما يقوله الأطباء في جراثيم السل من أنها تنتقل في البصاق علي هذا البعد.
(٢) وهو الشيخوخة.
(٣) وهذا تحريض علي تعلم الطب ومعرفة منافع الأشياء.

** (والآن) إليك أخا الإسلام بعض:

هديه ﷺ في علاج الأمراض

(فقد) جاء في الزاد، عن:

* علاج الحمى

أنه قد ثبت في الصحيحين أنه صلوات الله وسلامه عليه قال: **((إنما الحمي أو شدة الحمي من فيح** [1] **جهنم فأبردوها بالماء))** _ فهذا الحديث خاص بأهل الحجاز وما والاهم إذا كان أكثر الحميات التي تعرض لهم من نوع الحمي اليومية العرضية الحادثة عن شدة حرارة الشمس، وهذه ينفعها الماء البارد شرباً واغتسالاً.

علاج استطلاق البطن

ففي الصحيحين أن رجلاً أتاه _ صلوات الله وسلامه عليه _ إن أخي استطلق بطنه،، فقال **((اسقه عسلا))**، فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فلم يزده إلا استطلاقا، مرتين أو ثلاثا _ كل ذلك يقول: **((اسقه عسلا))**، فقال: له فى الثالثة أو الرابعة: **((صدق الله وكذب** [2] **بطن أخيك** [3]**))**.

وهذا الذى وصف له العسل كان استطلاق بطنه عن تخمة أصابته، عن امتلاء، فأمر بشرب العسل لدفع الفضول المجتمعة فى نواحى المعدة والأمعاء، لأن الغسل فيه جلاء ودفع للفضول.. وكان قد أصاب المعدة أخلاط لزجة تمنع استقرار الغذاء فيها، فإن المعدة بها خمل كخمل المنشفة، فإذا علقت بها الأخلاط اللزجة أفسدتها وأفسدت الغذاء، فدواؤها بما يجلوها من تلك الأخلاط. والعسل جلاء لا سيما إن كان مزج بالماء الحار.. وفى تكرار سقيه العسل معنى طِبىّ بديع وهو أن الدواء يجب أن يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء، إن قصر عنه لم يزله بالكلية، وإن جاوزه أوهن

---

(١) أي: شدة اللهب.

(٢) لقد قال: (وكذب) ولم يقل: (وكذبت) لأن غير العاقل يذكر ويؤنث. فلاحظ هذا حتى تقف على بلاغة الرسول ﷺ.

(٣) إنه يشير إلى قوله تعالى فى النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاس﴾ [النحل: ٦٩].

القوى فأحدث ضررا آخر، فلما تكررت الشربات بحسب الداء برأ بإذن الله. واعتبار مقادير الأدوية وكيفياتها ومقدار قوة المرض والمريض من أكبر قواعد الطب.

* علاج الجرح

ففى الصحيحين أنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ لما جرح وجهه يوم أحد، كانت فاطمة تغسل الدم، فلما رأت الدم لا يزيد إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقتها حتى إذا صارت رمادا ألصقته بالجرح، فاستمسك الدم برماد الحصير المعمول من البردى، وله فعل قوى.

* علاج العروق والكى

ففى الصحيح أنه ـ ﷺ ـ بعث إلى أبى بن كعب طبيبا فقطع له عرقا وكواه عليه (ولما) رمى سعد بن معاذ فى أكحله [1] حسمه النبى ﷺ، ثم ورمت فحسمه ثانيه.. والحسم هو الكى.

* علاج يبس الطبع

فقد روى الترمذى وابن ماجه أنه ـ ﷺ ـ قال لأسماء بنت عميس: «**بماذا كنت تستمشين ؟**» قالت: بالشبرم. قال: «**حار حار**»، ثم قال: «**استمشين بالسناء[2]**».

* علاج عرق النساء

فقد روي ابن ماجه عن أنس بن مالك أنه قال: سمعت رسول الله صلي الله عليه يقول: « **دواء عرق النساء ألية شاة أعرابية [3] تذاب ثم تجزأ ثلاثة أجزاء، ثم تشرب علي الريق في كل يوم جزء** ».

(ووجع) عرق النسا يبتدئ من مفصل الورك، ويترل من خلف علي الفخذ وربما امتد علي الكعب، وكلما طالت مدته زاد نزوله، ويهزل معه الرجل والفخذ.. (وهذا) الحديث خطاب لأهل الحجاز ومن جاورهم ولا سيما أعراب البداوى، فإن هذا

---

(١) عرق فى يده ... وكان قد رمى بسهم.

(٢) وهو المعروف بالسنا المكى.

(٣) وهي التي ترعي في البداية..

العلاج من أنفع العلاج له، فإن هذا المرض يحدث من يبس وقد يحدث من مادة غليظة لزجة، فعلاجها بالإسهال ـ والألية فيها الخاصيتان الإنضاج والتليين، وهـــذا المـــرض يحتاج علاجه إلى هذين الأمرين، وفى تعين الشاة الأعرابية قلة فضولها وصغر مقـــدارها، ولطف جوهرها، وخاصية مرعاها، لأنها ترعى أعشاب البر الحارة كالشيح والقيصـــوم ونحوهما، وهذه النباتات إذا تغذى بها الحيوان صار فى لحمه من طبعها بعـــد أن يلطفهـــا تغذية بها ويكسبها مزاجاً ألطف منها ولاسيما الألية.

* علاج ذات الجنب

فقد روى الترمذى أن رسول الله ﷺ قال: ((**تداووا من ذات الجنب بالقســـط البحرى والزيت**))، وذات الجنب عند الأطباء نوعان: حقيقى وغير حقيقى، فالحقيقى ورم يعرض فى نواحى الجنب فى الغشاء المستبطن للأضلاع، وغير الحقيقى ألم يشبهه يعرض فى نواحى الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات، إلا أن الوجع فى هذا القسم: ممدود، وفى الحقيقى: ناخس، والعلاج الموجود فى الحديث للقســـم الكائن عن الرياح، فإن القسط البحرى (وهو العود الهندى) إذا دق ناعماً وخلط به الزيت المسخن ودُلِّك به مكان الرياح المذكور، أو لعق كان دواء موافقاً.

* علاج الصداع

فقد روى أنه ـصلوات الله وسلامه عليه ـ كان إذا صدع غلَّف رأسه بالحنـــاء، وهذا العلاج بالحناء لنوع من أنواع الصداع، فإن الصداع إذا كان من حرارة ملتهبة ولم يكن من مادة يجب استفراغها نفع فيه الحناء، وإذا دق وضمدت به الجبهة مـــع الخل سكن الصداع. وفى الترمذى عن خادمته سلمى أم رافع: (كان لا يصيبه قرحة ولا شوكة إلا وضع عليها الحناء).

*علاج الرمد

فقد كان ﷺ يعالجه بالسكون والحمية مما يهيجه، (وفى) حديث ابن ماجه أنـــه حمى صهيباً من التمر وأنكر عليه وهو أرمد، وحمى علياً من الرطب لما أصابه الرمد. وذكر أنه كان إذا رمدت عين امرأة من نسائه لم يأتها حتى تبرأ عينها.

علاج البثرة

(فقد) ذكر عن بعض أزواجه ـ ﷺ ـ أنها قالت: دخلت على رسول الله ﷺ وقد خرج فى أصبعى بثرة، فقال: ((**عندك ذُرَيْرة؟**)) قلت: نعم، قال: ((**ضعيها عليها وقولى: اللهم مصغر الكبير، ومكبر الصغير صغر ما بى**)). (والذريرة): دواء هندى (والبثرة): خراج صغير يكون عن مادة حارة تدفقها الطبيعة فتسترق مكانا من الجسد تخرج منه، فهى محتاجة إلى ما ينضجها ويخرجها، والذريرة هى إحدى ما ينضج ويخرج:

علاج الخرجات بالبط [1]

(فعن) على قال: دخلت مع رسول الله ﷺ على رجل يعوده بظهره ورم، فقالوا: يا رسول الله بهذه مدة، قال: ((**بطوا عنه**[2])) قال على فما برحت حتى بطن والنبى ﷺ شاهد [3]، (وعن) أبى هريرة أنه أمر طبيبًا أن يبط بطن رجل أجوى البطن. فقيل يا رسول الله هل ينفع الطب ؟ قال:((**الذى أنزل الداء أنزل الشفاء فيما شاء**)).

** (فلنكن) إن شاء الله تعالى من المنتفعين بطب رسول الله ﷺ القولى والفعلى..

والله الشافي وهو ولي التوفيق

---

(١) أى: الشق، فقوله بطوا عنه أى شقوا عنه لتخرج الملاة. والحكيم الذى يبط يعرف الآن بالجراح.

(٢) أى: شقوا عنه.

(٣) أى: حاضر.

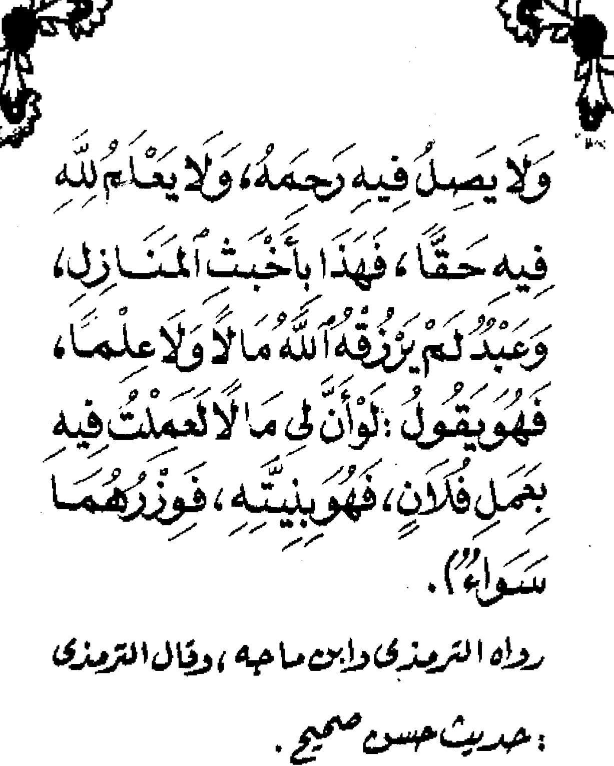
الوصية التاسعة والخمسون بعد المائة

• عن أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه

أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

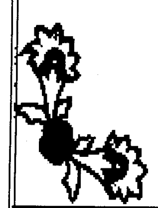
(ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ، قَالَ:

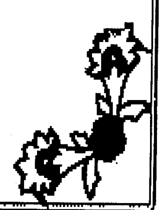
إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ ٱللَّهُ مَالاً وَعِلْماً فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقّاً، فَهَذَا بِأَفْضَلِ ٱلْمَنَازِلِ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ ٱللَّهُ عِلْماً وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالاً فَهُوَ صَادِقُ ٱلنِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالاً لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٌ رَزَقَهُ ٱللَّهُ مَالاً وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْماً يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ،



وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ
فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ الْمَنَازِلِ،
وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا،
فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ
بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا
سَوَاءٌ».

رواه الترمذى وابن ماجه ، وقال الترمذى
: حديث حسن صحيح .





فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية الجامعة التي من الخير لنا جميعاً كمؤمنين صادقين أن ننفذ المراد منها.. بعد أن نفهم المراد من قول الرسول ﷺ: «**ثلاث أقسم عليهن**»: أي: أقسم علي حصولهن ووقوعهن.. مع أن أخباره عليه الصلاة والسلام كلها صادقة.. (وذلك) لزيادة الاهتمام بها.. (كما) أقسم الله عز وجل على وقوع البعث فى ثلاث مواضع من القرآن الكريم [1]..

(ومعنى) قوله: «**ما نقص مال عبد من صدقه**»: أى: أن الله سبحانه وتعالى سيبارك فى هذا المال المتبقي بعد التصدق منه حتى كأنه لم ينقص.. بل وسيكون هذا المال المتبقى أكثر نماء.. «**ولا ظُلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزًّا**» أى: أنه إذا صبر على مظلمته لله و لم يحاول الانتقام ممن ظلمه، واحتسب أجره على الله، فإن الله يزيده بتلك المظلمة عزًّا وكرامة.. «**ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر**» أى: لأنه لما قصد بهذا الزيادة والاستكثار عاقبه الله عز وجل بعكس ما قصد.. «**إنما الدنيا لأربعة نفر**» أى: أن الناس ينقسمون إلى هذه الأقسام الأربعة ولا يخرجون عنها.. «**عبد رزقه الله مالاً وعلماً فهو يتقى فيه ربه**» أى: لا ينفقه فى حرام، ولا يضيعه فيما لا يفيد ولا يتخذه أداة للطغيان والاستعلاء ولا للمفاخرة والمكاثرة.. «**ويصل فيه رحمه**»: أى ينفق منه على ذوى قرابته المحتاجين .. «**ويعلم لله فيه حقًّا**»، وهو الزكاة فيخرجها كلما وجبت فى ماله (فهذا بأفضل المنازل) ...

«**وعبد رزقه الله علماً ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النية، يقول: لو أن لى مالاً لعملت بعمل فلان، فهو بنيته**»: أى مأجور مثاب على صدق نيته.. «**فأجرهما سواء**» أى: أن أجر هذا المتمنى الذى لم يجد.. يساوى أجر من أنفق بالفعل ولا حرج على فضل الله..

«**وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً يخبط فى ماله بغير علم**»: أى: أنه لجهله لا يعرف الوجوه التي يجب أن ينفق فيها المال..«**ولا يتقى فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه،**

(١) والتي منها قول الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

ولا يعلم لله فيه حقًّا، «**فهذا بأخبث المنازل**» أى: بشرها وأقبحهـا.. «**وعبـد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً، فهو يقول: لو أن لى مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهـو بنيته فوزرهما سواء**»: وذلك بسبب سوء نيته وتمنيه للمال لينفقه فى الملذات وأنواع الشرور والمفاسد ...

** (هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد أوصانا فى أول الوصية بأن نحفظها.. فإن الهدف هو أن لا ننساها.. أو ننسى ما فيها من الإشارات المتعلقة بقول النبى ﷺ : «**إنما الدنيا لأربعة نفر**». حتى نحرص دائماً وأبداً على أن نكون من الصنف الأول أو الثانى.. لا من الصنف الثالث أو الرابع .. والعياذ بالله..

** (وإذا) كان لى بعد هذا التلخيص لهذه الوصية العظيمة أن أعلـق بكلمـات يسيرات.. (فإننى) أحب أن أذكر الأخ المسلم بأننا جميعاً فى هذه الدنيا مثلنا كمثـل الضيف الذى لابد وأن يرحل مهما طالت إقامته فيها.. كما رحل الآباء والأجداد.

نـزول كمـا زال آباؤنـا ... ويبقـى الزمـان علـى مـا تـرى
نهـار يمـرُ وليـل يَكُـرُ ... ونجـم يغُـور ونجْـم يُـرى

** (ولهذا) كان لابد وأن نجهز أنفسنا للحظة الرحيل إلى الله تبارك وتعالى.. قبل أن نقول كما يحكى الله تعالى فى قرآنه على لسان هذا الغافل الذى ظـل نائمـاً أو مستهتراً إلى أن جاءه الموت فقال:

* ﴿ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ ۝ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون: ١٠، ١١]

** (ومن) أجل ذلك، (فقد) رأيت أن أُذكِّر الأخ المسلم بزاد من أعظم الأزواد، ألا وهو:

شعب الإيمان المنجيات : [1]

وذلك من خلال حديث رواه البخارى

(عن) أبى هريرة رضي الله عنه (عن) النبى ﷺ قال: «**الإيمان بضعة وستون شعبة والحياء شعبة من الإيمان**»، وقد روى هذا الحديث أيضاً الإمام مسلم فى صحيحه.

(١) كما قرأتها فى كتاب غالية المواعظ.

وفى رواية: ((**بضع وسبعون شعبة أعلاها..**)) وفى رواية: ((**أرفعها..**)).

وقوله: (بضعة) وفى بعض النسخ: (بضع) بكسر الباء، ويجوز الفتح: هو ما بين الثلاثة والتسعة.. ولا يستعمل إلا مع العشرة أو العشرين إلى التسعين ...

و(الشعبة) بضم الشين. غصن الشجرة، وفرع كل أصل والمراد هنا الخصلة.. (قال) العلماء: شبه النبى ﷺ الإيمان بشجرة ذات أغصان وشعب.

(والمعنى) أن الإيمان يتشعب من شعب كثيرة، كما يتشعب من الشجرة أغصان.. فيقال: لا إله إلا الله شعبة، والصلاة شعبة، والحياء شعبة.. وهلم جرًّا..

(ولما) كان أكثر المؤمنين غافلين عن تعداد هذه الشعب ومعرفتها: لزم علىَّ أن أبينها إن شاء الله تعالى، وأعدها وأهلها مع ما يلزم بيانه كرءوس المسائل، وأقنع فى كل شعبة بالاستدلال فى آية كريمة، أو حديث صحيح مختصراً ذلك من كلام الشيخ أبى حفص عمر القزوينى الذى اختصره من كتاب (شعب الإيمان) للإمام أحمد بن الحسين البيهقى، لأن هذه الشعب واجب على العلماء أن يعلموها للناس، وتعلمها فرض على الجهلاء.. فاسمع ما نعده عليك، وهى أمانة سلمتها إليك:

(**الأولى**): الإيمان بالله عز وجل، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ**﴾[النساء: ١٣٦]، وقال عليه الصلاة والسلام: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ...**)) الحديث أخرجه البخارى ومسلم.

* (**الثانية**): الإيمان برسله عليهم الصلاة والسلام.

* (**الثالثة**): الإيمان بملائكته.

* (**الرابعة**): الإيمان بالقرآن وجميع كتبه المنزلة، وهذه كلها لحديث جبريل[1]، وقوله تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ**﴾[البقرة: ٢٨٥]

* (**الخامسة**): الإيمان بالقدر خيره وشره من الله عز وجل.

لقوله تعالى: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾[النساء: ٧٨] وقوله تعالى ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[الإنسان: ٣٠] ولحديث جبريل.

---

(١) وهو الحديث الذى سأل فيه جبريل عليه السلام الرسول عليه الصلاة والسلام عن الإسلام والإيمان والإحسان.. وهو حديث أخرجه مسلم وأبو داود والنسائى.

*(**السادسة**): الإيمان باليوم الآخر (لقوله) تعالى: ﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ [التوبة: ٢٩] قال الحليمي: ومعناه التصديق بأن لأيام الدنيا آخر، وأنها منقضية، ففي الاعتراف بانقضاء العالم اعتراف بابتدائه، إذ القديم لا يفنى ولا يتقدم ولا يتغير.

* (**السابعة**): الإيمان بالبعث، لقوله تعالى: ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [التغابن: ٧].

* (**الثامنة**): الإيمان بالحشر بعد البعث من القبور إلى الموقف، لقوله تعالى: ﴿**أَلا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [المطففين: ٤: ٦]، وفي الحديث: «**يغيب أحدكم في رشحه إلى أنصاف أذنيه..**»

* (**التاسعة**): الإيمان بأن دار المؤمنين الجنة، ودار الكافرين النار.. للآيات القرآنية العديدة .. ولقوله ﷺ: «**إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ويقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة**».

* (**العاشر**): الإيمان بوجوب محبة الله عز وجل، لقوله تعالى: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٦٥]

ولقوله ﷺ: «**ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار** [(١)]».

* (**الحادية عشر**): الإيمان بوجوب الخوف من الله عز وجل لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [آل عمران: ١٧٥].

* (**الثانية عشر**): الإيمان بوجوب الرجاء من الله تعالى لقوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**﴾ [الإسراء: ٥٧].

---

(١) متفق عليه.

وقوله ﷺ **((لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد))**.

*(**الثالثة عشر**): الإيمان بوجوب التوكل على الله عز وجل، لقوله تعالى: **﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾** [المجادلة: ١٠] (وفى) الصحيحين فى سؤال أصحابه ﷺله عن السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة بغير حساب ؟ فقال عليه الصلاة والسلام: **((هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيَّرون))** فقام عكاشة فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم، فقال: **((أنت منهم))**، ثم قام رجل فقال: ادع الله أن يجعلنى منهم يا رسول الله، فقال: **((سبقك بها عكاشة))**. (ومن) جملة التوكل تفويض الأمر إليه عز وجل، والثقة به مع ما قدر له من التسبب، فلا منافاة بين التوكل وتعاطى أسباب المعيشة (فقد) روى عن أبى بكر الصديق ﷺأنه قال: (دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك، ولا خير فى امرئ بلا درهم)..

* (**الرابعة عشر**): الإيمان بوجوب حب النبى ﷺ (الحديث) أنس: **((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده، والناس أجمعين))**، وقال له رجل: إنى أحب الله ورسوله، فقال: **((أنت مع من أحببت))**.

* (**الخامسة عشر**): الإيمان بوجوب تعظيم النبى ﷺ وتبجيله وتوقيره، لقوله تعالى **﴿.. وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوه..﴾**[الفتح: ٩] وقوله تعالى.**﴿.. لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِي﴾** [الحجرات:٢].

وأخرج الديلمى: **((من أحب الله تعالى أحب القرآن، و من أحب القرآن أحبني، و من أحبني أحب أصحابى وقرابتى))** ا. هـ.

وروى السيوطى في الجامع الصغير (عن) أنس: **((حب العرب إيمان وبغضهم نفاق))**، وفي رواية أخرى: **((وبغضهم كفر، فمن أحب العرب فقد أحبنى، و من أبغض العرب فقد أبغضنى))**، قال الحليمى: فمن فضَّل العجم عليهم، فقد آذى الرسول ﷺ، ومن آذاه فقد آذى الله سبحانه وتعالى.

* **(السادسة عشرة)** شُحُّ المرء بدينه [1] (لحديث) أنس: **«ثلاث من كن فيه...»** الحديث المتقدم فى العاشرة.

* **(السابعة عشر)**: طلب العلم، وهو علم الدين كالعقائد والفقه والحديث، لقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾[فاطر:٢٨]، وقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾[المجادلة:١١]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾[الزمر:٩].

* **(الثامنة عشر)**: نشر العلم، لقوله تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَه**﴾[آل عمران: ١٨٧]، وقوله تعالى: ﴿**وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ**﴾[التوبة: ١٢٢].

* **(التاسعة عشر)**: تعظيم القرآن المجيد بتعلمه وتعليمه وتجويده وحفظ أحكامه وتبجيل أهله وحفاظه، قال تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ** ﴾[الحشر:٢١].

وروى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**[2]، وروى عبد الله بن عمر: **«لا حسد إلا فى اثنين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق [3]، ورجل آتاه الله الحكمة [4] فهو يقضى بها ويعلمها»**[5].

* **(العشرون)**: الطهارة، لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ**[6] **فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ [المائدة: ٦]، (ولحديث) أبى مالك الأشعرى: **«الطهور[7] شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والله أكبر تملأ ما بين السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة**

---

(١) أى: لا يبيع دينه بدنياه ...
(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى، والنسائى وابن ماجه وغيرهم.
(٣) أى: على إنفاقه فى وجوه الخير والبر
(٤) وهى العلم النافع..
(٥) رواه البخارى ومسلم.
(٦) أى: إذا أردتم لصلاة وكنتم على غير وضوء
(٧) ولذا قال كثير من العلماء أن من صلى بغير طهارة متعمداً يكفر..

لك أو عليك»، (وليعلم) أن الوضوء الصحيح هو أن لا يبقى لمعة فى أعضاء الوضوء لم يصلها الماء.. فينبغى للمتوضئ أن لايبقى وسخاً فى أظفاره، وأن يدلك يديه ورجليه، وأن يتجاوز غسل المرفقين والكعبين، لقوله عليه الصلاة والسلام: **«ويل للأعقاب من النار»**، ولقد أحسن القائل:

ستأتى الناسُ فى العرصَات سَكرى ... بلا أثر يكون لهم مَزِيَنا

وتأتى أُمّة المختار غُرًّا ... بآثار الوضوء مُحَجلينَا

* **(الحادية والعشرون)**: الصلوات الخمس، لقوله تعالى: **﴿إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾** [النساء: ١٠٣].

(والحديث) ابن مسعود قال: سألت النبىﷺ : (أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل ؟ قال: **«الصلاة لوقتها»** قلت: ثم أى ؟ قال: **«بر الوالدين»**، قلت: ثم أى ؟ قال: **«الجهاد فى سبيل الله»**، و(الحديث) جابر: **«أن بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة»**.

* **(الثانية والعشرون)**: الزكاة، لقوله تعالى: **﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾** [البقرة: ٤٣]

* **(الثالثة والعشرون)**: الصيام، لقوله تعالى: **﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَام..﴾** [البقرة: ١٨٣]، (ولقوله) عليه الصلاة والسلام: **«بنى الإسلام على خمس..»** [(١)] الحديث الذى جاء فيه: **«وصوم رمضان»**.

* **(الرابعة والعشرون)**: الاعتكاف، لقوله تعالى **﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾** [البقرة: ١٢٥]، (والحديث): **«من اعتكف فواق [(٢)] ناقة فكأنما أعتق رقبة»**.

** **(الخامسة والعشرون)**: الحج، لقوله تعالى: **﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ﴾** [آل عمران: ٩٧]، وقوله تعالى: **﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾** [البقرة:١٩٦]،

(والحديث): **«من لم يحبسه مرض أو حاجة ظاهرة، أو سلطان جائر، ولم يحج فليمت إن شاء يهودياً أو نصرانياً»**.

---

(١) وهو حديث صحيح.

(٢) أى: ما بين الحلبتين من وقت حلب الناقة إلى وقت الانتهاء

* (**السادسة والعشرون**): الجهاد، لقوله تعالى:﴿**قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً**﴾ [التوبة: ١٢٣](ولقوله) عليه الصلاة والسلام (**لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله تعالى العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**) ورد مختصراً فى رياض الصالحين وهو حديث صحيح.

* (**السابعة والعشرون**): المرابطة فى سبيل الله، وهى الإقامة فى وجه العدو مستعداً له (لقوله) تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا**﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، (والحديث): «**رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها**».

* (**الثامنة والعشرون**): الثبات فى مواجهة العدو، وترك الفرار من الزحف، (لقوله) سبحانه وتعالى:﴿**إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا**﴾[الأنفال: ٤٥]، وقوله تعالى:﴿**إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ**﴾[الأنفال: ١٥]، وللحديث المار آنفاً.

* (**التاسعة والعشرون**): أداء الخُمْس من المغنم[1]، لقوله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ**﴾ [الأنفال: ٤١].

* (**الثلاثون**): العتق، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ**﴾[البلد:١٢:١٣]، (والحديث) أبى هريرة: «**من أعتق رقبة، أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرج بفرجه**».

* (**الحادية والثلاثون**): الكفارات الواجبات بالجنايات، وهى بالكتاب والسنة أربع كفارات: القتل، وكفارة الظهار، وكفارة اليمين، وكفارة المسيس[2] فى صوم رمضان.. (ومما) يقرب منها ما يجب باسم الفدية، لأنها إما عن ذنب سبق، أو يراد بها التقرب إلى الله تعالى بشىء يعفى أثر أمر قد وقع ذنباً كان أو غير ذنب.

---

(١) أى: الأنفال التى تجمع من الحروب بعد انتهاء المعركة ...

(٢) أى: الجماع فى نهار رمضان.

* **(الثانية والثلاثون)**: الإيفاء بالعقود، لقوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾**[المائدة: ١]، قال ابن عباس: يعني ما أحل الله وما حرم، وما فرض، وما حد في القرآن، (وقوله تعالى): **﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾**[الإنسان: ٧] وقوله تعالى: **﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾** [النحل: ٩١].

(والحديث) ابن عمر في الصحيحين: **((أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر** [1]، وفي رواية أخرى: **((وإذا ائتمن خان))**.

***(الثالثة والثلاثون)**: تعديد نعم الله عز وجل، وما يجب من شكرها لقوله تعالى: **﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾**[النحل: ١٨] وقوله تعالى: **﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾**[الضحى:١١] قوله تعالى: **﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلا تَكْفُرُونِ﴾**[البقرة: ١٥٢].

***(الرابعة والثلاثون)**: حفظ اللسان عما لا يحتاج إليه من غيبة، ونميمة، وكذب... ونحو ذلك ، لقوله تعالى: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾**[الإسراء:٣٦]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: **((من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه))**.

***(الخامسة والثلاثون)**: أداء الأمانة إلى أهلها، لقوله تعالى: **﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾**[البقرة: ٢٨٣]، ولقوله عليه الصلاة والسلام: **((أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك، ولا تخن من خانك))**، ومنها تولية المناصب والأعمال لأصحابها.

***(السادسة والثلاثون)**: تحريم قتل النفس والجنايات عليها، لقوله تعالى: **﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾**[النساء: ٩٣].

***(السابعة والثلاثون)**: تحريم الفروج وما يجب فيها من التعفف، لقوله تعالى: **﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾**[النور: ٣٠] أي: أطهر، (والحديث) الصحيحين: **((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن))**.

---

(١) متفق عليه.

* (**الثامنة والثلاثون**): قبض اليد عن الأموال المحرمة، ويدخل فيه تحريم السرقة، وقطع الطريق، وأكل الربا، وأخذ الرشا، وهدية القضاة، ونحوهم من الحكام، والتطفيف، وكل ما لا يستحقه شرعاً، (لقوله) تعالى: ﴿**وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾[البقرة: ١٨٨]، وقوله تعالى: ﴿.. **وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ..** ﴾[الإسراء: ٣٥] وقوله عليه الصلاة والسلام:((**لعن الله الراشى والمرتشى والرائش**[1] أى الواسطة بينهما.

* (**التاسعة والثلاثون**): وجوب التورع عن المطاعم والمشارب والاجتناب عما لا يحل منهما كالميته والخمر والنبيذ، والحيوانات التى لا تؤكل، لقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ**﴾ [المائدة: ٣] الآية، (لقوله) تعالى:

﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ**﴾[البقرة: ٢١٩].

(والحديث):((**من شرب الخمر فى الدنيا ثم لم يتب منها حرمها**[2] **فى الآخرة**))، وعن عبد الله بن إدريس قوله:

كل شراب مسكر كثيرة ... من تمر أو من عنب عصيره

فإنه محرم يسيره ... إنى لكم من شره نذيره

* (**الأربعون**): تحريم الملابس والزى ـ أى على الرجال ـ والأوانى وما يكره منها، (لحديث) أنس: ((**من لبس الحرير يعنى فى الدنيا فليس يلبسه فى الآخرة**))، (ولحديث) حذيفة: ((**الحرير والديباج وآنية الذهب والفضة لهم ـ أى للكفار ـ فى الدنيا ولكم فى الآخرة**)).

* (**الحادية والأربعون**): تحريم الملاعب والملاهى والمخالفة للشريعة،ومنه التغنى المحظور، ومنه ما يفعله المؤذنون فى المساجد.. ونحوها من التغنى بالأبيات المشتملة على ذكر الولدان والنساء، ومنه دق الناى والعود وشبههما لقوله تعالى: ﴿ **قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ**﴾ [الجمعة: ١١]،

(ولحديث) مسلم: ((**من لعب بالنردشير فكأنما غمس يده فى لحم خنزير ودمه**)).

---

(١) (لعن الله الراشى والمرتشى فى الحكم) رواه الترمذى وحسنه، ابن حبان فى صحيحه والحاكم، وزادوا: (والرائش) يعنى الذى يسعى بينهما.

(٢)أى: حرم شربها فى الآخرة أى فى الجنة.

* (**الثانية والأربعون**): الاقتصاد فى النفقة، وتحريم الإسراف، لقوله تعالى:﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ [الإسراء:٢٩] (والحديث) مسلم: «**نهى عن ثلاث: قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال**».

* (**الثالثة والأربعون**): ترك الغل والحسد، (لقوله تعالى):﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ**﴾ [النساء: ٥٤]، (وقوله)تعالى:﴿**وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق:٥] قال الحسن: هو أول ذنب كان فى السماء، وأول شىء كان فى الأرض من ابنى آدم ـ قابيل وهابيل ـ على ما قيل.

(وعن) الأحنف بن قيس: خمس هن كما أقول: لا راحة لحسود، ولا مروءة لكذوب، ولا وفاء للملوك، ولا حيلة لبخيل، ولا سؤدد لسيِّء الخلق. (وعن) المبرد أنه أنشد:

عين الحسود عليك الدهر حارسة ... تُبدى المساوئ والإحسان تخفيه

يلقاك بالبشر يلقيه مكاشرة ... والقلب منكتمٌ فيه الذى فيه

* (**الرابعة والأربعون**): تحريم أعراض الناس، وما يجب من ترك الوقيعة فيها، (لقوله) تعالى:﴿ **وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ [الحجرات: ١٢] وقوله تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**﴾ [النور: ٢٣]، (والحديث) الصحيحين: «**لايرمى رجل رجلاً بالفسق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتد عليه إن لم يكن صاحبه كذلك**».

* (**الخامسة والأربعون**): إخلاص العمل لله عز وجل وترك الرياء، لقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [البينة: ٥] وقوله تعالى﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: ١١٠].

(وعن) عيسى عليه السلام: (إذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته [(١)]، وليمسح شفتيه، وليخرج على الناس حتى كأنه ليس بصائم، وإذا أعطى بيمينه فليخفه عن شماله، وإذا صلى أحدكم فليسدل ستر بابه، فإنه تعالى يقسم الثناء كما يُقَسِّم الرزق).

(١)وهذا فى غير الفرض، و إلا فلا رياء فى الفرائض ، وإنما الأعمال بالنيات.

(ولذا) ذكر الفقهاء: أن صلاة النوافل فى البيوت أفضل. (وعن) ابن الأعـــرابي: أخسر الخاسرين من أبدى للناس صالح أعماله، وبارز بالقبيح من هو أقرب إليه مـــن حبل الوريد.

* (**السادسة والأربعون**): السرور بالحسنة، والاغتمام بالسيئة، (لحديث)جـــابر: **((من سرته حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن))**..

* (**السابعة والأربعون**): معالجة كل ذنب بالتوبة، (لقوله) تعالى: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[النور: ٣١].

* (**الثامنة والأربعون**):القرابين، وهى الهدى، والأُضحية، والعقيقة (لقوله) تعالى: ﴿**فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ**﴾ [الكوثر:٢]، ولقوله تعالى: ﴿ **وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّـهِ** ﴾ [الحـج: ٣٦]، (ولحديث) الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما عن النبى ﷺ: **((مـــن ضحى طيبة بها نفسه محتسباً لأضحيته كانت له حجاباً من النار.**

* (**التاسعة والأربعون**): فهى طاعة أولى الأمر، (لقولـــه) تعـــالى: ﴿**أَطِيعُـوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ [النساء: ٥٩]، (قيل): هم أمراء السرايا، (وقيل): هم العلماء. (ولحديث): **((من أطاعنى فقد أطا ع الله، ومن عصانى فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعنى، ومن يعص الأمير فقد عصانى))**، (ولحديث) أبى ذر: **((يا أبا ذر اسمع وأطع ولو عبداً حبشياً مجدو ع الأطراف.**

*(**الخمسون**):التمسك بما عليه الجماعة،(لقوله) تعالى:﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا**﴾[آل عمران: ١٠٣]

(ولحديث) مسلم: **((من خرج من الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية))**.

* (**الحادية والخمسون**): الحكم بالعدل، (لقوله) تعالى:﴿**وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّـاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ**﴾[النساء: ٥٨].

* (**الثانية والخمسون**): الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، (لقوله) تعالى:﴿**وَلْـتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ**﴾[آل عمران: ١٠٤]، وقوله: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْمُنْكَـرِ**﴾ [آل عمـران: ١١٠].

(ولحديث) أبي سعيد:((**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**.

(**الثالثة والخمسون**): التعاون على البر والتقوى، (لقوله) تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ**﴾ [المائدة: ٢].

(ولحديث): (**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً**).

* (**الرابعة والخمسون**): الحياء، (لحديث): ((**إن الحياء من الإيمان والإيمان فى الجنة**))، وقال ﷺ ذات يوم لأصحابه: ((**استحيوا من الله حق الحياء**، قالوا: إنا نستحى الله تعالى يا رسول الله والحمد لله، قال: ((**ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله تعالى حق الحياء: أن تحفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله تعالى حق الحياء**، ومعنى: أن تحفظ الرأس.. الخ؛ أى: أنه لا يستعمل سمعه وبصره ولسانه إلا فيما يحل، وكذلك يحفظ البطن وما حوى؛ أى: لايجمع فيه إلا الحلال.. أو يراد به حفظ الفرج والقلب والرجل.. من كل ما حرم الله ... (وفى) صحيح البخارى: ((**إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**)).

* (**الخامسة والخمسون**): بر الوالدين، لقوله تعالى: ﴿ **وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً** ﴾ [الأحقاف: ١٥]، وقوله تعالى: ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً**﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقوله ﷺ: ((**أفضل الأعمال: الصلاة لوقتها وبر الوالدين**)).

* (**السادسة والخمسون**): صلة الأرحام، (لقوله) تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**﴾ [محمد:٢٢] ، (ولحديث): أنس: ((**من أحب أن يُبسط له في رزقه، ويُنسأله في أجله: فليصل رحمه**))، (ولحديث) جبير: ((**لا يدخل الجنة قاطع – أي: للرحم–**))، قال أبو جعفر القزويني: لا فرق بين أن يكون بَراً أو فاجراً.

* (**السابعة والخمسون**): حُسن الخلق، ويدخل فيه كظم الغيظ، ولين الجانب، والتواضع، (لقوله) تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]، (والحديث): «**خياركم أحسنكم أخلاقاً**».

* (**الثامنة والخمسون**): الإحسان إلى المماليك، (لحديث)، «**إن إخوانكم خولكم _ أى خدمكم _ جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم عليه**».

* (**التاسعة والخمسون**): حق السادة على المماليك، (لحديث) ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله عز وجل فله أجره مرتين**».

(وفى) سنن أبى داود: «**العبد الآبق[1] لا تقبل له صلاة حتى يرجع إلى مولاه**».

* (الستون): حقوق الأولاد والأهلين، وهو قيام الرجل على ولده وأهله وتعليمه إياهم من أمور دينهم ما يحتاجون إليه، (لقوله) تعالى﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**﴾ [التحريم: ٦] الآية، قال الحسن: أى مروهم بطاعة الله وعلموهم الخير (وقال) على رضى الله عنه: أى علموهم وأدبوهم.

(ولحديث) أنس فى مسلم: «**من عال [2] جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا، وضم أصبعيه**، (وليعلم) أنه ينبغى له أن يعلم ولده حرفة وصنعة يكتسب بها معيشته فإن الرجل ينبغى له أن يعمل للدنيا وللآخرة.

* (**الحادية والستون**): مقاربة أهل الدِّين ومودتهم وإفشاء السلام _ باللسان _ بينهم والمصافحة لهم، ونحو ذلك من أسباب توكيد المودة (لقوله) تعالى:﴿**لا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا [3] وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا**﴾ [4] [النور: ٢٧].

---

(١) أى: الهارب من سيده.

(٢) أى: ينفق عليهما ويقوم عليهما ويقوم برعايتهما وتربيتهما.

(٣) أى: تستأذنوا ...

(٤) (وأما) عن السلام فقد روى فى الجامع الصغير عن جابر: «**لا تسلموا تسليم اليهود فإن تسليمهم إشارة بالكفوف والحواجب**» قال النووى: وتحية المجوس الانحناء.. فلا يسلم إلا باللسان إلا إذا منع مانع كخرس وصلاة وصمم.. وتمام البحث فى شرح المناوى ا. هـ.

(ولحديث) أبي هريرة: «**والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم: أفشوا السلام بينكم**»، (وحديث) أبي قتادة، قال: قلت لأنس رضى الله تعالى عنه: أكانت المصافحة فى أصحاب النبى ﷺ؟ قال: نعم.(وحديث) أبي هريرة: «**إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالى.. اليوم أظلهم فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى**».

(الثانية والستون): رد السلام، (لقوله) تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا**﴾ [النساء: ٨٦]

(ولحديث) أبي سعيد الخدرى: «**إياكم والجلوس فى الطرقات** قالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق؟ قال: «**غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر**».

(الثالثة والستون): عيادة المريض (لحديث) البراء: (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع: أمرنا بعيادة المريض، واتباع الجنائز، ورد السلام، وتشميت العاطس، وإبرار القسم، ونصر المظلوم، وإجابة الداعى، ونهانا: عن حلقة الذهب[1] ـ أو قال خاتم الذهب ـ وآنية الذهب والفضة ...) (ولحديث) ثوبان: «**عائد المريض فى غرفة الجنة**»، قال القزوينى: ولا فرق بين أن يكون براً أو فاجراً، لكن ينبسط إلى البر[2] وينقبض عن الفاجر.

* **(الرابعة والستون)**: الصلاة على من مات من أهل القبلة، (لحديث) ثوبان: «**من صلى على جنازة فله قيراط، ومن شهد دفنها فله قيراطان: القيراط مثل أحد**».

* **(الخامسة والستون)**: تشميت العاطس، (لحديث) مسلم عن أبي موسى ﷺ: «**إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه، وإذا لم يحمد الله فلا تشمتوه** رواه مسلم.

* **(السادسة والستون)**: مباعدة الكفار والمفسدين، والغلظة على الفاسقين، (لقوله) تعالى:﴿**لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ**﴾[آل عمران: ٢٨].

---

(١) أى: للرجال الذين يحرم عليهم لبس الذهب والحرير الخالص..

(٢) أى: إلى الصالح.

(وقوله) تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [الممتحنة: ١].

(والحديث) أبى هريرة: «**إذا لقيتم المشركين فى طريق فلا تبدءوهم بالسلام واضطروهم إلى أضيقها**».

(وحديث) أبى سعيد: «**لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى**»[1]

(وليعلم) الأخ المسلم: أن مجاوزة الحد الذى حده الشارع عليه الصلاة والسلام ممنوعة، فعدم موالاتهم وتعظيمهم ومحبتهم لا يستلزم الجور عليهم (فقد) وردت أخبار صحيحة فى عدم أذية أهل الذمة فلا تغفل.

* (**السابعة والستون**): إكرام الجار، (لقوله) تعالى:﴿**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ**﴾ [النساء: ٣٦] قيل فى تفسير: ذى القربى: الجار الملاصق، والجار الجنب: البعيد غير الملاصق، والصاحب بالجنب: الرفيق فى السفر (وعن) ابن عباس ومجاهد: الجار ذى القربى: الذى بينك وبينه قرابة، والجار الجنب: الأجنبى عنك، والصاحب بالجنب: الرفيق فى السفر.

(قيل): والحضر (وعن) على وابن مسعود رضى الله تعالى عنهما: الصاحب بالجنب: المرأة أى الزوجة ــ (والحديث) عائشة رضى الله تعالى عنها: «**مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**».

* (**الثامنة والستون**): إكرام الضيف، (لحديث) الصحيحين: «**من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه جائزته** قالوا: وما جائزته ؟ قال: «**يومه وليلته، والضيافة ثلاث، فما كان وراء ذلك فهو صدقة**».

* (**التاسعة والستون**): الستر على أصحاب الذنوب، (لقوله) تعالى ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور: ١٩].

* (والحديث) ابن عمر فى الصحيحين: «**المسلم أخو المسلم لا يُسلمه ولا يظلمه، ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**».

(١) رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا بأس به.

* (**السبعون**): الصبر على المصائب وعما تترع النفس إليه من لذة وشهوة (لقوله) تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ**﴾ [البقرة:٤٥] قال مجاهد: أراد بالصبر: الصوم، وقوله تعالى:﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ۔الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾ [البقرة:١٥٦]، وقوله تعالى:﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر:١٠]، (ولحديث) ابن مسعود: «**ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حَتَّ الله عنه من سيئاته كما تحتُ[(١)] الشجرة ورقها**».

* (**الحادية والسبعون**) الزهد وقصر الأمل، (لقوله) تعالى:﴿**وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ**﴾ [آل عمران: ١٨٥]وقوله تعالى:﴿**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ۔ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٢ :٢٣] ولله در من قال:

خبـز ومـاء وظـلُّ ... هـذا النعيم الأجـلُّ
جَحَـدتُ نعمـة ربى ... إن قلـتُ أنى مُقـلُّ

* (**الثانية والسبعون**): الغيرة وترك المذاء (لقوله) تعالى:﴿**قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾ [التحريم: ٦] وقوله تعالى:﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُن**﴾ [النور: ٣١]، (ولحديث) البخارى: (إن الله عز وجل يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتى المؤمن ما حرم الله عز وجل) (ولحديث) أبى سعيد: «**الغيرة من الإيمان وإن المذاء من النفاق**» قال الحليمى: هو أن يجمع بين الرجال والنساء ثم يخليهم يماذى بعضهم بعضاً، وأخذ من المذى، وقيل: هو إرسال الرجال مع النساء، من قولهم: مزيت الفرس إذا أرسلته ترعى.

* (**الثالثة والسبعون**): الإعراض عن اللغو، (لقوله) تعالى﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ۔الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ۔ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ [المؤمنون١:٣]، وقوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً**﴾ [الفرقان:٧٢]، واللغو: هو الباطل الذى لا يعنيه ولا يكون لقائله فيه فائدة، وربما كان وبالاً عليه.

---

(١) حته أى فركه وقشرة.

* (**الرابعة والسبعون**): الجود والسخاء، (لقوله) تعالى: ﴿**وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ**﴾ [آل عمران: ١٣٤]، (ولما) فى الصحيحين:((**ما من يوم يصبح العباد إلا وملكان يترلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط مُمسكاً تلفاً**.

* (**الخامسة والسبعون**): رحمة الصغير، وتوقير الكبير (لحديث) مسلم: ((**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله**))، (وحديث) أبي داود:((**من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا**)).

(ولحديث) الصحيحين: ((**جعل الله تعالى الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل فى الأرض جزأ واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلق، حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**)).

* (**السادسة والسبعون**): إصلاح ذات البين، (لقوله) تعالى:﴿**لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً**﴾ [النساء:١١٤] قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٠]، (ولحديث) الصحيحين: عن أم كلثوم بنت عقبة: ((**ليس الكذاب الذى يصلح بين اثنين، فيقول خيراً أو ينمى خيراً**)) قالت: (و لم أسمعه عليه الصلاة والسلام يرخص فى شيء مما يقوله الناس كذباً إلا فى ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امراته وحديث المرأة زوجها).

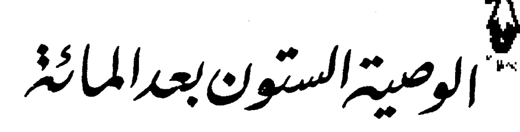
* (**السابعة والسبعون**): أن يحب الرجل لأخيه المسلم ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكرهه لنفسه (لحديث) جرير بن عبد الله رضى الله تعالى عنه: (**بايعت رسول الله ﷺ على إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم**)، قال أبو حفص القزويني: ويدخل فيه إماطة الأذى عن الطريق ا.هـ.

* (**وأما الشعبة الأخيرة**): فهى إماطة الأذى عن الطريق.. فالمراد إزالة كل ما يؤذى المارين كالحجر، والشوك، والعظم، والنجاسة، والجيف، والقشور، وزيادة الرش، وبيع المأكولات بوضعها فى الطريق، والجلوس فيها ... ونحو ذلك مما يؤذى

العابرين (فعن) أبى ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها، فوجدت فى محاسن أعمالها: الأذى يماط عن الطريق، ووجدت فى مساوئ أعمالها: النخامة تكون فى المسجد لا تدفن)).**

(وروى) عنه ﷺ أنه قال: **((نزع رجل لم يعمل خيراً قط غصن شوك عن الطريق فشكر الله تعالى ذلك له فأدخله الجنة))**، (وعن) أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((ليس من نفس ابن آدم إلا عليها صدقة فى كل يوم طلعت فيه الشمس** قيل: يا رسول الله من أين لنا صدقة فنتصدق بها ؟ فقال: **((إن أبواب الخير لكثير: التسبيح، و التحميد، و التكبير، و التهليل، و الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر، و تميط الأذى عن الطريق، و تسمع الأصم، و تهدى الأعمى، و تدل المستدل على حاجته، و تسعى بشدة ساقيك مع اللهفان المستغيث، و تحمل بشدة ذراعيك مع الضعيف، فهذا كله صدقة منك على نفسك.** (فلتكن أخا الإسلام منتفعا كذلك بشعب الإيمان المنجيات لك إن شاء الله تعالى فى الدنيا و الآخرة.. ما دمت منفذا للمراد منها.. بالإضافة إلى ما جاء فى الوصية الأولى.. التى ندور حولها.. من التنبيهات و الإرشادات التى أرجو أن تكون أهلا لتنفيذها.. حتى تكون – كما اتفقنا – قبل هذا – إن شاء الله تعالى من الصنف الأول أو الثانى من الناس الذين هم فى أفضل المنازل بسبب صدق نياتهم المؤكدة بسبب شعب الإيمان.. بكل صدق و إخلاص.. إلى آخر لحظة.. فى حياتهم الأولى..

والله ولى التوفيق

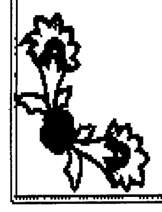
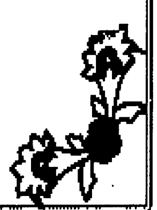


الوصية الستون بعد المائة

• عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(طَهِّرُوا هذِهِ الأَجْسَادَ طَهَّرَكُمُ اللّٰهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَبِيتُ طَاهِرًا إِلَّا بَاتَ فِي شِعَارِهِ مَلَكٌ، لا ينقلب سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ إِلَّا قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا) .

رواه الطبراني فى الأوسط بإسناد جيد .

فكن أخا الإسلام

منفذا للمراد من هذه الوصية العظيمة التي يوصينا فيها الرسـول ﷺ — جميعـا كمؤمنين أو كمؤمنات — بأن لا نبيت على الفراش إلا و نحن علـى طهـارة ... (وهذا) هو معنى قوله ﷺ في نص الوصية: ((**طهروا هذه الأجساد**))، حـتى ولـو كانت هناك جنابة في أول الليل ـ أعني بعد صلاة العشـاء ـ وأردت أن تـؤخر الغسل.. (فقد) ورد أنه يستحب الوضوء لمن جامع أهله، وأراد أن يؤخر الغسل، أو أراد معاودة الجماع.. (وهذا) ما ذهب إليه جمهور الفقهاء.. (بل) وهذا هو ما كان يفعله النبي ﷺ:

* (فعن) عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (كان النبي ﷺ إذا أراد أن ينام وهـو جنب توضأ وضوءه للصلاة، وإذا أراد أن يأكل أو يشرب غسل يديه ثم يأكـل أو يشرب). رواه أحمد والنسائي.

* (مع) ملاحظة: أن الوضوء الذي سيتطهر به الجنب قبل النوم، أو عنـد إرادة معاودة الجماع، لا تصلح به الصلاة ... لأنه وضوء لغوي، وهو غسل الأذى عـن فرجه ويديه.. كما قالت طائفة من الفقهاء ... والأصح في هذا الباب هو أنـه ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة، وعلى هذا فإنه يحمل على الحقيقة الشرعية ...

** وأيضاً مع ملاحظة أن معنى قول النبي ﷺ: «**طهركم الله**»: جملة دعائية.

أي أنه ﷺ يدعوا بالطهر والنقاء لمن ينام على طهارة ... (ومعنى): ((**فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلا بات في شعاره** [1] **ملك**)) وأنه: «**لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال:** » أي الملك الذي في شعاره: «**اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً** »، وهذا تعليل لطلب المغفرة له.. كلما قام من نومه في أي لحظة من الليل.. فهو من جملـة قول الملك.

---

(١) الشعار: أي الثوب الذي يلي الجسد.

* *(هذا)، ولما كان الطهور هو الأساس فى موضوع الوصية التى ندور حولهـــا.. (فقد) رأيت أن أذكر الأخ المسلم بما جاء فى كتاب (الفقه الواضح) ج١ تحت عنوان:

الطهور شطر الإيمان

(فقد) ذكر أن الطهارة من الأمور المهمة، التى تعبدنا الله بها إذ جعلها شـــرطاً فى صحة كثير من العبادات، ولها فى الإسلام المترلة السامية، فهى من الإيمـــان بمترلـــة النصف من الكل (فعن) أبى مالك الأنصارى أن رسول الله ﷺقال: «**الطهور شطر الإيمان**» رواه مسلم.

(وفى) رواية لأحمد: «**الطهارة نصف الإيمان**». الراويتان بمعنى واحد. فالطهور ــ بضم الطاء ــ أو الطهارة، هو: رفع الحدث والخبث.والمراد بالطهور فى هذا الحديث معناه الواسع، الذى يشمل الطهارتين، الحسية والمعنوية. إذ الإيمان عقيـــدة وعمـــل. والعقيدة محلها القلب ولكى تستقر فى القلب ، ويسطع نورها لابد من وأن يكـــون هذا القلب طاهراً، أى خالياً من كل ما يعكر صفوه، ويكدر جلوته، والتخلية مقدمة على التحلية، كما يقولون.

والعمل متعلق بالجوارح، والجوارح مأمورة بأشياء، يجب فعلها، ومنهية عن أشياء يجب تركها.. أى أن هناك طاعات ، وهناك معاصى.. ففعل الطاعات تحلية، وتـــرك المعاصى تخلية.

(فعلى) العبد ــ أولاً ــ أن يخلى جوارحه من المعاصى، وهذا هو معنى التطهير.. (فإذا) ما طهر جوارحه، فقد حاز نصف الإيمان، فى بابه، فتأمل.

(قال) الإمام الغزالى فى الإحياء، وهو يتكلم عن الحديث المتقدم، ما فحواه: (إنه) غير معقول أن يكون المراد بالطهور فى هذا الحديث طهارة الظاهر، والتى هى رفـــع الحدث والخبث فقط، وإنما المراد بالطهور سائر أنواع الطهارات.

(وقسَّم) الطهارة بهذا المعنى الواسع إلى أربع مراتب:

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر من الأحداث، والأخباث والفضلات.

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح من الجرائم والآثام.

المرتبة الثالثة: تطهير القلب من الأخلاق المذمومة، والرذائل الممقوتة.

المرتبة الرابعة: تطهير السر مما سوى الله تعالى، وهى طهارة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

والطهارة فى كل رتبة نصف العمل [1] الذى هى فيه.

(ثم) يقول تحت عنوان:

تعريف الطهارة عند الفقهاء

الطهارة عند الفقهاء.. هى رفع الحدث والخبث.

(وعلى) هذا، فهى طهارتان:

* طهارة من الحدث: وتكون بالوضوء والغسل، أو بما يكون بدلاً منهما وهو التيمم.
* وطهارة من الخبث: ومعناها: إزالة ما تعلق بالثوب والمكان والبدن وغيره من النجاسات.

** (ثم) بعد ذلك ينتقل إلى موضوع هام لابد وأن يكون الأخ المسلم على علم به.. وهو كما جاء تحت عنوان:

الماء الذى يجوز التطهير به

(أنه) يجوز التطهير بكل ماء نزل من السماء، أو نبع من الأرض، سواء كان عذباً، أو ملحاً، ما لم يتغير لونه، أو طعمه، أو ريحه.. (قال) تعالى فى سورة الفرقان ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً**﴾ [الفرقان: ٤٨]. (وعن) أبى هريرة ﷺ قال: سأل رجل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هو الطهور ماؤه، الحل ميتته**» أخرجه مالك والترمذى.

** (والماء الطهور): هو الطاهر فى نفسه، المطهر لغيره، ولا يكون كذلك إلا إذا كان مطلقاً، غير مقيد بما يختلط به، فلا يقال له: ماء ورد، ولا ماء زعفران ــ مثلاً ــ..

---

(١) راجع إحياء علوم الدين ج١ص١١١ ط صبيح.

* (وقد) اختلف الفقهاء فى الماء الذى يجوز منه الوضوء والغسل، اختلافاً كـثيراً، لو بسطناه، لخرجنا عن حد الاختصار المفيد، ولكن نبسط هنا منه ما تدعو الضرورة إليه فنقول:

** (هناك) ماء يجوز استعماله فى العادات والعبادات، وهو ثلاثة:

١- الماء المطلق الذى لم يخالطه شيء يغير لونه، أو طعمه، أو ريحه.

٢- الماء الذى خالطه شيء طاهر، ولكن لم يغير لونه، ولا طعمه، ولا ريحه.

٣- الماء الذى تغير لونه، أو طعمه، أو ريحه، بأشياء غالباً ما تلازمه، ولا تنفصل عنه، ويصعب الاحتراز منها، كأن يخالطه تراب، أو رمل، أو ملح، يغير من لونه، أو طعمه، أو ريحه.

(كذلك) إذا كان قد تغير بممره الذى يجرى فيه، أو بمقره الذى يمكث فيـه، أو بشيء جاوره، ولم يختلط به، فإن هذه الأشياء معفو عنها، فلا يضرك أن تتوضأ، أو تغتسل بماء مالح، أو مر، أو ماء قد اسود لونه بسبب التراب، أو اصفر لونه، أو احمر بسبب الرمال التى يجرى عليها، أو تغيرت رائحته بشيء جاوره ولم يختلط به ...

(وذلك) مثل الماء الذى يجاور بعض المصانع فيتغير بدخانها، أو يجاور حيوانًا ميتاً فيتغير بنتنه، فإن التغير المانع من استعمال الماء هو ما كان بشيء اختلط به فعلاً.

** (وهناك) ماء يجوز استعماله فى العبادات، دون العادات (وهو) الماء الذى أصابته نجاسة لم تغير لونه، ولا طعمه، ولا ريحه: (فهذا) الماء قد أجاز الشارع الحكيم استعماله فى التطهير، لأنه ماء لم يتغير وصف من أوصافه الثلاثـة لا اللـون، ولا الطعـم، ولا الرائحة (ولكن) حرم استعماله فى العادات من طبخ وعجن، وشرب وما إلى ذلك.

فالقليل من النجاسة إذا وقع فى الماء، أو فى الطعام، حرم تناوله. فلو سقطت قطرة منها فى برميل من زيت _ مثلاً _ حرم استعماله كطعام، ولكن يجوز الانتفاع بـه، فيما سوى ذلك (والدليل) على جواز استعمال هذا الماء فى العبادات مـن وضـوء وغسل، هو: إجماع المسلمين على ذلك، وعدم وجود معارض، وحديث أبى أمامة أن النبى ﷺ قال: ((**إن الماء طهور، إلا إن تغير ريحه، أو لونه، أو طعمه، بنجاسة تحدث فيه**)). أخرجه البيهقى.

(وقد) اتفق المحدثون على الفقرة الأولى من هذا الحديث، وهـي قولـه: «**الماء طهور**»، وضعفوا ما زاد عليها من حيث السند، مع اتفاقهم على مضمونها. فالجميع يحكمون بطهارة هذا الماء الذى لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة، بما وقع فيه من نجاسة (وإن) كان بعض الفقهاء قد كره استعمال هذا الماء فى الوضوء والغسل، مع وجود غيره، فإن لم يوجد غيره فلا كراهة فى استعماله.

* * (وهناك) ماء يجوز استعماله فى العادات دون العبادات، وهو الماء الذى خالطه طاهر فغير لونه، أو طعمه، أو ريحه. (كأن) دخله ماء ورد، أو زعفران، أو عجين، أو نحو ذلك. (فإننا) قد قلنا: إن الماء الذى يجوز منه التطهير، لابد أن يكون ماء مطلقاً لم يتغير وصف من أوصافه الثلاثة. إلا إذا تغير بالأشياء التى تلازمه، مثل التراب والرمل ... الخ.

(وجوز) الحنفية استعمال هذا الماء المتغير بالطاهر، إذا لم يكن التغير كثيراً يخرجه عن إطلاقه ويسلبه اسم الماء المطلق.. مستدلين بقولهﷺ فيمن سقط عـن راحلتـه فمات «**اغسلوه بماء وسدر**» الحديث. أخرجه البخارى ومسلم.

ووجه الدلالة: أن الميت لا يغسل إلا بما يصح التطهير به للحى. (ومثل) ما رواه الجماعة عن أم عطية قالت: دخل علينا رسول اللهﷺ حين توفيت ابنتـه زينـب. فقال: «**اغسلنها ثلاثاً، أو خمساً، ـ أو أكثر من ذلك، إن رأيتن ـ بمـاء وسـدر، واجعلن فى الأخيرة كافوراً، أو شيئاً من كافور، فإذا فرغتن فآذننى**» فلما فرغنـا آذناه فأعطانا حقوه فقال: أشعرنها إياه، وتعنى إزاره، فقد أمرهنﷺ بأن يغسـلنها بماء مخلوط بسدر، وكافور ـ وهما نبات طيب الرائحة ـ وهذا يدل علـى جـواز استعمال الماء المتغير بطاهر لم يخرجه عن طهوريته، وإطلاق اسم الماء المـتغير عليـه (وعن) أحمد والنسائى وابن خزيمة من حديث أم هانئ: أن النبىﷺ اغتسـل هـو وميمونة من إناء واحد،من قصعة فيها أثر العجين.

* * (وهناك) ماء يحرم استعماله فى العادات والعبادات، وهو الذى أصابته نجاسة غيرت لونه، أو طعمه، أو ريحه، قلّ الماء أو كثر، قلت النجاسة أو كثرت.

(فالمدار) فى حرمة استعماله فى العبادات هو التغير، والمدار فى حرمة اســتعماله فى العادات من طبخ، وشرب.. ونحو ذلك هو وقوع النجاسة فيه. إذ القليل من النجاسة يحرم الكثير من المطعومات والمشروبات، على ما قرره جمهور العلماء.

* * (ثم) يشير بعد ذلك فى (الفقه الواضح) إلى ملاحظة هامة لابد كــذلك وأن يكون الأخ المسلم على علم بها ... حتى يكون من أهل الفقه النافع.. (فقد) ذكــر تحت عنوان:

تنبيه ... هام ...

* * أنه: يظن بعض الناس أن الرجل لو وضع يده فى الماء _ وهو جنب _ نجسه. وأن المرأة لو وضعت يدها فيه _ وهى حائض أو جنب _ نجسته كذلك.

* (وهذا) غير صحيح. إذ يرى جمهور الفقهاء، أن الماء لا يصير مستعملاً بوضــع اليد فيه، وحتى لو صار مستعملاً، فإنه يجوز استعماله، مالم يتغير وصف من أوصافه.. عند المالكية وكثير من الفقهاء.. (ثم) يقول: (والجنب) _ فى الحقيقة _ ليس نجســاً، ويده ورجله وأعضاؤه كلها طاهرة، مادامت نظيفة ليس منــها عضــو نجــس، إلا الأعضاء التى يصيبها الدم:

(فعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: اغتسل بعض أزواج النبى ﷺ فى جفنــة [1]، فأراد رسول الله ﷺ أن يتوضأ منه، فقالت: يا رسول الله إنى كنت جنباً. فقال: ((**إن الماء لا يجنب**)) أخرجه أحمد.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبى ﷺ لقيه فى بعض طرق المدينة وهو جنب، فانخنس منه _ أى هرب أو أُختبأ _ فذهب فاغتسل، ثم جاء، فقال له النبى: ((**أين كنت يا أبا هريرة ؟**)) قال: كنت جُنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهــارة.. فقــال: ((**سبحان الله، إن المؤمن لا ينجس**)). رواه الجماعة.

(وفى) الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: أمرنى رسول الله ﷺ أن أناوله شيئاً من المسجد، فقلت: إنى حائض. فقال: ((**إن حيضتك ليست فى يدك**)).

(١) كالقصعة، وجمعها جفان.. (مختار الصحاح) ص١٠٦.

(فمن) هذه الأحاديث وغيرها يثبت ما ذهب إليه الجمهور من عدم تنجس الماء بوضع الجنب يده فيه. وكذلك الحائض والنفساء، ولا يصير الماء بذلك مستعملاً.. كما زعم بعض فقهاء الحنفية والشافعية.. وأن المدار فى عدم جواز استعمال الماء فى الوضوء هو التغير وليس وضع اليد فيه، أو استعماله فى وضوء أو غسل سابقين.

* * (وقد) أشار فى الجزء الأول من (الدين الخالص) ص٢٧٤ إلى ملاحظة هامة، قال فيها تحت عنوان:

الوضوء للنوم

(يستحب) عند الأئمة الأربعة والجمهور لمن أراد النوم على طهارة كاملة (لحديث) البراء بن عازب أن النبى ﷺ قال: **((إذا أتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسى إليك، ووجهت وجهى إليك، وفوضت أمرى إليك، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك. اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت، وبنبيك الذى أرسلت: فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة. واجعلهن آخر ما تتكلم به)** قال: فرددتها على النبى صلى الله عليه وآله وسلم. فلما بلغت: اللهم آمنت بكتابك الذى أنزلت، قلت: ورسولك. قال: **((لا. ونبيك الذى أرسلت))**. أخرجه السبعة.

** (والحديث) وإن كان خطاباً للبراء، فالمراد منه العموم فيشمل جميع المكلفين..

* * (ولهذا) فإنه ينبغى عليك أيها المسلم أن تنفذ هذا المستحب إذا أرادت أن تنام ... بعد صلاة العشاء _ والوتر الذى هو آخر صلاتنا _ حتى إذا ما مت أثناء نومك _ كما جاء فى نص الحديث _ مت على الفطرة _ أى الإسلام _ وحسبك أن تفوز بهذا الخير الذى ينبغى أن تحرص على أن تموت عليه بعد أن ختمت آخر كلامك بهذا التفويض الخالص لله رب العالمين الذى لا حول ولا قوة إلا به سبحانه وتعالى.. (بل) وتستطيع أن تتصور نفسك على بعد لحظات من الموت الذى سيأتى بغته _ إن عاجلاً وإن آجلاً _ (بل) وتستطيع أن تتهيأ لهذا.. كما فعل الإمام الغزالى عليه رحمة الله..

عندما تصور أن الموت يطرق بابه ــ بنور قذفه الله تعالى فى قلبه، فقال لأصحابه ــ بعد أن اغتسل وطلب ثوباً جديدًا لبسه، ثم تطيب بالمسك، وصلى ركعتين ــ إنى أريد الدخول على الملك[1]، ثم دخل حجرته وانتظر بها طويلاً.. فلما أبطأ عليهم دخلوا عليه فوجدوه مضطجعاً على جنبه الأيمن مستقبل القبلة وقد فارق الحياة وعند رأسه هذه الوصية:

قل لإخوان رأونى ميتاً ... فبكونى ورثونى حزناً
أتظنون بأنى مَيْتُكُم ... ليس ذاك الميْتُ والله أنا
أنا فى الصُّور وهذا جسدى ... كان بيتى وقميصى زَمناً
أنا كنز وحجابى طلسم ... من تراب كان ضيقاً وعنَا
أنا دُرٌّ قد حواه صَدف ... لامتحانى فنفيتُ المحنا
أنا عصفور وهذا قفصى ... طرت عنه فبقى مرهَنا
أحمد الله الذى خلصنى ... وبنى لى فى المعالى مسكنا
كنت قبل اليوم ميتاً بينكم ... فحييت وخلعت الكفنا
وأنا اليوم أناجى ملأ ... وأرى الله جهاراً علنا
عاكف فى اللوح أقرأ وأرى ... كل ما كان تناءى ودنا
وطعامى وشرابى واحد ... وهُو رمز فافهموه حسَنا
ليس خمراً سائغاً أو عسلاً ... لا ولا ماءا ولكن لبنا
فافهموا السِّرَّ ففيه نبأٌ ... أى معنى تحت لفظى كمنا
فاهدموا بيتى ورضوا قَفَصى ... وذروا الطلسم يعلوه الفنا
قد ترحلت وخلفتكم ... لستُ أرضى داركم لى وطنا
لا تظنوا الموت موتاً إنه ... لحياة وهو غايات المنى
حَىٌّ ذى الدار نؤوم مُغرق ... فإذا مات أطار الوسَنَا
لا تَرُعْكُم هجمة الموت فما ... هو إلا انتقال من هنا
وخذوا الزاد جميعاً لاتنوا ... ليس بالعاقل منَّا مَنْ ونى

---

(١) أى: على ملك الملوك سبحانه وتعالى.

واحسنوا الظنَّ برب راحم	شاكر للسعى وأتوا أمننا
ما أرى نفسى إلا أنتموا	واعتقادى أنكم أنتم أنا
عنصر الأنفس منا واحد	وكذا الجسمَ جميعاً عمَّنَا
فارحمونى وارحموا أنفسكم	واعلموا أنكم فى إثْرِنا
أسأل الله لنفسى رحمة	رحم الله كريماً أمَّنَا [1]

** (وقرأت) كذلك أنهم وجدوا بعد موته رقعة بخطه مكتوب عليها:

قد كنتُ عبداً والهوى حاكمى	فصرتُ حُرًّا والهوى خادمى
وصرت بالعزلة مُستأنسًا	من شر أصناف بنى آدم
يا لائمى فى تركهم جاهلاً	عُذرىَ منقوش على خَاتمى

(ففتشو) على خاتمه فوجدوه مكتوبًا عليه: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٢].

(فلتكن أخا الإسلام منتفعا بكل هذا التذكير حتى تكون مستعدا دائما و أبداً للحظة الفراق..

كلما كنت متهيئا للنوم الذى قد يكون آخر نومة لك فى الدنيا..

والذى ينبغى أن تكون قد تطهرتَ لها بالوضوء الحقيقى أو اللغوى.. كما كان يفعل رسول الله ﷺ.(فقد) ورد عن عائشة رضى الله عنها أنه ﷺ كان إذا أراد أن ينام وهو جنب غسل فرجه وتوضأ وضوءه للصلاة..

(مع) ملاحظة أن الوضوء اللغوى هذا.. لا تصح به الصلاة..(وأيضا) مع ملاحظة أن الوضوء هذا لا يستحب للحائض والنفساء لأنه لا يؤثر فى حدثهما ولا يصح الوضوء مع استمراره. أما إذا انقطع حيْضها فتصير كالجنب يستحب لها الوضوء فى هذه المواضع. [2]

(١) أى: قال آمين.. فاللهم آمين.

(٢) انظر ص ١٥٦ ج٢ مجموع النووى

* (ولتكن)أخا الإسلام دائماً و أبداً على صلة دائمة بالله تبارك و تعالى بفعـــل الخيرات وترك المنكرات..و أنت تسأل الله حسن الخاتمة.. (فقد) ورد فى الحـــديث الشريف الذى أخرجه البخارى و مسلم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: ((**إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجـــل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة**)) وزاد البخارى: ((**وإنما الأعمال بالخواتيم**)).

والله ولى التوفيق

الوصية الواحدة والستون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ وَالتَّفَحُّشَ، فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَاحِشَ وَالْمُتَفَحِّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّهُ هُوَ الظُّلُمَاتُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ دَعَا مَنْ قَبْلَكُمْ فَسَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَدَعَا مَنْ قَبْلَكُمْ فَقَطَعُوا أَرْحَامَهُمْ، وَدَعَا مَنْ قَبْلَكُمْ فَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ).

رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم واللفظ له، وقال: صحيح الإسناد.

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التى يحذرنا حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فيها، من: الفحش والتفحش لأن الله تبارك وتعالى لا يحب الفاحش أى ذو الفحش فى كلامه وأفعاله.. وكذلك لا يحب المتفحش.. أى الذى يتكلف ذلك ويتعمده ...

** (لقد) كان حبيبنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه مثلاً أعلى فى مكارم الأخلاق.. التى بُعثَ أساسًا ليتممها.. (فقد) ورد فى الحديث: «**إنما بعثت لأُتمم مكارم الأخلاق** [1]»، وما بعثه الله تعالى ليتمم مكارم الأخلاق إلا بعد أن أعطاه شهادة لم يعطها لأحد قبله، ولن يعطيها لأحد بعده، وهى:﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤].

** (ولهذا) فإنه حسبنا إذا أرنا أن ننفذ المراد من هذا التحذير.. أن نقف على أهم أخلاق الرسولﷺ من خلال بعض الأحاديث الشريفة.. حتى ننفذ المراد منها:

* (فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما، قال: لم يكن رسول اللهﷺ فاحشاً ولا متفحشاً. وكان يقول: «**إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً**» متفق عليه.

* (وعن) أبى الدرداءﷺ أن النبىﷺ قال: «**ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من حُسن الخلق، وإن الله يبغض الفاحش البذىء** [2]» رواه الترمذى وقال: حديث صحيح.

** (ولقد) كان رسول اللهﷺ بين أصحابه مثلاً أعلى للخلق الفاضل الذى يدعو إليه، فهو يغرس بين أصحابه هذا الخلق السامى ، بسيرته العاطرة، قبل أن يغرسه بما يقول من حِكَم ومواعظ.. (ولهذا) فقد أمر الله المسلمين بأن يقتدوا به فى طيب شمائله وعريق خلاله، فقال:﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب:٢١].

** (وذلك) لأننا إذا اقتدينا برسول الله صلوات الله وسلامه عليه سنكون قد اقتدينا بالإنسان الكامل الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه..

---

(١) رواه مالك.

(٢) أى: الذى يتكلم بالفحش.

* * (وهاك) بعض النماذج الحية التى أرجو أن تكون متخلقاً بها حيثما كنت.. حتى تكون فعلاً من خير أمة أُخرجت للناس.. إن شاء الله:

*(فعن) أنس قال: (خدمت النبى ﷺ عشر سنين، والله ما قال لى: أُفٍّ قطُّ، ولا لشىء لم فعلتَ كذا ؟ وهَلاَّ فعلتَ كذا ؟). (1)

(وعنه) (إنْ كانت الأمَةُ لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت، وكان إذا استقبله الرجل فصافحه، لا يترع يده، ولا يصرف وجهه عن وجهه، حتى يكون الرجل هو الذى يصرفه، ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدى جليس له) (2) _ يعنى أنه يتحفظ مع جلسائه فلا يتكبر _

*(وعن) عائشة قالت: ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس عنه. وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شىء قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم. وما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادمًا، إلا أن يجاهد فى سبيل الله تعالى). (3)

*(وعن) أنس: كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد غليظ الحاشية، فأدركه أعرابى فجذبه جذبة شديدة، حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ وقد أثرت بها حاشية البُرد من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد مُر لى من مال الله الذى عندك !فالتفت إليه رسول الله، وضحك، وأمر له بعطاء.(4)

*(وعن) عائشة: قال رسول الله ﷺ **((إن الله رفيق، يحب الرفق، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف، وما لا يعطى على سواه))**(5).

(وفى) رواية: **((إن الرفق لا يكون فى شىء إلا زانه، ولا يُنْزع من شىء إلا شانه)).**

---

(1) رواه: مسلم.
(2) رواه: الترمذى.
(3) رواه: مسلم.
(4) رواه: البخارى.
(5) رواه: مسلم.

* (وسُئلت) عائشة: ما كان رسول الله ﷺ يفعل فى بيته ؟ قالت: (كان يكـون فى مهنة أهله [1] فإذا حضرت الصلاة يتوضأ ويخرج إلى الصلاة). [2]

* (وعن) عبد الله بن الحارث: ما رأيت أحداً أكثر تبسُّماً من رسول الله ﷺ ![3]

* (وقال) القاضى عياض: كان النبى ﷺ أحسن الناس، وأجود الناس، وأشـجع الناس ، لقد فزع أهل المدينة ليلة، فانطلق ناس قِبَل الصوت، فتلقـاهم رسـول الله راجعاً، قد سبقهم إليه واستبرأ الخبر، على فرس لأبى طلحة عُرى والسيف فى عنقه، وهو يقول: **((لن تراعوا))**.

(وقال) على رضي الله عنه: (إنا كنا إذا حمى البأس [4] واحمرت الحدق ــ نتقى برسول الله ﷺ، فما يكون أحد أقرب إلى عدو منه).

* (وقد) قالت له السيدة خديجة: (إنك تحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق).

* (وحمل) إليه سبعون ألف درهم، فوضعت على حصير، ثم قام إليها يقسـمها، فما رد سائلاً، حتى فرغ منها.

* (وجاءه) رجل فسأله، فقال له: ما عندى شيء، ولكن ابتع على[5]، فإذا جاءنا شيء قضيناه، فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه! فَكره النبى ﷺ ذلـك، فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذى العرش إقلالا، فتبسـم رسول الله ﷺ، وعرف البشر فى وجهه، وقال: **((بهذا أمرت))**.

* (وكان) رسول الله ﷺ يؤلف أصحابه ولا ينفرهم، ويكرم كريم كـل قـوم ويوليه عليهم.

* (وكان) يَحذر الناس ويحترس منهم، من غير أن يطوى عن أحد منهم بشرة [6] ولا خلقه.

---

(١) أى: فى خدمتهم.
(٢) رواه: مسلم.
(٣) رواه: الترمذى.
(٤) أى: القتال.
(٥) أى: اشتر ما شئت من الطعام ــ مثلاً ــ على حسابى ــ.
(٦) أى: من غير أن ينصرف عنه بوجهه ...

* (وكان) دائم البشر، سهل الطبع، لين الجانب، لـيس بفـظ ولا غلـيظ، ولا صخاب، ولا فحَّاش، ولا عتَّاب، ولا مدَّاح، يتغافل عما لا يشتهى، ولا يقنط منه.

* (وكان) يمازح أصحابه ويخالطهم ويجاريهم، ويداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره.

(وكان) يجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين، ويعود المرضى فى أقصى المدينة، ويقبل عذر المعتذر.

* (وكان) يكرم من يدخل عليه، وربما بسط له ثوبه، ويؤثره بالوسادة التى تحته، ويعزم عليه فى الجلوس عليها إن أبى (ولم) يرُ قط مادًّا رجليه بين أصحابه فيضيق بهما على أحد.

* (وكان) يصل ذوى رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم.

* (وكان) كثير السكون لا يتكلم فى غير حاجة، ويعرض عمن تكلم بغير جميل.

* (وكان) ضحكه تبسماً، وكلامه فصْلاً، ولا فُضول [1] فيه ولا تقصير.

* (وكان) ضحك أصحابه عنده التبسُّم، توقيرًا له واقتداء به.

* (وكان) مجلسه مجلس حِلم وخير وأمانة، لا ترفع فيه الأصوات، ولا تخدش الحُرمٌ.

* (وكان) إذا تكلم أطرق أصحابه، كأنما على رءوسهم الطير.

* (وكان) يحدث حديثاً لوعده العاد أحصاه.

* (وكان) إذا مشى مشى مجتمعاً، يعرف فى مشيته أنه غير ضجر ولا كسلان.

* (وكان) ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة، ويستعملها كثيراً.

* * (فهذه) مجموعة من الأخلاق المحمدية التى إن كنتَ متخلقًا بها.. كنتَ إن شاء الله من المنفذين لتحذير الرسول ﷺ المحذِّر منه فى أول الوصية وهـو أن لا تكـون فاحشاً ولا مُتفحِّشاً ... لأن هذا ليس من أخلاق المسلمين ...ولأن الله تعالى يبغض الفاحش البذىء.كما قال الرسول ﷺ [2] ثم إذا كان الرسول ﷺ قد حذرنا بعـد ذلك من:

---

(١) أى: لا زيادة فيه ولا نقص ...

(٢) فى نص الحديث الذى رواه الترمذى.. والذى سبق عرضه.

الظلم الذى حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بيننا محرماً

(وذلك) لأن معناه: مجاوزة الحد والتصرف فى ملك الغير وهما جميعاً مُحال فى حق الله تعالى ...

(وينبغى) على المؤمن أن يتحاشاه ... بمعنى أن لا يكون ظالماً.. لأن الظلم ظلمات يوم القيامة ...

ولأن الله تعالى جعله بيننا محرماً.. (ففى) الحديث القدسى الذى رواه مسلم يقول رب العزة سبحانه وتعالى: «**يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم مُحرماً فلا تظالموا** » أى: فلا يظلم بعضكم بعضاً.. بمعنى أن لا يعتدى على حقوق الآخرين ...

* (فعن) أبى أمامة إياس بن ثعلبة الحارثى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من اقتطع**[1] **حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة** » فقال رجل: وإن كان شيئاً يسيراً يا رسول الله ؟ قال: «**وإن كان قضيباً من أراك** » رواه مسلم.

* (وعن) عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**من ظلم قيد** [2] **شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين** [3] » متفق عليه.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدَّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة**[4] **حتى يقاد للشاة الجلحاء**[5] **من الشاة القرناء** ».رواه مسلم.

** (وقد) قرأت فى شرح الجردانى للأربعين النووية.. أن الله تبارك وتعالى يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته، (ومن) جملة الظلم إعانة الظالم والدعاء له (وقد) ورد: «**من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه**» (وورد): «**الظَّلمة وأعوانهم فى النار**» (وورد): «**ينادى مناد يوم القيامة: أين الظلمة، وأشياع**

---

(١) أى: أخذ حقه ظلما وعدواناً ...

(٢) أى: قدر شبر.

(٣) أى: كلفه الله نقل ما ظلم منها كالطوق للعنق.

(٤) أى: والله ليؤدين الإنسان الحقوق كناية عن نهاية عدل الله تبارك وتعالى فى خلقه

(٥) أى: لا قرن لها، تصريح بحشر البهائم.

الظلمة»_ أى: أتباعهم وأنصارهم ومن يُعينُه حتى من لاق لهم دواة، أو برى لهم قلما _ فيجمعون فى تابوت من حديد فيرمى بهم فى نار جهنم (وورد) أن «**من مشى مع مظلوم يعينه على رد مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزلَّ الله قدميه على الصراط يوم تدحض**». أى: تزلق فيه الأقدام.

*(وحكى): أنه لما ظَلم أحمد بن طولون _ الناسَ _ استغاث الناس من ظلمه، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة رضى الله تعالى عنها وشكوا ذلك إليها.. فقالت لهم: متى يركب؟ _ أى متى يخرج فى موكبه _ قالوا: فى غد، فكتبت رقعة ووقفت فى طريقه، وقالت: يا أحمد بن طولون.. فلما رآها عرفها، فنزل عن فرسه، وأخذ منها الرقعة وقرأها، فإذا فيها:

ملكتم فأسرتم، وقدرتم فقهرتم، وخُوِّلتم _ أى أعطيتم نعماً وخدماً _ ففسقتم، ووردت إليكم الأرزاق فقطعتم.. هذا، وقد علمتم أن سهام الأسحار[1] نافذة غير مخطئة ...لا سيما من قلوب أو جعتموها، وأجساد عريتموها.. اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجُوروُا _ أىْ: ظلموا _ فإنا بالله مستجيرون، واظلموا فإنا لله متظلمون، ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**﴾[الشعراء٢٢٧]: فعدل لوقته _ أى عدل عن الظلم فوراً.

*(وحكى) أن بعض الملوك أغار على قرية.. أى هجم عليها فنهبها وأخذ أموال أهلها ومواشيهم ودوابهم، وفتك، أى: بطش فيهم بالقتل وغيره، فخرجت عجوز من بعض الدور فنظرت إليه وقالت: يا ويلك من ديان، أى: قهار يوم الدين، إذا انشقت السماء وبرز الرب لفصل القضاء.. فقال لها: يا عجوز أما سمعت في القرآن أن ﴿**الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً**﴾[النمل: ٣٤] ؟

فقالت له: يا هذا، أنسيت الآية الأخري التي بعدها في السورة: ﴿**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً**[2] **بِمَا ظَلَمُوا**﴾[النمل: ٥٢] فقال الملك: ردوا عليهم جميع أموالهم.. فردوها، ثم قال: يا عجوز.. كيف الخلاص؟ قالت: لا تقنط.. ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ**﴾[الشورى:٢٥].

---

(١) أى: الدعاء عليكم فى الأسحار.. أى فى وقت السحر..
(٢) أي: خالية.

* (وقد) قرأت كذلك لأحد الحكماء قوله: لا يصلح الأمـــير إلا بـــالتقوي، ولا يُقيمه إلا الطاعة، ولا تصلح الرعية إلا بالعدل، وأولي الناس بالعفو: أقدرهم علـــي العقوبة، وأنقص الناس مروءة وعقلاً: من ظلم من هو دونه.

* (ولله) در من قال:

عليـــك بالعـــدل إن وُلِّيـــتَ مملكـــة ... واحذر من الجور فيها غايـــة الحـــذر

فالملك يبقي علي عدل الكفـــور ولا ... يبقي مع الجور في بَـــدو ولا حَضَـــر

** (وأما) عن التحذير الأخير في نص الوصية، وهو: «**وإياكم والشحَّ ...**»

(فإن) الشح هو البخل بالمال.. وقيل: هو أشد من البخل، لأنه ليس معناه إمساك الموجود فحسب، بل هو الطمع فيما ليس بموجود.. وقد ورد التحذير من الطمـــع بصفة خاصة: ففي الحديث: «**وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر** » وذلك لأن المصاب بداء الطمع لن يشبع أبداً.. وسيعيش في الدنيا عيشة الفقراء.. حتي لو كـــان يملـــك ملايين المليارات من الأموال.. (وهذا) بالإضافة إلى أن الشح: (دعا من قـــبلكم) أى حملهم وأغراهم: «**فسفكوا دماءهم** » أى سفك بعضهم دم بعض ... (وأيضاً) دعا من قبلكم: «**فقطعوا أرحامهم** » أى: جفوا ذوى قرابتهم وابتعدوا عنهم ... «**ودعا من قبلكم فاستحلوا حرماتهم** » أى: استباحوها وانتهكوها.

** (فلنحذر) جميعاً الوقوع فى كل ما حذرنا النبى ﷺ من الوقوع فيه ــ فى نـــص الوصية ــ (لاسيما) بالنسبة: للفحش.. والتفحش فى الأقوال والأفعال ...

** (وذلك) لأن الأخلاق الحسنة هى صمام الأمان.. من مقت الله وغضبه.. وهى أيضاً المصلحة لما أفسده الشيطان..

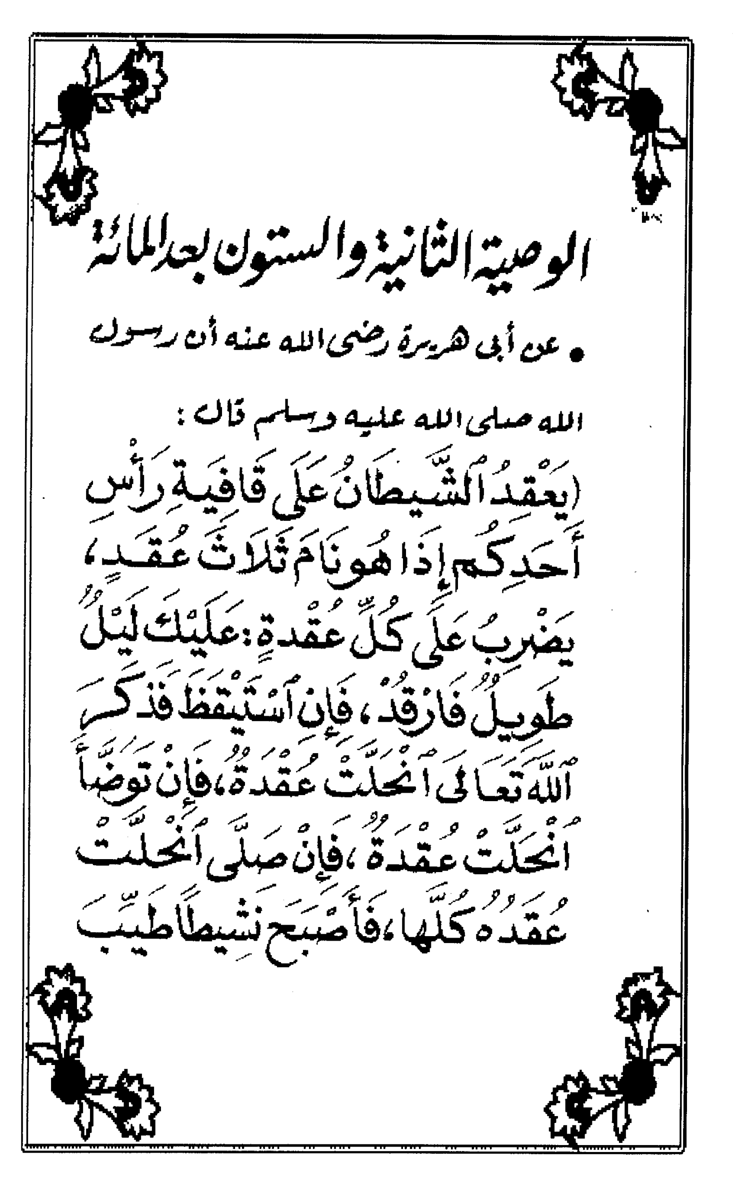
* (فقد) روى أن النبى ﷺ قال: «**الخلق الحسن يذيب الخطايا كما يذيب المـــاء الجليد، والخلق السوء، يفسد العمل كما يفسد الخل العسل**». [(١)]

* (هذا) بالإضافة إلى قول الرسول ﷺ «**البرُّ حُسن الخلق**» [(٢)]، والبر اسم جامع لكل خير [(٣)].

والله ولى التوفيق

---

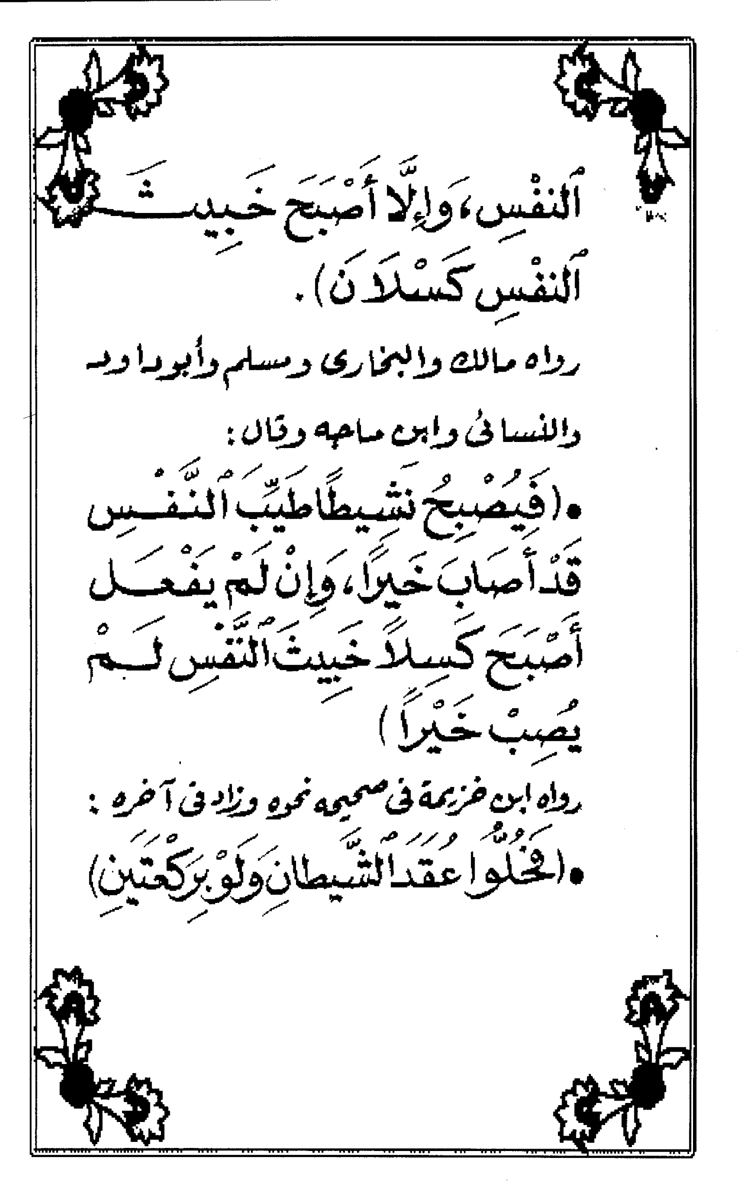
(١) رواه: البيهقى.
(٢) من حديث رواه مسلم.
(٣) والإثم: اسم جامع لكل شر.



الوصية الثانية والستون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُم إِذَا هُوَ نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَى كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ



ٱلنفْسِ، وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ
ٱلنفْسِ كَسْلَانَ).

رواه مالك والبخاري ومسلم وأبو داود
والنسائي وابن ماجه وقال:

• (فَيُصْبِحُ نَشِيطًا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ
قَدْ أَصَابَ خَيْرًا، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ
أَصْبَحَ كَسِلاً خَبِيثَ ٱلنَّفْسِ لَمْ
يُصِبْ خَيْرًا)

رواه ابن خزيمة في صحيحه نحوه وزاد في آخره:

• (حُلُّوا عُقَدَ ٱلشَّيطانِ وَلَوْ بِرَكْعَتَيْنِ)

فكن أخا الإسلام

منتفعا بالمراد من هذه الوصية حتى تكون منتصرا على الشيطان الرجيم.. الذى يكيد لك كيدا.. حتى يضيع عليك ثوابا عظيما ينبغى عليك كمؤمن إن شاء الله أن لا تُحرم منه.. ألا وهو ثواب قيام الليل المشار إليه فى قول الرسول ﷺ **«عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد»**

(وبالطبع) فإن الشيطان وهو عدوك المبين.. لا يريدك ــ ولا يريدنا جميعا ــ أن تفوز بكل هذا الخير المشار إليه فى هذا الحديث الأخير [1] بالإضافة إلى دخول الجنة ــ إن شاء الله ــ فقد ورد فى الحديث: **«أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأرحام، وصَلُّوا بالليل والناس نيام: تدخلوا الجنة بسلام»** رواه الحاكم وابن ماجه والترمذي. وقال حديث صحيح.. (عن) عبد الله بن سلام.

(ولهذا) فإنه ــ أى الشيطان الرجيم ــ يأتى إلى أحدنا فى ليلة كلما نام فيعقد على قافية رأسه ثلاث عقد على سبيل المجاز.. كأنه شبَّه فعل الشيطان بالنائم بفعل الساحر بالمسحور.. (وقيل): إن الكلام هنا على حقيقته وأنها عقد حقيقية يعقدها الشيطان على قافية الرأس، أى مؤخر العنق، أو وسط الرأس.. ويؤيد هذا ما رواه ابن ماجه من طريق أبى صالح عن أبى هريرة مرفوعا: **«على قافية رأس أحدكم حبل فيه ثلاث عقد»**..

(وقيل): هو من عقد القلب وتصميمه، فكأنه يوسوس له بأن عليك ليلا طويلا. فيتأخر عن القيام بالليل.. (وقال) صاحب النهاية: المراد تثقيله فى النوم وإطالته.. فكأنه سدًّا عليه سد وعقد عليه عُقدًا.. والصحيح أنه على حقيقته.. والله أعلم.

(ومعنى) قوله: **«يضرب على كل عقدة»**: قيل معناه يمر بيده عليها، ويضغط على حباله الداعية إلى الكسل والخمول، وقيل يضرب بالرقاد كقوله تعالى: ﴿**فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً**﴾ [الكهف:١١]، ومعناه حجب الحِسِّ عن النائم حتى

---

(١) الذى جاء نصه فى (فقه السنة) جـ٢ فى باب قيام الليل.

لا يستيقظ.. ومعنى قوله: «**عليك ليل طويل فارقد**»: مقول لقول محذوف، أى قائلا عند كل ضربة هذا القول، أى أمامك ليل طويل فنم واهدأ..

«**فإن توضأ انحلت عقدة**»: وهى العقدة الثانية: «**فأصبح نشيطا طيب النفس**». أى: خفيف البدن مستريح النفس شاعرا بقوة ونشاط.. «**وإلا خبيث النفس كسلان**» أى: بلبدًا مسترخيا متعب النفس شاعرًا بسآمة وضجر وفتور همة...

(وفى) حديث آخر: «**فيصبح نشيطا طيب النفس قد أصاب خيرا، وإن لم يفعل أصبح كَسلًا خبيث النفس لم يصب خيرا**» رواه ابن خزيمة فى صحيحه نحوه، وزاد فى آخره: «**فحلوا عقد الشيطان ولو بركعتين**».

(فلتكن) أخا الإسلام منتصرا على الشيطان الرجيم فى كل ليلة حتى لا تحرم من قيام الليل، وحتى لا يبول الشيطان فى أذنيك.. (فعن) عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل**» متفق عليه.. (ورويا) عن ابن مسعود قال: ذكر عن النبى ﷺ رجل نام حتى أصبح: فقال: «**ذاك رجل بال الشيطان فى أُذُنيه أو قال فى أُذُنه**»، ورويا عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه أن النبى ﷺ قال لأبيه: «**نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل**» قال سالم: فكان عبد الله بعد ذلك لا ينام من الليل إلا قليلا.

(وإذا) حدث أن غلبك النوم. بعد أن نويت قيام الليل.. فإنك لن تحرم من ثواب القيام بنيتك:

(فعن) أبى الدرداء أن النبى ﷺ قال: «**من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم فيصلى من الليل فغلبته عينه حتى يصبح كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه**». رواه النسائى وابن ماجه بسند صحيح.

(وإذا) أردت أن تفوز بدعاء الرسول ﷺ لك ولزوجك.. فنفذ المراد من الحديث الآتى:

(عن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: «**رحم الله امرأ قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فإن أبت نضح فى وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضحت فى وجهه الماء**».

(وعنه) أيضا أن رسول الله ﷺ قال: ((**إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا أو صلّى ركعتين جميعا كتب فى الذاكرين والذاكرات**)) رواهما أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

(ثم) بعد ذلك، وبعد أن تستيقظ من نومك لكى تقوم الليل.. امسح النوم عن وجهك وتسوك، ثم انظر إلى السماء.. وأنت تدعو بالدعاء الوارد، وهو: ((**لا إله إلا أنت سبحانك، أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك، اللهم زدنى علما، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**))، ثم اقرأ الآيات العشر من أواخر سورة آل عمران: ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ [آل عمران:١٩٠] إلى آخر السورة [(١)]، (ثم) قل: ((**اللهم لك الحمد، أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليك أنبْتُ، وبك خاصمتُ، وإليك حاكمتُ، فاغفر لى، ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ، وما أعلنتُ، أنت الله لا إله إلا أنتَ**)) رواه مسلم.

(واعلم) أن صلاة الليل تجوز في أول الليل، ووسطه وآخره ما دامت الصلاة بعد صلاة العشاء (ولكن) الأفضل تأخيرها إلى الثلث الأخير من الليل..

(وأنه) ليس لصلاة الليل عدد مخصوص ولا حَد مُعين، فهى تتحقق ولو بركعة الوتر بعد صلاة العشاء (فعن) سمرة بن جُنُدب ﷺ قال: ((أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلى من الليل ما قل أو كثر ونجعل آخر ذلك وترا)) رواه الطبراني والبزار.

فاغتنم ركعتين فى ظلمة الليل إذا كنت فارغا تستريحا

---

(١) أى: من الآية رقم ١٩٠، ٢٠٠.

(ثم) إليك بعد ذلك هذه الآثار التى أرجو أن تكون سببا فى حرصك على قيام الليل:

(فقد) قرأت أن إبراهيم بن أدهم قال: يا رب أرنى رفيقى فى الجنة: فقيل له فى منامه: إنها امرأة سوداء اسمها سلاَّمة، فى مكان كذا ترعى الغنم، فهى زوجتك فى الجنة.. فلما سار إليها وسلم عليها قالت: عليك السلام يا إبراهيم.. قال: من أخبرك أنى إبراهيم ؟ قالت له: الذى أخبرك أنى زوجتك فى الجنة.. فقال: يا سلامة عظينى، قالت: عليك بقيام الليل، فإنه يوصل العبدَ إلى ربه وإن كنتَ تَدَّعى محبته فالنوم عليك حرام.

(وقيل): أوحى الله إلى داود: كذب من ادعى محبتى حتى إذا جنَّ الليل نام عنى (وإذا) جن الليل بظلامه يقول الله تعالى: يا جبريل حرك أشجار المعاملة، فإذا حرَّكها قامت القلوب على باب المحبوب، ولقد أحسن القائل:

ببابك عبد من عبيدك مذنـــــــــب   كثير الخطايا جـــاء يســـألك العفـــوا

فأنزل عليه الصبر يا من بفضـــــــله   على قوم موسى أنزل المنَّ والســـلوى

(وقال) الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم قد كثرت خطاياك.

(وقال) سفيان الثورى: حُرِمتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب واحد.. قيل: ما هو؟ قال: رأيتُ رجلاً يبكى؛ فقلت: هذا مُراءٍ. (ولقد) أحسن القائل حيث قال:

أرانى بعيـــد الـــدار لا أقـــرب الحمَـــى   وقـــد نُصـــبت للســـاهرين خيـــامُ

علامة طـــردى طـــول ليلـــى نـــائم   وغـــيرى يـــرى أن المنـــام حـــرامُ

(وقيل): أوحى الله إلى بعض الصِّديقين: (إن لى عبادًا يحبُّوننى وأُحبُّهم، ويشتاقون إلى وأشتاق إليهم، ويذكروننى وأذكرهم.. قال: يا رب ما علاماتهم ؟ قال يراعون الظلام بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما تحن الطير إلى أوكارها، فإذا جنَّهم الليل يعنى سترهم،- واختلط الظلام، وفرشت الفرش، وخلا كُلُّ حبيب بحبيبه، نصبوا إلى أقدامهم، وافترشوا إلىَّ وجوههم، وناجونى بكلامى، وتملقوا إلىَّ بإنعامى، فمنهم صارخ وباكٍ، ومتأوه وشاكٍ، ومنهم قائم

وقاعد، وراكع وساجد.. فأول ما أعطيهم ثلاث خصال: (الأولى): أن أقذف فى قلوبهم من نورى.

(الثانية): لو كانت السموات والأرض فى موازينهم لاستقللتها لهم.

(الثالثة): أُقبل بوجهى الكريم عليهم أَفَترى من أقبلت عليه بوجهى؟ أيعلم أحدٌ ما أريد أن أُعطيه؟)

(وقال) بعض العارفين: إن الله يطَّلِع على قلوب المستيقظين وقتْ السحر فيملؤها نورا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير، ثم تنشر من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

(وقال) أبو يزيد البسطامى: قمت ليلة أُصلى فتذكرت أهل الغفلة من النائمين.... فكوشفت بأن الرحمة تنزل عليهم كالقائمين فتعجبت من ذلك

فهتف بى هاتف فى سرِّى: يا أبا يزيد هؤلاء ذكروا عذابى فقاموا، وهؤلاء طمعوا فى رحمتى فناموا..

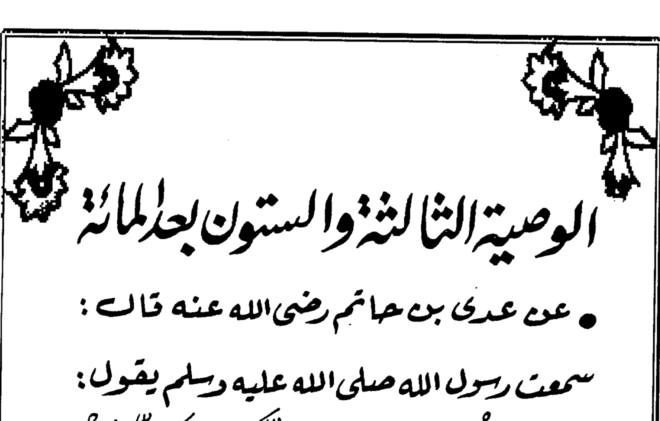
(ولما) كان صغيرا فى المكتب[1] ووصل إلى سورة (المزمل) قال لأبيه من هذا الذى أمره الله بقيام الليل؟ فقال: يا بُنَىَّ محمد .. قال: فَلِمَ لا تفعل كما فعل محمد ؟ قال: ذاك أمر شرَّف الله به محمدًا..فلما قرأ **وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ** قال: يا أبت من هؤلاء؟ قال: أصحاب محمد، فقال: يا أبت و لم لا تفعل كما فعل أصحابه؟ فقال: يا بنى قواهم الله على قيام الليل.. فقال: يا أبت لا خير فيمن لا يقتدى بمحمد وأصحابه.. فصار أبوه يصلى بالليل.. فقال: يا أبت علمنى صلاة الليل.. قال: يا بنى أنت صغير.. فقال: إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة وأمر بأصحاب قيام الليل إلى الجنة أقول: يا رب أردت الصلاة بالليل فمنعنى أبى.. قال: يا بنى قم الليل.

(فعلى) الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يذكرا كل هذا.. حتى يكونا من الذين يقومون الليل لله رب العالمين..

والله ولى التوفيق

---

(١) أى: الكتاب الذى كان يحفظ القرآن فيه..

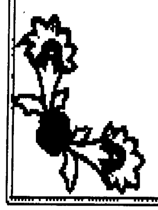


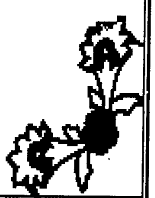
الوصية الثالثة والستون بعد المائة

• عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، فَيَنْظُرُ أَشْامَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، فَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ: فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ)





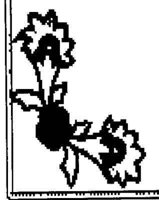
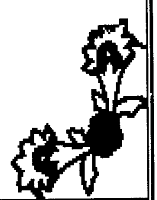
وفي رواية: (مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَتِرَ مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَلْيَفْعَلْ).

رواه البخاري ومسلم.

• وعن عائشة رضي الله عنها قالت:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا عَائِشَةُ اسْتَتِرِي مِنَ النَّارِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الجَائِعِ مَسَدَّهَا مِنَ الشَّبْعَانِ)

رواه أحمد بإسناد حسن.

فكـــــن أخا الإسلام

منتفعا بهذا التذكير المحمدى الذى ينبغى أن يكون سببا فى نجاتك من النار الــتى هى دار العذاب والتى فيها من العذاب ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.. والتى أعد الله تعالى فيها﴿..**لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِـمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً**﴾ [الكهف:٢٩] ﴿.. **هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ*يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ*وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ** ﴾ (١)

(وعن) أبى هريرة مرفوعا: «**إن الحميم ليصب على رءوسهم فينفذ الحميم حتى يخلص إلى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر، ثم يعاد كما كان**» أخرجه ابن جرير والترمذى وقال: حسن صحيح غريب.

(والمقامع) سياط من حديد (روى) أبو سعيد أن النبى ﷺ قال: «**لو أن مقمعا من حديد وضع فى الأرض فاجتمع له الثقلان (٢) ما اقلوه من الأرض**» أخرجه أحمد والبغوى.

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**ناركم هذه التى توقدون جزء واحد من سبعين جزءاً من حر نار جهنم**» قالوا: والله إن كانت لكافية يا رسول الله. قال: «**فإنها فُضّلت بتسعة وستين جُزاء كلُّهُنَّ مثل حرها**» أخرجه أحمد والشيخان والترمذى وقال حسن صحيح.

(ولهذا) فإنه ينبغى علينا نحن المؤمنين أن نقى أنفسنا وأهلينا من النار.. كما يأمرنا الله تعالى بهذا فى قوله: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً**﴾ [التحريم:٦] أى: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، علموا بعضكم بعضا ما تتقون به النار، واعملوا أنتم بطاعة الله، وعلموا أهليكم العمل بطاعة الله، ليقوا أنفسهم من النار التى ﴿**وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ**﴾[البقرة:٢٤] أى: حطبها الذى يوقد على هذه النار، بنوا آدم

---

(١) الحج: من الآية ١٩، ٢٠. والحميم: الماء البالغ نهاية الحرارة يذاب به أحشاؤهم وشحومهم.
(٢) أى: الجن والإنس.

وحجارة الكبريت﴿ **عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ** ﴾ أى: على هذه النار ملائكة من ملائكة الله، شداد على أهل النار، لا يرحمون أحدا [1]﴿**لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ**﴾ أى: لا: يخالفون الله فى أمره﴿**وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:٦][2] أى: وينتهون إلى ما يأمرهم به ربهم.

(وقد) أرشدنا النبي ﷺ فى نص الوصية التى ندور حولها إلى أهم أسباب الوقاية من النار.. فقال: «**ما منكم من أحد إلاَّ سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان**» أى: مفسر.. وفى هذا الحديث إثبات كلام الرب جل شأنه، وأنه يتكلم بكلام مسموع، وأنه بحرف وصوت، ولكن صوته وأداءه للكلام لا يشبه أصوات المخلوقين.. لأنه سبحانه وتعالى﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**.. ﴾ [الشورى:١١]، وهو سبحانه مخالف للحوادث.. وكل ما فى ذهنك بالنسبة لله تعالى.. فالله تعالى بخلاف ذلك.. «**فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، فينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم**»: أى ينظر عن يمينه وعن يساره فلا يرى إلا ما قدمه من أعمال صالحة أو طالحة﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧:٨] (ثم) بعد ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه فى نص الوصية: «**فينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه: فاتقوا النار ولو بشق تمرة**».

وفى رواية: «**من استطاع منكم أن يستتر من النار ولو بشق تمرة فليفعل**».

(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ : «**يا عائشة استترى من النار، ولو بشق تمرة، فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان**». رواه أحمد بإسناد صحيح. (ومعنى): (أن يستتر): أى: يجعل بينه وبين النار سترا وحجابا.. (ومعنى): «**فإنها تسد من الجائع مسدها من الشبعان**»: أى:. تدفع عنه بعض ما يجد من مس الجوع.. (وشق) التمرة أى:نصفها.

(وحتى) تعرف أهمية هذا التذكير.. فإننى أحب أن ألفت قلبك إلى أن المضمون

(١) روى أن هولاء الملائكة من الزبانية، سود الوجوه، كالحة أنيابهم، قد نزعت من قلوبهم الرحمة على أعداء الله، فليس فى قلب واحد منهم مثقال ذره من الرحمة: انظر ابن كثير ٣ / ٥٢٣.

(٢) الآية من سورة التحريم.. والتفسير من مختصر تفسير الطبرى ج ٢.

هذا جاء فى:

أول خطبة للنبى ﷺ بالمدينة

(فقد) قال ابن هشام فى سيرته: كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ فيما بلغنى عن أبى سلمة بن عبد الرحمن أنه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

((أما بعد: أيها الناس فقدموا لأنفسكم، تعَلمُنَّ والله ليصْعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولنّ له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه: ألم يأتك رسولى فبلغك ؟ وآتيتك مالا وأفضلت عليك، فما قدَّمت لنفسك؟ فلينظرنَّ يمينا وشمالا فلا يرى شيئا، ثم لينظرنَّ قُدَّامه فلا يرى غير جهنم. فمن استطاع أن يقى وجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة، فإن بها تجزى الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))، وأخرجها أيضا البيهقى.

(وهذا) معناه أنه لا تلاحم بين المسلمين إلا بالتعاطف والتراحم.. الذى به سيتحقق الإيمان فى أسمى معانيه.. كما أشار النبى ﷺ إلى هذا فى قوله: **((مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى [1] له سائر الجسد بالسهر والحمىَّ))** رواه مسلم عن النعمان بن بشير.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))**. رواه مسلم.

(ومن) أجل ذلك.. كان النبى ﷺ يُرغّب فى الإنفاق فى سبيل الله وفى جميع وجوه الخير:

(فعن) عدى بن حاتم رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((اتقوا النار ولو بشق تمرة))** متفق عليه.

---

(١) كأن بعضه دعا بعضا فى الأساس، وتداعت عليهم الحيطان أى تهدمت، وتداعت إبل فلان أى هزلت أو هلكت ...

(وعن) أبي هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ : **((ما من يوم يصبح العباد فيه إلاَّ ملكان يترلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفًا))** متفق عليه.

(وعنه) أن رسول اللهﷺ قال: **((قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم ينفق عليك))**. متفق عليه.

(وعنه) عن النبيﷺ قال: **((بينا رجل يمشى بفلاة [1] من الأرض فسمع صوتا فى سحابة: اسق حديقة فلان فتنحَّى [2] ذلك السحاب فأفرغ [3] ماءه فى حرَّة [4] فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كُله فتتبَّع الماء فإذا رجلٌ قائم فى حديقته يحّول الماء بمسْحاته، فقال له: يا عبد الله ما اْسمك؟ فقال له: يا عبد الله لم تسألنى عن اسمى؟ فقال: إنى سمعت صوتا فى السَّحاب الذى هذا ماؤه يقول: اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟ فقال: أمَا إذ قلتَ هذا فإنى أنظر إلى ما يخرج منها، فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثا، وأردُّ فيها ثُلثه))** رواه مسلم (والحرَّة): الأرض الملبَّسة بالحجارة السوداء. (والشرجة) بفتح الشين المعجمة وإسكان الراء والجيم: هى مسيل الماء.

(وقد) قرأت كذلك تحت عنوان:

القرض الحسن

أن صحابيا جليلا يسمى بأبى الدحداح سمع النبىﷺ يقرأ قول الله تعالى: ﴿**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ [البقرة:٢٤٥]، فقال أبو الدحداح: فداك أبى وأمِّى يا رسول الله ؟ إن الله يستقرضنا وهو غنى عن القرض ؟ قال: **((نعم، يريد أن يدخلكم الجنة به..))** قال:

---

(١) أرض لا ماء فيها.

(٢) أى: امتثل ما أمر تعظيما لله وحده.

(٣) أى: صبَّ.

(٤) مسيل من تلك المسايل..

فإني إن أقرضت ربي قرضا يضمن لي به ولصبيتي الدحداحة معي الجنة ؟ قال:نعم، قال: ناولني يدك.. فناوله رسول الله ﷺ يده فقال: إن لي حديقتين إحداهما بالسافلة والأخرى بالعالية، والله لا أملك غيرهما، قد جعلتهما قرضا لله تعالى: قال رسول الله ﷺ: **«اجعل إحداهما لله والأخرى دعها معيشة لك ولعيالك»** قال: فأشهدك يا رسول الله أني جعلت خيرهما لله تعالى وهو حائط [1]به ستمائة نخلة. قال: **«إذا يجزيك الله به الجنة»** فانطلق أبو الدحداح حتى جاء أم الدحداح مع صبيانها في الحديقة تدور تحت النخل وأنشأ يقول:

هداك ربي سبل	**إلى سبيل الخير**
بيني [2] من الحائط بالوداد	**فقد مضى قرضًا إلى التناد**
أقرضه الله علي	**بالطوع لا منٍّ ولا**
إلا رجاء الضِّعف في	**فارتحلي بالنفس والأولاد**
والبرُّ لا شك فخير زاد	**قدمه المرء إلى المعاد**

(فكانت) زوجته هي الأخرى فرحة مسرورة بهذا ولهذا فقد انطلقت تقول لزوجها أبي الدحداح: ربح بيعك ! بارك الله فيما اشتريت.. ثم أنشأت تقول:

بَشَّرك الله بخير	**مثلك أدىَّ ما لديه ونصح**
قد متع الله أولادي ومنح	**بالعجوة السوداء والزهر البلح**
والعبد يسعى وله ما قد كدح	**طول الليالي وعليه ما اجترح**

(ثم) أقبلت على صبيانها تخرج ما في أفواههم وتنفض ما في أكمامهم حتى أفضت إلى الحائط الآخر، فقال النبي ﷺ: **«كم من عذق [4] ردَّاح، ودار فيَّاح [5] لأبي الدحداح»**.

---

(١) أي: بستان.
(٢) أي: ابتعدي عن البستان وأنت سعيدة بهذا ...
(٣) أي: إلى يوم القيامة.
(٤) أي: نخلة.
(٥) أي: واسع.

(وتعليقى) على هذه القصة.. هو أنه ينبغى علينا نحن المؤمنين والمؤمنات.. أن نأخذ منها درسا فى السخاء الذى هو من أهم صفات المؤمنين الذين﴿**يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩].

(وذلك) حتى نكون نحن كذلك مؤمنين ومؤمنات من أهل الجنة إن شاء الله.. وصدق الله العظيم فهو القائل﴿**وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة:٢١٥]، وهو القائل:﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧].

(فعلى) الأخ المؤمن أن يلاحظ هذا.. وأن ينفذ قول القائل:

قـــدِّم لنفســـك خيـــــراً ... وأنـــت مالـــكُ مالــــكْ

مــن قبـــل تصـــبحَ (١) فـــرداً ... ولـــون حالـــك حالـــكْ (٢)

ولســـتَ والله تـــــدرى ... أىَّ المســـــالك ســـــالكْ

إمـــا لجنـــة عـــدن ... أوفى المهالـــك هالـــكْ

ولله درُّ من قال:

تغـــطَّ بـــأثواب الســـخاء فـــإننى ... أرى كُلُّ عيـــب بالســـخاء غطـــاؤه

ويُظْهر عيْبُ المرء فى النـــاس بُخلُــه ... ويســـتره عنـــهم جميعـــا ســـخاؤه

(وقد) ورد أن النبىﷺ خرج إلى السوق بثمانية دراهم يشترى قميصا فرأى جارية تبكى فسألها ؟ فقالت: خرجت أشترى حاجة لأهلى بدرهمين فذهبا منى، فدفعهما لها.. ثم مضى إلى السوق فاشترى قميصًا بأربعة دراهم ـــ فلما رجع رأى شخصا يقول: من كسانى ثوبا كساه الله من حلل الجنة، فدفع إليه القميص، ثم رجع إلى السوق فاشترى قميصا بدرهمين، ثم رجع فوجد جارية تبكى فسألها ؟ فقالت: أخاف العقوبة من أهلى لطول غيبتى، فقال ((**الحقينى بأهلك**)) فتبعها حتى وصل إلى دار أهلها، فطرق بابهم وقال: ((**السلام عليكم**))، فلم يجبه أحد، فقال ثانيا، وثالثا فأجابوه، فقال النبىﷺ : ((**لِمَ لَمْ تجيبونى من أول مرة**)) ؟ فقالوا: أردنا أن نتبرك

(١) أى: من قبل أن تصبح.

(٢) حالك الثانية أى: مظلم.

بصوتك.. فسألهم العفو عن الجارية، فقالوا: هى حُرَّة لأجلك يا رسول الله. فرجع النبى ﷺ وهو يقول: «**ما رأيت ثمانية أعظم من هذه: أمَّنَّا بها جارية.. وأعتقنا بها جارية.. وكسونا بها عريانا**». قاله فى كتاب (شرف المصطفى).

(وكان) منصور بن عمار يعظ الناس يوما فقام رجل من الحاضرين وسأل أربعة دراهم، فقال منصور بن عمار: من أعطاه أربعة دعوت له أربع دعوات.. فقام عبد ليهودى وأعطاه.. ثم قال العبد أنا رقيق [1] فادعوا الله لى بالعتق، وأنا فقير فادع الله لى بالغنى، وأنا مذنب فادعو الله لى بالمغفرة، وادع لسيدى بالإسلام.. فدعا له.. (فلما) رجع، قال له سيده: ما الذى أبطأ بك عنا ؟ فقال: حضرت مجلس منصور بن عمار وتصدقت بأربعة دراهم، ودعا لى بأربع دعوات، دعوة بالعتق، فقال: أنت حر لوجه الله تعالى، ودعوة بأن يخلف الله لى نفقتى، فقال: لك أربعة آلاف درهم، ودعا لك بالإسلام، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، ودعا لى ولك بالمغفرة، فقال: ليس هذا فى قدرتى.. (فرأى) فى منامه قائلا يقول: أنت فعلت ما فى قدرتك، وأنا فعلت ما فى قدرتى.. قد غفرت لك وللعبد وللواعظ وللحاضرين أجمعين ــ وما كان هذا إلا ببركة الصدقة.

(وقال) سعد بن عبادة ﷺ يا رسول الله إن أمِّى قد ماتت أفأتصدق عنها ؟ قال: «**نعم**». قال: فأى الصدقة أعظم أجرا ؟ قال «**سقى الماء**». (وفى) رواية: «**ألا أدلك يا سعد على صدقة يسيرة عظيمة قدرها ؟**» قال بلى. قال: «**سقى الماء**» حكاه الغزالى رحمة الله تعالى عن سعد بن أبى وقاص ﷺ والصواب الأول.. كما جاء فى شرح المنهاج للدميرى فى كتاب الوصايا.

(وكان) هناك رجل كثير الصدقة، فلما مات أوصى أولاده بها ــ أى بالصدقة ــ فخرجت زوجته ومعها ولدان، ومعها مائة وعشرون دينارًا تطلب الزيادة فى المال بالتجارة، فتصدقت برغيف عن ولدها الكبير، ثم تصدقت برغيف آخر عن ولدها الصغير، ثم تصدقت بآخر عن نفسها، ثم أخذ الذئب ولدها الصغير، فركبت فى مركب فانكسرت، وذهب الذهب فى البحر، وسلمت على لوح إلى مدينة، فرأت

(١) أى: عبد مملوك.

ولدها الصغير مع رجل فتعلقت به فترافعا إلى قاضٍ، فقالت: إنه ولدى أخذه الذئب منى، فقال الرجل: أنا كنت صيادًا فخلصته من الذئب، فحكم القاضى لها به، ثم رأت الكبير مع رجل فتعلقت به، فترافعا إلى قاض، وقالت: إنه ولدى انكسرت به المركب، فأخذته ـ ثم رأت سمكة تباع فاشترتها وشقتها فرأت فى جوفها الصرة التى فيها ذهبها ومعها جوهرة، فباعتها بثلاثين ألف دينار ـ وكان هذا أيضا ببركة التصدق بالأرغفة الثلاثة عنها وعن ولديها.

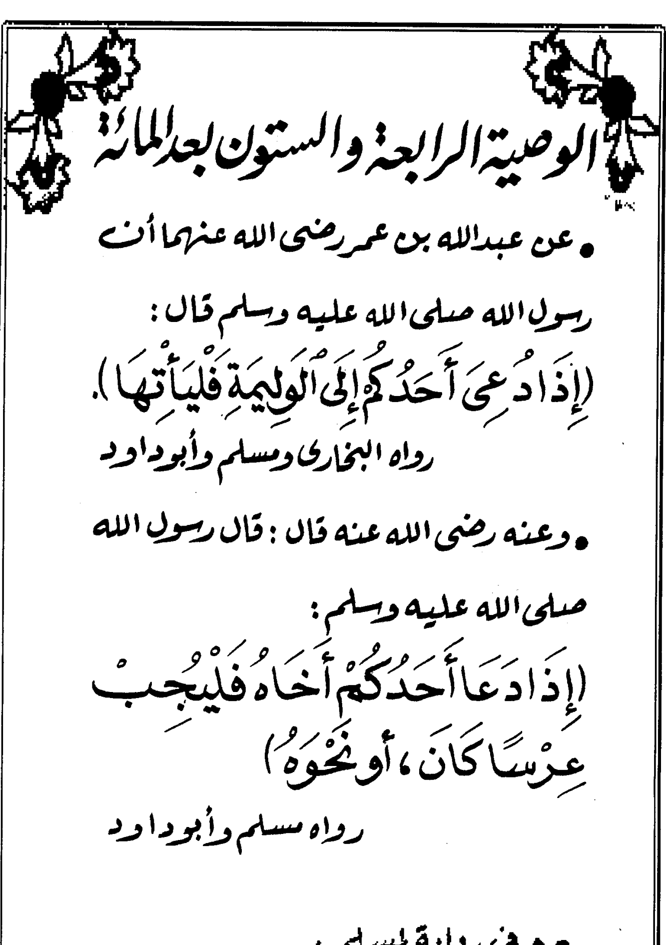
(وجاء) رجل إلى أبى هريرة رضي الله عنه فقال إن ابني سافر إلى البحر، فادع الله له.. فقال تصدق عنه.. وكان فى ذلك الوقت قد اضطرب الموج وأشرفت السفينة على الغرق، فلما تصدق عنه سمع قائلا يقول: يا أهل المركب لكم السلامة، فإن الفداء قد قبله الله تعالى.. فلما جاء الولد أخبر أباه بالذى سمعه.

(وقيل): مكث رجل من بنى إسرائيل هو وأهله ثلاثة أيام لم يجدوا طعاما، فدفعت له زوجته درهما يشترى به طعاما، فوجد رجلا يطالبه رجل بدرهم فدفع له الدرهم، وأخبر زوجته بذلك فقالت: أصبت، ودفعت له المغزل فباعه واشترى به سمكة فوجد فيها جوهرة فباعها بمال كثير، فجاءه سائل، فقال: خذ نصف المال.. فقال له: هنيئا لك أمسك مالك.. أنا ملك، قد جعل الله لك بذلك الدرهم بكل قيراط مائة قيراط عجَّل لك فى الدنيا قراطا واحدًا.

(فكن) أخا الإسلام منتفعا بكل هذا التذكير الوارد فى آثار الصالحين.. بالإضافة إلى شرح الوصية الذى وقفت عليه قبل تلك الآثار.. حتى تكون إن شاء الله من أهل المعروف (فقد) ورد (عن) سيدنا عيسى عليه السلام أنه قال: (استكثروا من شئ لا تأكله النار) قيل ما هو ؟ قال (المعروف).

وفى الحديث: «**أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وأهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة، وأول من يدخل الجنة: أهل المعروف**» رواه الطبرانى فى الأوسط.

والله ولى التوفيـــق



الوصية الرابعة والستون بعد المائة

• عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(إِذَا دُعِيَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْوَلِيمَةِ فَلْيَأْتِهَا).

رواه البخاري ومسلم وأبو داود

• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُجِبْ عُرْسًا كَانَ، أَوْ نَحْوَهُ)

رواه مسلم وأبو داود

• وفي رواية لمسلم:

(إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى كُرَاعٍ فَأَجِيبُوهُ)

فكـــن أخا الإسلام

منتفعا بهذه الوصية التى يدعونا فيها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه إلى إجابة دعوة أى أخ مسلم _ ملتزم _ غنيا كان أم فقيرا.. إلى وليمة شرعية.. فى مناسبة عرس، أو ختان، أو عقيقة، أو قدوم غائب.. على شريطة أن تكون الوليمة هذه بعيدة عن فعل المعاصى والمخالفات _ كالرقص، أو اختلاط بين الرجال والنساء، وبدون تحفظات _ وإلا فإنه ينبغى مقاطعتها، بل وصرف المدعوين عنها ما استطعنا إلى ذلك سبيلا..

(وذلك) لأن الحضور فى مثل هذا العبث _ تحت أى اسم من الأسماء _ يعتبر مشاركة فى هذا المنكر.. كما يعتبر عونا لهم ولشياطينهم على الإثم والعدوان.. ومعصية الله ورسوله.. وكان من الممكن أن يكون اللقاء هذا شرعيًّا يُذْكر فيه الله رب العالمين، ويصلى فيه على النبى ﷺ ببعض الصيغ الشرعية التى منها:

صـــلوا علـــى خـــير الأنـــام	المصـــطفى بـــدر التمـــام
صـــلوا عليـــه وســـلموا	يشـــفع لنـــا يـــوم الزحـــام
يـــا ليـــت شـــعرى هـــل أرى	ذاك الضـــريح الأنـــورا
قـــبر حـــوى خـــير الـــورى	مـــن قبـــل مـــوتى والســـلام
شـــوقى إلى ذاك الحبيـــب	والمـــوت مـــن وجـــدى يطيـــب
فاجعـــل لقـــاك لى نصـــيب	يـــا خـــاتم الرســـل الكـــرام
إذا لم أرى ربْـــع الحبيـــب	فلـــيس لى عَـــيْش يطيـــب
والـــدمع مـــن عـــينى صـــبيب	إذا لم أرى ذاك المقـــام
مـــن مكـــة لمـــا ظهـــر	فى المهـــد ناغـــاه القمـــر
وافتخـــرت آل مضـــر	بـــه علـــى كُـــل الأنـــام
حليمـــة لمـــا رأت	أنـــواره قـــد أشـــرقت
مالـــت إليـــه وعانقـــت	وقبلّـــت تحـــت اللّثـــام

وأنشـــــدت وهـــــى تقـــــول	لبعْلـــــها نلنـــــا القبـــــول
لا شـــــك فى هـــــذا الرســـــول	هـــــذا المظلَّـــــلُ بالغمـــــام
مـــــا مثلـــــه فى الرضـــــعا	مـــــا مثلـــــه يـــــوم وعَـــــى
مـــــن فـــــرد ثـــــدى رضَـــــعا	بـــــاللطف منـــــه واحتشـــــام
صـــــلى عليـــــك وســـــلّما	يـــــا ســـــيدى ربُ الســـــما
والآل والأصـــــحاب مـــــا	جـــــادت بوابلـــــها الغمـــــام

(على) أن يكون الرجال وحدهم، والنساء وحدهن.. (ولا سيما) أثناء تناول طعام المائدة..

(وقد) قرأت، فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) تحت عنوان:

خدمة المرأة ضيوف زوجها.. ما خلاصته

(أنه) يجوز للمرأة أن تقوم بخدمة ضيوف زوجها فى حضرته، ما دامت متأدِّبة بأدب الإسلام فى ملبسها وزينتها وكلامها ومشيها، ومن الطبيعى أن يروها وتراهم فى هذا الحال، ولا جناح فى ذلك إذا كانت الفتنة مأمونه من جانبها وجانبهم.

(روى) الشيخان وغيرهما (عن) سهل بن سعد الأنصارى قال: (لما أعرس أبو أسيد الساعدى، دعا النبى ﷺ وأصحابه، فما صنع لهم طعاما ولا قدم إليهم إلا امرأته أم أسيد، بلت تمرات فى تَوْر (إناء) من حجارة، من الليل، فلما فرغ النبى ﷺ من الطعام أمالته ــ أى مرسته بيدها، تتحفه بذلك).

(ففى) هذا الحديث ــ كما قال شيخ الإسلام ابن حجر:- جواز خدمة المرأة زوجها ومن يدعوه.. ولا يخفى أن محل ذلك عند أمِنْ الفتنة، ومراعاة ما يجب عليها من الستر، وجواز استخدام الرجل فى مثل ذلك. فإذا لم تراع المرأة ما يجب عليها من الستر ــ كأكثر نساء هذا الزمن ــ فإن ظهورها للرجال يصير حراما.

(وقد) قرأت كذلك فى كتاب (الإبداع فى مضار الإبتداع)[1]، كلاما هاما لابد وأن يكون الأخ المسلم ـ سواء كان ضيفا أو مستضيفا ـ على علم به.. تحت عنوان:

بدع الضيافة والولائم..

ما خلاصته أنه:

(من البدع السيئة) فى الضيافة: الإبطاء بالطعام على الضيف، فإن التعجيل بالميسور إكرام الضيف ـ وقد يكون جائعا فيؤلمه الانتظار، وإذا حضر الأكثر وغاب واحد أو اثنان من الضيفان وتأخروا عن الوقت الموعود فحق الحاضرين فى التعجيل أولى من حق أولئك فى التأخير ـ إلا أن يكون المتأخر فقيرا، أو ينكسر قلبه بذلك.. وأحد المعنيين فى قوله تعالى: ﴿**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ**﴾ [الذريات:٢٤]: إنهم أكرموا بتعجيل الطعام إليهم.. دل عليه قوله تعالى: ﴿**فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ**﴾ [هود: ٦٩] أى: أجيد نضجه.. وقوله تعالى: ﴿**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ**﴾ [الذريات:٢٦]: أى: ذهب إلى أهله بسرعة.. وقيل: فى خفية..

(قال) حاتم الأصم: العجلة من الشيطان إلا فى خمسة أشياء فإنها من سنة رسول الله ﷺ: «**إطعام الضيف إذا دخل، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب**». رواه أبو نعيم فى الحلية.

(ومن البدع): التكلف الذى أوقع الناس فى حُب الرياء والسمعة حتى خرجوا فى مآدبهم عن الحد الذى يطيقونه، و ربما استدانوا لذلك.. ـ قال بعض السلف فى تفسير التكلف: أن تطعم أخاك ما لا تأكله أنت، بل تقصد عليه زيادة فى الجودة و القيمة، وناهيك ما يكون فى ولائم الأعراس من الإسراف الذائد، وصنع ألوان الأطعمة (فعن) ابن عمر رضى الله عنهما، قال: (نهينا عن التكلف). رواه البخارى. (و عن) ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا هلك المتنطعون ـ ثلاث مرات**» رواه مسلم، التنطع أى التعمق والاستقصاء، (وفى) الحديث: «**لا تكلفوا للضيف فتبغضوه**» رواه البيهقى و غيره. (وفى) الحديث: «**لا تتكلفى للضيف فتمليه ولكن أطعميه مما تأكلين**» رواه أبو عبد الله السيرازى.

(١) وهو لفضيلة الشيخ على محفوظ عليه رحمة الله.

(وروى) الطبرانى و أحمد (عن) سلمانﷺ أنه قال لمن استضافه: (لولا أنا نهينـــا عن التكلف لتكَلَّفتُ لكم). (وفى الإحياء). أن النبىﷺ أتى بإناء فيه عسل ولبن فأبى أن يشربه وقال: **((شربتان فى شربة وإدامان فى إناء واحد))** ثم قالﷺ : **((لا أحـــرم ولكن أكره الفخر والحساب بفضول الدنيا غدا، وأحب التواضع فإن من تواضع لله رفعه))**.

(وقد) كانت وليمة النبىﷺ حين زفافه بعائشة رضى الله عنها قدحا واحدًا من لبن. (فعن) أسماء بنت عُميْس قالت: كنت صاحبة عائشة رضى الله عنها فى الليلة التى هيأها وأدخلتها على رسول اللهﷺ ومعى نسوة، قالت: فوالله ما وجدنا عنده قرى [1] إلا قدحا من اللبن، ثم ناول عائشة رضى الله عنها، قالت فاستحيت الجارية ــ أى عائشة ــ قالت: فقلت: لا تردى يد رسول اللهﷺ ، خذى منه.. قالت: فأخذته منه على حياء، فشربت منه، ثم قال (ناولى صواحبك، فقلن: لا نشتهيه) فقال **((لا تجمعن جوعا وكذبا))**، قالت [2]: فقلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا لشىء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذبا ؟ فقال: **((إن الكذب ليكتب حتى تكتب الكذبة كذيبة))**.

(ولما) عقد رسول اللهﷺ على فاطمة ابنته ــ رضى الله عنها ــ كان الطعام الذى أحضره النبىﷺ للحاضرين طبقا من بسر [3] (ففى) الحديث أنهﷺ قال: **((إن الله أمرنى أن أزوج فاطمة من على بن أبى طالب، فاشهدوا أنى قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة إن رضى بذلك على، ثم دعاﷺ بطبق من بسر، ثم قال انتهبوا))**، فانتهبنا.. (الإنتهاب) أخذ الجماعة الشئ على غير اعتدال، (ومنه) يستفاد أن الدعوة لهذا العقد كانت منهﷺ خاصة.

(ولذا) استقل بإحضار الطعام فصار ذلك سنة فى عقد الزواج إلى اليوم ــ أى بالنسبة لوليمة العقد ــ

---

(١) أى: الطعام أو الشراب..

(٢) أى: أسماء رضى الله عنها..

(٣) البسر أوله طلع، ثم خلال بالفتح، ثم بلح بفتحتين، ثم بسر رطب، ثم تمر.. الواحدة بُسْرة وبُسُرة ، والجمع بسرات، وبسر بضم السين فى الثلاثة.. (مختار الصحاح) ص ١٥.

(كما) استفيد منه أن السنة عدم التكلف فيها.. (كما) أن السنة فى وليمة العرس والدعاء إليها أن يستقل بها الزوج مع عدم التكلف فيها أيضا..

*(ففى) الحديث أن النبى ﷺ قال لما أجاب على فى خطبته خطبة فاطمة رضى الله عنها: **((يا على لابد للعرس من وليمة))** قال سعد عندى كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعا من ذرة، وكان فى وليمته أيضا شعير وتمر وحيس[1]. (هذا) كل ما حوته وليمتة سيدة نساء العالمين، وابنة خير البرايا أجمعين ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ وكانوا يرون أنها أفضل وليمة فى زمانهم.

* (فعن) أسماء قالت: لقد أولم علّى على فاطمة، فما كان وليمة فى ذلك الزمان أفضل من وليمته.

* (ثم) يقول فى (**الإبداع**) معلقا على هذا:

* (وللناس) اليوم فى ضيافة العقود والأعراس بدع وعادات كثيرة زينها لهم شيطان الهوى: (وخير أمور الدين ما كان سنة ــ وشر الأمور المحدثات البدائع)

* (وكيف) لا يكون ذلك من قبائح البدع.. (وقد) جرت هذه التكلفات إلى كثير من الشرور، وأوقعت الزوجين وأهليهما فى الشدة بعد الرخاء ــ والضيق بعد السعة..

(وهذا) ما دعا عمر بن الخطاب ﷺ إلى النهى عن التوسع فى اللذيذ من المأكل والمشرب خشية أن يعتاده الناس فيدعوهم إلى هذه التكلفات الممقوتة (فقد) روى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: بلغ عمر بن الخطاب أن يزيد ابن أبى سفيان يأكل ألوان الأطعمة.. فقال عمر لمولى له: إذا علمت أنه قد حضر عشاؤه فأعلمنى.. فلما حضر عشاؤه أعلمه.. فأتاه عمر فسلم فاستأذن.. فأذن له.. فدخل.. فَقرِّبَ عشاؤه.. فجاء بثريد لحم، فأكل عمر معه منها، ثم قرب شواء يزيد بيده وكف عمر بيده، ثم قال: يا يزيد بن أبى سفيان، أطعام بعد طعام؟ والذى نفس عمر بيده لئن خالفتهم عن سنتهم ليخالفن بكم عن طريقهم.ا. هـــ.

* (ثم) يقول بعد ذلك فى (**الإبداع**):

* (ولو) وقف الابتداع عند التوسع بالمآكل فى الولائم لهان الخطب، ولكن الداهية العظمى التوسع فيما يمكن الاستغناء عنه، من صرف الأموال للمطربين،

(١) الحيس: الخلط، ومنه سمى الحيس وهو تمر يخلط بسمن وأقط. (مختار الصحاح) ص ١٦٥.

والمضحكين، والراقصات، والمغنيات، وغير ذلك من أنواع الفساد، فإن سرف المال فى مثل ذلك وبال ومنكر.

(مثل): حرق الثوب وتمزيقه وهدم البناء من غير غرض، وإلقاء المال فى البحر من غير موجب..

(وأما) الإسراف فإن كان صرفا للمال فى أنواع الفساد فإضاعته محرمة، وإن كان من جنس المباحات لكن مع المبالغة فحرام إن كان يتضرر هو أو عائلته بذلك.. فمثل هذا يجب منعه، والضرب على يده.. قال تعالى: ﴿.. **وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ [الإسراء: ٢٩]: نزلت فى رجل بالمدينة قسم جميع أمواله و لم يبق شيئا لعياله فطولب بالنفقة فلم يقدر على شئ.. وقال تعالى: ﴿**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً**﴾ [الاسراء: ٢٦] الآية، وفى الحديث المرفوع: «**من فقهك رفقك فى معيشتك**»، وأخرج البيهقى عن عمر رضى الله عنهما مرفوعا: «**الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة**» فإن لم يتضرر بذلك كأن كان كثير المال فهو إسراف مكروه.

* (ومن البدع) السيئة فى الضيافة: تهاون الناس بأمور دينهم، فيستعملون أوانى الذهب والفضة، (وقد) اتسع هذا الخرق وأصبح من السهل المألوف المستحسن ــ وواجب المضيف الابتعاد عن استعمال هذه الأوانى.

* (بل) ومن الجلوس فى محل هذا المنكر، وإلا كان الكل آثما، ولا يرخص الجلوس مع مشاهدة هذه المنكرات، فيجب عليه التغيير، فإن لم يقدر فليرحل.. فلو كان فى الضائفين من يتختَّم بالذهب لا يجوز الأكل معه ولا مجالسته:

* (ومن) منكرات الولائم أنها لا تخلو عن أولئك البعداء التعساء الذين اتخذوا المزاح حرفة لهم لإضحاك الحاضرين..

(فإنه) منكر لا يجوز حضوره وإقراره.. (قال) رسول الله ﷺ: «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوى بها أبعد من الثريا**» رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة بإسناد حسن. (لا سيما) أن مزاحهم لا يخلو عن الفحش والكذب المحرم، والاستهزاء بالناس، فإن لم يشتمل على ذلك فهو محرم من أجل اتخاذه حرفة فيجب إنكاره، فإن لم يقدر حرم حضوره:

* (ومن البدع) غير الحسنة فى الضيافة: تكليف الضيف إلى موضع مخصوص لتناول الطعام، وهذا من آثار الترف والكبرياء.. يرون أن تناول الطعام لا يخلو من امتهان وتقذير فلا يليق أن يكون بمحل المفروشات.. وفاتهم أن الأدب الشرعى الذى فيه كرامة الضيف أن يجلس فى موضع ثم يقرب الطعام إليه إلى حضرته، لا أن يوضع الطعام فى ناحية والضيف فى أخرى ثم يؤمر بالتقرب إليه.. انظر إلى ما وقع من إبراهيم عليه السلام مع ضيفه حيث حكى الله عنه فى مقام امتداحه، أنه قرب إليهم العجل لا أنه قربهم إليه.

* (ومن البدع) التى دخلت على الناس من الترف والكبرياء أن صاحب الضيافة يأنف من خدمة ضيفه بنفسه ويزعم أن هذا امتهان لا يليق إلا أن يباشره خادمه. (وترى) المضيف يحجر على صاحب الضيافة أن يقوم ببعض خدماته إعزازا له وإكراما، وربما تراحموا بينهم بالأيمان وفاتهم أن الأدب الشرعى أن لا يأنف ذو الضيافة من خدمة ضيفه، وأن لا يصده الضيف عن مكارم الأخلاق (فعن) على ابن الحسين: من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا الخليل إبراهيم بنفسه وأهله حيث قال تعالى: ﴿**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ*فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**﴾ [الذاريات:٢٧]: دل على خدمته بنفسه، فإنه لم يقل فأمر لهم، بل هو الذى ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه (وهذا) أبلغ فى إكرام الضيف.. فهذا أدب خليل الرحمن وأبى الآباء وإمام الحنفاء الذى اتخذه الله خليلا وجعل فى ذريته النبوة والكتاب، وهو شيخ الأنبياء كما سماه النبى ﷺ بذلك، فإنه عليه الصلاة والسلام لما دخل الكعبة وجد المشركين قد صوروا فيها صورته وصورة ابنه إسماعيل وهما يستقسمان بالأزلام فقال: «**قاتلهم الله لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام**».

(ومن) الأدب الذى اشتمل عليه ضيافة الخليل عليه السلام أنه لم يستأذن ضيفه فى إحضار الطعام بل راغ إلى أهله، أى ذهب فى اختفاء بحيث لم يشعر الضيف إلا وقد جىء إليهم بالطعام.. والناس اليوم لغلبة الشح عليهم واستثقالهم أمر الضيافة قلما يحضرون الطعام إلا بعد الاستئذان ويودون فى أنفسهم حين الاستئذان أن لا يأذن ويعتذر ــ وربما غلبه الحياء من طلب الطعام فيشق على نفسه.

(ومن) الأدب بعد إحضار الطعام أن يتلطف صاحب الضيافة و يدعو بنفسه الضيف إلى تناول الطعام بنحو: (تفضل علينا أو: تكرم علينا بتناول الطعام) كما قال الخليل عليه السلام: (ألا تأكلون): فإنه عرض وتلطف فى القول بخلاف: كلوا.. مدوا أيديكم ...

(ومن البدع) غير الحسنة: توديع الضيف داخل المترل أنفةً وكبراً ـــ والسنة أن يرافقه إلى باب المترل ثم يودعه ـــ وينبغى للضيف أن لا يمنع المضيف من ذلك و يقسم عليه ـــ (فعن) ابن عباس رضى الله عنهما: من السنة إذا دعوت أحداً إلى مترلك أن تخرج معه حتى يخرج (و عن) أبى هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: ((**إن من السنة أن يخرج الرجل مع ضيفه إلى باب الدار**)) رواه ابن ماجه وغيره. (وعن) الشعبى رحمه الله: من تمام زيارة الزائر أن تمشى معه إلى باب الدار وتأخذ بركابه. (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما: (من أخذ بركاب رجل لا يرجوه ولا يخافه غفر له) وكان يأخذ بركاب زيد بن ثابت ﷺفقال: أتمسك لى وأنت ابن عم رسول الله ﷺ؟ فقال: إنا هكذا نصنع بالعلماء.

* (ومن البدع) السيئة: الشبع من طعام الضيافة وغيرها.. قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾[الأعراف:من الآية٣١]، ولما فى الشبع من المضار التى لا تخفى على بصير.. وفى الحديث: ((**ما ملأ آدمى وعاءاً شراً من بطنه بحسب ابن آدم لُقمْات يقمن صلبه فإن لم يفعل فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه**)) رواه الترمذى وقال حسن.

*(ومن البدع) السيئة: انفراد كل من الحاضرين بآنية يأكل فيها ولا يجتمعون فى الأكل من إناء واحد.. وهذه العادة القبيحة انتشرت بين الأغنياء اليوم.. وقد سرت إليهم من تقليد الأجانب..

(مع) العلم بأن الشريعة الغراء قد جاءت بخلافها (فعن) عمر ﷺمرفوعا: ((كلوا جميعا ولا تفرقوا فإن البركة مع الجماعة)) رواه ابن ماجة والبيهقى بإسناد حسن.. (وفى) الحديث: ((**خير الطعام ما كثرت عليه الأيدى**)) رواه ابن حبان.

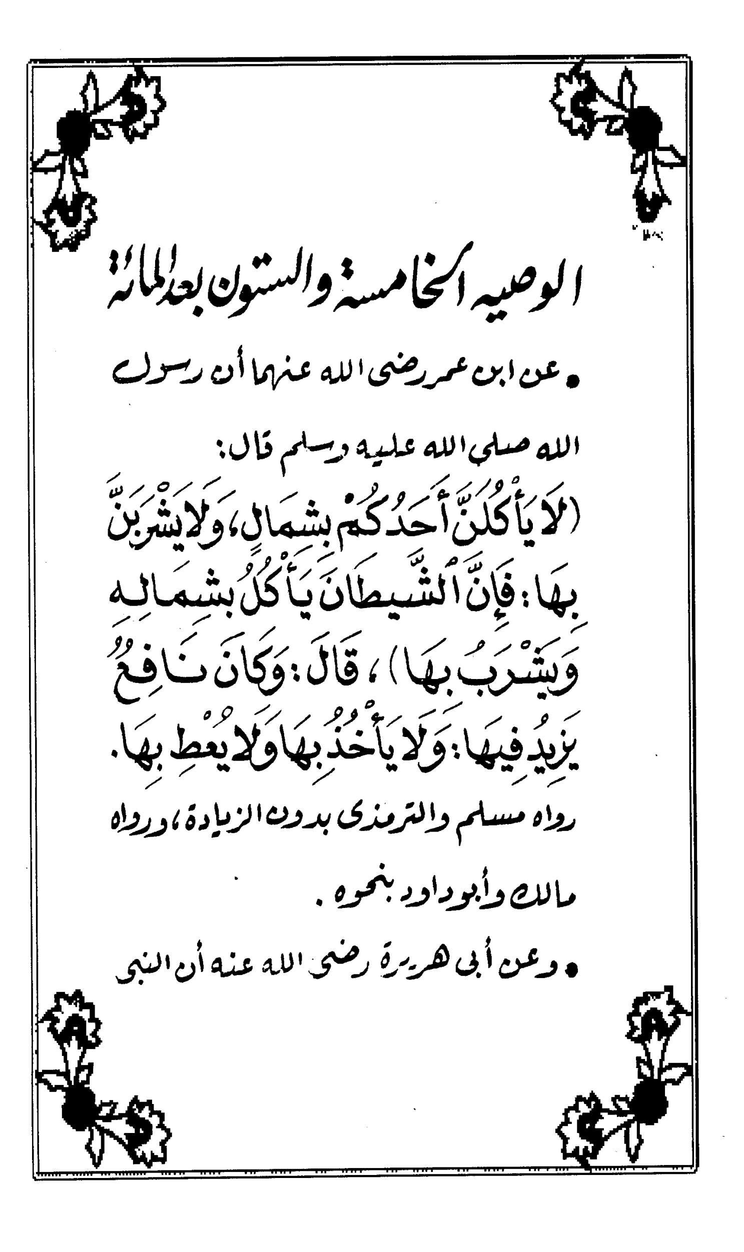
* (والناس) اليوم يرون أن أهنأ طعام وألطفه ما قلت عليه الأيدى.. (فلهذا) حرموا بركة الاجتماع على الطعام (فعن) وحشى بن حربﷺ أن أصحاب رسول اللهﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع ؟! قال «**فلعلكم تفترقون على طعامكم ؟**» قالوا: نعم، قال: «**فاجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه**»رواه أبو داود بإسناد حسن.

* (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذه.. حتى يلبى دعوة أخيه المسلم _ إذا دعاه _ وهو يعرف آداب الضيافة _ وهو يحرص كل الحرص على اجتناب كل تلك البدع التى وقف عليها.. (وعليه) كذلك أن يلاحظ قول الرسولﷺ فى نص الوصية: «**إذا دعى أحدكم إلى الوليمة فليأتِهَا**» أى: فليحضرها وليجب الدعوة.. وظاهر الأمر الوجوب.

* (وعن) عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول اللهﷺ : «**إذا دعا أحدكم أخاه فليجب عرسا كان أو نحوه**» رواه مسلم وأبو داود.

* (وقوله) فى نص الحديث (فليجب): دليل أيضا على الوجوب.. لأن ذلك من حقوق المسلم على المسلم ... (وفى) رواية لمسلم «**إذا دعيتم إلى كراع فأجيبوه**»، والكراع: بضم الكاف من البقر والغنم بمنـــزلة الوظيف من الفرس مستدق الساق.. وقيل الكراع من الدواب ما دون الكعب، وقال ابن فارس: كراع كل شئ طرفه.. (والمعنى) المراد.. أن تلبى دعوة أخيك المسلم الفقير الذى قد لا يستطيع أن يقدم لك إلا الكراع.. وإياك أن تحتقر طعامه.. (بل) كن على عكس هذا جابرا لخاطره.. ما دام ملتزما وطعامه من حلال _ كما نبهت فى أول الشرح.. (وعليك) بعد أن تتناول طعامه.. أن تدعو له بالوارد عن النبىﷺ (فقد) ورد فى صحيح مسلم ما نصه: (اللهم بارك لهم فيما رزقتهم واغفر لهم وارحمهم)، كما ورد كذلك فى سنن أبى داود وغيره بالإسناد الصحيح: «أفطر عندكم الصائمون وأكل طعامكم الأبرار وصلتَّ عليكم الملائكة ....الخ» وعلى المضيف أن يُؤمِّن على هذا وغيره، بقوله: اللهم آميـــن.

والله ولى التوفيق



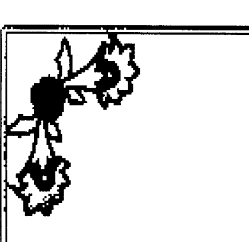
الوصية الخامسة والستون بعد المائة

• عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يأكلنَّ أحدُكُم بشمالٍ، ولا يشرَبنَّ بها: فإنَّ الشَّيطانَ يأكلُ بشمالهِ ويشرَبُ بها)، قالَ: وكانَ نافعُ يزيدُ فيها: ولا يأخُذُ بها ولا يُعطِ بها.

رواه مسلم والترمذي بدون الزيادة، ورواه مالك وأبو داود بنحوه.

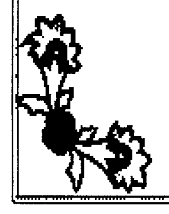
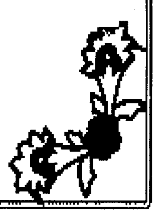
• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي




صلى الله عليه وسلم قال:

(ليَأْكُلْ أَحَدُكُمْ بيَمِينِهِ، وَيشْرَبْ بيَمِينِهِ، وَليَأْخُذْ بيَمِينه، وَلْيُعْطِ بيَمِينِهِ: فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بشِمالِهِ وَيَشْرَبُ بشِمالِهِ، وَيُعْطِي بشِمالِهِ، وَيأْخُذُ بشِمالِهِ)

رواه ابن ماجه بإسناد صحيح

فكن أخا الإسلام

منتفعا بهذه الوصية الهامة التى يحذرنا فيها صلوات الله وسلامه عليه من الأكل أو الشرب باليد اليسرى.. حتى تخالف الشيطان الرجيم الذى يأكل ويشرب بها..

** (وإذا) كان الرسولﷺ قد قال فى نص الوصية: **((لا يأكلن أحدكم بشمال...))**، فإن ظاهر النهى التحريم.. ويشهد له الحديث الذى جاء فيه.

* (عن) سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رجلا أكل عند رسول اللهﷺ بشماله، فقال: **((كل بيمينك))**: قال لا أستطيع. قال **((لا استطعت [1] ! ما منعه إلا الكبر[2] ! فما رفعها إلى فيه))** رواه مسلم. أى فَشُلَّتْ يده والعياذ بالله.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن النبىﷺ قال: **((ليأكل أحدكم بيمينه، ويشرب بيمينه، وليأخذ بيمينه، وليعط بيمينه: فإن الشيطان يأكل بشماله، ويشرب بشماله، ويعط بشماله، ويأخذ بشماله))** رواه ابن ماجه بإسناد صحيح.

** فقولهﷺ : (ليأكل) بجزم لام الأمر: ظاهره وجوب المأمور به. (مع) ملاحظة: أن الواجب هو ما يثاب الإنسان على فعله ويعاقب على تركه.

** (وعلى) هذا، فإنه يجب على الأخ المسلم أن ينفذ المراد من تلك التحذيرات حتى يخالف الشيطان الذى لا يفعل إلا الشر.. والذى لا يأمر إلا بالفحشاء.. والذى أخبرنا الله تعالى فى قرآنه عن الشيطان بأنه عدونا المبين الذى﴿**يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**﴾ .. (ولهذا) فإن مخالفته فى جميع الأقوال والأفعال والأحوال: تعتبر انتصارا مُبِينًا على هذا الشيطان.. الذى لا سلطان له إلا على المتشبهين به.. أما بالنسبة لهؤلاء المؤمنين الذين يخالفونه.. فإنه لا سلطان له عليهم.. كما أشار الله تعالى إلى هذا فى قوله الذى يخاطبه فيه﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾ [الحجر: ٤٢]، وعباد الله ــ الصادقين ــ هم الذين ينفذون أوامره سبحانه وتعالى ويجتنبون نواهيه.. وكذلك بالنسبة لأوامر الرسولﷺ ونواهيه﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [الحشر:٧].

---

(١) قد يكون هذا الدعاء عليه.

(٢) أى: الغطرسة. بأن لا يستطيع أن يرفع يده بعد ذلك.. وقد كان..

** (ولما) كان ما جاء في نص الوصية التي ندور حولها.. من جملة أوامر الرسول ﷺ ونواهيه.. (فإنه) من الخير لنا كمؤمنين صادقين إن شاء الله.. أن ننفذ المراد منها..

(بمعنى)

أن لا نأكل، أو نشرب، أو نأخذ، أو نعطى.. أو نصافح.. أو نكتب.. إلا باليمنى حتى نخالف الشيطان الذى يفعل عكس هذا..

** (بل) وحتى نكون إن شاء الله تعالى من أهل اليمين.. المشار إليهم فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾ [الواقعة:٢٧] أى وأصحاب اليمين الذين أعطوا كتبهم بأيمانهم أىَ شئ هم؟ وماذَا أعد لهم من الخير؟ ﴿**فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ**﴾ [الواقعة:٢٨] أى: فى ثمر سدرٍ موقر حملا، قد ذهب شوكه [1] ﴿**وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ**﴾ أى: وموز قد نضد بعضه على بعض وجمع ﴿**وَظِلٍّ مَمْدُودٍ**﴾ أى: وهم فى ظلٍّ دائم، لا تنسخه الشمس فتذهب به ﴿**وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ**﴾ أى: وفيه أيضا ماء مصبوب، يجرى فى غير أخدود ﴿**وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لا مَقْطُوعَةٍ** ﴾ أى: وفيها فاكهة كثيرة، لا ينقطع عنهم شئ منها فى وقت من الأوقات ﴿**وَلا مَمْنُوعَةٍ**﴾[الواقعة:٣٣] أى: لا يمنعهم منها شوك أو شئ كبعدها عنهم، ولكن إذا اشتهاها أحدهم، وقعت فى فيه[2] ﴿**وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ**﴾ [الواقعة:٣٤] أى: ولهم فيها فرش مرفوعة بعضها فوق بعض.. وفى الحديث: «**ارتفاعها كما بين السماء والأرض**» [3].

** وفى سورة الحاقة، يقول تبارك وتعالي عن الذي سيعطي كتاب أعماله بيمينه في يوم القيامة:﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَأُوا كِتَابِيَهْ**﴾ [الحاقة:١٩] أي: فأما من أعطي كتابه بيمينه فيقول تعالوا اقرءوا كتابي: ﴿**إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلاقٍ حِسَابِيَهْ**﴾ [الحاقة:٢٠] أي: أني علمت أني سألقي حسابي، إذا وردت يوم القيامة علي ربي ﴿**فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ**﴾ [الحاقة:٢١] أي: في بستان عال رفيع ﴿**قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ**﴾ [الحاقة:٢٣] أي: ما

(١) خضد الله شوكه _ أى قطعه _ فجعل مكان كل شوكة ثمرة، وإن الثمرة من ثمره تفتق عن اثنين وسبعين لونا من الطعام، ما فيها يشبه الأخر أخرجه الحاكم والبهيقى.

(٢) أى: فى فمه.

(٣) سورة الواقعة: ٢٧ — ٢٤ والتفسير مع الهامش من (مختصر تفسير الطبرى بتصرف).

يقطف من ثمار الجنه دان قريب من قاطفه.. ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً﴾ أي: كلوا معشر أهل الجنة من ثمارها، واشربوا من طَيِّب أشربتها هنيئا، لا تتأذون بالطعام والشراب ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة:٢٤] أى: ذلك جزاء وثواب ما قدمتم لآخرتكم، من العمل بطاعة الله، فى أيام الدنيا التى خلت ومضت [١].

** وفى سورة الإنشقاق يقول تبارك وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً﴾ [الانشقاق:٧-٨] أى: فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه، فسوف يحاسبه ربه حسابا يسيرا، بأن ينظر فى أعماله فيغفر له سيئها ويجازيه على حسنها [٢] ﴿وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً﴾ [الانشقاق:٩]. أى: وينصرف هذا المحاسَبُ إلى أهله فى الجنة مسرورا بفضل الله عليه [٣].

** (ولهذا) فإنه ينبغى عليك أيها الأخ المسلم أن تنفذ ما جاء فى وصية الرسول ﷺ ــ والتى ندور حولها ــ حتى تكون إن شاء الله أهلا لأن تكون من المشار إليهم فى الآيات الثلاث..

(وذلك) بالحرص على أن تكون من أهل التيامن فى كل شىء.. إقتداء برسول الله ﷺ:

* (فعن) عائشة رضى الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يعجبه التيمُّن [٤] فى شأنه كله فى طهوره، وترجُّله، وتنعله) متفق عليه.

* (وعنها) قالت: (كانت يد رسول الله ﷺ اليمنى لطهوره وطعامه، وكانت اليسرى لخلائه [٥] وما كان من أذى) حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن صحيح.

* (وعن) حفصة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ: **«كان يجعل يمينه لطعامه، وشرابه، وثيابه، ويجعل يساره لما سوى ذلك»** رواه أبو داود وغيره.

---

(١) سورة الحاقة: من الآية ١٩ – ٢٤ والتفسير من (مختصر تفسير الطبرى).

(٢) والمراد بالحساب اليسير هو العرض.. وذلك لأنه كما ورد فى الحديث: (من نوقش الحساب عذب).

(٣) سورة الإنشقاق: من الآية ٧ –٩، والتفسير من مختصر تفسير الطبرى مع الحاشية بتصرف.

(٤) أى: استعمال اليمين.

(٥) أى: الاستنجاء.

* (وعن) أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ **«أتى منىً فأتى الجمرة فرماها، ثم أتى منزله بمنى [1] ونحر [2] ثم قال للحلاق: (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن [3]، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس»** متفق عليه. وفى رواية: «لما رمى الجمرة ونحر نسكه وحلق [4]: ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصارى رضي الله عنه فأعطاه إياه، ثم ناوله [5] الشق الأيسر فقال: (احلق) فحلقه، فأعطاه أبا طلحة فقال: (اقسمه بين الناس).

** (وهذا) معناه أنه يستحب تقديم اليمين ـ لكرامتها ـ فى كل ما هو من باب التكريم: كالوضوء، والغسل، والتيمم، ولبس الثوب، والنعل، والخف، والسراويل، ودخول المسجد، والسواك، والاكتحال، وتقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، والأكل، والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر الأسود، والخروج من الخلاء [6]، والأخذ، والإعطاء، وغير ذلك مما هو فى معناه.. (ويستحب): تقديم اليسار فى ضد ذلك: كالامتخاط، والبصاق عن اليسار[7]، ودخول الخلاء، والخروج من المسجد، وخلع الخف، والنعل، والسراويل، والثوب، والإستنجاء، وفعل المستقذرات.. وأشباه ذلك..

** (كما) كان صلوات الله وسلامه عليه يوصى أصحابه بهذا ويراقب تنفيذه.. حتى بالنسبة لتغسيل الميت:

* (فعن) أم عطية رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال لهن فى غسل ابنته زينب رضى الله عنها [8]: **«إبدأن بميامنها، ومواضع الوضوء منها»** متفق عليه.

---

(١) ما بين مسجد الخيف ومحل النحر المشكور من يمين الصاعد إلى عرفة.
(٢) أى: الهدى الذى ساقه معه ﷺ .
(٣) أى: جانب الرأس الأيمن.
(٤) أى: بعد نحره.
(٥) أى: ناول الحلاق الجانب الأيسر من الرأس بعد حلق الجانب الأيمن.
(٦) أى: المرحاض كما نسميه فى هذا الزمان..
(٧) أى: يبصق على يساره..
(٨) أو أم كلثوم رضى الله عنها.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا تنعل أحدكم فليبدأ باليمنى، وإذا نزع ــ أى نعله ــ فليبدأ بالشمال. لتكن اليمنى أولهما تنعل، وأخرهما تنزع**». متفق عليه.

* (وعن) عمر بن أبى سلمة رضى الله عنهما قال: قال لى رسول الله ﷺ «**سم الله، وكل بيمنك، وكل مما يليك** [1]». متفق عليه.

** (وكان) ﷺ لا يرد موجودا، ولا يتكلف مفقودا.. فما قرب إليه شىء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه بدون تحريم، وما عاب طعاما قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده، ولم يحرمه على الأمة، بل أكل على مائدته وهو ينظر.

** (وكان) هديه: أكل ما تيسر فإن أعوزه صبر حتى أنه يربط على بطنه الحجر من الجوع ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد فى بيته نار [2].. (وكان) معظم مطعمه يوضع على الأرض فى السفر وهى [3] كانت مائدته.

** (وكان) من هديه: الشراب قاعدا، وصح عنه أنه شرب قائما (فعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: «**سقيت النبى ﷺ من زمزم فشرب وهو قائم**». متفق عليه. (وعن) النزال بن سبرة رضي الله عنه قال: أتىَ علىٌّ رضي الله عنه باب الرحبة [4] فشرب قائما وقال أنى رأيت رسول الله ﷺ «**فعل كما رأيتمونى فعلتُ**». رواه البخارى.

** (وهذا) المنصوص عليه فى الحديثين الشريفين الصحيحين السابقين على سبيل الجواز.. (لأنه) قد ورد النهى عنه:

* (فعن) أنس رضي الله عنه عن النبى ﷺ «**أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا**» قال قتادة: فقلنا لأنس: فالأكل ؟ قال ذلك أشر ــ أو أخبث ــ رواه مسلم. وفى رواية له: أن النبى ﷺ زجر عن الشرب قائما.. ــ وذلك على سبيل التنـــزيه والكمال ــ.

---

(١) هذا إذا كان الطعام لونا واحدا.. أما إذا كان ألوانا جاز الأكل من جميع الجوانب.

(٢) كناية عن عدم إشعال التنور لمدة ثلاثة أهلة من أجل خبز أو طبخ..

(٣) أى: الأرض.

(٤) أى: رحبة الكوفة.. المكان المتسع.. يريد ساحة المسجد.

* (وعن) أبى هريرةﷺ قال: قال رسول اللهﷺ : ((**لا يشربن أحد منكم قائما، فمن نسى فليستقئ**[1])). رواه مسلم

** كما أنه لا يجوز الشرب فى إناء من ذهب أو فضة:

* (فعن) أم سلمة رضى الله عنها أن رسول اللهﷺ قال: ((**الذى يشرب فى آنية الفضة إنما يجرجر فى بطنه نار جهنم**)) متفق عليه. وفى رواية لمسلم: ((**إن الذى يأكل أو يشرب فى آنية الفضة والذهب**)) وفى رواية له: ((**من شرب فى إناء من ذهب أو فضة فإنما يجرجر فى بطنه نارا من جهنم**)).

** (وفى) صحيح مسلم أن النبىﷺ : (كان) يتنفس فى الشراب ثلاثا ويقول: ((**إنه أروى وأمرأ وأبرأ**))، ومعنى تنفسه فى الشراب إبانة القدح _ أى إبعاده _ عن فيه _ فى كل مرة _ وتنفسه خارجه، ثم يعود إلى الشراب كما جاء مصرحًا به فى الحديث الآخر: ((**إذا شرب أحدكم فلا يتنفس فى القدح ولكن ليبين الإناء عن فيه**)) وروى الترمذى: ((**لا تشربوا نفسا واحدا كشرب البعير لكن اشربوا مثنى وثلاث وسموا إذا أنتم شربتم واحمدوا إذا أنتم فرغتم**)) أى قولوا بعد الفراغ من كل شربة الحمد لله.

* (وكان) لا يأكل متكئا..(وكان) يسمى الله تعالى على أول طعامه، ويحمده فى آخره.

(وكان) إذا شرب ناول من على يمينه وإن كان من على يساره أكبر منه.

** (فعلى) الأخ المسلم أن يراجع كل هذا فى (رياض الصالحين)، وزاد المعاد لابن القيم..

** (وعليه) أن ينفذ كل هذا الخير الذى وقف عليه.. حتى يفوز باتباع الرسولﷺ ، وبالثواب الجزيل الذى قرأت فيه.. أن شربة الماء إذا شربها الأخ المسلم كما جاء فى السنة التى وقف عليها.. سيفوز بحوالى مائة حسنة.. وأعنى بهذا أن شربه

---

(١) أى: فليتقايأ.

باليد اليمنى فيه عشر حسنات، وشربه وهو جالس فيه عشر حسنات، وشربه على ثلاث مرات مع التسمية والتحميد.. سيأخذ على كل مرة عشر حسنات.. وشربه فى إناء مكشوف فيه عشر حسنات.. ونظره فى الماء فيه عشر حسنات.. وشربه بنية التقوى على طاعة الله فيه عشر حسنات.. ومصُّه للماء كما كان يفعل رسول الله ﷺ فيه عشر حسنات ... الخ هذا الخير العظيم الذى ينبغى عليه أن يحرص على الفوز به..

لأنه كما يقول الشاعر:

ليس المصاب من فارق الأحْباب إن المصاب من فقد الثواب

** والله نسأل أن ينفعنا بما وقفنا عليه.. وأن يجعله حجة لنا لا علينا، وأن يجعلنا من أهل اليمين.

اللهم آمين

الوصية السادسة والستون بعد المائة

• عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل طعامه في ستة من أصحابه، فجاء أعرابي، فأكله بلقمتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّى كَفَاكُمْ)

رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجه، وابن حبان في صحيحه، وزاد:

(فَإِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامَهُ، فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَإِنْ نَسِيَ فِي أَوَّلِهِ فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ).

وهذه الزيادة عند أبي داود وابن ماجه مفردة.

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التي إن نفذت المراد منها.. كنت إن شاء الله من المبارك لهم في طعامهم.. وكنت أيضاً في نفس الوقت في حصانة من أن يمد الشيطان يده في طعامك الذي لو لم يذكر اسم الله عليه في أوله وآخره.. لكانت النتيجة الحتمية لهذا: أن تذهب البركات التي كانت في هذا الطعام الذي سيصير بعد ذلك غير مشبع..

(وهذا) هو المعني المشار إليه في قول الرسول ﷺ عن الأعرابي الذي كان قد جاء فأكل طعام الستة من الأصحاب بلقمتين: **«أما إنه لو سمي»** أي: ذكر الله تعالي، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم: (كفاكم) أي: أشبعكم بسبب وضع الله البركة فية عند التسمية عليه.. والحديث يدل علي أنه لا يكفي تسمية بعض الأكلة، بل لا بد من تسمية الكل.. وقوله: **«فإن نسي في أوله»** أي نسي أن يقول باسم الله في ابتداء الأكل.. _ كما جاء في الرواية الأخري _ «فليقل حين يذكر وهو في وسط الأكل أو آخره باسم الله أوله وآخره ...

(وقد) قرأت في كتاب الأذكار للإمام النووي تحت عنوان:

باب التسميه عند الأكل

بعض الأحاديث الشريفة الصحيحة التي تشير إلي الأحكام المتعلقة بالتسمية عند الأكل.. والتي منها.. ما ورد:

(عن) جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إذا دخل الرجل بيته فذكر الله تعالي عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان:لا مبيت لكم ولا عشاء** [1]**.. وإذا دخل فلم يذكر الله تعالي عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت.. وإذا لم يذكر الله عند طعامه، قال: أدركتم المبيت والعشاء»** رواه مسلم.

(وفي) حديث أنس المشتمل علي معجزة ظاهرة من معجزات رسول الله ﷺ لما دعاه أبو طلحة وأم سليم للطعام قال: ثم قال النبي ﷺ أئذن لعشرة..فـأذن لهـم..

---

(١) أي: قال هذا لنفسه ولمن معه من الشياطين ...

فدخلوا.. فقال النبي ﷺ: ((**كلوا وسموا الله تعالى**)) فأكلوا حتى فعل ذلـــك بثمـــانين رجلاً. رواه مسلم.

(وعن) حذيفة ﷺ قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتي يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده.. وإنا حضرنا مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تدفع قد هبت لتضع يدها في الطعام فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنما يدفع فأخذ بيده.. فقال رسول الله ﷺ: ((**إن الشيطان يستحل الطعام أن لا يذكر اسم الله عليه، و إنه جاء بهذه الجارية ليستحل بها فأخذت بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحل به فأخذت بيده.. إن يده في يدي مع يدهما، ثم ذكر اسم الله تعالي وأكل**)). رواه مسلم.

(ثم) بعد ذلك يقول الأمام النووي في الأذكار:

(أجمع) العلماء علي استحباب التسمية علي الطعام في أوله، فإن ترك في أوله عامداً أو ناسياً أو مكرها أو عاجزاً لعارض آخر، ثم تمكن في أثناء الأكل استحب أن يسمي ... ويقول: بسم الله أوله وآخره.. (والتسمية) في شراب الماء واللبن والعسل والمرق وسائر المشروبات كالتسمية في الطعام في جميع ما ذكرناه..

(ثم) يقول: قال العلماء من أصحابنا وغيرهم:

(ويستحب) أن يجهر بالتسمية ليكون فيه تنبيه لغيره غلي التسمية وليقتدي به في ذلك.. (ثم) يقول: من أهم ما ينبغي أن يعرف صفة التسمية وقدر المجزي منها..

(فاعلم) أن الأفضل أن يقول: بسم الله الرحمن الرحيم، فإن قال بسم الله): كفاه، وحصلت السنة. (وسواء) في هذا الجنب والحائض وغيرهما.. (وينبغي) أن يسمي كل واحد من الآكلين.. فلو سمي واحد منهم أجزأ عن الباقين... نص عليه الشافعي ﷺ.

(وإتماماً) للفائدة.. إليك أخا الإسلام بعض الآداب الهامة المتعلقة بالطعام والشراب.. كما جاء أيضا في الأذكار للنوي.. بإيجاز مفيد.. فإليك ما ورد فيها:

(وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**إذا دُعِيَ احدكم**

فليُجب، فإن كان صائماً فليُصلِّ _ أي فليدع _ وإن كان مُفطَرًا فليطعم». رواه مسلم. وورد: «**فإن كان مفطراً فليأكل، و إن كان صائماً دعا له بالبركة**». رواه ابن السني وغيره.

(وعن) أبي مسعود الأنصاري قال: دعا النبي ﷺ لطعام له خامس خمسة فتبعهم رجل فلما بلغ الباب قال النبي ﷺ: «**إن هذا تبعنا فإن شئت أن تأذن له وإن شئت رجع ؟**» قال: بل آذن له يا رسول الله. رواه البخاري ومسلم.

* (وعن) وحشي بن حرب ﷺ أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إنا نأكل ولا نشبع؟ قال: «**لعلكم تفترقون ؟**» قالوا: نعم، قال: «**فاجتمعوا علي طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه**».

** وأما عن الأدعية التي ورد أنه من السنه أن يدعوا المؤمن بها: بعد الفراغ من الطعام.. فقد ورد منها:

* (عن) أبي أمامه ﷺ أن النبي ﷺ: كان إذا رفع مائدة قال: «**الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه غير مكفى ولا مُودَّع** [1] **ولا مستغني عنه ربنا**» رواه البخاري ...

* (وفي) سنن أبي داود وكتاب الجامع والشمائل للترمذي (عن) أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين**».

* (وفي) سنن النسائي وكتاب ابن السني حسن، (عن) عبد الرحمن بن جبير التابعي أنه حدثه رجل خدم النبي ﷺ ثماني سنين أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قرب إليه طعاماً يقول: «**بسم الله**» فإذا فرغ من طعامة قال: «**اللهم أطعمت وسقيتَ، وأغنيتَ، وأقنيتَ** [2]**، وهديتَ، وأحييتَ، فلك الحمد علي ما أعطيت**».

---

(١) غير مودع بتشديد الدال المهملة مع فتحها أي: غير متروك الطلب.. وقيل هو من الوداع وإليه يرجع.. والله أعلم.

(٢) أي: أعطيت من فضلك العظيم..

* (وفي) رواية أبن السني: «**من أطعمه الله طعاماً، فليقل: اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيرًا منه**» ومن سقاه الله تعالي لبنًا فليقل: «**اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**»: فإنه ليس شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللين» قال الترمذي حديث حسن.

* (وعن) أنس ﷺ أن النبي ﷺ جاء إلي سعد بن عبادة ﷺ فجاء بخبز وزيت فأكل، قال النبي ﷺ: «**أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة**» رواه أبو داود في السنه، ورواه غيره بالأسناد الصحيح.

* (وعن) المقداد ﷺ في حديثه الطويل المشهور قال: رفع النبي ﷺ رأسه إلي السماء فقال: «**اللهم اطعم من أطعمني، واسق من سقاني**» رواه مسلم.

** هذا وإذا كان الأساس في هذا التذكير، هو:

الترغيب في التسمية عند تناول الطعام والشراب

فإنني أري _ وإتماماً للفائدة _ أن أذكر الأخ المسلم بنص ما ورد في فضلها

(فقد) روي الشعبي والأعمش [1] أن رسول الله ﷺ كان يكتب: باسمك اللهم، حتي نزل: ﴿**وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾ [هود: ٤١]: كتب (بسم الله)، فلما نزلت: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾ [الإسراء: ١١٠]. كتبها.

* (وعن) عبد الله بن مسعود ﷺ قال: (من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر، فليقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم، ليجعل الله له بكل حرف جُنَّة [2] من كل واحد).

* (وقد) فسرها بعض العارفين على مقتضى الحروف فقال: إن كل حرف منها مفتاح كل اسم من أسمائه تعالى مبدؤه بذلك الحرف، (فالباء): مفتاح اسمه تعالى (بصير، وباقى، وبر) ونحو ذلك (والسين): مفتاح اسمه تعالى: (سميع، وسلام)، (والميم) مفتاح اسمه تعالى: (ملك) ونحوه (والألف): مفتاح اسمه (الله) ونحوه، (واللام): مفتاح اسمه (لطيف) ونحوه، (والهاء): مفتاح اسمه (هادى) ونحوه، (والراء): مفتاح اسمه (رزاق) ونحوه، (والحاء): مفتاح اسمه (حليم) ونحوه، (والنون): مفتاح اسمه (نافع) ونحوه.. فكأن المفتتح بها مفتتح بجميع أسمائه تعالى..

(١) كما جاء في حاشية الصاوي علي الجلالين ج٤ في تفسير التسمية ص ٢٩٨ وما بعدها بتصرف.
(٢) أى: وقاية من الزبانية.

* (وقد) قيل أيضا: إن ابتدأ كتاب الله تعالى بالبسملة تعليم لعباده الإقتداء بذلك وأن الإتيان بها فى كل أمر ذى بال إشعار بأنها أم الفاتحة، كما أن القرآن أم الكتب السماوية، (والله) عَلَمٌ على الذات الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد، (والرحمن): المنعم بجلائل النعم كما وكيفا، ودنيا وأخرى، (والرحيم): المنعم بدقائقها.. كذلك.

** وقد قرأت كذلك:-

حول فضائل بسم الله الرحمن الرحيم

* (أن) الإمام الجنيد رحمه الله، قال فى تفسير قوله تعالى:﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً ﴾ [النمل:١٥].

أى علمناهما بسم الله الرحمن الرحيم.

* (وقال) بعضهم فى قوله تعالى:﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾[الفتح: ٢٦]: هى: بسم الله الرحمن الرحيم..

(قال) القشيرى رحمه الله: إذا قرع هذا اللفظ أسماع أهل المعرفة لم تــذهب فُهُوُ مُهُم ولا حُلوُ مُهم إلى معنى غير وجوده سبحانه وتعالى.. (فإذا قال بلسانه: الله، أو سمع بأُذُنْه: الله.. شهد بقلبه الله.. فكما لا تدل هذه الكلمة على معنى سوى الله، لا يكون شهود قائلها إلا الله.. فيقول بلسانه ويعلم بفؤاده الله، ويعرف بقلبــه الله، ويحب بروحه الله، ويشهد بسره الله، ويتعلق بظاهره بين يدى الله.

* (ويقال): البسملة ربيع الأحباب، وأزهارها لطائف الوصلة، وأنهارها زوائد القربة، فمن أسمعه الرحمن الرحيم غشيه بلطف أفضاله.

* (وقيل): الباء من بسم الله: بهاؤه، والسين: سناؤه، والميم مجده وعلاؤه.

* (وقيل): الباء: بابه، والسين: سلامه، والميم: إنعامه.

* (وقيل) الباء: بركته، والسين: سره، والميم: معرفته.

* (وقيل): الله: علام الغيوب، والرحمن كشاف الكروب، والرحيم غفار الذنوب.

(وقيل): الله: مجيب الدعوات، والرحمن: منزل البركات، والرحيم: يعفو عن السيئات.

---

(١) فى آثار الصالحين.

* (وقد) ورد عن النبى ﷺ أنه قال **«أول ما نزل بسم الله الرحمن الرحيم هرب الغيم من المشرق إلى المغرب، وسكتت الرياح، وأصغت البهائم بآذانها، ورجمت الشياطين بالشهب وأقسم الله بعزته لا يسمى باسمه على مريض إلا شفاه»** وفى رواية ابن عباس رضى الله عنهما: **«ولا على شىء إلا باركنا عليه»**.

* (وقال) على ﷺ: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ضجت الجبال حتى كنا نسمع دويها، فقال الكفار سحر محمد الجبال.

* (وورد) فى الحديث: أن البسملة بينها وبين اسم الله الأعظم كما بين سواد العين وبياضها.

* (وقد) قرأت كذلك:

(لطيفة) جاء فيها: إذا كتب السيد إلى عبده كتابا عرف رضا سيده وسخطه من عنوان الكتاب، والله تعالى جعل عنوان كتابه بسم الله الرحمن الرحيم، ولم يقل باسم الجبار القهار فعلمنا بذلك رضاه: ذكره النسفى. (وقال) الغزالى فى جواهر القرآن: لما ابتدأ الله كتابه بالحمد لله رب العالمين عَلم سبحانه أن النفوس ترهب من ذلك فعقبه بقوله: الرحمن الرحيم ليجمع فى صفاته بين الرهبة منه والرغبة إليه.. (وزاد) القرطبى: فيكون أعون على طاعته.

* (وقال) النسفى: لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على آدم قال الآن أمنت على ذريتى من العذاب، فلما مات ارتفعت بعد موته ثم نزلت على نوح فنجا بها من الغرق، ثم ارتفعت بعد موته، ثم نزلت على إبراهيم فصارت بردا وسلاما، ثم نزلت على موسى فسلم من البحر، ثم ارتفعت، ثم نزلت على سليمان فاستقام ملكه، ثم نزلت على محمد ﷺ إلى يوم القيامة يأخذ المؤمن كتابه بيمينه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم، فإذا هو أبيض لا شىء فيه فيقال له إنه كان مملوءا من السيئات ولكنه محته بسم الله الرحمن الرحيم.

* (وقال) القرطبى: البسملة من خصوصيات هذه الأمة.

* (وفى) تفسير الرازى عن أبى برادة عن النبى ﷺ: **«ألا أخبركم بآية لم تنزل**

على أحد بعد سليمان بن داود غيرى ؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «**بسم الله الرحمن الرحيم**».

(قال) الرازى: وقد أجمع العلماء على أنه يستحب أن لا يشرع فى عمل من الأعمال إلا ويقول: بسم الله الرحمن الرحيم، حتى القابلة [1] إذا أخذت الولد تقول بسم الله الرحمن الرحيم، فإنه خرج من ظلمات ثلاث: ظلمة الأحشاء، وظلمة المشيمة، وظلمة الرحم.. حكاه البغوى.

* (وقد) قرأت كذلك أن الله تعالى لما أراد أن يغرق قوم نوح قال اكتب على سفينتك﴿**بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا**﴾ [هود: ٤١] ولا تكتب الرحمن الرحيم فإن الرحمة والعذاب لا يجتمعان..

قال الضحاك: كان نوح عليه السلام إذا قال: بسم الله مجراها: جرت السفينة: وإذا قال بسم الله مرساها: رست.. وكان مع نوح خرزتان مضيئتان واحدة مكان الشمس والأخرى مكان القمر..قال ابن عباس رضى الله عنهما: إحداهما بيضاء كبياض النهار والأخرى سوداء كسواد الليل فكان يعرف بهما مواقيت الصلاة، فإذا أمسوا غلب سواد هذه بياض هذه، وإذا أصبحوا غلب بياض هذه سواد هذه.

* (وقد) أشار الرازى إلى ملاحظة هامة، فقال: (فإن) قيل كيف يليق بحكمة الله إغراق الأطفال بدون ذنب ؟ (فالجواب): قال كثير من المفسرين: إن الله تعالى منع نساءهم من الحمل أربعين سنة، فلم يغرق إلا من عمره أربعون سنة.. ثم استشكله بإغراق البهائم والطير... قال: والصحيح أنه أغرق الأطفال لم يكن ذلك عقوبة لهم كالطير والبهائم.. قال مؤلفه رحمه الله: وفى النفس من قوله: ولم يكن ذلك عقوبة شىء لقوله تعالى:﴿**وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**﴾ [نوح: ٢٧].. ثم يقول تحت عنوان:

(فائدة)

رأيت فى الوجوه المسفرة عن اتساع المغفرة: قال النبى ﷺ: «**أمان أمتى من الغرق إذا ركبوا السفن أن يقولوا بسم الله الملك الرحمن**»: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا**

(١) وهى التى تسمى بالداية.. أى المولدة.

يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر:٦٧] ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١].

(ثم) يقول: ورأيت فى بستان الواعظين لابن الجوزى عن الحسن البصرى قال: ما من عبد يدفن إلا دخل عليه ملك فى قبره معه قرطاس وقلم فيقول اكتب عملك، فيكتب عمله وإن كان غير كاتب، فإن كان من أهل السعادة فأول ما يجرى به القلم: بسم الله الرحمن الرحيم بإذن الله تعالى فيأمن من عذاب القبر.

* (ثم) قال فى فائدة أخرى: يكتب لبكاء الأطفال: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ﴾[المرسلات:٣٥]، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ [طـه: ١٠٨]، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ [يـس: ٦٥].

* (وقرأت) كذلك من فضائلها: أن زليخا لما غلقت على يوسف سبعة أبواب وهرب منها قال على كل باب: بسم الله الرحمن الرحيم فانفتح له.. وكذلك أبواب الجنة تفتح لقائلها بشرائطها إن شاء الله تعالى.

* (وقرأت) كذلك النص الآتى: مذهب الشافعى: أن البسملة آية من الفاتحة بلا خلاف ومن غيرها على الصحيح.. وهل البسملة قرآن على سبيل القطع أو على سبيل الحكم.. ؟

وجهان أصحهما الثانى فلا يكفر من نفاها ولا من أثبتها، وأما ثبوتها فى النمل فبالإجماع من نفاها كفر.. وأجمع المسلمون على حذفها من سورة (براءة) لأنها نزلت بالسيف والبسملة آية أمان والأمان والخوف لا يجتمعان.. وقيل: لأن (براءة) من جملة (الأنفال).. قال جعفر الصادق:

البسملة تيجان السور.. وقال الثلاثة: ليست بآية من أول السور.

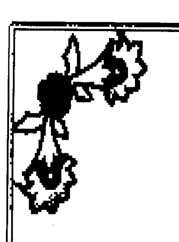
* (وتستحب) التسمية عند إرسال الصيد.. (فإن) تركها ولو عمدا حل الصيد.. عند الشافعى (وعند) أبى حنيفة: لو تركها ناسيا حل وإلا فلا.. ووافقه مالك فى صورة العمد.. وقد اختلفت الرواية عنه فى النسيان (وقال) الإمام أحمد: لا يحل بترك التسمية مطلقا فيكون كالميتة المجمع على تحريمها فى حق غير المضطر.. فإنه يأكل منها سد الرمق إن كفاه، أو كالخنزير الذى لا يحل أكله ولو لمضطر مع وجود ميتة أخرى

غير الآدامى.. فإن المضطر حينئذ يأكل من الخنزير ولا يأكل من ميتة الآدمى.. (قال) الرازى فى سورة المائدة: إنما حرم الله لحم الخنزير لأنه مطبوع على حرص عظيم ورغبة شديدة فى الشهوات والغذاء يتولد منه جزء من جنسه فى جوف الآكل.. فلذلك حرمه الله تعالى وأحل الشاة لأنها حيوان فى غاية السلامة من الأخلاق الذميمة..

** فعلى الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظ كل هذا.. مع الحرص الكامل على الانتفاع بالمراد منه من خلال ما جاء فى وصية الرسول ﷺ من إشارات وتنبيهات..

وذلك حتى يكون الطعام مباركا إن شاء الله تعالى.. لأنه كما علمنا قبل ذلك.. قد ورد فى الحديث الشريف: **«كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله فهو أبتر»** أى ناقص لا بركة فيه..

والله ولى التوفيق

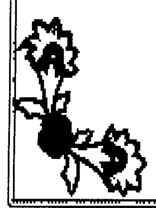
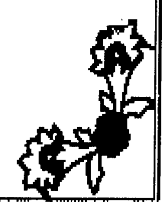



الوصية السابعة والستون بعد المائة

● عن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قال:

(إِنَّ هذا ٱلدين مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فيه برفق وَلَا تُبَغِّضْ إلى نَفْسِكَ عِبَادَةَ ٱللَّهِ تعالى، فَإِنَّ ٱلْمُنْبَتَّ لا أَرْضًا قَطَعَ، وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى).

أخرجه أحمد.

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التي ترغبنا جمعياً نحن المسلمين.. أو المؤمنين ـ من الذكور والإناث في أن نكون من أهل الوسطية والاعتدال وذلك حتى نكون بذلك من الذين يؤدون العبادات بدون جهد أو مشقة...

(وقد) قال الله تعالى في قرآنه: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] وقال تعالى: ﴿**طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى**﴾[طه:١، ٢]. وقال تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

كما ورد في السنة ما يرغب في الاقتصاد في الطاعة:

(فعن) عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة قال: «**من هذه ؟**» هذه فلانة تذكر من صلاتها، قال: «**مه**[1] **عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وكان أحب الدين إليه ما داوم صاحبه عليه** » متفق عليه.

فهذه المرأة ـ كما هو واضح من مضمون الحديث ـ كانت تحدث السيدة عائشة عن كثرة صلاتها... فلما فهم النبي ﷺ عنها هذا.. وأنها تجهد نفسها فوق طاقتها.. قال ما جاء في نص الحديث الذي معناه أن الله تعالى لا يقطع ثوابه عنكم وجزاء أعمالكم ويعاملكم معاملة المال حتى تملوا فتتركوا مواصلة الأعمال.. فينبغي لكم أن تأخذوا ما تطيقون الدوام عليه ليدوم ثوابه وفضله عليكم.

(وعن) أنس ﷺ قال: (جاء ثلاثة رهط [2] إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا كأنهم تقالُّوها [3]، وقالوا: أين نحن من النبي ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فأصلى [4] الليل أبداً، وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر وقال الآخر وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً، فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم**

(١) مه: كلمة نهى وزجر.
(٢) الرهط: مادون العشرة من الرجال لايكون فيهم امرأة.
(٣) أي: عدوها قليلة.
(٤) أي: أحيي الليل متهجداً.

لله[1] وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء: فمن رغب عن سنتى فليس منى)).

فهذا الحديث الصحيح معناه إجمالاً أن الثلاثة هؤلاء... بعد أن سألوا أزواج النبىﷺ ـوهن أمهاتهمـ عن عبادة النبىﷺ ... فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها..أى عدوها قليلة... لأنهم كانوا يتصورون عكس ما أُخبروا به ولهذا فقد قالوا ما وقفنا عليه بعد ذلك فى نص الحديث... فقال النبىﷺ لهم ولكل فرد من أفراد هذه الأمة فى كل زمان ومكان حتى لا يكون هناك تنطع فى الدين بتلك الصورة التى نراها الآن فى زماننا هذا... والتى كانت ولا تزال سبباً فى إثارة الفتن والقلاقل بين المسلمين.. وحسبهم أن النبىﷺ قد دعا عليهم بالهلاك فقال ـ فى حديث رواه مسلم عن ابن مسعودرضي الله عنه ـ: ((**هلك المتنطعون**)) قالها ثلاثاً والمتنطعون أى المتعمقون المشددون فى غير موضع التشديد.. (وقد) ورد كذلك (عن) أبى هريرةرضي الله عنه عن النبىﷺ أنه قال: ((**إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدُّلجة**)). رواه البخارى.وفى رواية له: ((**سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا،وشىء من الدلجة، القصد القصد تبلغوا**)).

وقد فسر الإمام النووى فى (رياض الصالحين) بعض أو أهم ما جاء فى نص هذا الحديث فقال: قوله: (الدين) هو مرفوع على مالم يسم فاعله. وروى منصوباً، وروى:(لن يشاد الدين أحد)

وقولهﷺ : (إلا غلبه): أى الدين وعجز ذلك المشاد عن مقاومة الدين لكثرة طرقه. (والغدوة): سير أول النهار (والروحة): آخر النهار (والدلجة): آخر الليل... وهذا استعارة وتمثيل، ومعناه: استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال فى وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذون العبادة ولا تسأمون وتبلغون مقصودكم، كما أن المسافر الحاذق يسير فى هذه الأوقات ويستريح هو ودابته فى غيرها فيصل المقصود بغير تعب، والله أعلم.

---

(١) أى: أخافه خوفاً مقروناً بالشعور بعظمته سبحانه...

وعلى هذا الأساس، فإننا نستطيع الآن أن نفهم المراد من قــول الرســول ﷺ للثلاثة الذين تقالوا عبادته: « **أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء: فمن رغــب عــن سنتي فليس مني** »: فإن القول المحمدي هذا معناه إجمالاً أن النبي ﷺ أراد أن يقــول لأفرادهم بل لكل فرد من أفراد المسلمين والمسلمات إلى أن يرث الله الأرض ومــن عليها.. إنه ليس بشرط لكي نكون من الذين يخشون الله ويتقونه.. أن نعذب أنفسنا بفعل المشقات، أو أن نحرم أنفسنا من المتع الحلالية التي أباحها الله تعالى لنا من زواج وطعام وشراب.. وراحة للجسد.. ثم قال لهم حتيقتدوا به كما أوصاهم الله تعــالي بهذا في قرآنه فقال:﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب:٢١] : «**إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصــوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء** » ثم قال لهم محذرا إياهم من مخالفة منهجه القويم: « **فمن رغب عن سنتي** [١] **فليس مني** » أي: ليس من أمته.. أو ليس مــن المهتدين بهديه.. ﷺ. علي سبيل الوعيد.

(وهذا) التنبيه معناه من الخير لنا أن نكون من أهل الوسطية والاعتدال حتي نؤدي لكل ذي حق حقة دون مشقة أو حرمان.. كما جاء في نص حديث ورد:

(عن) أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء فرأي أم الدرداء متبذلة [٢] فقال: مــا شــأنك ؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصــنع لــه طعاماً[٣] فقال له: كل فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتي تأكل فأكل.. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم [٤]، فقال له: نم، فنام ثم ذهب يقوم، فقال له: نم، فلما كان آخر الليل [٥] قال: سلمان: قم الآن.. فصليا جميعا [٦]، فقال له سلمان: إن لربــك

---

(١) رغب عن الشيء أي لم يُرده.
(٢) أي: لابسة ثوب المتهنة البذلة تاركة ثياب الزينة والجمال.
(٣) علي وجه القري وكرامة الضيف وإعزازه.
(٤) أي: يقوم الليل متهجدًا.
(٥) أي: عند السحر.
(٦) أي: وصلت الزوجة خلفهما..

عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «**صدق سلمان**». رواه البخاري.

وذلك لأن سلمان الفارسي رضي الله عنه بفعله هذا، وقوله هذا وضع النقط فوق الحروف بالنسبة لهذا الموضوع بصفة خاصة وعامة.. حتى يؤدي المسلم:

حق ربه: أي من العبادة بكل نشاط ودون فتور.

وحق نفسه: أي من الطعام الذي به تقوم بنيتها والمنام الذي يحصل به صحتها.. وإلا كان مُحطماً.. وحق أهله: أي زوجته بإتيانها وقضاء وطرها..وإلا فقدها حسيًا ومعنويا.

(وعن) أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: أخبر النبي ﷺ أني أقول: والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت.. فقال رسول الله ﷺ: «**أنت الذي تقول ذلك ؟**» فقلت له: قد قلته بأبي أنت وأمي يا رسول الله. قال: «**فإنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام فإن الحسنة بعشرة أمثالها وذلك مثل صيام الدهر**»، قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك ؟ قال: « **فصم يوماً وأفطر يومين** » قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك ؟ قال: « **فصم يوماً وأفطر يوماً فذلك صيام داود -عليه السلام- وهو أعدل الصيام** » وفي رواية: « **هو أفضل الصيام** » فقلت: فإني أطيق أفضل من ذلك ؟. فقال رسول الله رضي الله عنه: « **لا أفضل من ذلك** » ولأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ: « **أحب إلى من أهلي ومالي** » ، وفى رواية: « **ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل ؟** » قلت: بلى يا رسول الله، قال: « **فلا تفعل: صم وأفطر، ونم وقم، فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً، وإن لزورك** [1] **عليك حقاً، وإن بحسبك أن تصوم فى كل شهر ثلاثة أيام فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها فإن ذلك صيام الدهر** » فشددت فشدد على، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة ؟ قال: « **صم صيام نبى الله داود ولا تزد عليه** » قلت: وما كان صيام داود ؟ قال: « **نصف الدهر** »، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ وفى رواية: « **أَلَمْ أخبر أنك تصوم الدهر، وتقرأ**

---

(١) أي: ضيفك.

القرآن كل ليلة ؟ ›› فقلت: بلى يا رسول الله و لم أرد بذلك إلا الخير، قال: ‹‹ **فصم صوم نبى الله داود، فإنه كان أعبد الناس، واقرأ القرآن فى كل شهر** [١] ››، قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك ؟ قال: ‹‹ **فاقرأه فى كل عشرين** [٢] ››، قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك ؟ قال: ‹‹ **فاقرأه فى كل عشر** ›› قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك، فشددت [٣] فشدد على، وقال لى النبى ﷺ : ‹‹ **إنك لا تدرى لعلك يطول بك عمر** ››، قال: فصرت إلى الذى قال لى النبى ﷺ .فلما كبرت وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله ﷺ . (وفى) رواية: ‹‹ **وإن لولدك عليك حقًّا** [٤] ››. وفى رواية: ‹‹ **لا صام من صام الأبد** ›› ثلاثاً. (وفى) رواية: ‹‹**أحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود: كان ينام نصف الليل** [٥] **ويقوم ثلثه وينام سدسه، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى**[٦] ››. (وفى) رواية قال: أنكحنى أبى امرأة ذات حسب [٧] وكان يتعاهد كَنَّته ــ أى امرأة ولده ــ فيسألها عن بعلها [٨] فتقول له: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً و لم يفتش لنا كنفاً [٩] منذ أتيناه. فلما طال ذلك عليه ذكر ذلك للنبى ﷺ، فقال: ‹‹ **القنى به** ››، فلقيته ــ ﷺ ــ بعد فقال: ‹‹**كيف تصوم ؟**›› قلت: كل يوم، قال: ‹‹ **وكيف تختم ؟** ›› قلت: كل ليلة ــ وذكر نحو ما سبق ــ وكان يقرأ على بعض أهله السبع الذى يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل، وإذا أراد أن يتقوى أفطر يوماً وأحصى [١٠] وصام مثلهن كراهية أن يترك شيئاً فارق عليه النبى ﷺ.

كل هذه الروايات صحيحة معظمها فى الصحيحين، وقليل منها فى أحدهما.

---

(١) أى: اختمه فى كل شهر متهجداً بتلاوته.
(٢) أى: عشرين يومًا.
(٣) أى: على نفسى فطلبت زيادة.
(٤) أى: تكتسب لهم وتنفق عليهم
(٥) يستريح البدن من تعب أعمال النهار...
(٦) أى: إذا لاقى عدوًا فى ميدان الجهاد.
(٧) أى: ذات شرف بالآباء.
(٨) أى: زوجها.
(٩) أى: يكشف لنا ستراً... وقد عبرت بهذا عن امتناعه عن الجماع.
(١٠) أى: عدَّ ما أفطر من الأيام..

(ففى) هذا الحديث الأخير نستطيع جميعاً نحن المسلمين أن ندرك أهمية التخفيف على أنفسنا.. حتى نستطيع أن نواصل أداء العبادات ونحن فى تمام الصحة والعافية بتلك الصورة التى بها لن نكون بسبب عدم تنفيذها كهذا الصحابى الذى قال بعد أن كبر: يا ليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ...

(وذلك) لأنه ليس من الإسلام أن يجهد الإنسان نفسه فوق طاقته... كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦] بل.. من الإسلام أن يكون المسلم من أهل الوسطية والاعتدال...كما ورد فى النص الآتى:

(عن) أبى ربعى حنظلة بن الربيع الأسيدى الكاتب أحد كتاب رسول الله ﷺ قال: لقينى أبو بكر رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت نافق [1] حنظلة! قال: سبحان الله ما تقول ؟ قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار كأنا نراهما رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا [2] الأزواج والأولاد والضيعات [3] نسينا كثيراً. قال أبو بكر رضي الله عنه: فو الله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، فقلت: نافق حنظلة يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ: «**وما ذاك ؟**» قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة كأنا نراهما رأى العين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات نسينا كثيراً. فقال رسول الله ﷺ: « **والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة [4] وساعة [5]** » ثلاث مرات. رواه مسلم.

---

(١) أى: خاف على نفسه النفاق لما كان يحدث له من الخوف فى مجلس النبى ﷺ...

(٢) أى: مارسنا.

(٣) أى: المعايش.

(٤) أى: زمناً لأداء العبادة.

(٥) ووقتاً لما يحتاجه الإنسان.

ولهذا فقد ورد (عن) ابن عباس رضى الله عنهما، قال: بينما النبى ﷺ. يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم فى الشمس ولا يقعد ولا يستظل ولا يتكلم ويصوم. فقال النبى ﷺ: «**مروه فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه**». رواه البخارى.

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: دخل النبى ﷺ المسجد فإذا حبل ممدود بين الساريتين[1] فقال: « **ما هذا الحبل ؟** » قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت [2] تعلقت به. فقال النبى ﷺ: « **حلوه ليصل أحدكم نشاطه فإذا فتر فليرقد** » متفق عليه.

(وعن) عبد الله جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال: « كنت أصلى مع النبى ﷺ الصلوات فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً » رواه مسلم. (وقوله) قصداً: أى بين الطول والقصر.

(فهذا) الحديث الأخير يشير إلى المطلوب منا نحن المسلمين وهو القصد فى الأقوال والأفعال.. لأنه كما يقول العرب: (**حب التناهى شطط خير الأمور الوسط**).

(وقد) قرأت أن ابن عباس رضى الله عنهما سئل عن هذا النص العربى السابق: هل نجد مثله فى القرآن الكريم ؟ فقال: نعم، فى أربعة مواضع:

فى قوله تعالى فى وصف بقرة بنى إسرائيل: ﴿**قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ**﴾ [البقرة: ٦٨] أى وسط بين الكبر والصغر.

وفى قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ [الإسراء:٢٩] أى فتوسط بين الأمرين.

وفى قوله تعالى ﴿**وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ [الإسراء: ١١٠] وهذا السبيل هو الوسط.

وفى قوله تعالى فى وصف كرماء المؤمنين: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً**﴾ [الفرقان:٦٧] أى: وسطاً.

---

(١) عمودان من سوارى المسجد.

(٢) أى: كسلت عن القيام فى الصلاة

(هذا) وإذا كان المراد من هذه الوصية التى ندور حولها... هـــو أن لا يحمـــل الإنسان نفسه فوق طاقته.. وأن يسير فى الدين سيراً وسطاً لا غلو فيه ولا تكلف.. حتى لايعجز عن مواصلة العمل بهذا الدين... وربما تركه بسبب هذا التكلف الـــذى سيكون حتماً مجهداً له.. (هذا) هو المعنى المشار إليه فى قول الرســـول ﷺ: **((فـــإن المنبت لا أرضاً قطع، ولا ظهراً أبقى))**.

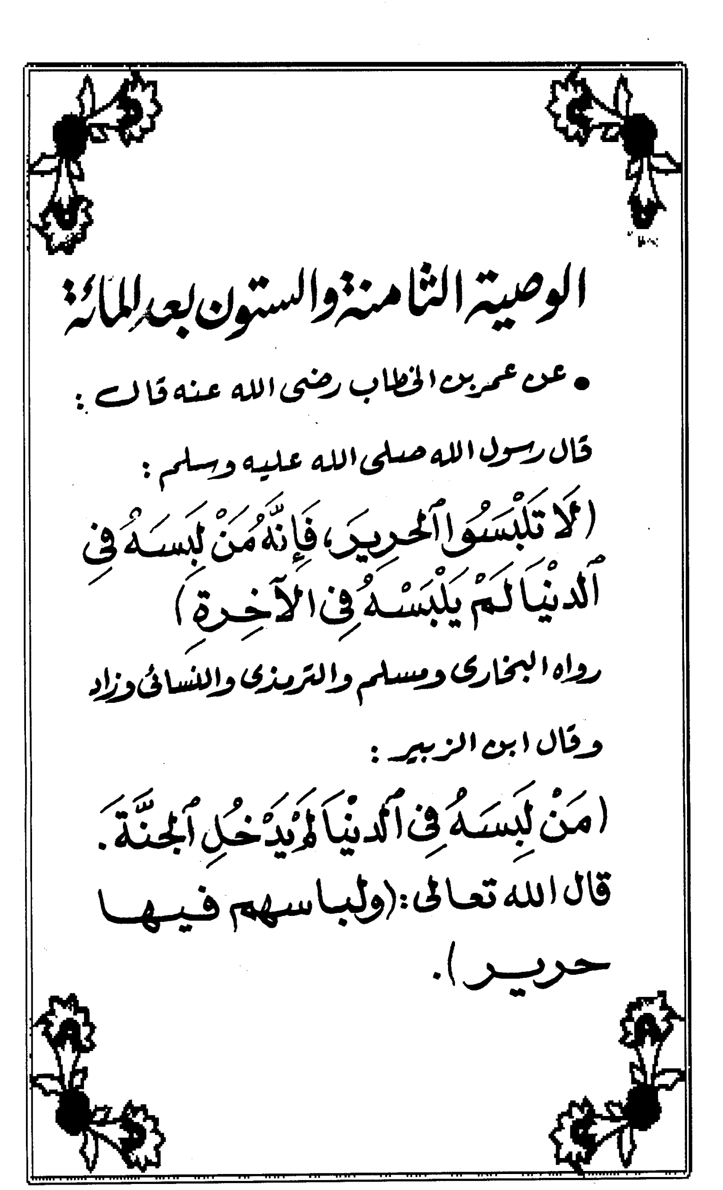
أى: من أجهد نفسه ودابته حتى هلكت منه أثناء الطريق فلم يصل إلى غايته، و لم يقض وطره، وأعطب دابته.

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ هذا المعنى الكبير الذى ينبغى أن ينفذ المراد منه حتى لا يكون مخالفاً للنص العظيم الذى قال فيه الرسول ﷺ: ((**إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى..**))

(وعليه) كذلك أن يستعين بالله تعالى على عبادته حتى يلقاه.. لأنه كما يقول الشاعر:

إذا لم يكـــن عـــون مـــن الله للفـــتى ... فـــأول مـــا يجـــنى عليـــه اجتـــهاده

والله ولى التوفيق



الوصية الثامنة والستون بعد المائة

• عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

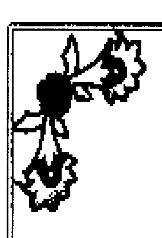
(لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة)

رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وزاد

وقال ابن الزبير :

(من لبسه فى الدنيا لم يدخل الجنة.

قال الله تعالى: (ولباسهم فيها حرير).

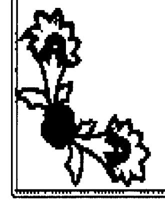
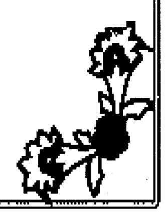



● وعنه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(إِنَّمَا يَلْبَسُ الْحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَه)

رواه البخاري وابن ماجه والنسائي في رواية:

(مَن لَا خَلاقَ لَهُ فِي الآخرة).

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية الموجهة إلى الرجال فقط.. مع ملاحظة أنه لا يلبس الحرير الخالص الذى هو من دودة القز إلا من لا خلاق له من الرجال..وقد جاء فى النص الذى ندور حوله.. بالإضافة إلى غيره ما يؤكد هذا:

(فعن) عمر بن الخطاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تلبسوا الحرير، فإنه من لبسه فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة** ». رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وزاد وقال ابن الزبير: من لبسه فى الدنيا لم يدخل الجنة قال الله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ**﴾ [الحج: ٢٣]

وعنه ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنما يلبس الحرير من لا خلاق له** » رواه البخارى وبن ماجة والنسائى فى رواية: «**من لا خلاق له فى الآخرة** ».

(ومع) ملاحظة أن النهى الوارد فى النص للتحريم..

(وأن) معنى قولهﷺ:« **لم يلبسه فى الآخرة** » أى: أن من لبسه فى الدنيا حرم من لبسه فى الجنة..

(ومعنى)، (من لاخلاق له) أى: لاحظ له ولا نصيب فى نعيم الآخرة... وهذه الجملة تفيد قصر لبس الحرير على هؤلاء الذين لاخلاق لهم من الرجال.

(وحتى) يتضح لنا أهمية هذا النهى... وضرورة تنفيذ المراد منه بالنسبة للرجال.. حتى لا يكونوا من الذين لا خلاق لهم.. (فإننى) أرى أن ألخص للأخ المسلم ما جاء فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام [1]) للدكتور يوسف القرضاوى ــ أكرمه الله تعالى ــ تحت عنوان:

الذهب والحرير الخالص حرام على الرجال

حيث يقول: وإذا كان الإسلام قد أباح الزينة بل طلبها، واستنكر تحريمها:﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [الأعراف: ٣٢]: فإنه حرم على الرجال نوعين من الزينة ــ على حين أحلّهما للإناث:

---

(١) فى صفحة ٨٦ وما بعدها بتصرف.

أولهما: التحلي بالذهب.

وثانيهما: لبس الحرير الخالص.

(فعن) على كرم الله وجهه قال: أخذ النبي ﷺ حريراً فجعله في يمينه، وأخذ ذهباً فجعله في شماله، ثم قال: ((**إن هذين حرام على ذكور أمتى**)) رواه أحمد وأبو داود والنسائى وابن حبان وابن ماجه وزاد ابن ماجه: ((**حل لإناثهم**)).

ورأى النبي ﷺ خاتماً من ذهب فى يد رجل، فنزعه، وطرحه، وقال: ((**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده**)) فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به. قال: لا والله، لا آخذه وقد طرحه رسول الله ﷺ. رواه مسلم.

(ومثل) الخاتم ما نراه عند المترفين من قلم الذهب، وساعة الذهب، وقداحة ـ ولاعة ـ الذهب، وعلبة الذهب للسجائر، والفم الذهب [1]..الخ.

(أما) التختم بالفضة [2] فقد أباحه عليه السلام للرجال. (روى) البخارى عن ابن عمر قال: اتخذ رسول الله ﷺ خاتماً من ورق ـ أى فضة ـ وكان فى يده، ثم كان بعد فى يد أبى بكر، ثم كان بعد فى يد عمر، ثم كان فى يد عثمان، حتى وقع بعد فى بئر أريس. رواه البخارى فى كتاب اللباس.

(أما) المعادن الأخرى كالحديد وغيره فلم يرد نص صحيح يحرمها، بل ورد فى صحيح البخارى أن الرسول ﷺ قال للرجل الذى أراد تزوج المرأة الواهبة نفسها[3]: ((**التمس ولو خاتماً من حديد**))، وبه استدل البخارى على خاتم الحديد.

(ورخص) فى لبس الحرير إذا كان لحاجة صحية، فقد أذن عليه الصلاة والسلام بلبسه لعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام رضى الله عنهما لحكة[4] كانت بهما. راوه البخارى.

---

(١) وهو الذى يستعمل فى شرب الدخان.. وهو بضم الفاء.

(٢) أى: لبس الخاتم الفضى للرجال

(٣)وهى المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى:﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠] .

(٤) الحكة بالكسر: أى الجرب (مختار الصحاح).

ثم يقول بعد ذلك تحت عنوان:

حكمة تحريمهما على الرجال

وقد قصد الإسلام بتحريم هذين الأمرين على الرجال هدفاً تربوياً وأخلاقيًا نبيلاً، فإن الإسلام ـ وهو دين الجهاد والقوة ـ يجب أن يصون رجولة الرجل من مظاهر الضعف والتكسر والانحلال. والرجل الذى ميزه الله بتركيب عضوى، وغير تركيب المرأة، لا يليق به أن ينافس الغانيات فى جر الذيول، والمباهاة بالحلى والحلل. ثم هناك هدف اجتماعى وراء هذا التحريم: فتحريم الذهب والحرير جزء من نهج الإسلام فى حربه للترف عامة، فالترف فى نظر القرآن قرين للانحلال الذى نذير بهلاك الأمم، وهو مظهر للظلم الإجتماعى، حيث تتخم القلة المترفة على حساب أكثرية بائسة. وهو بعد ذلك عدو لكل رسالة حق وخير وإصلاح. والقرآن يقول: **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾** [الاسراء:١٦]. **﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾** [سبأ:٣٤].

وتطبيقاً لروح القرآن حرم النبى ﷺ كل مظاهر الترف فى حياة المسلم، فكما حرم الذهب والحرير على الرجال، حرم على الرجال والنساء جميعاً استعمال أوانى الذهب والفضة ومفارش الحرير الخالص فى البيت المسلم، وتهدد النبى عليه الصلاة والسلام من ينحرف عن هذا الطريق بالوعيد الشديد. (روى) مسلم فى صحيحه عن أم سلمة رضى الله عنها: « **إن الذى يأكل ويشرب فى آنية الذهب والفضة إنما يجرجر**[1] **فى بطنه نار جهنم** ». رواه مسلم.

(وروى) البخارى عن حذيفة قال: « **نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب فى آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه، وقال: هو لهم ـ أى الكفار ـ فى الدنيا ولنا فى الآخرة** ». رواه البخارى. وما حرم استعماله حرم اتخاذه تحفة وزينة. وهذا التحريم للأوانى والمفارش ونحوها تحريم على الرجال والنساء جميعاً، فإن حكمة التشريع هذا هو تطهير البيت نفسه من مواد الترف الممقوت... إلخ [2]

(١) الجرجرة: صوت وقوع الماء فى الجرف.

(٢) ارجع إلى هذه الجزئية فى (الحلال والحرام) نفس المرجع ص ١٠٢ وما بعدها.

وبعد هذا وذاك، هناك اعتبار اقتصادى له وزنه كذلك، فإن الذهب هو الرصيد العالمى للنقد، فلا ينبغى استعماله فى مثل الأوانى أو حلى الرجال. ثم يقول بعد ذلك مشيراً إلى:

حكمة إباحة الذهب والحرير الخالص للنساء

وإنما استثنى النساء من هذا الحكم، مراعاة لجانب المرأة ومقتضى أنوثتها وما فطرت عليه من حب الزينة، على أن لا تكون همها من زينتها إغراء الرجال، وإثارة الشهوات. وفى الحديث: « **أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية، وكل عين زانية** » رواه النسائى وابن خزيمة وابن حبان فى صحيحيهما.

وقال تعالى محذراً للنساء: ﴿وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ [النور:٣١].

ثم يقول بعد ذلك مشيراً إلى أمر هام، وهو:

لباس المرأة المسلمة

وقد حرم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشف عما تحته من الجسد، ومثله ما يحدد أجزاء البدن، وبخاصة مواضع الفتنة منه، والثديين والخصر والإلية ونحوها.

(وفى) الصحيح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس** (١)**، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رءوسهن كأسنمة البخت** (٢) **المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** » رواه مسلم.

كما أشار بعد ذلك إلى موضوع هام.. تحت عنوان:

تشبه المرأة بالرجل والرجل بالمرأة:

فقال كلاماً هاماً لابد أن يلاحظه الأخ المسلم والأخت المسلمة.. وهو: أن النبى ﷺ أعلن أنه من المحظور على المرأة أن تلبس لبسة الرجل، ومن المحظور على الرجل أن

(١) إشارة إلى الحكام الظلمة أعداء الشعوب.

(٢) والبخت نوع من الإبل.

يلبس لبسة المرأة [1]. ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال [2]. ويدخل فى ذلك المتشبه فى الكلام والحركة والمشية واللبس وغيرها...

(فعلى) الأخ المسلم والأخت المسلمة أن يلاحظا كل هذا وينفذا المراد منه حتى لا يفعلا ما نهى الله ورسوله عنه...

وعلى الأخ المسلم ـ بصفة خاصة ـ أن ينفذ المراد من وصية الرسول ﷺ ـ التى ندور حولها ـ وإياه إياه أن يلبس الذهب أو الحرير الخالص.. حتى لا يكون مترفاً بهذا المعنى الذى وقفنا عليه فى هذا العرض الموجز... (وذلك) لأنه من المفروض عليه كرجل أن يكون خشناً وغير مدلل بتلك الصورة التى أشار إليها الشاعر [3] فى قوله:

شباب النيل يا زين الشباب ويا أشبال آساد غضاب
معى عتب أوجهه إليكم وقد تصفو المودة بالعتاب

إلى أن يقول بعد ذلك واصفاً هؤلاء الشباب الذين يوجه إليهم عتابه عسى أن يثوبوا إلى رشدهم، ويكونوا رجالاً يخشي بأسهم إذا دعي الجهاد للدفاع عن الدين والبلاد:

لزهر النرد [4] قد خُلقت يداه وليست لليراع [5] وللكتاب
تفنن في محاكاة العذاري [6] وخالفهن في وضع النقاب [7]
وأرسل شعره المضغوط يحكي وميض البرق أو لمع السَّراب [8]
له حلل تحاكي الطيف لونا بأزرار من الذهب اللباب [9]

---

(١) وذلك حتى يتميز الرجل والمرأة بتلك الصورة المناسبة لكل منهما..

(٢) كما ورد فى السنة.

(٣) وهو الأستاذ محمود غنيم رحمه الله.

(٤) وهو الزهر الذي يلعب به في (الطاولة) أو غيرها.

(٥) واليراع: أي القلم.

(٦) أي: الفتيات المتبرجات.

(٧) إنه يقول هذا يوم أن كان هناك نقاب تتزين به المرأة المصرية والمسلمة بصفة خاصة.

(٨) السراب: هو الذي تراه نصف النهار كأنه ماء (مختار الصحاح).

(٩) أي: من الذهب الخالص.

ثم يقول بعد ذلك كلاماً له أبعاده التي لابد وأن نفكر فيها حتى نسأل الله تعالى أن يعيد إلى الشباب صوابه:

إذا الذئب استحال بمصر ظبياً فمن يحمي البلاد من الذئاب

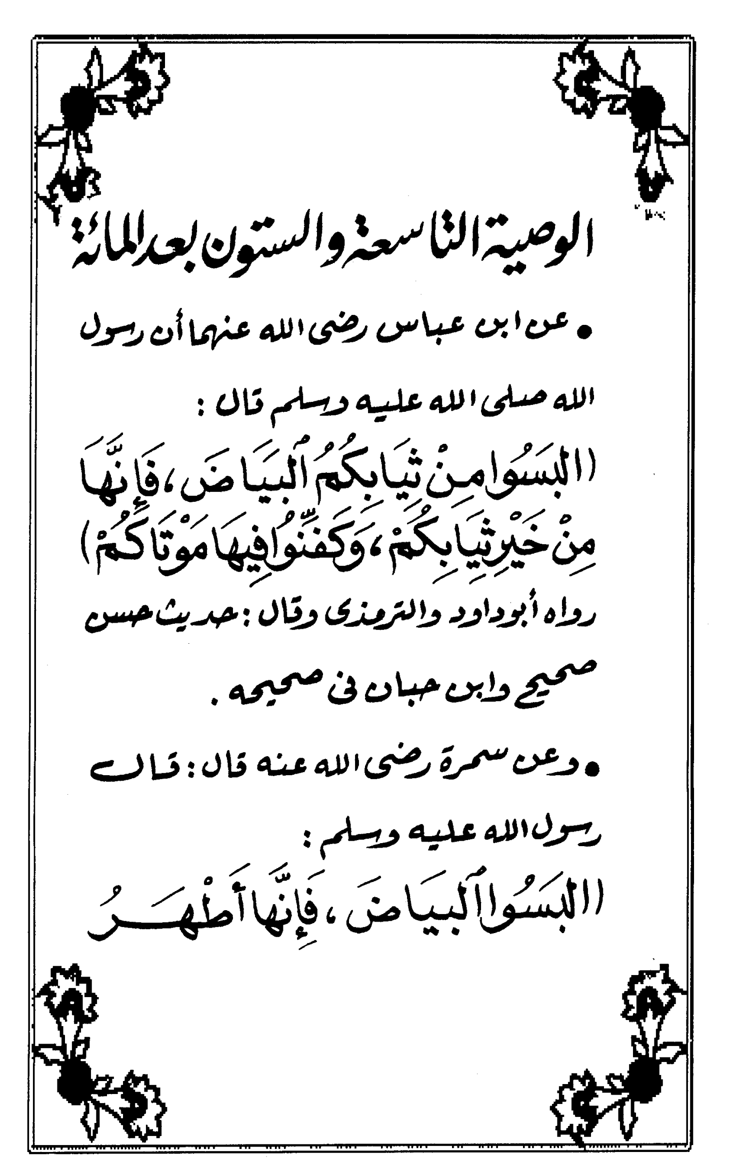
برئتُ من الفتى يبدو فتبدو عليه نعومة البيض الكعاب

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا جميعاً بهذا التذكير.. حتى نكون إن شاء الله ـ نحن الرجال ـ من الرجال الحقيقيين المشار إليهم في قول الله تعالى: ﴿**رِجَالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ*لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [النور ٣٧: ٣٨].

أو على الأقل نكون من المتشبهين بهم في مظهرهم وفي مخبرهم..كما يشير أحدهم إلى هذا في قوله:

وتشبَّهوا إن لمْ تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

والله ولي التوفيق



الوصية التاسعة والستون بعد المائة

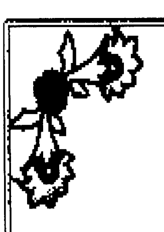
• عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُمُ الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ)

رواه أبوداود والترمذى وقال : حديث حسن صحيح وابن حبان فى صحيحه .

• وعن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله عليه وسلم :

(الْبَسُوا الْبَيَاضَ، فَإِنَّهَا أَطْهَرُ





وَأَطيبُ ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُم) .

رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

والنسائي وابن ماجه والحاكم وقال : صحيح على شرطهما .

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية.. التي مضمونها أنه من الخير لنا أن نـؤثر الثيـاب البيضاء علي غيرها في نحو قميص أو عمامة أو إزار.. مع ملاحظة كذلك أن الأمـر فيها – كما جاء فى نص الوصية – للندب، وذلك لأنها من خير ثيابنـا وأطهرهـا وأطيبها.. ولهذا، فقد قال الرسول ﷺ – بالإضافة إلى نص الوصية التى ندور حولها – فى حديث رواه سمرة ﷺ : « **البسوا البياض، فإنها أطهر وأطيب، وكفنوا فيها موتاكم** » رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح، والنسائى وابن ماجة والحاكم وقال: صحيح على شرطيهما.

للندب المؤكد، أى أنه يكره التكفين فى غير أبيض... وقوله ﷺ: (فإنها أطهـر وأطيب): تعليل للأمر بلبسها... وإنما كانت أطهر لأنها تحكى مـا يصـيبها مـن النجاسة عيناً أو أثراً، يعنى أن لونها يظهر لون النجاسة [1].. وإنما كانـت أطيـب لدلالتها على التواضع والتخشع وعدم الكبر والعُجب...

(وأحب) أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة التى تشـير إلى أن النبى ﷺ – وهو قدوتنا – كان يلبس غير البياض الذى كان خير ثيابه:

(فعن) البراء ﷺ قال « **كان رسول الله ﷺ مربوعاً** [2]**، ولقد رأيته فى حلة حمراء ما رأيت** [3] **شيئاً قط أحسن منه** ». متفق عليه.

(وعن) أبى جحيفة وهب بن عبد الله ﷺ قال: « **رأيت النبى ﷺ بمكة وهو بالأبطح** [4] **فى قبة** [5] **له حمراء من أدم** [6] **فخرج بلال بوضوئه** [7]**، فمن ناضح**[8]

---

(١) وقد قال أحد الشعراء مشيراً إلى هذا:
إن البياض قليل الحمل للدنس.
(٢) أى: كان وسطاً بين الطول والقصر.
(٣) أى: كما علمت، أى انفرد ﷺ بالمحاسن من جميع الخليقة.
(٤) المحصب ويقال له البطحاء.
(٥) خيمة.
(٦) وهو جلد مدبوغ.
(٧) أى: الماء المعد لوضوئه.
(٨) أى: مبتل أصابه بعض البلل.

ونائل[1]، **فخرج النبى ﷺ وعليه حلة حمراء كأنى أنظر إلى بياض ساقيه فتوضأ وأذن بلال، فجعلت أتتبع فاه ههنا وهاهنا، يقول يميناً وشمالاً: حى**[2] **على الصلاة حى الفلاح، ثم ركزت له غنزة** [3]**، فتقدم فصلى يمر بين يديه الكلب والحمار لا يمنع**)).. متفق عليه.

(وعن) أبى رمثة رفاعة التميمى رضي الله عنه قال: ((**رأيت رسول الله ﷺ وعليه ثوبان أخضران**)). رواه أبو داود، والترمذى بإسناد صحيح.

(وعن) جابر رضي الله عنه (أن رسول الله ﷺ دخل يوم فتح مكة وعليه عمامة سوداء[4]). رواه مسلم.

(وعن) أبى سعيد عمرو بن حريث رضي الله عنه قال: (**كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه**) رواه مسلم، وفى رواية له أن رسول الله ﷺ خطب الناس فى عمامة سوداء.

قال الشيخ: ولبسه السواد حينئذ تنبيهًا على عدم المنع منه.. وفيه استحباب إرخاء طرفى العذبة بين الكتفين.

(وهذا) معناه الجواز بالنسبة لغير البياض.. اللهم إلا إذا كان الغير هذا من المحرم المنهى عنه، وهو الحرير الخالص ــ الذى هو من دودة القز ــ كما علمنا قبل هذا.. على الذكور دون الإناث.. (فعن) أبى موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ((**حرم لباس الحرير والذهب على ذكور أمتى، وأحل لإناثهم**)) رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح..

(وعن) أنس رضي الله عنه قال: ((رخص رسول الله ﷺ للزبير وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما فى لبس الحرير لحكة [5] كانت بهما)) متفق عليه.

---

(١) أى: أصاب وصول الماء إلى أعضائه الشريفة.

(٢) أى: أقبلوا.

(٣) أى: غرزت.. وهى تشبه الحربة.. أو نحو العكازة.

(٤) إشارة إلى أن هذا الدين لا يتغير.

(٥) حكة: أى جرب.

(وقد) روى حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قـال: « **لا تلبسوا الحرير ولا الديباج**[1] **ولا تشربوا فى آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا فى صحافها** [2] **فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة** » أخرجه السبعة، قال ابن منده: مجمع على صحته.

(وعن) أم سلمة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قـال: «**إن الذى يأكل أو يشرب فى إناء الذهب والفضة، إنما يجرجر** [3] **فى بطنه نار جهنم** » أخرجه مسلم.

(وعن) أنس ﷺ قال رسول الله ﷺ: « **من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة** » متفق عليه. والمراد بالحرير، أى المحض، وكذا المركب منه ومن غيره، والحرير الأكثر وجوداً.

(وعن) عمر ﷺ قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن لبس الحرير إلا موضع إصبعين، أو ثلاث، أو أربع** » متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وقد أخرج الحديث ابن أبى شيبة من هذا الوجه بلفظ: « **إن الحرير لايصلح إلا هكذا أو هكذا**» يعنى أصبعين أو ثلاثا أو أربعاً.ومن قال المراد أن يكون فى كل كم إصبعان فإنه يرده رواية النسائى: (**لم يرخص فى الديباج** [4] **إلا فى موضع أربع أصابع**)، وهذا أى الترخيص فى الأربع أصابع مذهب الجمهور، وعن مالك فى رواية منعه، وسواء كان منسوجاً أو ملصقاً، ويقاس عليه الجلوس [5]...

(هذا) ولما كان الحديث الذى ندور حوله يشير إلى ما ينبغى أن نكفن فيه موتانا.. من الذكور والإناث.. فقد رأيت أن أقف مع الأخ القارئ.. على أهم ما جاء فى (الدين الخالص) ج٨_مختصراً _ تحت عنوان:

---

(١) الديباج: ثوب سداه ولحمته من الحرير.

(٢) الصحافة بكسر أوله: جمع صحفة وهى إناء كالقصعة.

(٣) يجرجر بضم أوله: يجر عها جرعا متواصلا.

(٤) الديباج: هو ما غلظ من ثياب الحرير.

(٥) انظر (سبل السلام) باب اللباس ص٥٢٣.

تكفين الميت

فقد ذكر أنه فرض كفاية بالإجماع لقوله ﷺ ـ فى شأن المحرم الذى وقصته ناقته: ((**وكفنوه فى ثوبيه**)) الحديث أخرجه السبعة.. (ويقدم) على الدَّين والوصية..
فإن كان الميت موسراً كُفِّن من ماله، وإلا فكفنه على من تلزمه نفقته إلا الزوج فلا يُلزم بكفن امرأته عند محمد بن الحسن وأحمد وهو مشهور مذهب مالك وصححه الماوردى وغيره من الشافعية...(فيجب) كفنها من مالها لأنها بالموت صارت أجنبية فلا يلزم الرجل كفنها.

(وقال) أبو حنيفة وأبو يوسف يلزم الرجل كفنها ولو تركت مالاً وعليه الفتوى وهو الأصح عن الشافعية، وروى عن مالك، لأنه تابع للمؤنة كالكسوة، فمن لزمه كسوتها فى الحياة يلزمه كفنها بعد الوفاة كالأَمَة [1] مع السيد.

(فإن) لم يكن للميت مال ولا زوج ولا منفق فكفنه فى بيت المال. فإن لم يعط ظلماً أو عجزاً فعلى الناس. ولا يشترط كون التكفين من مكلف حتى لو كفنه صبى أو مجنون أجزأ لوجود المقصود

(وحكمة) وجوب التكفين أن ستر الإنسان واجب فى الحياة فكذا بعد الموت.

(ثم) إن الكلام فى الكفن ينحصر فى عشرة فصول: فإليك خلاصة تلك الفصول التى أرجو أن تكون منفذاً لها.

أولاً: أنه يستحب فى الكفن أن يكون أبيضاً، - بنص الأحاديث الواردة فى هذا ـ كما يستحب تطييب الكفن وتراً، بأن يدار بالمجمر وفيه العود مرة أو ثلاثاً أو خمساً على الكفن بعد أن يرش عليه ماء الورد لتعلق الرائحة به (لحديث) جابر أن النبى ﷺ قال: ((**إذا أجمرتم** [2] **الميت فأجمروه ثلاثاً**)) أخرجه أحمد والبزار والحاكم وقال حديث صحيح على شرط مسلم. وأخرجه البيهقى بلفظ: ((**إذا أجمرتم الميت فأوتروا**)). وروى: ((**أجمروا كفن الميت ثلاثاً**)).

---

(١) أى: الجارية المملوكة لسيدها ملك يمين.

(٢) (أجمرتم الميت) أى بخرتم كفنه أو بدنه بالطيب.

(وهذا) فى حق غير المحرم فلا يخر كفنه لحديث ابن عباس أن رجلاً كان مع النبى ﷺ فوقصته ناقته [1] وهو محرم فمات، فقال النبى ﷺ: « **غسلوه بماء وسدر وكفنوه فى ثوبيه ولا تمسوه بطيب ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة مُلبياً**» أخرجه السبعة.

(ويستحب) تحسين كفن الميت بتنظيفه وكونه متوسطاً ساتراً الميت غير مُحرم[2] استعماله.

(لحديث) جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: « **إذا كفن أحدكم أخاه فليحْسن كفنه** » أخرجه السبعة إلا البخارى.

(وينبغى) تجنب المغالاة فى الكفن (روى) عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال عند موته: ابتاعوالى كفناً، فأتى بحلة [3] ثمنها ثلثمائة وخمسين درهماً فقال: لا حاجة لى بها، اشتروا لى ثوبين أبيضين ولا عليكم ألا تغالوا فإنهما لم يتركا على إلا قليلاً حتى أبدل بهما خيراً منهما أو شراً منهما). أخرجه ابن شيبة والحاكم والبيهقى.

(والثوب) الغسيل والجديد سواء عند الحنفيين (لقول) عائشة: دخلت على أبى بكر رضي الله عنه فقال: فى كم كفنتم النبى ﷺ ؟ قالت: فى ثلاثة أثواب بيض سحولية [4] ليس فيها قميص ولا عمامة. وقال لها: فى أى يوم توفى النبى ﷺ ؟ قالت: يوم الإثنين: قال: فأى يوم هذا ؟ قالت يوم الإثنين. قال: أرجو فيما بينى وبين الليل [5] فنظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه به ردع [6] من زعفران، فقال: اغسلوا ثوبى هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفنونى فيهما. قلت: إن هذا خلق [7] قال: إن الحىّ أحق بالجديد من الميت. إنما هو للمهلة [8]، فلم يُتَوفَّ حتى أمسى من ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح. أخرجه البخارى.

---

(١) أى: دقت عنقه.

(٢) أى: غير حرير...

(٣) الحلة: ثوبان.

(٤) نسبة إلى سحول قرية باليمن.. والسحولية ثياب بيض نقية.

(٥) أى: أرجو الوفاة فى هذا الوقت ليوافق يوم وفاة النبى ﷺ .

(٦) ردع بفتح وسكون أى لطخ لم يعمه كله.

(٧) أى: قديم.

(٨) المهملة بتثليث الميم وسكون الهاء: القيح يسيل من الجسد.أى المستعمل.. على أن يغسل قبل التكفين به.

(وقالت) المالكية والشافعية: الغسيل فى الكفن أفضل (لقول) عبادة بن نسى: لما حضرت أبا بكر الوفاة قال لعائشة: اغسلى ثوبى هذين وكفنيني بهما فإنما أبوك أحد رجلين: إما مكسور أحسن الكسوة أو مسلوب أسوأ السلب. أخرجه عبد الله بن أحمد فى زوائد كتاب الزهد.

(وقالت) الحنبلية يجب أن يكون الكفن جديدًا إلا أن يوصى الميت بغيره فتمتثل وصيته كما ورد عن الصديق، وبه قال الجمهور (لحديث) عائشة أن أبا بكر ﷺ قال لها: يا بنية أى يوم توفى النبى ﷺ؟ قلت: يوم الإثنين. قال فى كم كفنتم النبى ﷺ؟ قلت: يا أبت كفناه فى ثلاثة أثواب بيض سحولية جدد يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة أدرج فيها إدراجاً. أخرجه أحمد والبيهقى.

(ثم) يقول تحت عنوان:

ما يكون منه الكفن

يكفن الميت فيما يحل له لبسه حياً، فلا يكفن الرجل فى الحرير إلا إذا لم يوجد غيره لكن لا يزاد على ثوب. (وأما) المرأة فيكره تكفينها فى الحرير عند وجود غيره عند الجمهور لأن فيه سَرفاً وإضاعة المال بخلاف اللبس فى الحياة فإنه تجمل للزوج (وقيل) يجوز تكفينها فيه. والأشبه الحرمة لما فيه من السرف والمغالاة المنهى عنها. قال أحمد: لايعجبنى أن تكفن المرأة فى شئ من الحرير [1]

(وأما) المعصفر والمزعفر فيكره تكفينها فيه عند الشافعى وأحمد ولا يكره عند الحنفيين ومالك، ويعتبر فى الكفن المباح حال الميت فإن كان غنياً فمن جياد ثيابه، وإن كان متوسطاً فمن أوسطها، وإن كان فقيراً فبحسب حاله. [2]

(ثم) يقول تحت عنوان:

كفن النبى ﷺ

كفن النبى ﷺ فى ثلاثة أثواب بيض يمنية من قطن (قالت) عائشة: كفن النبى ﷺ فى ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية، من كرسف [3] ليس فيها قميص ولا عمامة. أخرجه الستة والبيهقى [4].

---

(١) انظر ص٣١٣ج٢ مغنى ابن قدامة

(٢) انظر ص١٩٧ج٥ مجموع النووى.

(٣) الكرسف بضم فسكون: القطن.

(٤) انظر ص ٨٧ج٣ فتح البارى، وص٧ج٧ النووى، وص ٣١ج٨ لمنهل العذب.... وانظر هامش الدين الخالص ج٨ص٢٦٠.

وهذا هو الصحيح الثابت فى كفن النبىﷺ وما خالفه ضعيف لا يحتج به.

قال الترمذى: حديث عائشة أصح الأحاديث التى رويت فى كفن النبىﷺ والعمل عليه عند أكثر أهل العلم. (1)

(ثم) يقول تحت عنوان:

كفن الرجل

أقله ثوب يستر جميع البدن (لقول) خباب بن الأرت: إن مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك نمرة (2) فكنا إذا غطينا بها رأسه خرجت رجلاه، وإذا غطينا رجليه خرج رأسه، فقال النبىﷺ : « **غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الإذخر** » أخرجه البيهقى والسبعة إلا ابن ماجة.

(ولهذا) قال الحنفيون ومالك وأحمد: أقل الكفن مايستر جميع بدن الميت ذكراً كان أو أنثى.وما دون ذلك لايسقط به فرض الكفاية عن المسلمين وبه جزم المحققون من الشافعية (وقال) العراقيون

منهم: أقل الكفن ما يستر العورة، لأن النبىﷺ كفن يوم أحد بعض القتلى بنمرة(3) فدل ذلك على أنه يجزئ فيه ما وارى العورة (4)... إلى أن يقول بعد ذلك _ فى الدين الخالص _ تحت عنوان:

كفن السنة

السنة فى كفن الذكر البالغ والمراهق عند الحنفيين:

ثلاثة أثواب قميص وإزار ولفافة.فالقميص من العنق للقدم بلا كُمين ولا فتحة صدر ولا دخريص وهو المعروف بالجنن فلا يوسع أسفله بخلاف قميص الحى.والإزار من القرن (الرأس) إلى القدم على المشهور، واللفافة يلف بها من القرن إلى القدم (لحديث) أنس بن مالك أن النبىﷺ كفن فى ثلاثة أثواب أحدها قميص.أخرجه الطبرانى فى الأوسط بسند جيد.

---

(1) انظر ص33 ج2 تحفة الأحوذى.

(2) بفتح فكسر: شملة بها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف يلبسها الأعراب.

(3) وهو مصعب بن عميرؓ _ كما عرفنا قبل ذلك.

(4) انظر ص192ج5 مجموع النووى.

(وتكره) الزيادة على الثلاث لأنه سرف، ولأن النبى ﷺ كفن فى ثلاثة أثـواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة كما تقدم (وقيل): لا بأس بالزيادة على ثلاثة إلى خمسة (لحديث) ابن عمر أنه كفن ابنه واقداً فى خمسة أثواب: قميص وعمامة وثلاث لفائف، وأدار العمامة إلى تحت حنكه. خرجه سعيد ابن منصور فى سننه.

(وقالت) الشافعية والحنبلية: السنة فى كفن الرجل ثلاث لفائف بيض تعم جميـع البدن سوى رأس المحرم. والأفضل أن لا يكون فيها قميص ولا عمامة، لأن النبى ﷺ كفن فى ثلاثة أثواب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة.

(ولا يكره) زيادة قميص عليها ولا تكفينه فى قمـيص بكمـين وإزار ولفافـة (لحديث) نافع عن ابن عمر أن عبد الله بن أبى لما توفى جاء ابنه إلى النبى ﷺ فقـال: أعطنى قميصك أكفنه فيه وصل عليه واستغفر له. فأعطاه النبى ﷺ قميصه (الحديث) أخرجه الشيخان.

(ولا يكره) أيضاً عند الشافعية زيادة العمامة (لقول) نافع: إن ابنا لعبد الله بن عمـر مات فكفنه ابن عمر فى خمسة أثواب: عمامة وقميص وثلاث لفائف. أخرجه البيهقى.

(وتكره) الزيادة على ذلك لأنه سرف.

(وكذا) تكره العمامة عند الحنبلية فالأفضل عندهم أن يكفن الرجـل فى ثـلاث لفائف بيض ليس فيها قميص ولا عمامة ولا يزيد عليها ولا ينقص منها (وأما) إلباس النبى ﷺ عبد الله بن أبى قميصه، فإنما فعل ذلك تكرمة لابنه عبد الله ليتبرك به أبـوه ويندفع عنه العذاب ببركة قميص النبى ﷺ. (وقيل) إنما فعل ذلك جزاء لعبد الله بن أبى عن كسوته العباس قميصه يوم بدر [١].

(وقالت) الشافعية: فإن كان فى الكفن قميص وعمامة استحب جعلـها تحـت الثياب لأن إظهارها للزينة وليس الحال زينة...

(وقالت) المالكية: يندب أن يكفن الرجل فى خمسة: إزار وقميص ولفافتين وعمامة لها عذبة نحو الذراع ترسل على وجهه لما تقدم أن ابن عمر كفن ابنه فى خمسة أثواب منها عمامة ...إلخ [٢].

(١) انظر ص٣٢٨، ٣٢٩ مغنى ابن قلامة.

(٢) ارجع إلى الدين الخالص ج٧ ص٢٦٦ وما بعدها.

(ثم) يقول بعد ذلك –في الدين الخالص– تحت عنوان:

كيف يكفن الرجل

كيفيته أن تبخر الأكفان بالطيب مرة أو ثلاثاً أو خمساً (لحديث) جابر أن النبى ﷺ قال: «**إذا أجمرتم الميت فاوتروا** »وروى : «**أجمروا كفن الميت ثلاثاً** »أخرجه البيهقى.

ثم تبسط اللفافة ؟ ثم الإزار عليها ويوضع الميت فى القميص، ثم يوضع الحنوط فى رأسه ولحيته، ويوضع الكافور على جبهته وأنفه ويديه وركبتيه وقدميه لما تقدم عن ابن مسعود: الكافور يوضع على مواضع السجود.أخرجه البيهقى وابن أبى شيبة ...

ثم يوضع الميت على الإزار فيلف عليه من جهة يساره ثم من جهة يمينه ليكون الأيمن على الأيسر كما فى حال الحياة، ثم تلف اللفافة عليه كذلك.ويجمع ما فضل عند رأسه فيرد على وجهه وما فضل عند رجليه عليهما ويربط الكفن إن خيف انتشاره، وإذا وضع فى القبر حل الرباط.

وأما عن:

كفن المرأة

فإن المرأة كالرجل فى أقل الكفن وكفن الضرورة– وهو ما يوجد– فالواجب فى كفنها ثوب ساتر جميع البدن عند الثلاثة. وعند الشافعى: ثوب ساتر العورة وهى جميع بدن الحُرة إلا وجهها وكفيها [1]. وأما كفن الكفاية – فهو أنه يكفى فى كفن الذكر البالغ والمراهق ثوبان:

إزار من الرأس إلى القدم على المشهور، ولفافة يلف بها من قرنه إلى قدمه. فيجوز الاقتصار عليهما بلا كراهة، ويكره النقص عنهما بلا ضرورة – وهو – أيضاً – فى حق البالغة والمراهقة إزار ولفافة وخمار يغطى به رأسها، فيجوز الاقتصار عليها بلا كراهة. ويكره تكفينها فى ثوبين بلا ضرورة.

أما الصغيرة فلا بأس بتكفينها فى ثوبين.

(١) انظر ص٢٠٥ ج:٥ مجموع النووى.

(والسنة) فى كفن المرأة البالغة المراهقة خمسة: قميص، وإزار، وخمار، ولفافة، وخرقة- عرضها ما بين الثدى والفخذ- يربط بها ثدياها وبطنها عند الحنفيين وكذا عند الشافعى وأحمد غير أنهما يجعلان بدل الخرقة لفافة ...[1]

(وقالت) المالكية: المستحب فى كفن المرأة:سبعة أثواب:إزار، وقميص، وخمار، وأربع لفائف..وكأنهم يرون أن اسم العدد لا مفهوم له.فأباحوا الزيادة على ما فى الحديث:ورأوا أن الأمر فى ذلك واسع (ومذهب) الأولين هو الراجح لموافقته للنص، ولأن الأصل فى فعل النبى ﷺأن يكون للتشريع.

(ثم) يقول تحت عنوان:

كيف تكفن المرأة

كيفية تكفينها عند الحنفيين أن يطيب الكفن -كما- تقدم -ثم تبسط اللفافة، ثم الإزار، وتوضع المرأة فى القميص ويجعل شعرها على صدرها ثم تخمر [2] ثم توضع على الإزار فتلف به ثم باللفافة، ثم تربط الخرقة فوق الأكفان عند الصدر فوق الثديين والبطن لئلا ينتشر الكفن باضطرابها حال الحمل.

(وكيفيته) عند الشافعية والحنبلية:

أن يشد على المرأة الإزار، ثم القميص، ثم الخمار، ثم تلف فى لفافتين ويعقد الكفن إن خيف انتشاره صيانة للميت ثم يحل فى القبر.

(ثم) يقول عن:

كفن المحرم

إذا مات المحرم يغسل بماء وسدر ولا يكفن فى المخيط ولا تغطى رأسه ولا يطيب لبقاء حكم إحرامه (روى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا كان مع النبى ﷺ فوقصته ناقته وهو محرم فمات فقال النبىﷺ: **«اغسلوه بماء وسدرٍ وكفنوه فى ثوبيه ولا تمسوه بطيبٍ ولا تخمروا رأسه فإنه يبعث يوم القيامة مُلبياً»** أخرجه السبعة والبيهقى.

---

(١) انظر ص١٧٥٠ج٧ الفتح الربانى، ص ٣١٦ ج٨ المنهل العذب، وص ٦ ج٤ بيهقى...
(٢) تخمر: أى تغطى رأسها بالخمار.

(وبهذا) قال الشافعى وأحمد وإسحاق والثورى.

(وعن) أحمد لا يغطى وجهه لما روى فى الحديث: ولا تخمروا رأسه ولا وجهه[1] ولا يكفن فى المخيط لأنه يحرم عليه فى حياته فكذلك بعد الموت.

والعمل على أنه يغطى جميع بدن المحرم إلا رأسه، فإن كان الميت امـــرأة محرمـــة ألبست القميص وخمرت كما تفعل فى حياتها ولا تطيب ولا يغطى وجهها لأنه يحرم على المحرمة فى حياتها فكذلك بعد موتها.

(فإن ماتت) المتوفىَّ عنها زوجها فى العدة فالأصح أن تطيب لأن التطيب إنما حرم فى الحياة لكونه يدعو إلى نكاحها وقد زال بالموت [2].

(وقال) الحنفيون ومالك والأوزاعى:

إذا مات المحرم انقطع إحرامه فيكفن فى المخيط وتغطى رأسه ويطيب، وهو مروى عن عائشة وابن عمر (فقد) مات ابنه واقد بالجحفة محرماً فكفنه وخمر وجهه ورأسه (وقال):لولا أنا حرم لطيبناه.

أخرجه مالك فى الموطأ [3].

(ثم)يقول تحت عنوان:

كفن الصغير

الصغير كالكبير فى الكفن ذكراً كان أم أنثى عند الشافعية، فيســتحب تكفــين الصبى فى ثلاثة أثواب كالبالغ.

(وقال) الحنفيون وأحمد: يحسن أن يكفن كالكبير ويجوز تكفينه فى ثوب واحد بلا كراهة، ولا باس بتكفين الصغيرة فى ثوبين، والمراهقة بمنـــزلة البالغة فى الكفـــن لأن المراهق حال حياته يخرج فيما يخرج فيه البالغ عادة فكذا يكفن فيما يكفن فيه (قال) المروزى: سألت ابا عبد الله –يعنى أحمد– فى كم تكفن الجارية إذا لم تبلغ ؟ قال: فى

(١) هذه رواية مسلم انظر ص١٢٨ ج٨ نووى.
(٢) انظر ص٣٣٢ ج٢ شرح المقنع.
(٣) انظر ص١٥٢ ج٢ الزرقانى على الموطأ.

لفافتين وقميص لا خمار فيه لأن غير البالغة لا يلزمها ستر رأسها فى الصلاة.
(واختلفت) الرواية عن أحمد فى الحد الذى تصير به فى حكم المرأة فى الكفن.

(فروى) عنه إذا بلغت (الحديث) عائشة أن النبى ﷺ قال: **((لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار))** أخرجه أحمد وأبو داود والحاكم [1].

مفهومه أن غير البالغة لا تحتاج إلى خمار فى صلاتها فكذا فى كفنها، وقد كفن ابن سيرين بنته وقد قاربت الحيض بغير خمار.

(وروى) عن أحمد أنها إذا كانت بنت تسع سنين يصنع بها ما يصنع بالمرأة لأن النبى ﷺ دخل بعائشة وهى بنت تسع سنين. وروى أنها قالت: إذا بلغت الجارية تسعاً فهى امرأة[2].

(ثم) يقول تحت عنوان:

كفن السقط ونحوه

السقط- بكسر السين- الجنين يترل قبل تمامه وهو مستبين الخلق. وهو ومن ولد ميتاً يلفان فى خرقة بلا مراعاة وجه الكفن كالعضو من الميت، فإذا وجد عضو من أعضاء الإنسان أو نصفه مشقوقاً طولاً، أو نصفه مقطوعاً عرضاً ليس معه الرأس يلف فى خرقة، وإن كان معه الرأس يكفن، وقيل يلف فى خرقة، وإن وجد أكثره يكفن لأن للأكثر حكم الكل [3].

(ثم) يشير بعد ذلك إلى بعض الملاحظات الهامة التى تتعلق بنبش القبر وسرقة الكفن..فيقول تحت عنوان:

فوائد

الأولى: إذا نبش القبر وأخذ الكفن، فعند الشافعية:يجب تكفينه ثانياً سواء كفن من ماله أو من مال غيره، أو من بيت المال. (وقيل): إذا كفن من ماله ثم اقتسم الورثة التركة ثم نبش القبر وسرق الكفن استحب للورثة أن يكفنوه ثانياً ولا يلزمهم

(1) انظر ص٨٩ ج٣ الفتح الربانى، وص٣٠ج١٥ المنهل العذب.
(2) انظر ص٣٤٢ وما بعدها ج٢ مغنى ابن قدامة.
(3) انظر ص٣٠٧ ج١ بدائع الصنائع.

ذلك، لأنه لو لزمهم ثانياً للزمهم إلى مالا يتناهى[1] .

ولو كفن ثم أكله سبع وبقى الكفن:

(قيل): يقسم بين الورثة (وقيل): يكون لبيت المال لأهم لم يرثوه عند الموت فلا يرثونه بعد [2] .

(وقال) الحنفيون: إذا نبش القبر وأخذ الكفن والميت لم يتفسخ:

كفن ثانياً من جميع المال لأن حاجته إلى الكفن ثانياً كحاجته إليه.

أولاً: فإن قسم المال فالكفن على الوارث دون الغرماء والموصى له، لأنه بالقسمة انقطع حق الميت عنه فصار كأنه مات ولا مال له فيكفنه وارثه إن كان له مال، وإن لم يكن له مال ولا لمن تلزمه نفقته: فكفنه فى بيت المال:

وإن نبش بعد ما تفسخ وأخذ كفنه: كفن فى ثوب واحد، لأنه إذا تفسخ خرج عن حكم الآدميين وصار كالسقط ولذا لا يصلى عليه [3].

الثانية: يجوز للإنسان أن يعد لنفسه كفناً (لحديث) سهل بن سعد الساعدى أن امرأة جاءت النبى ﷺ ببردة منسوجة فيها حاشيتها — أتدرون ما البردة ؟ قالوا: الشملة، قال: نعم — قالت: نسجتها بيدى فجئت لأكسوكها، فأخذها النبى ﷺ محتاجاً إليها.فخرج إلينا وإنها إزاره، فحسنها فلان، فقال: أكسنيها ما أحسنها.

قال القوم: ما أحسنت، لبسها النبى ﷺ محتاجاً إليها ثم سألته وعلمت أنه لا يرد..قال: إنى والله ما سألته لألبسها إنما سألته لتكون كفنى. قال سهل فكانت كفنه.أخرجه البخارى. [4]

(فقد) دل الحديث على جواز تحصيل ما لابد للميت منه من كفن ونحوه فى حال حياته لما فيه من تذكر الموت والإستعداد له (وقال) الصيرفى: لا يستحب أن يعد

(١) انظر ص٢١٠ ج٥ مجموع النووى.
(٢) انظر ص٢٩١ ج٢ مهذب الشيرازى.
(٣) انظر ص٣٠٩ ج١ بدائع الصنائع.
(٤) انظر ص٩١ ج٢ فتح البارى.

الإنسان لنفسه كفناً لئلا يحاسب عليه إلا إذا كان من جهة يقطع بحلها أو من أثر أهل الخير والصُّلحاء، فإن ادخاره حينئذ حسن لحديث سهل المذكور.. وهل يلحق بذلك حفر القبر فى حياته؟ (قال) ابن بطال: وقد حفر جماعة من الصالحين قبورهم قبـــل الموت بأيديهم ليتمثلوا حلول الموت فيه (ورد) عليه المنير بأن ذلك لم يقع من أحــــد من الصحابة ولو كان مستحباً لكثر فيهم (قال) البدر العينى: لا يلزم من عدم وقوعه من أحد من الصحابة عدم جوازه لأن ما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن ولا سيما إذا فعله قوم من العلماء الأخيار [1].

(وعلى هذا) فإننى أقول للأخ المسلم: إنك لابد وأن تكون منتفعـــاً بكـــل هـــذا التذكير الذى لابد وأن يكون من أسباب تذكرك للموت وما بعده..حـــتى تكـــون بسبب هذا من أكيس الناس..أى أعقلهم. (فعن) ابن عمر رضى الله عنـــهما قـــال: أتيت النبى ﷺ عاشر عشرة [2] فقام رجل من الأنصار فقال: يا نبى الله من أكـــيس الناس وأحزم الناس ؟ قال: «**أكثرهم ذكراً للموت، وأكثرهم استعداداً للمـــوت، أولئك الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة** » رواه ابن أبى الدنيا فى كتاب الموت والطبرانى فى الصغير بإسناد حسن، ورواه ابن ماجه مختصراً باســـناد جيـــد، والبيهقى فى الزهد، ولفظه: أن رجلا قال للنبى ﷺ: أى المـــؤمنين أفضـــل؟ قـــال: «**أحسنهم خلقاً** »قال: قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكـــراً، وأحسنهم لما بعده استعداداً، أولئك الأكياس**».

ولابد كذلك وأن يكون الأخ المسلم قد تذكر وهو يجهز الكفن الشرعى لأخيـــه المسلم..أن المتوفَّ هذا حتى ولو كان من كبار أغنياء الدنيا..لن يأخـــذ معـــه مـــن حطامها..إلا هذا الكفن الذى قد لا يساوى غير دراهم معدودات..

كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

فانظر إلى من حوى الـــدنيا بأجمعهـــا   هل راح منها بغير القطـــن والكفـــن

(١) انظر ص٦١ ج٨ عمدة القارى.
(٢) أى كانوا تسعة وهو عاشرهم.

إنه حسب الأخ المسلم أن يلاحظ هذا، وأن يذكر دائماً وأبداً أنه فى لحظة من اللحظات سيكون مثل هذا الذى يقوم بتكفينه..وأنه كذلك سيخرج من هذه الدنيا إن عاجلاً وإن آجلاً وقد ترك كل شىء من حطامها وراءه..وقد ورد فى الحديث[1]:

«يقول ابن آدم: مالى مالى، وهل لك يابن آدم إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت ».

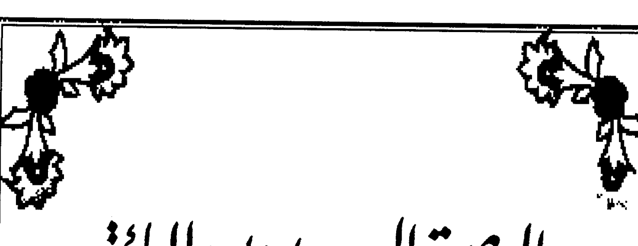
وأرجو كذلك من الأخ المسلم أن يلاحظ وهو يلبس الملابس البيضاء –تنفيذاً لوصية الرسول ﷺ– أن يعمل على أن يكون من أصحاب القلوب البيضاء..التى لا غل فيها ولا حسد..

وذلك بالمساهمة فى بنك المحبة: (وهو بنك خزائنه فى القلوب، وسبائكه من نور، شيكاته ابتسامات، وعملته السهلة الصفاء، سَنداته الإخلاص، وضماناته المعروف، وهو يتسع لكافة المعاملات، لا تَصدمك أرقامه، ولا يفزعك تقلب أسعاره، يدوم دوام المحبة، والمحبة زهرة إن زبلت يوماً عاش عطرها أبداً، لا يفرق بين الناس وفقاً لوضعهم المادى، بل إن أولاهم بثقته من عظمت تضحيته، وأوفرهم رصيداً من شفَّ قلبه حناناً، ورقت روحه سلاماً، يجمع القلوب ولا يجمع الأرقام، يحصى الخير ويطرح السيئات، ولا يبالى إلا بالكلمة الطيبة..لو تعامل الناس مع هذا البنك..لتناسوا أحقادهم، وارتفع رصيد إنسانية كل منهم إلى ما فوق الغِنى، وغنى النفوس لا يقدر بمال، بل هو كنز موعود لأصحاب القلوب البيضاء).

والله ولى التوفيق

(١) رواه مسلم والترمذى والنسائى..عن عبد الله بن شخير رضي الله عنه.





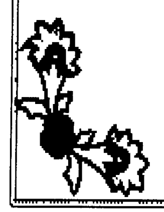
الوصية السبعون بعد المائة

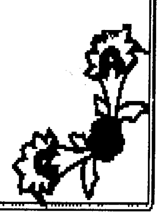
● عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(إِذَا وَقَعَ ٱلذُّبَابُ فِي شَرَابِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ، ثُمَّ لِيَنْزِعْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ دَاءً، وَفِي ٱلْآخَرِ شِفَاءً).

أخرجه البخاري وأبو داود، وزاد:

(وَإِنَّهُ يَتَّقِي بِجَنَاحِهِ ٱلَّذِي فِيهِ ٱلدَّاءُ)





فكن أخا الإسلام

منتفعاً بالمراد من هذه الوصية الصحيحة التي قد تكون اختباراً لإيمانك بـأن الرسول ﷺ هو الصادق المصدوق الذى قـال الله تعـالى عنـه: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى۝إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى۝عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى** ﴾[سورة النجم:٣-٥]..والمعنى ما يصـدر نطقه عن هوى نفسه..ومثله الفعل بل وجميع أحواله..(والمراد) بشديد القـوى، أى جبريل عليه السلام..ومن شدة قوته اقتلاعه مدائن قوم لوط ورفعهـا إلى السـماء وقلبها، وصياحه على قوم ثمود، ونتقه الجبل عن بنى إسرائيل..وهذه الشدة حاصـلة فيه ولو تشكل بصورة الآدميين لأنها لا تحكم عليهم الصورة وهذا قول الجمهور...

(هذا)، وأحب أن اذكر الأخ المسلم بما جاء فى (الدين الخالص) ج١ ص٥٢ وما بعدها تحت عنوان:

صفات الرسل

فلقد ذكر أنه:يجب فى حقهم عليهم الصلاة والسلام أربع صفات:

(١) الصدق فى كل الأقوال ولو عادية "لأن ما ظهر على أيديهم من المعجزة-وهـى أمر خلقه الله تعالى مخالف للعادة مقرون بالتحدى، أى واقع عند دعوى الرسالة مع عدم إمكان معارضته بمثله "منـزل" منـزلة قول الله تعالى «**صدق عبدى فى كل ما بلغـه عنى**»، كتظليل الغمام، وانشقاق القمر وغيرهما — من المعجزات ...إلخ ا.هـ.

وكذلك إذا كان الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ صحيحاً..وهو:مـا اتصـل سنده برواية العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه، وسلم مـن الشـذوذ والعلـة [1] (ويسمى الصحيح لذاته).

وثمة نوع آخر منه (ويسمى الصحيح لغيره) وهو الذي جاء بإسناد حسن وآخر ضعيف لم يشتد ضعفه فيرتقى الحديث بمجموعهما إلى درجة الصحيح لغـيره..أى بسبب مساندة الإسناد الضعيف للإسناد الحسن.

---

(١) معنى العدل: أى الرجل المسلم الصالح الذي لا تعرف عنه معصية، والضابط: هو الرجل المسلم الحافظ الذي لا يخطئ فى رواية الحديث إلا نادراً، والشذوذ: هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه ...أو لمن هم أكثر منه عدداً..والعلة:هى كل سبب يقدح فى ثبوت الحديث..ولا يتمكن من معرفة العلة ومن الشذوذ إلا المتمكنون فى هذا العلم الشريف الجامعون لألفاظ الحديث وطرقه.

(و لم) يستوعب الصحيح من الحديث فى كتاب واحد مطلقاً ؛وإنما جمعت الكتب الستة جملة كبيرة منها:

-صحيح البخارى، وصحيح مسلم، وسنن أبى داود، والنسائى وجامع الترمذى، وسنن ابن ماجه -وفاهما غير قليل منه، ويوجد مثبوتاً فى كتب المسانيد والفوائد والأجزاء الحديثة وكتب الحديث الكثيرة الأخرى [١] .

(والحديث) الذى بين أيدينا من الأحاديث الصحيحة [٢] .وقد أورده صاحب (الدين الخالص) ج١ تحت عنوان:

ميتة ما لا دم له سائل

فقال: كالذباب، والنمل، والصرصار، والزنبور، والعقرب، والبرغوث[٣] .ثم ذكر أن الجمهور ذهب إلى طهارتها.

(لحديث) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: ((**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم فإن فى أحد جناحيه داءً وفى الأخرى شفاءً**)) أخرجه البخارى وأبو داود، وزاد بسند حسن: ((**وإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء، فليغمسه كله**)).

(وعنه) أن النبى ﷺ قال: ((**إذا وقع الذباب فى شراب أحدكم، فليغمسه ثم ليطرحه، فإن فى إحدى جناحيه داءً وفى الأخرى شفاء**))أخرجه ابن ماجه.

(ثم) يقول فى (الدين الخالص): (وجه) الإستدلال أن الطعام قد يكون حارًّا فيموت الذباب بالغمس فيه، فلو كان نجساً يفسده، لَما أمر النبى ﷺ بغمسه (وعن) سلمان رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**يا سلمان كل طعام وشراب وقعت فيه دابة ليس لها دم.فماتت فهو حلال، أكله وشربه وَوضوءه**[٤]))أخرجه الترمذى والدارقطنى، وقال: لم يرفعه إلا بقية عن سعيد بن أبى سعيد وهو ضعيف وأعله ابن عدى بجهالة سعيد.

---

(١) انظر كتاب (منهاج الصالحين) للأستاذ عز الدين بليق.ص ٤٧.

(٢) أى: التى لا شذوذ فيها ولا علة.

(٣) أما القمل فميتته نجسة، خلافاً لسحنون حيث قال: إنه كالبرغوث لا نفس له سائلة..انظر ص١٨ ج١ صاوى صغير الدردير.

(٤) ولذا صوب النووى قول الجمهور فقال: والصواب الطهارة وهو قول جمهور العلماء...

(ورد) ابن الهمام دعوى الضعف والجهالة، وقال: والحديث مع هذا لا يـــنزل عـــن درجة الحسن (قال) ابن المنذر: لا أعلم خلافاً فى طهارة ما ذكر إلا ما روى عن الشافعى أنه نجس، ويعفى عنه إذا وقع فى المائع ما لم يغيره، وما ذكر من الأدلة حجة عليه [(١)].

(هذا): وحديث الذبابة دليل ظاهر فى جواز قتل الذباب دفعاً لضرره، وأنه يطرح ولا يؤكل، وأن الذباب إذا مات فى مائع لا ينجسه، لأنه ﷺ أمر بغمسه، ومعلوم أنه يموت من ذلك ولا سيما إذا كان الطعام حارًّا، فلو كان ينجسه لكان أمراً بإفســـاد الطعام. وهو ﷺ إنما أمر بإصلاحه.ويتعدى هذا الحكم إلى أن كل ما لا نفـــس لـــه سائلة، كالنملة والزنبور –ومنه النحل – والعنكبوت وأشباه ذلك، إذ الحكم يعـــم بعموم علته، وينتفى بانتفاء سببه. فلما كان سبب التنجس هو الدم المحتقن فى الحيوان بموته، وكان ذلك مفقوداً فيما لا دم له سائل، انتفى الحكم بالتنجيس لإنتفاء علته. و الأمر بغمسه، ليخرج الشفاء منه كما خرج الداء منه (وقد علم) أن فى الذباب قوة سمية كما يدل عليه الورم والحكة الحاصلة من لسعه، وهى بمنزلة السلاح، فإذا وقع فيما يؤذيه ألقاه بسلاحه كما قال ﷺ:((**فإنه يتقى بجناحه الذى فيه الداء**)) ولـــذا أمـــر ﷺ أن تقابل تلك السمية بما أودعه الله تعالى فيه من الشفاء فى جناحه الآخر بغمسه كلـــه، فتقابل المادة السمية المادة النافعة فيزول ضررها.

(وقد) ذكر غير واحد من الأطباء أن لسعة العقرب والزنبور إذا دلك موضـــعها بالذباب، نفع منه نفعاً بّيناً ويسْكن أثرها، وما ذلك إلا للمادة التى فيه من الشفاء [(٢)].

(ثم) بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص):

(والحاصل) أن هذا الحديث الصحيح ناطق بأن الذباب فيه شفاء، فهل بعد ذلك يتخيل من عنده شائبة تمييز إنكار ذلك، ويحكم برد الحديث مستدلاً علـــى زعمـــه بدعوى بعض الأطباء، أن الذباب لا شفاء فيه. ولو كان عند هذا الزاعم مثقال ذرة من إيمان، ما توهم رد قول رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى، و لم يفقـــه أن

---

(١) ولذا صوب النووى قول الجمهور فقال:والصواب الطهارة وهو جمهور العلماء ...(انظر ص١٢٩ ج١ مجموع النووى).

(٢) انظر ص٣٠، ٣١ ج١ سبل السلام (شرح حديث الذباب).

قول بعض الأطباء حدس وتخمين، فكيف يرد به ما كان وحياً من رب العالمين ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

(وقد) أشار بعد ذلك (فى الدين الخالص) فى هامش ص٣٦٢ إلى بعض ما أثبته الأطباء حول تأييد وتأكيد صحة ما جاء فى هذا الحديث- وهو نص الوصية التى ندور حولها – فذكر أنه (قد ألقى) الدكتور إبراهيم مصطفى عبده يوم الخميس ٢٩ شوال ١٣٤٩ هـ فى جمعية الهداية الإسلامية محاضرة جاء فيها ما ملخصه:

يقع الذباب على المواد القذرة المملوءة بالجراثيم التى تنشأ منها أمراض مختلفة فينتقل بعضها بأطرافه ويأكل بعضاً فيتكون فى جسمه مادة سامة تسمى مبعد البيكتريا وهى تقتل كثيراً من جراثيم الأمراض ولا يمكن بقاء تلك الجراثيم حية ولا يكون لها تأثير فى جسم الإنسان حال وجود مبعد البيكتريا. وفى أحد جناحى الذباب خاصية تحويل البيكتريا إلى ناحيته، فإذا سقط الذباب فى شراب أو طعام وألقى الجراثيم فأول مبيد لتلك الجراثيم وأقرب واق منها هو مبعد البيكتريا الذى يحمله الذباب فى أحد جناحيه، فإذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه، وغمس الذباب كله وطرحه كاف فى إبطال عملها [(١)].

(وفى) مجلة التجارب الطبية الإنجليزية عدد ((١٠٣٧))سنة ١٩٢٧ م ما ترجمته:

لقد أطعم الذباب من زرع ميكروبات بعض الأمراض، وبعد حين من المرض ماتت تلك الجراثيم واختفى أثرها وتكونت فى الذباب مادة مفترسة للجراثيم تسمى بكتريوناج.

ولو وضعت خلاصة من الذباب فى محلول ملْحى لاحتوت:

(أ) على البكتريوناج وهى تبيد أربعة أنواع من الجراثيم المولدة للأمراض.

(ب) وعلى مادة أخرى نافعة للمناعة ضد أربعة أنواع أخرى من الجراثيم.

(ثم) يقول: وبهذا ثبتت صحة الحديث الذى عده بعض المتسرعين كذباً وخدشاً فى الدين، وصار معجزة علمية خالدة..

---

(١) انظر المجلد الثالث من مجلة الهداية:عدد ذى الحجة سنة ١٢٤٩هـ.

فلعلهم بعد هذا لا يتسرعون فى تكذيب ما لم يحيطوا به علماً. ومن أين للنبى الأمى هذه المسائل الدقيقة الطبية لولا أن الله تعالى يُوحِى إليه:

﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴾.

(وقد) أشار أيضاً صاحب كتاب (الفقه الواضح) ج١ ص١٤٤-١٤٨ إلى أنه:

قد ذكر كثير من الأطباء، أن هذا الحديث صحيح علميًّا، وجاءوا ببحوث مستفيضة تفيد أن للذباب أثراً ضارًّا و أثرا نافعاً..

أى أن فى أحد جناحيه دواء والآخر داء..

كما قال الرسول ﷺ، ومن هذه البحوث، بحث قيم كتبه الدكتوران/ محمود كامل، ومحمد عبد المنعم حسين، فى مجلة الأزهر، الجزء السابع (رجب سنة ١٣٧٨هـ، يناير سنة ١٩٥٩ ميلادية) المجلد الثلاثون..

إلى أن يقول بعد ذلك تحت عنوان:

كلمة الطب فى حديث الذباب

البحوث والمراجع العلمية تؤيد الحديث الشريف: «**إذا وقع الذباب فى إناء أحدكم، فليغمسه كله، فإن فى أحد جناحيه داء وفى الآخر شفاء** ».

(ثم) يبدأ بعد ذلك فى التحقيق العلمى المشار إليه للدكتورين المذكورين، فيقول:

كثر التعرض لهذا الحديث، وخصوصاً من جانب أطباء مُكذِّبين للحديث لعلمهم بأن الذباب ينقل العدوى والجراثيم الحاملة للمرض، ونحن نعلم أن من بين الأحاديث التى رويت عن النبى ﷺ، ما هو صحيح وما هو مكذوب، وتمسك رجال الحديث والفقهاء الأعلام بصحة الحديث لاستنادهم إلى ثقة الرواة، وتمسك الأطباء بالناحية الصحية وكذبوا الحديث..وكنا نود أن يفهم الحديث على أسس ثلاثة:

١- عدم التعرض لصحة الحديث، فهذا من اختصاص فقهاء الحديث، والعلماء الذين درسوا العلم والحديث، وعرفوا كيف يستبعدون الأحاديث المكذوبة.

٢- محاولة البحث العلمى، بافتراض صحة الحديث للوصول إلى حقائق أنبأنا عنها النبى ﷺ: **﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾.**

٣- عدم الخوض فى موضوع مادة الحديث قبل الرجوع إلى المراجع العلمية الكافية عن الحشرات وعن طفيليات الحشرات.

(لهذا) وجدنا بعد قراءة الموضوع، والمجادلات المتبادلة بين الفريقين فى الصحف، والمجلات منذ مدة طويلة، أن نحاول أن نرد الحق إلى نصابه.

(ذلك) أن بعضنا بعد قراءة آراء فقهاء الحديث عن صحة الحديث، لم يتردد فى تصديقه، وحاول أن يرجع إلى المراجع العلمية التى تؤيد صحة الحديث.

(وقد) جاء فى المراجع العلمية، أن الأستاذ الألمانى (بريفلد) من جامعة (هال) بألمانيا وجد فى عام ١٨٧١م أن الذبابة المترلية مصابة بطفيلى من جنس الفطريات سماها (أمبوزاموسكى) من عائلة (أنتو موفترالى) من تحت فصيلة (سيجومايسيس) من فصيلة (فيكوما يسس) ويقضى هذا الفطر حياته فى الطبقة الذهنية داخل الذبابة على شكل خميرة مستديرة، ثم يستطيل ويخرج على نطاق البطن بواسطة الفتحات التنفسية، أو بين المفاصل البطنية، وفى هذه الحالة يصبح خارج جسم الذبابة، وهذا الشكل يمثل الدور التناسلى لهذا الفطر، وتتجمع بذور الفطر فى داخل الخلية إلى قوة معينة خارجها، وهذا سيكون بقوة دفع شديدة، لدرجة تطلق البذور إلى مساحة حوالى ٢ سنتيمتر من الخلية بواسطة انفجار الخلية واندفاع السائل على هيئة رشاش.

ويوجد دائماً حول الذبابة الميتة والمتروكة على الزجاج مجال من البذور لهذا الفطر، ورءوس الخلية المستطيلة التى تخرج منها البذور موجودة حول القسم الثالث، والأخير من الذبابة على بطنها وظهرها، وهذا القسم الثالث، أو الأخير دائماً يكون مرتفعاً عندما تقف الذبابة على أى مسند ليحفظ توازنها واستعدادها للطيران، والإنفجار كما ذكرنا يحدث بعد ارتفاع ضغط السائل داخل الخلية المستطيلة، إلى قوة معينة، وهذا قد يكون مسبباً من وجود نقطة زائدة من السائل حول الخلية المستطيلة، وفى وقت الإنفجار يخرج من السائل والبذور جزء من (السيتوبلازم) من الفطر، كما ذكر الأستاذ (لانجيرون) أكبر الأساتذة فى علم الفطريات، فى عام ١٩٤٥م أن هذه الفطريات كما ذكرنا تعيش فى شكل خميرة مستديرة، داخل أنسجة الذبابة، وهى تفرز أنزيمات قوية تحلل وتذيب أجزاء الحشرة الحاملة للمرض.

(وفى) جهة أخرى تم فى سنة ١٩٤٧م عزل مادة مضـــادة للحيويـــة (بواســـطة أرنشتين)، وكوك، من إنجلترا، ورروليوس، من سويسرا فى سنة ١٩٥٠ م) تســـمى جافاسين من فطر من نفس الفصيلة التى ذكرناها، والتى تعيش فى الذبابة، وهذه المادة المضادة للحيوية تقتل جراثيم مختلفة، من بينها الجراثيم السالبة والموجبة لصبغة جرام وجراثيم الدوسنتاريا والتيفويد، وفى سنة ١٩٤٨م عزل بريان، وكورتيس، وهيمنج، وجيفيريس، وفاكجوان، من بريطانيا، مادة مضادة للحيوية، تسمى كلوتينيرين، من فطريات من نفس فصيلة الفطر الذى يعيش فى الذبابة، وتؤثر على جراثيم الســـالبة لصبغة الجرام من بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفويـــد، وفى ســـنة ١٩٤٩م عـــزل كوكس، وفارمر، من إنجلترا، وجرمان، وروث واتلنجر، وبلاتنتر، من سويسرا، مادة مضادة للحيوية، تسمى (أنياتين) من فطريات من نفس صنف الفطر الذى يعيش فى الذبابة تؤثر بقوة شديدة على جراثيم جرام موجب، وجرام سالب، وعلـــى بعـــض فطريات أخرى ومن بينها جراثيم الدوسنتاريا والتيفود، والكوليرا، و لم تدخل هـــذه المواد المضادة للحيوية بعد الإستعمال الطبى، ولكنها فقط من العجائـــب العلميـــة، لسبب واحد ؟، وهو: أنها بدخولها بكميات كبيرة فى الجسم، قد تؤدى إلى حدوث بعض المضاعفات، بينما قوتها شديدة جدًّا، وتفوق جميع مضادات الحيوية المستعملة فى علاج الأمراض المختلفة، وتكفى كمية قليلة جدًّا لمنع معيشة أو نمـــو الجـــراثيم التيفود، والدوسنتاريا، والكوليرا، وما يشبهها.

(وفى) سنة ١٩٤٧م عزل (موفتيس) مواد مضادة للحيوية من مزرعة الفطريـــات الموجودة على جسم الذبابة، ووجد أنها ذات مفعول قوى فى بعض الجراثيم الســـالبة لصبغة جرام مثل جراثيم التيفود، لمقاومة الجراثيم التى تسبب أمراض الحميات الـــتى يلزمها وقت قصير للحضانة، وجد أن واحد جرام من هذه المواد المضادة للحيويـــة يمكن أن يعقم أكثر من (١٠٠٠) لتر لبن من التلوث بالجراثيم المرضـــية المـــذكورة، وهذا أكبر دليل على القوة الشديدة لمفعول هذه المواد.

(أما) بخصوص تلوث الذباب بالجراثيم المرضية كجراثيم الكـــوليرا، والتيفـــود،

والدوسنتاريا، وغيرها التى ينقلها الذباب من المجارى، والفضلات، أو البراز من المرضى، وهى الأماكن التى يرتادها الذباب بكثرة، فمكان هذه الجراثيم يكون فقط على أطراف أرجل الذبابة، أو فى برازها، وهذا ثابت فى جميع المراجع البكتريولوجية، وليس من الضرورى ذكر أسماء المؤلفين، أو المراجع لهذه الحقيقة المعلومة، ويستدل من كل هذا على أنه إذا وقعت الذبابة على الأكل، فستلمس الغذاء بأرجلها الحاملة للميكروبات المرضية التيفويد، أو الكوليرا، أو الدوسنتاريا، أو غيرها، وإذا تبرزت على الغذاء سيلوث الغذاء-ايضاً- كما ذكرنا بأرجلها، أما الفطريات التى تعزز المواد المضادة للحيوية، والتى تقتل الجراثيم المرضية، الموجودة فى براز الذبابة، ولا تنطلق مع سائل الخلية المستطيلة من الفطريات والمحتوى على المواد المضادة للحيوية، إلا بعد أن يلمسها السائل الذى يريد الضغط الداخلى لسائل الخلية، ويسبب انفجار الخلية المستطيلة واندفاع البذور والسائل.

(ثم) بعد ذلك يقول:وبذلك:يحقق العلماء بأبحاثهم تفسير الحديث النبوى الذى يؤكد ضرورة غمس الذبابة كلها فى السائل، أو الغذاء، إذا وقعت عليه الجراثيم لإفساد أثر الجراثيم المرضية التى أشار إليها الحديث، وهى أن فى أحد جناحيها داء (أى فى أحد أجزاء جسمها الأمراض المنقولة بالجراثيم المرضية التى حملتها) وفى الآخر شفاء، وهو المواد المضادة للحيوية التى تفرزها الفطريات الموجودة على بطنها، والتى تخرج وتنطلق بوجود سائل حول الخلايا المستطيلة للفطريات..ا.هـ من مجلة الأزهر المتقدم ذكرها..

فعلى الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا حتى يثبت إيمانه بصدق رسول الله ﷺ..مع ضرورة أن يلاحظ أمراً هاماً وهو أن الوقاية خير من العلاج.

والله ولى التوفيق

الوصية الواحدة والسبعون بعد المائة

• عن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال :
جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال : يا رسول الله : إني أصبت امرأة ذات
حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟
فنهاه، ثم أتاه الثانية فقال له : مثل ذلك،
ثم أتاه الثالثة، فقال له :

(تَزَوَّجُوا ٱلوَدُودَ ٱلوَلُودَ، فَإِنِّي
مُكَاثِرٌ بِكُمُ ٱلأُمَمَ).

رواه أبو داود والنسائي والحاكم واللفظ له

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية العظيمة.. التي يوصينا فيها الرسول ﷺ جميعا ــ إذا رغبنا في الزواج المبارك ــ بأن نتزوج:

* (الودود): أى الكثيرة الود لزوجها... وفعول من صيغ المبالغة يستوى فيه المذكر والمؤنث ..(والودود) ...من أسمائه تعالي، وهو يحتمل أن يكون بمعني مفعول.. فهو سبحانه مودود، أي: محبوب في قلوب أوليائه، وأن يكون بمعني فاعل، فهو الواد لعباده الصالحين، أي أن يحبهم ويرضي عنهم.

* (وقد) ورد والشيء بالشيء يذكر في حديث قدسي رواه البيهقي، وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله عليه وسلم قال [(١)]: ((**قال داود فيما يخاطب ربه : يا رب أي عبادك أحب إليك أحبه بحبك ؟ قال: يا داود: أحب عبادي إلي تقي القلب، نقي الكفين، لا يأتي إلي أحد سوءًا ولا يمشي بالنميمة، تزول الجبال ولا يزول، أحبني وأحب من يحبني وحببني إلي عبادي. قال: يا رب إنك لتعلم أني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحببك إلي عبادك ؟ فقال: ذكرهم بآلائي [(٢)] وبلائي ونقماءي. يا داود: إنه ليس من عبد يعين مظلوماً أو يمشي معه في مظلمته، إلا ثبتُّ قدميه [(٣)] يوم تزل الأقدام**)).

(فلنكن) من هؤلاء الذين يحبهم الله تبارك وتعالي.. وذلك بالتخلق بهذه الصفات الحميدة علي أساس من تنفيذ أوامر الله واجتناب نواهيه.. وهو يسأل الله تعالي أن ينقذه من هول الفزع الأكبر يوم القيامة

* ولله در من قال:

يا مبتغي العز والسلامة	**الزم ثلاثاً تلقي الكرامة**
لا تسأل المرء ما لديه	**ولا تُري آكلاً طعامه**
ولا تُري ذاكرًا بسوء	**ما عشتَ خلقاً إلي القيامة**
وزد لهذي الثلاث	**تقوي الإله تكمل لك السلامة**

(١) كما جاء في الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية.. ص ٣٦٣.

(٢) أي: علي الصراط.

(٣) أي: بنعمي التي لا تحصي ولا تعد.

* (ثم) بعد ذلك يوصيك الرسول ﷺ بأن تتـــزوج (الولـــود): أي الكـــثيرة الولادة.. (وذلك) حتي يتحقق الهدف الأسمي من هذا الزواج المبارك.. وهو أن يكون هناك نسل قوي ومبارك يتحقق به قول الرسول ﷺ ((**فإني مكاثر بكم الأمـــم**)) أى مفاخرهم ومباهيهم بكثرتكم يوم القيامة..

** وقبل أن أواصل معك شرح المراد من هذا النص.. أحب أن أسجل هنا مـــا قالته السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها وكانت قد سئلت: لماذا تصومين كـــثيراً.. وتقومين الليل طويلاً ؟! فقالت: إنني أفعل هذا.. ليتباهي بي الحبيب المصطفي صلوات الله وسلامه عليه يوم القيامة أمام إخوانه الأنبياء.. وهو يقول لهم: انظروا إلي أمـــرأة من أمتي هذا عملها !

فما أعظم هذا القول.. الذي أرجو أن يستشعره كل مؤمن ومؤمنة.. حتي يكون أهلاً لمثل هذا القول الكبير الذي لا بد وأن يكون علي أساس من العمـــل الصـــادق المؤكد للانتماء الحقيقي إلي هذا الدين الإسلامي الذي رسوله محمـــد صـــلوات الله وسلامه عليه أفضل خلق الله علي الإطلاق في الدنيا والآخرة ... فهو القائل صلوات الله وسلامه عليه عن نفسه كما ورد:

* (عن) أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: ((**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر. وما من نبي يومئذ: آدم فمن سواه إلا تحت لواءي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، وأنا أول شافع وأول مشفَّع**)).

أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي، وقال حسن صحيح.

** (ولهذا) فقد أعطاه الله تعالي شهادة لم يعطها لأحد قبله ولن يعطيهـــا لأحـــد بعده، وهي: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [القلم:٤]، ثم أمرنا سبحانه وتعالي بأن نقتدي به فقال: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً**﴾ [الأحزاب:٢١].

* (وكيف) لا، وهو الإنسان الكامل الذي يصيب ولا يخطئ.. أما غيره مـــن البشر فإنه يخطئ ويصيب..

** (أما) بالنسبة للأنبياء، (فقد) قرأت في الجزء الأول من (الدين الخالص) ص ٥٣ _ مع الهامش _ أنه يجب في حقهم العصمة _ أي الأمانة _ لأن الله تعالي أمرنا بالاقتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم غير الخاصة بهم.. (قال) في العقد الثمين: إن الله قد نزههم عن كل وصمة ونقص، فهم معصومون عن الصغائر والكبائر قبل النبوه وبعدها علي المختار.. وما وقع في قصص بعضهم من بعض المفسرين لا يلتفت إليه (وما جاء) في القرآن من إثبات العصيان لآدم، ومن معاتبة جماعة منهم علي أمور العصيان لآدم، ومن معاتبة جماعة منهم علي أمور فعلوها، (فإنما) هو من باب أن للسيد أن يخاطب عبده بما يشاء، وأن يعاتبه علي خلاف الأولي معاتبة غيره علي المعصية كما قيل: إن حسنات الأبرار سيئات المقربين. ولا خلاف بين العلماء في عصمتهم عن تعمد الكبائر، و إنما الخلاف في أن عصمتهم عن ذلك بدليل السمع، أو بدليل العقل: (فالأول) مذهب أهل السنة (الثاني) قول المعتزلة.

(وأما) وقوع الصغائر فجوزه البعض. (والمحققون) من المحدثين لم يجوزوا إلا وقوع الصغائر سهواً. وأما الكبائر مطلقاً، والصغائر عمداً، فلا، وعلي ذلك الكثير.

** (ويجوز) في حقهم عليهم الصلاة والسلام كل وصف بشري لا يؤدي إلي نقص في مراتبهم العلية: كالأكل، و الشرب، و المشي في الأسواق، و النوم، و الجوع، و العطش، و الجماع الحلال، و المرض غير المنفّر، و البيع و الشراء، والسهو للتشريع وبيان ما يترتب عليه كما وقع للنبي ﷺ في الصلاة، وكذا النسيان في غير الأحكام التي لم تبلغ..

قال تعالي:﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان:٢٠].

وقال عز وجل: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً**﴾ [الرعد: ٣٨].

* (وفى) حديث عاءشة رضى الله عنها، قلت: يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال: « **يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبى** » أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائي.

* (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: (كان رسول الله ﷺ يبيت الليالى المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عَشَاءً.وكان أكثر خبزهم خبز الشعير). أخرجه أحمد و أبن ماجه و الترمزى و صححه.

* (وعن) ابن مسعود رضي الله عنه أن النبى ﷺ قال: ((**إننى بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكرونى**)). أخرجه الشيخان و أبو داود و النسائى و ابن ماجه.

* (وعن) أبى أيوب الأنصارى أن النبى صلى الله عليه و سلم قال: ((**أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والحياء**)). أخرجه أحمد و الترمذى.

* (ثم) بعد ذلك يقول فى (الدين الخالص) مشيراً إلى الحكمة فى اتصافهم بما ذكر: (وحكمة) اتصافهم بما ذكر: التشريع لأُممهم، وإظهار فضلهم والتنبيه علي خسَّة الدنيا عند الله تعالي وعدم رضاه بها دار جزاء لأنبيائه وأوليائه:

** (كما يشير ــ في هامش ــ نفس المرجع إلي ملاحظات هامة تتعلق بنفس الموضوع فيقول:

* (قال) في العقد الثمين: وفي حصول الأعراض لهم رفع لدرجاتهم من غير قدح في رسالتهم، إذا لا يخل شئ من الأعراض البشرية بمنصبهم ولا يمتنع في حقهم إلا ما يقدح في ثبوت الرسالة، وليس في ذلك إلا مضاعفة الأجور (وفيه) أيضاً أعظم دليل علي صدقهم عليهم الصلاة والسلام وأنهم مبعوثون من عند الله تعالي، وأن تلك الخوارق التي ظهرت علي أيديهم هي بمحض خلق الله تعالي تصديقاً لهم عليهم الصلاة والسلام.. إذ لو كانت لهم قوة علي اختراعها لدفعوا عن أنفسهم ما هو أيسر منها من الأمراض و الجوع، وألم الحر والبرد وغير ذلك مما سَلِمَ منه كثير ممن لم يتصف بالنبوة (وفيه) أيضاً رفق بضعفاء العقول لئلا يعتقدوا فيهم الأُلوهية بما يرون لهم من الخوارق والخواص التي اختصهم الله تعالي بها.

(ولهذا) رد سبحانه وتعالي علي النصاري قولهم بألوهية عيسي وأُمِّه بافتقارهم إلي الأعراض البشرية من أكل الطعام وغيره.

(هذا) والحق أن أفعال الرسل دائرة بين الإيجاب والندب لا غير لأن المباح لا يقع منهم عليهم الصلاة و السلام بمقتضي الشهوة فقط كما يقع من غيرهم. بل لا يقع منهم إلا مصاحباً لنية يصير بها قُربة.

(وأقل) ذلك أن يقصدوا التشريع وذلك من قربة التعليم.. و المؤمن لــو نــوي بمباحاته جميعاً مثل ذلك من النيات انقلبت طاعات، كما إذا نوي بنومه وأكله وشربه التقوي علي طاعة الله فانه يكون عبادة: (فكيف) بسيد المرسلين الذي فاق بالقيــام بحقوق العبودية جميع البرية (وقد) ثبت أنه تورمت قدماه من كثرة قيامه لمولاه مــع ماحباه و أولاه ... (ثم) يقول:

(واعلم) أنه وإن جاز لحوق الأمراض بهم فهي لا تتعدي أبدالهم الشــريفة إلي قلوبهم باعتبار ما فيها من المعارف، فلا يحل المرض بشيء منها ولا يكدر عليها صفوها، ولا يوجب لهم ضجراً ولا ضعفاً لقواهم الباطنة، وكذلك النوم والجوع لا يستوليان علي قلوبهم.. (لهذا) كانت تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم.. (وكان) النبي ﷺ ينهي غيره عن الوصال في الصوم مع أنه كان يفعله قائلاً: ((**إني لست مثلكم إني أبيت _ عند ربي _ يطعمني ربي ويسقيني**)) أخرجه أحمد والشيخان عن أنس.

(وإنما) تُصاب ظواهرهم بالأمراض تعظيماً لأجرهم والله تعالي قــادر علــي أن يكون ثواب ذلك من غير ذلك.

(ولكنه) اختار ذلك سبحانه وتعالي لحكمة لو لم يكن منها إلا زيادة تصديقهم والرفق بضعفاء العقول لكفي (وفيه) أيضا تشريع للأمة ليكن لهم قدوة فلا يضجروا عند نزول الحوادث وليصبروا كما صبر من هو أفضل وأعلي منــهم (الأنبيــاء).. وليعلموا قيمة الدنيا وأنها حقيرة عند الله تعالي، (ففي) الحديث: ((**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقي كافرًا منها شربة ماء**)) أخرجه الترمذي عــن سهل بن سعد.

** (والآن) أخا الإسلام .. وبعد أن وقفت معي علي تلك الملاحظات الهامــة المتعلقة بالرسل _ عليهم الصلاة والسلام _ بصفة عامة، من خلال الحــديث عــن الحبيب المصطفي صلوات الله وسلامه عليه الذي سيتباهى بكثرتنا أمام إخوانه مــن الأنبياء يوم القيامة بصفة خاصة.. (أريد) أن أعود بك إلي أصل الموضــوع المتعلــق بالوصية التي ندور حولها.. وهو:

أولا: المودة التي ينبغي أن تكون بين الزوجين تحقيقاً للمراد من قول الله تعـالي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].

** (وقد) قرأت في (حاشية الصاوي علي الجلالين) ج٣ ص ١٨٧، وما بعدها: أن المعني المراد من قول الله تعالي: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ تعالي الدالة علي قدرته ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً﴾ أي زوجات.. فخلقت حواء من ضلع آدم الأيسر القصير وهو نائم.. فلما استيقظ ورآها مال إليها ـ بفطرته ـ فقالت له الملائكة مَهْ[1] يـا آدم حتي تؤدي مهرها فقال: وما مهرها ؟ فقيل له: أن تصلي علي محمد ﷺ[2].. وسائر النساء.. أي باقيهن بعد ذلك خُلقن من نُطَف الرجال والنساء..﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ أي: و تألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ فقد قيل: إن المراد بـالمودة الجماع، والرحمة الولد.. وقيل: إن المراد بالمودة الجماع، والرحمة الولد ...

وقيل: المودة المحبة، والرحمة الشفقة.. فإذا تخلف هذا الأمر بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفارقة (إن فى ذلك) المذكور من خلقهم من تـراب وخلـق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء المودة والرحمة بينهم ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أى يتأملون فى تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان سيما إذا تأمل فى خلق الله إياه من نطفة ثم جعله بشرًا سويًّا ثم جعل له زوجه من جنسه و لم تكن جنيـة ولا بهيمـة.. وأسكن بينهما المحبة والشفقة فإذا أراد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة، فإذا نزلت النطفة منه جعلها راحة له.. وخلق منها بشرًا سويًّا.. وغـير ذلـك مـن أنـواع التفكرات... فإذا تأمل الإنسان فى ذلك كان سببا فى زيادة معارفه وأدبه مع ربـه.. ولذا قال بعض العارفين: لذة الجماع ربما كانت من أبواب الوصْل إلى الله تعـالى.. ومنه ما روى عن الرسول ﷺ أنه قال: « **حبب إلى من دنياكم ثـلاث: النسـاء، والطيب وجُعلَتْ قرة عينى فى الصلاة** ».

(١) أي: انتظر يا آدم ولا تتعجل ...

(٢) فصلي علي النبي ﷺ عشر مرات.. وقيل أكثر من هذا.. فكان هذا مهراً لأمنا حواء ـ عليها السلام ـ والله أعلم.

** (وهناك) إشارة لابد وأن تقف على المراد منها.. وهى تتعلق بحب الرسول ﷺ للنساء.. إن المراد من قول الرسول هذا.. هو أنه كان يحب نساءه هو.. (وقد) ورد أنه قال هذا أمام أصحابه.. لأن بعضهم كان يحتقر المرأة.. وكان ينظر إليها على أنها سلْعة أو على أنها جارية تباع وتشترى.. فأراد أن يكون قدوة صالحة.. فهو القائل صلوات الله وسلامه عليه:

* ((**الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة**)) رواه مسلم والنسائى.

* (وعن) أبى هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقا** [1]. **وخياركم خياركم لنسائهم**)) رواه الترمذى، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح. قال فى النهاية: (هو إشارة إلى صلة الرحم والحث عليها) وقيل: المراد بالنساء الحلائل وهو أن يعامل زوجته بطلاقة الوجه وكف الأذى والإحسان إليها والصبر على أذاها وحفظها عن مواقع الريب، وقيل: المراد بهن ما يشمل الأصول والفروع وهو أتم.. فينبغى معاملة النساء حتى خوادمه بالحلم والملاطفة وعدم التشديد لعوجهن ونقص عقلهن..

* (وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ((**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلى**)). رواه ابن حبان فى صحيحه.

** (كما) كان النبى ﷺ يحذر الزوجة من عصيان الزوج وعدم طاعته.. وذلك حتى لا ينقطع حبل المودة الذى بينهما.. وحتى لا تكون بسبب هذا قد خرَّبت بيتها.. وكانت كذلك أو لذلك من أهل النار والعياذ بالله..

* (فعن) زيد بن أرقم ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: ((**المرأة لا تؤدى حق الله عليها حتى تؤدى حق زوجها كله** [2]، **ولو سألها وهى على ظهر قتب لم تمنعه نفسها** [3])).

---

(١) أى: أكثرهم برا ولطفا وتواضعا وحلما وجميل عشرة وكريم مودة الخ ... ولهذا كان نبينا ﷺ أحسن الناس خلقا لكونه أكملهم إيمانًا، وقال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

(٢) ليس المراد أن تشتغل بحق الزوج عن حق الله تبارك وتعالى ولكن المراد أنها لا تعتبر مؤدية لحق الله حتى تقوم بحق زوجها كاملا فى الطاعة والرعاية وتمكينه من نفسها.

(٣) أى: يتعين عليها أن تنزل عن بعيرها وأن تمكنه من نفسها.

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: « **لا ينظـــر الله تبارك وتعالى**[١] **إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهى لا تستغنى عنه**[٢] » رواه النسائى والبزار بإسنادين رواة أحدهما رواة الصحيح، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

* (وعن) أبى هريرة ﷺقال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا دعا الرجل امرأتـــه إلى فراشه فلم تأته**[٣]**، فبات غضبانًا عليها لعنتها الملائكة**[٤]**حتى تصبح** » رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى.

* * (وعلى) عكس هذا، فقد ورد:

* (عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إذا صلت المـــرأة خمســـها، وصامت شهرها وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلى الجنة من أى أبواب الجنة شئت** » رواه أحمد والطبرانى، ورواه أحمد ورواته رواة الصحيح خلا ابن لهيعة، وحديثه حسن فى المتابعات.

** (فعلي) الزوجة أن تكون مطيعة لزوجها في حدود استطاعتها، وفي طاعـــة الله [٥] حتي تدخل الجنة..

** (وعلي الأخ الزوج) أن يكون أيضاً في نفس الوقت مؤدياً للزوجة حقوقهـــا المشروعة حتي تدوم المودة و المحبة بينهما إلى آخر لحظة في حياهما..

* (فعن) عمرو بن الأحوص الجشمي ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ في حجـــة الوداع يقول: بعد أن حمد الله وأثني عليه، وذكر ووعظ ثم قال: « **ألا واستوصوا بالنساء خيراً** [٦]**، فإنما هن عوان** [٧] **عندكم** [٨]**، ليس تملكون منهن شيئاً غير**

---

(١) يعنى نظر رحمة ورضا.. والمراد أنه يكون ساخطا عليها.

(٢) يعنى والحال أنها محتاجة إليه فهو الذى يقوم بحمايتها والإنفاق عليها..

(٣) أى: امتنعت عن أجابته بلا سبب.

(٤) أى: سبتها وذمتها.

(٥) أي: ليس في معصية الله.. فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق..

(٦) ألا أداة تنبيه يراد بها الاهتمام بما يلقي بعدها، والواو عاطفة علي كلام سابق.. والمعـــني ليـــوص بعضكم بعضاً خيراً بأهله بأن يحسن عشرتها ويؤدي إليها حقها.

(٧) أي: أسيرات.

(٨) أي: بيوتكم.. والمراد تشبيه المرأة بالأسير في لزومها بيت الزوجية فلا تخرج منه إلا بأذن زوجهـــا وغير ذلك.

ذلك[1] إلا أن يأتين بفاحشة مبينة [2]، فإن فعلن فــاهجروهن في المضـــاجع [3] واضربوهن ضرباً غير مبرح [4]، فإن أطعنكم [5] فلا تبغوا عليهن ســـبيلاً [6]، ألا إن لكم علي نسائكم حقًّا، ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون[7] ولا يأذن فى بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن فى كسوتهن وطعامهن[8] » رواه ابن ماجة، والترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.

* (وعن) معاوية بن حيدة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله: ما حق زوجـــة أحـــدنا عليه؟ قال: « **أن تطعمها إذا طعمت[9] وتكسوها إذا اكتســـيت[10]، ولا تضـــرب الوجه[11]، ولا تقبح[12]، ولا تهجر إلا فى البيت[13]**». رواه أبوا داود، وابن حبان فى صحيحه، إلا أنه قال: إن رجلا سأل رسول الله ﷺ: ما حق المرأة على الزوج: فذكره.

---

(١) أي: غير ما جعل لكم الشرع من حق عليهن في الطاعة ولزوم البيت ونحو ذلك.

(٢) أي: ظاهرة فحشا وقبحاً.. والمراد النشوز وشكاسة الخلق وإيذاء الزوج وأهله باللســـان و اليـــد وليس المراد بها الزنا.. لأنه يتطلب حدًّا ...

(٣) قال ابن عباس الهجر هو أن لا يجامعها ويضاجعها علي فراشها ويوليها ظهره ولا يكلمها مع ذلك ولا يحدثها.

(٤) أي: غير مؤثر بأن لا يكسر فيها عضوا ولا يحدث فيها شيئاً، والمبرح هو الشديد الشاق.

(٥) أي: في ترك النشوز.

(٦) أي: لا تتلمسوا الأسباب لأذيتهن وتوبيخهن بل اتركوا التعرض لهن واجعلوا ما كان منهن كأن لم يكن.. فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له.

(٧) أى: لا يأذن لأحد من الرجال فيتحدث إليهن.. وكان الحديث من الرجل إلى النساء من عادات العرب قبل الإسلام.. وكانوا لا يرون فيه عيبا..

(٨) أى: فيما يلزمهن من كسوة وطعام بالمعروف.

(٩) يعنى أن تطعمها من طعامك الذى تأكل منه.. وهذا حث على المبادرة إلى إطعامها وكسوتها كما يفعل ذلك عادة فى شأن نفسه.

(١٠) أى: أن توفر لها الكسوة اللائقة بمثلها كما تقوم بكسوة نفسك.

(١١) أى: واجتنب الوجه إذا احتجت إلى ضربها لنشوز أو لتركها بعض الفرائض.

(١٢) أى لا تقبح صورتها بضرب الوجه.. ولا تقل لها: قبح الله وجهك.

(١٣) أى لا تهجرها إلا فى المضجع ولا تتحول عنها: ولا يحولها إلى دار اخرى.. قال بعضهم: (ولعل ذلك فيما يعتاد وقوعه من الهجر بين الزوج والزوجة وإلا فيجوز هجرهن إذا عصين فى بيت كـــإيلاء النبى ﷺ منهن شهرًا أو اعتزاله فى المشربة).

** (فعلى) الزوجين أن ينفذا كل تلك الحقوق بالنسبة لكل واحد منها نحو الآخر حتى تدوم المودة والرحمة بينهما.. (بل) وحتى لا يكون هناك مجال للشياطين بينهما.. وذلك مع الاستعانة بالله على تحقيق هذا الاستقرار المطلوب.

** (وأما) عن:

التكاثر فى الأولاد

وهو الموضع الثانى الذى لابد وأن نركز عليه.. حتى نتفق إن شاء الله تعالى على تنفيذه.. وحتى يتحقق الهدف الأسمى من هذا التنفيذ.. وهو أن نكون أهلا لأن يتباهى بنا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه يوم القيامة.. (وذلك) يتطلب أن يكون التكاثر هذا قويًّا حسيًّا ومعنويًّا.. (وأعنى) بهذا أن لا يكون كغثاء السيل.. (كما) ورد فى الحديث الشريف:

* (فعن) ثوبان قال رسول الله ﷺ : « **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها** » فقال قائل: أومن قلة نحن يومئذ ؟ قال: « **بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغثاء السيل**[1]**، ولينـزعنَّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفنَّ فى قلوبكم الوهنَ** » قال قائل: يا رسول الله وما الوهَن؟ قال: « **حب الدنيا وكراهية الموت** » رواه أبوا داود والبيهقى فى دلائل النبوة.

* (ولابد) مع التكاثر فى الأولاد الأقوياء المؤمنين ـ إن شاء الله ـ أن يكون هناك تكاثر فى الأموال الحَلال. لأن المال هو عَصب الحياة.. (وقد) سئل أحد الحكماء: (لماذا تجمع المال وأنت حكيم ؟ فقال: لأؤُدىَ به الفرض، وأصونَ به العرض، وأستغنى به عن القرض)

* (وعن) أبى كبشة الأنمارى أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « **ثلاث أقسم عليهن، وأحدثكم حديثا فاحفظوه.فأما التي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله بها عزاً، ولا فتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر. وأما الذي أحدثكم فاحفظوه ـ فقال ـ: إنما**

(١) أى: كالرغاوى التى على سطح الماء ... أو نحو هذا ...

الدنيا لأربعة نفر: **عبد رزقه الله مالاً وعلماً: فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالاً: فهو صادق النية يقول لو أن لي مالاً لعملت بعمل فلان فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالاً ولم يرزقه علما: فهو يتخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعمل فيه بحق فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالاً ولا علماً: فهو يقول لو أن لي مالاً لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته ووزرهما سواء** » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(فلتكن) أخا الإسلام من الصنف الأول.. أو علي الأقل من الصنف الثاني.. حتي تفوز ولو بالثواب.. (وإياك إياك) أن تكون من الصنف الثالث أو الرابع حتي لا تكون بأخبث المنازل.. أو علي الأقل حتي لا تكون شريكاً للرابع في الوزر.

*(ولابد) و أن تؤدي زكاة أموالك الحلال حتي يطهر الله أموالك ويبارك الله لك فيها.. ففي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالي لنبيه صلوات الله وسلامه عليه: **﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾**[التوبة: ١٠٣] (وإلا) كنت والعياذ بالله من المشار إليهم في قول الله تعالي: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ۝يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** [التوبة٣٤:٣٥].

*(وقد) روى الطبراني في الأوسط والصغير عن علي كرم الله وجهه، أن النبي ﷺ قال: (**إن الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم، ولن يجهد الفقراء إذا جاعوا أو عروا إلا بما يصنع أغنياؤهم** [1]، **ألا وإن الله يحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً**). قال الطبراني: تفرد به ثابت بن محمد الزاهد. قال الحافظ: وثابت ثقة صدوق روى عنه البخارى وغيره، وبقية رواته لا بأس بهم...

** (وتأكيداً) أو توضيحاً لما أشرت إليه قبل ذلك وهو أن المال الحلال لا بد وأن يسبق البنين:

(١) أى: أن الجهد والمشقة من الجوع والعرى لا يصيب الفقراء إلا ببخل الأغنياء.

(فإننى) أحب أن أذكر الأخ المسلم ببعض الآيات القرآنية المشيرة إلى هذا.. فقد قال تعالى:

﴿أَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً﴾ [الاسراء: ٦]. ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[الكهف: ٤٦] ﴿ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ۝إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء٨٨:٨٩]. ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ [القلم:١٤] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً۝ وَبَنِينَ شُهُوداً﴾ [المدثر١٢:١٣].

* * (وهناك) إشارة أخرى (لابد) وأن أذكرها الأخ المسلم المصاب بداء العقم... والذى قيل له: إنك لن تنجب... (إننى) أذكره بآية كريمة يشير الله تعالى فيها إلى أعظم علاج لداء العقم... وهى قول الله تعالى على لسان سيدنا نوح عليه السلام لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾ [نوح:١٠: ١٢].

(إن المطلوب) من الأخ المسلم الذى لا ينجب أن ينفذ المشار إليه فى هذا النص القرآنى وهو.أن يكثر من الاستغفار ــ مع الأخذ بالأسباب الطيبة ــ ومع اعتقاده الجازم أن الله تعالى هو الشافى.. وأنه تعالى صادق فيما قال... وأنه سبحانه: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً.﴾ [الشورى٤٩:٥٠]

* * (وأقسم) للأخ القارئ ــ وأنا لست بحانث ــ أن هذا المشار إليه فى الآية الكريمة قد حدث فعلاً... (فقد) حدث فى يوم ما إن كنت فى مستشفى المبرة بالمعادى.. ــ للعلاج ــ أن رأيت شاباً فى سن الخامسة والثلاثين تقريباً يُمسك بيده صبيًّا فى سن السابعة تقريباً... وقد أقبل على ليشد على يدى ــ فى فرح وسرور ــ وهو يقول لى: إننى أقسم لك أننى لم أُرزق بهذا الصبى إلا بعد أن استمعتُ إليك فى خطبة الجمعة بمسجد الفتح بالمعادى... تلك الآيات التى ذكرت فيها قول سيدنا نوح لقومه والتى منها: ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ﴾ [نوح:١٢] فلازمت الاستغفار

بهذه النية إلى أن رزقنى الله بهذا الولد... بعد أن ذهبت إلى كبار الأطباء لأكثر من عشر سنوات أنفقت فيها الأموال الطائلة.. فجزاك الله أحسن الجزاء.. ثم سلم على بعد ذلك مع ولده ثم انصرفا وأنا أنظر إليهما وأنا فى غاية السعادة.. التى أرجو أن يكون الأخ المسلم من الحريصين عليها بتنفيذ طلب المغفرة من الله تعالى وذلك بالإكثار من الإستغفار.. الذى هو مفتاح الخير إن شاء الله.

* (وعلى الأخ المسلم) إذا ما رزق بذكر أو أنثى أن يكون راضياً بما أعطاه الله تعالى. (مع) ملاحظة أن العطاء هذا بنوعيه هو ذريته..

* (وقد) قرأت أن رجلاً عربيًّا كان يسمى (أبوحمزة) وكان قد تزوج بفتاة عربية لكى تنجب له ولداً.. فأنجبت له بنتًا.. فأخذ بعد ذلك يتردد على خيمة مجاورة له لكى يتزوج ابنة صاحبها.. حتى تنجب له الولد الذى يريده.

(فلما) رأت الزوجة هذا أخذت تداعب ابنتها بشعرٍ تقول فيه بصوت عال لكى تسمعه:

ما لأبى حمزة لا يأتينا ... يظل فى البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا ... تالله ما ذلك فى أيدينا
ونحن كالأرض لزارعينا ... ننبت ما قد زرعوه فينا

(فلما) سمع هذا عاد سريعاً إلى زوجته وحمل ابنته وقبلها.. ثم بعد ذلك رزقه الله تعالى بالولد من نفس العربية الذكية... بعد أن قذف فى رحمها بِذْرة الولد الذكر عندما شاء الله تعالى له أن يولد.

* * (وأحب) أن يعلم الأخ المسلم كذلك.. أن المولودة الأنثى التى قد لا يريدها.. قد تكون سبب السعد بالنسبة له ولأمها... بل ولكل أفراد أسرتها بسبب رزقها الواسع أو بسبب مصاهرة كريمة قد تكون عزة ومنعة ومودة ورحمة لهم جميعاً.. ولا سيما إذا كان هذا فى مصلحة الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

* * (اللهم) إلا إذا كانت امرأة سوء..

* (فقد) قرأت فى (المتفرقات) ج٣ ص٨ تحت عنوان:

من أوصاف المرأة السوء

التى ينبغى أن لا يتزوجها الأخ المسلم. الذى يريد أن ينشئ بيتاً مسلماً قوىّ الدعائم..

* (أن) دواد عليه السلام قال: (إن المرأة السوء مثل شرك الصياد لا ينجو منها إلا من رضى الله تعالى عنه).

(وورد) عنه على نبيناً وعليه الصلاة والسلام أنه كان يقول فى دعائه: **((اللهم إنى أسالكَ أربعاً وأعوذ بك من أربع: أسألك لساناً صادقاً، وقلباً خاشعاً، وبدناً صابراً، وزوجة تعيننى على أمر دنياى وأمر آخرتى. وأعوذ بك: من ولد يكون على سيداً، ومن زوجة تُشيبنى قبل وقت المشيب، ومن مال يكون مشبعة لغيرى بعد موتى ويكون حسابه فى قبرى، ومن جار سوء إن رأى حسنة كتمها، وإن رأى سيئة أذاعها وأفشاها))**.

* (وقيل): إن المرأة السوء غُل [1] يلقيه الله تعالى فى عنق من يشاء من عباده.

* (وقيل) لأعرابى مجرب: صف لنا شر النساء ؟ فقال: شرهن السريعة الوثبة، كأن لسانها حربة. تضحك من غير عجب، وتبكى من غير سبب، وتدعوا على زوجها بالجرب، أنف فى السماء، وإست فى الماء، كلامها وعيد، وصوتها شديد. تدفن الحسنات وتفشى السيئات. تعين الزمان على بعْلها[2] ولا تعين بعلها على الزمان. ليس فى قلبها عليه رأفه ولا عليها منه مخافة. إن دخل خرجت وإن خرج دخلت، وإن ضحك بكت، وإن بكى ضحكت. كثيرة الدعاء، وقليلة الإرعاء[3]، تأكل لمًّا وتوسع ذمّاً [4]، ضيقة الباع مهتوكة القناع. إذا حدثت تشير بالأصابع، وتبكى فى المجامع بادية من حجابها، نياحة عند بابها، وهى ظالمة، وتشهد وهى غائبة.

---

(١) الغل بالضم واحد الأغلال.. يقال فى رقبته غل من حديد (مختار الصحاح) ص ٤٧٩.
(٢) البعل: أى الزوج.
(٣) أى: قليلة الرعاية لزوجها وأولادها.
(٤) أى: تأكل نصيبها ونصيب صاحبها.. وتوسعه ذماً.

قد ولى لسانها بالزور، وسال دمعها بالفجور. ابتلاها الله بالويل والثبور، وعظائم الأمور.

*(فاستحقت) بذلك قول الشاعر:

لقد كنت محتاجاً إلى موت زوجتي	ولكن قرين السوء باق معمر
فياليتها صارت إلى القبر عاجلاً	وعذبها فيه نكير ومنكر

**(وأما) المرأة الصالحة التي ينبغي على الأخ المسلم أن يكون جادًّا في البحث عنها عن طريق المسجد، أو عن طريق مجالس العلم النافع _ حتى تكون زوجة له وأما لأولاده _ فهي المشار إليها في الأحاديث الآتية:

*(فعن) أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول: « **ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة** [١]: **إن أمرها أطاعته** [٢]، **وإن نظر إليها سرته** [٣]، **وإن أقسم عليها أبرته** [٤]، **وإن غاب عنها صانته في نفسها** [٥] **وماله** » رواه ابن ماجة عن علي بن زيد عن القاسم عنه.

*(وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **أربع من أعطيهن** [٦]، **فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: قلباً شاكراً** [٧]، **ولساناً ذاكراً** [٨]، **وبدناً على البلاء صابراً** [٩]، **وزوجة لا تبغيه حوباً** [١٠] **في نفسها** [١١] **وماله** [١٢] ». رواه الطبراني في الكبير بإسناد أحدهما جيد.

---

(١) أي: برة تقية عفيفة نقية عاقلة مهذبة كثيرة الشكر قليلة الشكوى رحيمة القلب.. الخ.

(٢) أي: فيما لا معصية فيه لله عز وجل لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(٣) يعني لا يقع نظره عليها إلا ويحس بالسرور والفرح فهي دائمة الابتسام له، نظيفة البدن والثياب جميلة الحركات.

(٤) أي: أبرت يمينه ولا توقعه في الحنث

(٥) أي: لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، وأن لا تسمح لأحد من الرجال بالدخول عليها، وأن لا توطئ فراشه من يكره.. وأن تكون على الحال التي يحبها منها.. وأن تجتهد في حفظ ماله وتنميه. وأن لا تنفق منه إلا بقدر حاجتها بلا تبذير...

(٦) أي: أعطاه الله إياهن.

(٧) أي: مقراً بنعمة الله تعالى ومعتقدا لعظمته ومتفكراً في مخلوقاته ومخلصاً له في عبادته.

(٨) أي: مثنياً على الله عز وجل بما هو أهله من تسبيح وتحميد وتهليل وتكبير ولا بد من حضور القلب.

(٩) يعني الامتحان والاختبار بالفقر والمرض ونحوهما

(١٠) الحوب بفتح الحاء وضمها: الإثم، وفي رواية (خونا) بالخاء المعجمة والنون أي لا تطلب له خيانة...

(١١) بأن تمكن غيره من الزنا بها.

(١٢) بأن تتصرف فيه بما لا يرضيه.

* (وعن) أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « **تنكح المرأة على إحدى خصال** [1]: **لجمالها، ومالها، وخلقها، ودينها، فعليك بذات الدين والخلق**[2] **تربت يمينك** [3] » رواه أحمد بإسناد صحيح والبزار، وأبو يعلى، وابن حبان فى صحيحه.

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : « **لا تزوجوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن** [4]، **ولا تزوجوهن لأموالهن فعسى أموالهن أن تطغيهن** [5]، **ولكن تزوجوهن على الدين، ولأمة خرماء** [6] **سوداء ذات دين أفضل** » رواه ابن ماجة من طريق عبد الرحمن بن زياد ابن أنعم.

* * (هذا)، وإذا كان هناك من ضعاف الإيمان وغير الواثقين فى الله من يعمل عكس ما يرغبنا فيه رسول الله ﷺ فى نص الوصية... وذلك بما يسمى:

تنظيم النسل أو تحديده خشية الفاقة

* * (فإننى) أذكرهم بخلاصة ما ورد فى هذا الموضوع الهام من أحكام وآراء... (وذلك) من خلال ما جاء فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام[7])، (الفتاوى [8]) وفتوى معتمدة لفضيلة الإمام الشيخ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الحالى .. أيام كان مفتياً للديار المصرية عام ١٩٨٨[9].

---

(١) يعنى الذى يرغب الرجال فى نكاحها واحدة من هذه الخصال...

(٢) أى: الزمها واظفر بها فهى خير لك من ذات الحسب والمال والجمال لأن بالدين يحصل خير الدين والآخرة... وبالطبع لامانع أن تجمع المرأة الصالحة كل تلك الأساسيات التى تزيد جمالا وكمالا...

(٣) كلمة معناها الحث والتحريض، وقيل هى هنا دعاء عليه بالفقر، وقيل: بكثرة المال.. واللفظ مشترك بينهما... قابل لكل منهما.

(٤) أى: يهلكهن.

(٥) أى: تزيدهن طغياناً وتجبراً.

(٦) أى: مثقوبة الأذن... وقيل: هى التى شقت أذنها غرضاً...

(٧) لفضيلة الدكتور /يوسف القرضاوى.

(٨) لفضيلة الإمام الشيخ محمود شلتوت _ عليه رحمة الله...

(٩) كما جاء فى نشرة وزارة الأعلام الهيئة العامة للإستعلامات.فى كلمة عن تنظيم الأسرة ورأى الدين فيه.. وكذلك رأى لجنة الفتوى بالأزهر فى تنظيم النسل فى ٢٧من المحرم ١٤٠٩هـ، ٨ سبتمبر ١٩٨٨م.

* (والخلاصة) التي أريد أن نتفق عليها بالنسبة لموضوع:

تنظيم النسل

(هي) أنه يجوز تنظيم النسل للأسباب الآتية:

أولاً: الخشية على حياة الأم أو صحتها من الحمل أو الوضع، إذا عرف بتجربة أو إخبار طبيب ثقة... لقوله تعالى: ﴿ **وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَهْلُكَة** ﴾ [البقرة: ١٩٥]، وقوله تعالى:﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**﴾ [النساء: ٢٩]

وثانياً: الخشية فى وقوع حرج دنيوى قد يفضى به إلى حرج فى دينه، فيتقبل الحرام، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد، لقوله تعالى:﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ** ﴾[البقرة: ١٨٥] وقوله:﴿**مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ**﴾ [المائدة: ٦].

وثالثاً: الخشية على الأولاد أن تسوء صحتهم أو تضطرب تربيتهم. ففى صحيح مسلم:

* (عن) أسامة بن زيد أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى أعزل عن امرأتى [١]. فقال له رسول الله ﷺ :((**لمَ تفعل ذلك؟**)) فقال الرجل: أُشفق على ولدها ــ أو قال ــ على أولادها. فقال رسول الله ﷺ: ((**لو كان ضارًّا لضَرَّ فارسَ والروم** [٢])).

* * قال (فى الحلال والحرام فى الإسلام): وكأنه عليه الصلاة والسلام رأى أن هذه الحالات الفردية لا تضر الأُمة فى مجموعها بدليل أنها لم تضر فارس والروم ــ وهما أقوى دول الأرض حينذاك ــ.

ورابعاً: الخشية على الرضيع من حمل جديد، ووليد جديد، وقد سمى النبى ﷺ الوطء فى حالة الرضاع: وطء الغيلة أو الغيل لما يترتب عليه من حمل يفسد اللبن ويضعف الولد ، وإنما سماه غيلاً أو غيلة، لأنه جناية خفية على الرضيع فأشبه القتل سرًّا.

(وكان) عليه الصلاة والسلام يجتهد لأمته فيأمر بما يصلحها، وينهاها عما يضرها. وكان من اجتهاده لأمته أن قال: ((**لا تقتلوا أولادكم سراً فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره** [٣])). ولكنه عليه السلام لم يؤكد النهى إلى درجة التحريم... ذلك لأنه نظر إلى

(١) العزل هو إلقاء المنى خارج الفرج.

(٢) أخرجه مسلم.

(٣) رواه أبو داود.

الأمم القوية فى عصره فوجدها تصنع هذا الصنيع ولا يضرهم ـ فالضرر إذاً غير مُطَّرد ـ هذا مع خشيته العنت على الأزواج لو جزم بالنهى عن وطء المرضعات. ومدة الرضاع قد تمتد إلى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة. لذلك كله قال: (**لقد هممت أن أنهى عن الغيلة ثم رأيت الفرس والروم يفعلونه ولا يضر أولادهم شيئاً**[(١)]).

**ثم يقول في (الحلال والحرام في الإسلام): قال: ابن القيم رحمه الله في بيان الصلة بين هذا الحديث والحديث السابق ـ لا تقتلوا أولادكم سرًّا ـ: (أخبر النبي ﷺ في أحد الجانبين أنه ـ أي الغيل ـ يفعل في الوليد مثل ما يفعل من يصرع الفارس عن فرسه كأنه يدعثره ويصرعه، وذلك يوجب نوع أذي ولكنه ليس بقتل للولد وإهلاك له، وإن كان يترتب عليه نوع أذي للطفل، فأرشدهم إلي تركه ولكنه لم ينه عنه ـ أي نهي تحريم ـ ثم عزم علي النهي سدًّا لذريعة الأذي الذي ينال الرضيع، فرأي أن سد هذه الذريعة لا يقاوم المفسدة التي تترتب علي الإمساك عن وطء النساء مدة الرضاع، ولا سيما من الشباب وأرباب الشهوة التي لا يكسرها إلا مواقعة نسائهم، فرأي أن هذه المصلحة أرجح من مفسدة سد الزريعة. فنظر ورأي الأُمَّتين ـ اللتين هما من أكثر الأمم وأشدها بأساً ـ يفعلونه ولا يتقونه مع قوتهم وشدتهم فأمسك عن النهي عنه) [(٢)] ، ثم يقول: (في الحلال والحرام في الإسلام):

*(وقد) استحدث فى عصرنا من الوسائل التى تمنع الحمل ما يحقق المصلحة التى هدف إليها الرسول ﷺ ـ وهى حماية الرضيع من الضرر ـ مع تجنب المفسدة الأخرى ـ وهى الامتناع عن النساء مدة الرضاع وما فى ذلك من مشقة.

*(وعلى) ضوء هذا نستطيع أن نقرر أن المدة المثلى فى نظر الإسلام بين كل ولدين هى ثلاثون أو ثلاثة وثلاثون شهراً لمن أراد أن يتم الرضاعة.

(١) رواه مسلم.
(٢) (مفتاح دار السعادة) لابن القيم ص ٦٢٠، وانظر (زاد المعاد) ج٤ ص ١٦ وما بعدها (ط) صبيح.

(وقرر) الإمام أحمد وغيره أن ذلك يباح إذا أذنت به الزوجة، لأنها لها حقًّا فى الولد، وحقًّا فى الاستمتاع. (وروى) عن عمر أنه نهى عن العزل إلا بإذن الزوجة. وهى لفتة بارعة من لفتات الإسلام إلى حق المرأة فى عصْر لم يكن يعترف لها بحقوق.

*(وقد قال) الإمام الغزالى فى كتابه: (إحياء علوم الدين) ج٢ص٥١: (وأما العزل _ وهو أن يقذف الرجل ماءه خارج الرحم منعاً للحمل _ فقد اختلف العلماء فى إباحته وكراهته _ والصحيح عندنا أن ذلك مباح).

* *(فقد) لخص فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت _ عليه رحمة الله _ فى كتابه (تنظيم النسل) ص ٨ جانباً من كلام الإمام الغزالي أن منع الولد مباح ولا كراهة فيه. قال: لأن النهى إنما يكون بنص أو قياس منصوص، ولا نص يقاس عليه. بل عندنا فى الإباحة أصل يقاس عليه. وهو ترك الزواج أصلاً، أو ترك المخالطة الجنسية بعد الزواج، أو ترك التلقيح بعد المخالطة، فإن كل ذلك مباح وليس فيه إلا مخالفة الأفضل، فليكن منع الحمل بالعزل أو ما يشبهه مباحاً...).

*(وقد) قال فضيلة الشيخ سيد سابق _ أكرمه الله _ فى كتابه (فقه السنة) ج٧ ص ١٤٥، تحت عنوان: (العزل وتنظيم النسل):

*(تقدم) أن الإسلام يرغب فى كثرة النسل إذ أن ذلك مظهر من مظاهر القوة والمنعة بالنسبة للأمم والشعوب.. إلا أن الإسلام مع ذلك لا يمنع فى الظروف الخاصة من تنظيم النسل، وباتخاذ دواء يمنع من الحمل، أو بأى وسيلة أخرى من وسائل منع الحمل... ثم يقول:

(فيباح) التنظيم فى حالة إذا كان الرجل معيلاً _ أى كثير العيال _ ولا يستطيع القيام على تربية أبنائه التربية الصحيحة.

(وكذلك) إذا كانت المرأة ضعيفة، أو كانت موصولة الحمل، أو كان الرجل فقيراً أو كان هناك مرض معد فى الزوجين أو فى أحدهما (ففى) مثل هذه الحالات يباح تنظيم النسل، بل إن بعض العلماء يرى أن التحديد فى هذه الحالات لا يكون مباحاً فقط بل مندوباً إليه... الخ.

** (وأما) عن:

تحديد النسل

بمعنى أن يكتفى الزوج باتفاق مع الزوجة على ولد أو ولدين.. أو ثلاثة.. ثم بعد ذلك تمتنع الزوجة عن الحمل نهائياً بأية وسيلة من الوسائل... فهو حرام.. اللهم إلا إذا كانت هناك أسباب صحية تتعلق بالزوجة ويرى الأطباء المتخصصون _ المسلمين _ ضرورة أن يتوقف الحمل نهائياً وإلا هلكت الزوجة... فإنه لا مانع من هذا شرعاً _ والله أعلم _ (وأما) إذا كان التوقف النهائى بسبب الرزق فقط... فإنه لن يكون مشروعاً. ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذريات:٥٨] مع الأخذ بالأسباب المشار إليها فى قوله الله تعالى:﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

** (وقد) يسأل الأخ المسلم عن:

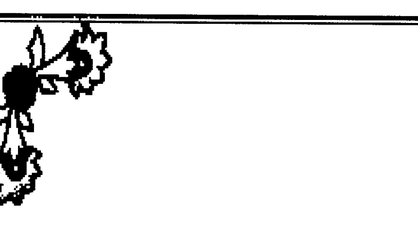
حكم الإجهاض

(وهو) قتل الجنين فى بطن أمه ؟ فأفتيه بما قاله فضيلة الإمـــام الشـــيخ محمـــود شلتوت _ عليه رحمة الله _ وهو أنه: (قد اتفق الفقهاء على أن إسقاط الحمل بعـــد نفخ الروح فيه _ وهو كما يقولون لا يكون إلا بعد أربعة أشهر _ حرام وجريمة لا يحل لمسلم أن يفعله: لأنه جناية على حى متكامل موثوق به ولا يجوز إسقاطه إلا إذا حكم الطبيب الثقة أن بقاءه بعد تحقيق الحياة هكذا يؤدى لا محالة إلى موت الأُم، فإن الشريعة بقواعدها العامة تأمر بارتكاب أخف الضررين.. وهو إسقاط هذا الحمل _

* (أما) إسقاطه قبل نفخ الروح فيه _ أى قبل إتمام أربعة أشهر كما يقولـــون_ قـــد اختلفوا فيه... فرأى فريق أنه جائز ولا حرمة فيه. ورأى آخرون أنه حرام أو مكروه...).

(وعلى) هذا _ فإن الفقير يرى _ عدم الإسقاط حتى ولو كان الجنين هذا نطفة فى مراحل الحمل الأولى.. لأنه حيوان منوى فيه حياة.. وقد يكون بعد تمـــام حملـــه ووضعه وتربيته من كبار الصالحين... أو مصدر خير كبير للوالدين وللوطن _ هـــذا بالإضافة إلى أنه سيكون إن شاء الله من عباد الله الذين سيكاثر النبى ﷺ بهـــم يـــوم القيامة أمام إخوانه من الأنبياء.. (اللهم) إلا إذا كان الإسقاط هذا أيضـــاً لأســـباب صحية يقررها الطبيب المتخصِّص المسلم.. والله أعلم..

وهو سبحانه ولى التوفيق

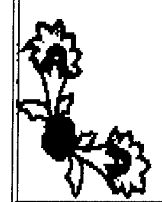


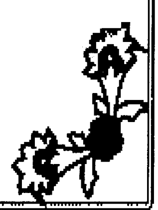
الوصية الثانية والسبعون بعد المائة

• عن طلق بن علي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(إِذا دَعا الرَّجُلُ زَوْجَتَهُ لِحَاجَتِهِ: فَلْتَأْتِهِ وَإِنْ كَانَتْ عَلَى التَّنُّورِ).

رواه الترمذي وقال: حديث حسن والنسائي وابن حبان في صحيحه. قال شارح الجامع: (قال الشيخ حديث صحيح).





فكن أخا الإسلام

مذكراً زوجتك ـ المؤمنة إن شاء الله ـ بهذه الوصية..حتى تؤدى لك حقوقك الشرعية ما دامت غير معذورة (وأعنى) بهذا أن لا تكون حائضاً أو نفساء [1].. لأن هذا العذر سيكون مانعاً شرعيًّا... ويحرم عليك أن تجامعها فيه.. بل ويحرم عليها أن تلبى مطلبك.. لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق..

(ولهذا) فقد رأيت ـ وقبل أن أبدأ فى شرح المراد من هذه الوصية ـ أن أذكر الأخت المسلمة ـ بالأعذار الشرعية التى لا يجوز للزوج أن يطأها فيها.. والتى لابد للزوج أن يقف عليها كذلك حتى لا يكون جاهلاً بها.. فإليهما خلاصة:

الأعذار الشرعية للمرأة المسلمة (فقد) ذكر فى (الدين الخالص) ج ١ص تحت عنوان:

النجس المختص بالنساء

(أن) دم الحيض، والنفاس، والإستحاضة: نجس بالإجماع، لا فرق بين قليله وكثيره.

* (لحديث) أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما قالت: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: إحدانا يصيب ثوبها من دم الحيضة فكيف تصنع ؟ قال: «**تحته ثم تقرصه بالماء ثم تنضحه** [2] **ثم تُصلى فيه** » أخرجه الجماعة [3]

* (وعن) أم قيس بنت محصن أنها سألت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن دم الحيضة يصيب الثوب ؟ فقال: «**حكيه بصلع** [4] **واغسليه بماء وسدر** » أخرجه أحمد وابنا خزيمة وحبان والأربعة إلا الترمذى [5]. وقال ابن القطان: إسناده فى غاية الصحة ولا أعلم له علة.

---

(١) أو فى نهار رمضان.. والعياذ بالله..

(٢) تحته بفتح الفوقية وضم الحاء المهملة وتشديد المثناة الفوقية: أى تحكه. والمقصود من ذلك إزالة عينه.. (وتقرصه) بفتح أوله وسكون القاف وضم الراء والصاد المهملة (وتنضحه) أى تغسله (وقيل) المراد بالنضح الرش. وفى رواية تغسله مكان تقرضه.

(٣) وهم: مالك وأحمد، والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه

(٤) الصلع: بفتح فسكون فعين مهملة: الحجر بفتحات.

(٥) أى: وأخرجه أبو داود، والنسائى، وابن ماجه.

* * (ثم) يقول فى (الدين الخالص): وهاك بيان هذه الدماء:

(١) الحيض: وهو الدم الخارج من قُبل امرأة لا داء بها ولا حبل.. (وألوانه) التى تراها المرأة فى مدة الحيض: ستة: السواد، والحمرة، والصفرة، والكدرة، والخضرة، والتربية.

وهاك بيان كل لون باختصار وتصرف:

* * فالسواد والحمرة: حيض اتفاقاً:

* (لحديث) عروة عن فاطمة بنت أبى حبيش أنها كانت تستحاض فقال لها النبى ﷺ : **((إذا كان دم الحيض فإنه دم أسود يعرف فأمسكى عن الصلاة))** أخرجه أبو داود والنسائى وابن حبان والحاكم وصححاه.

* (وقول) عائشة: دم الحيض أحمر قان [١]، ودم الإستحاضة كغسالة اللحم. أخرجه العقيلى.

* * (وأما) الصفرة: وهى ماء تراه المرأة كالصديد يعلوه اصفرار (والكدرة): بضم الكاف وسكون الدال. والمراد بها دم يكون بلون الماء الوسخ. (والتربية): وهى دم لونه كلون التراب (فقد اختلفوا فيها)، (فقال) الحنفيون والشافعى: هى حيض فى أيام الحيض، وهى عشرة عند الحنفيين، وخمسة عشر عند الشافعية. (والمشهور) عند المالكية أنها حيض فى أيام عادتها وثلاثة أيام بعدها استظهاراً.

(وقالت) الحنبلية: هى فى أيام العادة حيض. ولا اعتداد بها فى غير أيام العادة (ودليل) ذلك أثر علقمة بن أبى علقمة عن أمه مولاة عائشة قالت: كانت النساء يبعثن إلى عائشة بالدرجة [٢] فيها الكرسف [٣] فيه الصفرة من الحيض يسألنها عن الصلاة فتقول لهن: لا تعجلن حتى ترين القصة البيضاء: تريد بذلك الطهر من الحيض. أخرجه مالك ومحمد بن الحسن والبيهقى. وعلقه البخارى.

---

(١) قان: أى شديد الحمرة.

(٢) (الدرجة) بكسر الدال وفتح الراء: وعاء صغير تضع المرأة فيه طيبها ومتاعها. (وقيل) هى خرقة ونحوها تدخلها المرأة فى فرجها لتعرف هل زال الدم ؟

(٣) (والكرسف): القطن و (القصة) أى القطنة، بفتح القاف وتشديد الصاد.. والمراد أن تخرج المرأة القطنة أى الخرقة التى تحتشى بها كأنها قصة لا يخالطها صفرة.

(ولا تنافى) بينه وبين قول أم عطية: كنا لا نعد الكدرة والصفرة بعد الطهر شيئاً. أخرجه أبو داود والبيهقى والحاكم وصححه.

(لحمل) هذا: على إذا رأت الصفرة والكدرة فى غير أيام الحيض (وحمل) أثر عائشة على ما إذا رأتهما فى أيام الحيض (قال) محمد: وبهذا نأخذ: لا تطهر المرأة مادامت ترى حمرة أو صفرة أو كدرة حتى ترى البياض خالصاً.

(وقال) أبو يوسف: الكدرة لا تعتبر حيضاً إلا بعد الدم.

(وقال) ابن حزم والثورى والأوزعى: الكدرة والصفرة ليستا بحيض مطلقاً ، وهو مروى عن على: لأنهما ليستا بدم بل هما من الرطوبات التى تخرج من الرحم، (والحديث): «**إذا كان دم الحيض فإنه دم أسود يعرف** ». (ورد) بأنه إنما خص بالذكر لأنه الأصل والغالب فى دم الحيض، فلا ينافى أن غيره من الصفرة والكدرة حيض فى أيامه.

(وأما الخضرة): فالصحيح أن المرأة إن كانت من ذوات الحيض تكون الخضرة حيضاً. وتحمل على فساد الغذاء. (وإن كانت) المرأة كبيرة لا ترى غير الخضرة لا تكون حيضاً.

(ثم) يقول: اتفقوا على أن أقل سن تحيض فيه المرأة تسع سنين قمرية [1].

* * (وأما) عن:

مدة الحيض

(فأقله) ثلاثة أيام، (وأكثره) عشرة عند الحنفيين والثورى (لحديث) وائلة بن الأسقع أن النبى ﷺ قال: «**أقل الحيض ثلاثة أيام وأكثره عشرة أيام**» أخرجه الدارقطنى وضعفه بجهالة محمد بن منهال، وضعف محمد بن أحمد بن أنس.

وأخرجه الطبرانى فى الكبير والأوسط عن أبى أمامة (قال) الهيثمى: وفيه عبد الملك السكونى عن العلاء بن كثير لا ندرى من هو ؟

* (وعن) أنس أن النبى ﷺ قال: «**الحيض ثلاثة أيام وأربعة وخمسة وستة وسبعة وثمانية وتسعة وعشرة فإذا جاوزت العشرة فهى مستحاضة** ». أخرجه بن عدى فى الكامل وأعله الحسن بن دينار مجمع على ضعفه.

(١) السنة القمرية ٣٥٤ أربعة وخمسون وثلثمائة يوم تقريباً.

*(فهذه) عدة أحاديث عن النبى ﷺ متعددة الطرق وذلك يرفع الضغيف إلى الحسن. والمقدرات الشرعية مما لا تدرك بالرأى فالموقوف فيها حكمه الرفع.

*(وعن) الربيع بن صبيح عمن سمع أنساً يقول: لا يكون الحيض أكثر من عشرة _ أخرجه الدارقطنى، والربيع وثقه ابن معين. وقال أحمد لا بأس به رجل صالح. وقال ابن عدى له أحاديث صالحة مستقيمة. ولم أرله حديثاً منكراً. وشيخه وإن كان مجهولاً، فالأظهر أنه معاوية بن قرة لأنه هو الذى روى ذلك عن أنس.

*(وعن) عثمان بن أبى العاص ﷺ أنه قال: الحائض إذا جاوزت عشرة أيام فهى بمنزلة المستحاضة تغتسل وتصلى. أخرجه الدار قطنى. وقال البيهقى هذا الأثر لا بأس بإسناده.

(ولا يخفى) أنه لا يشترط امتداد الدم ثلاثة أيام أو عشرة بدون انقطاع. بل المعتبر وجوده فى أول المدة وآخرها على ظاهر الرواية. فلو رأت الدم عند طلوع فجر يوم السبت مثلاً وانقطع عند غروب شمس يوم الإثنين لا يكون حيضاً.

(وقال) المالكيون: أقل الحيض فى العبادة قطرة وفى العدة والاستبراء يوم أو أكثره.

(وأكثره) لمبتدأة: نصف شهر، ولمعتادة: عادتها وثلاثة أيام بعدها ما لم تجاوز خمسة عشر.

فلو كانت عادتها اثنى عشر يوماً تستظهر بثلاثة. وإن كانت عادتها ثلاثة عشر يوماً تستظهر بيومين، وهكذا (قالت) الشافعية والحنبلية: أقل الحيض يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر يوماً على الأصح عندهم (قالوا): لأنه لم يرد فيه تحديد من الشارع ولا حد له فى اللغة، فوجب الرجوع فيه إلى العرف والعادة.

(ورد) بأن العادة مختلفة فلا تعتبر. وأنه قد ورد ما يقوى المذهب الأول. فللتحديد بثلاثة أيام فى الأقل وعشرة أيام فى الأكثر أصل فى الشرع بخلاف قولهم (وخمسة عشر يوماً) لم تعلم فيه حديثاً حسناً ولا ضعيفاً. وإنما تمسكوا فيه بما رووا أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فى صفة النساء:

«تمكث إحداكن شطر عمرها لا تصلى». قال البيهقى: لم أجده. وقال ابن الجوزى فى التحقيق: هذا الحديث لا يعرف وأقره صاحب التنقيح [1].

(١) انظر ص ٣٢٢ ج ١ الجوهر النقى.

** (هذا) ما قاله الفقهاء (وقال) بعضهم: الصحيح أنه لم يأت فى تقدير أقل الحيض وأكثره ما تقوم به الحجة، لأن ما ورد فى تقديرها إما موقوف ولا تقوم به الحجة، أو مرفوع ولا يصح، فلا تعويل على ذلك ولا رجوع إليه. بل المعتبر _ لذات العادة المقررة _ العادة. وغير المعتادة تعمل بالقرائن المستفادة من الدم (فقد) صح فى ذات العادة أحاديث كثيرة فيها اعتبار الشارع للعادة.

(كحديث) عائشة أن النبى ﷺ قال: «**إذا أقبلت الحيضة فدعى الصلاة، وإذا أدبرت فاغتسلى وصلى**» أخرجه البخارى وأبو داود [١].

** (وقد) قرأت تلخيصا لكل هذا فى كتاب: (الفقه الواضح) ج ١ ص ١٢٣ جاء فيه تحت عنوان:

أحكام الحيض

** (أن) الحيض هو الدم الخارج من قُبل المرأة حال صحتها من غير سبب ولادة، ولا افتضاض بكارة، ولونه أسود، أو أحمر، أو أصفر به كدرة _ أى صفرة مائلة إلى السواد _ تعرفه بعض النساء، وهو علامة من علامات بلوغ المرأة _ ووقت ابتدائه _ كما يرى جمهور الفقهاء. إذا بلغت الأنثى تسع سنين.. (أى) أن المرأة لا تحيض قبل أن تبلغ هذا السن. وبعض الفقهاء يرى أن تقدير سن المرأة، التى يبتدئ حيضها فيه، خاضع للبيئة، فالمنطقة الباردة غير المنطقة الحارة، وغير المنطقة المعتدلة، والغالب فى منطقتنا العربية المعتدلة أن الفتاة تحيض فى سن الثالثة عشرة والرابع عشر ولكن إذا حاضت الفتاة قبل هذا السن، رجعنا إلى السن الذى قدره الفقهاء، وهو تسع سنين، وحكمنا بأن الدم الذى نزل عليها هو دم حيض.

** (ثم) يقول: (هذا) وليس هناك سن محدود لنهاية الحيض. (فقد) ذهب فريق من الفقهاء إلى أنه ينتهى فى سن السبعين، وذهب فريق إلى القول بدوامه إلى آخر العمر، والمعول فى اختلافهم، على التجربة والعادة. وليس هناك حديث يحدد نهاية انقطاعه. (وأقل) مدة الحيض عند المالكية: دفعة واحدة، وعند الأحناف: ثلاثة

---

(١) انظر ص ٢٨٨ ج ١ فتح البارى (إقبال المحيض وإدباره) وص ٨٣ ج ٣ منهل (المرأة المستحاض).

أيام... وعند الشافعية والحنابلة: يوم وليلة. (وذهب) كثير من الفقهاء إلى أن المعول عليه فى مدة الحيض هو عادة المرأة، فإن كانت عادتها ثلاثة أيام ــ مثلا ــ و لم ينقطع الدم بعدها فإنها تغتسل، وتصلى، كما جاء ذلك عن رسول الله ﷺ.

(فعن) أم سلمة رضى الله عنها أنها استفت رسول الله ﷺ فى امرأة تهراق الدم ؟ فقال: «**لتنظر قدر الليالى والأيام التى كانت تحيضهن.. وقدرهن من الشهر فتدع الصلاة ثم لتغتسل، ولتستثفر ثم تصلى** » رواه أحمد ومسلم. (ومعنى) تستثفر: أى تضع خرقه على فرجها، لتمنع بها نزول الدم.

* * (ثم) يقول تحت عنوان:

أحكام النفاس

(أن) النفاس هو الدم الخارج من قُبل المرأة بسبب الولادة، وإن كان المولود سقطًا.. (وأن) أقل مدته ــ كما يرى الفقهاء ــ: لحظة.. (فلو) انقطع الدم بعدها، أو ولدت بغير دم، تغتسل وتصلى، فإن رأت الدم بعد ذلك تنتظر حتى ينقطع (أى) تترك الصلاة فى مدة نزوله، وتغتسل عند انقطاعه وتصلى (وأكثر) مدته أربعون يوما. (فإن) نزل عليها الدم بعد الأربعين، لا تعتبره دم نفاس، بل تضع على فرجها خرقه تحجز بها الدم، وتصلى. (وهذا) هو مذهب أكثر أهل العلم. (فعن) أم سلمة رضى الله عنها قالت: (كانت النفساء تجلس على عهد رسول الله ﷺ أربعين يوما) رواه أبو داود والترمذى. وقال الترمذى بعد هذا الحديث: قد أجمع أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين، ومن بعدهم، على أن النفساء تدع الصلاة أربعين يوما.. إلا أن ترى الطهر قبل ذلك، فإنها تغتسل وتصلى، فإن رأت الدم بعد الأربعين، فإن أكثر أهل العلم قالوا: لا تدع الصلاة بعدها. ا. هـ.

* * (وهناك) ملاحظات أخرى تتعلق ــ بأحكام النفاس ــ كما جاء فى (الدين الخالص) ج ١ ص ٣٧٥، وما بعدها مع الهامش:

* * (فقد) ذكر عن دم النفاس ــ بعد أن قال أنه خبث – أنه الدم الخارج من قبل المرأة حال الولادة أو بعدها (ثم) ذكر فى الهامش عن الدم هذا أنه: إذا لم تر النفساء

ــ بعد الولادة ــ دما: لا تكون نفساء ولا يلزمها إلا الوضوء ولا يبطل صومها عند أبى يوسف ومحمد وأحمد لعدم النفاس (وقال) أبو حنيفة ومالك والشافعى: هى نفساء ويلزمها الغُسل احتياطًا لأن الولادة لا تخلوا من دم. (ومن قُبل المرأة) فلو ولدت من السُّرة أو غيرها بأن كان ببطنها جرح فانشقت وخرج الولد تكون ذات جرح سائل لا نفساء إلا إذا سال الدم من الأسفل: فهى نفساء. و (حال الولادة) أو حال الطلق عند الثلاثة (وقال) الحنفيون: لا يعد نفاسًا إلا ما كان بعد خروج أكثر الولد ولو نزل برأسه فالعبرة بصدره. وإن نزل برجليه فالعبرة بسُرته. وبخروج الأقل لا تكون نفساء عند الحنفيين فلا تسقط عنها الصلاة فتتوضأ إن لم تقدر على الركوع والسجود ولا تؤخرها، فإن لم تصل فهى عاصية. فما عذر الصحيح القادر ؟

*(كما) يشير أيضا ــ فى نفس المرجع ــ إلى موضوع:

نفاس أم التوءمين

(فيذكر) أولا: أن التوءمين هما ولدان من بطن واحد بين ولادتهما أقل من ستة أشهر: (ثم) يذكر أن نفاسها من الأول عند أبى حنيفة وأبى يوسف وأحمد على الصحيح (والمرئى) عقب الثانى إن كان فى مدة النفاس فنفاس وإلا فاستحاضة. لما روى أن أبا يوسف قال للإمام أبى حنيفة: أرأيت لو كان بين الولدين أربعون يوما ؟ قال: هذا لا يكون. قال: فإن كان ؟ قال: لا نفاس لها من الثانى.. ولكنها تغتسل عقب وضع الثانى وتصلى.

*(وقالت) المالكية: إذا كان بين التوءمين أقل من شهرين فنفاسها من الأول على المعتمد، وقيل من الثانى.. (وقيل) تستأنف للثانى نفاسًا آخر. وهذا إن لم يتخلل بين الدمين أقل الطهر وإلا كان الثانى نفاسًا جديدًا اتفاقًا. وكذا إذا كان بين التوءمين شهران فأكثر (وقال) محمد، وزفر، والشافعى. يعتبر نفاسها من الأخير، والدم النازل قبله استحاضة. وانقضاء العدة بوضع الأخير اتفاقًا.

**(والسؤال) الذى يطرح نفسه الآن _ بعد أن وقفنا على أهم أحكام الحيض والنفاس _ هو: وما هى أهم:

أحكام الاستحاضة

(فقد) ذكر فى (الفقه الواضح) فى تعريف الاستحاضة، أنها دم يستمر خروجه من فرج المرأة بسبب علة مَرضية فى غير أيام حيضها ونفاسها. (وأن) المرأة المستحاضة: لا يحرم عليها ما يحرم على الحائض والنفساء، بل ويكون حكمها حكم الطاهرات، فيجوز لها أن تصلى وأن تصوم، وأن تطوف بالبيت الحرام، وأن تمس المصحف، وأن تقرأ القرآن. (كما) يجوز لزوجها أن يجامعها، عند جمهور الفقهاء.. (وإن) كان التعفف عن جماعها أولى، لوجود القذارة.

**(ثم) يقول: (هذا) وللمرأة المستحاضة ثلاث حالات نجملها فيما يلى:

*الحالة الأولى: أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة، وفى هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هى مدة الحيض والباقى استحاضة.. (الحديث) أم سلمة: أنها استفتت النبى ﷺ فى امرأة تهراق الدم ؟ فقال: «**لتنظر قدر الليالى والأيام التى كانت تحيضهن من الشهر فتدع الصلاة، ثم لتغتسل، ولتستثفر، ثم تصلى**» رواه مالك والشافعى. ومعنى تستثفر: أى تضع خرقة ونحوها على فرجها لتمنع بها نزول الدم.

***الحالة الثانية:** أن يستمر بها خروج الدم، ولم يكن لها أيام معروفة إما لأنها نسيت عادتها، أو بلغت مستحاضة، ولا تستطيع تمييز دم الحيض. (وفى) هذه الحالة يكون حيضها: ستة أيام أو سبعة على غالب عادة النساء (الحديث) حمنة بنت جحش، قالت: كنت أستحاض حيضة شديدة كثيرة، فجئت إلى رسول الله ﷺ أستفتيه وأخبره فوجدته فى بيت أختى زينب بنت جحش، فقالت: فقلت: يا رسول الله إنى أستحاض حيضة كثيرة شديدة، فما ترى فيها، وقد منعتنى الصلاة والصيام...؟ فقال: «**أنعت لك الكرسف (أى أصف لك القطن) فإنه يذهب الدم**» قالت: هو أكثر من ذلك، قال: (فتلجَّمى)، (أى تحفظى _ قالت: أنما أثجّ ثجًّا _ أى

يسيل بشدة ـ فقال لها: ((**إنما هذه ركضة من ركضات الشيطان** [1]**، فتحيضى ستة أيام إلى سبعة، فى علم الله ثم اغتسلى حتى إذا رأيت أنك قد طهرت، واستنقيت، فصلى أربعا وعشرين ليلة أو ثلاثا وعشرين ليلة، وأيامها، وصومى، فإن ذلك يجزئك وكذلك فافعلى فى كل شهر، كما تحيض النساء، وكما يطهرن، بميقات حيضهن وطهرهن، وإن قويت على أن تؤخرى الظهر وتعجلى العصر، فتغتسلين، ثم تصلين الظهر والعصر جميعاً، ثم تؤخرين المغرب وتعجلين العشاء، ثم تغتسلين وتجمعين بين الصلاتين فافعلى، وتغتسلين مع الفجر وتصلين، فكذلك فافعلى، صلى وصومى، إن قدرت على ذلك**)).. وقال رسول الله : ((**وهذا أحب الأمرين إلى**)).

الحالة الثالثة: أن لا يكون لها عادة، ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض عن غيره، وفى هذه الحالة تعمل بالتمييز. (لحديث) فاطمة بنت أبى حبيش أنها كانت تستحاض، فقال لها النبى ﷺ: ((**إذا كان دم الحيض فإنه أسود يعرف، فإذا كان كذلك فأمسكى عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئ وصلى فإنه عرق**)).

* * (وعلى) هذا، فإننا نستطيع أن نقف مع الأخ القارئ ـ والزوجين بصفة خاصة ـ على:

ما يحرم على الحائض والنفساء

* * (فقد) ذكرنا فى (الفقة الواضح) ج١ص١٢٥ وما بعدها:

* (أنه) يحرم على الحائض والنفساء، ما يحرم على الجنب، فلا تصلى بالبيت الحرام، ولا تمكث فى المسجد، ولا تقرأ القرآن، ولا تمس المصحف.

(ويجوز) لها أن تمر بالمسجد إذا لم تجد طريقاً غيره لقضاء حاجة قياساً على الجنب بشرط أن تكون متحفظة تأمن عدم تقاطر الدم ؛ وذلك بوضع خرقة على فرجها، لتمنع بها نزول الدم .

(١) إنه ينسب الشر دائما للشيطان وإن لم يفعله، وينسب الخير لله تأدبا.. وهذا تعليم لنا نحن المؤمنين من أمته.

(وجوز) بعض فقهاء المالكية وبعض الظاهرية لها قراءة القرآن لأنها معذورة ولا تستطيع رفع الدم ولا الطهر منه. بخلاف الجنب فإنه يستطيع أن يرفع جنابته متى شاء.(والأصح) أنها كالجنب لايجوز لها أن تقرأ من القرآن شيئاً بلسانها علي سبيل التلاوة (أما) أن تقرأ الآية ونحوها علي سبيل الذكر أو الدعاء أو الاستدلال فذلك جائز لها، وللجنب علي المشهور من أقوال الفقهاء، (وقد) اتفق علي جواز قراءة القرآن بالقلب للحائض والنفساء والجنب للاستذكار ومخافة النسيان.

* (ثم) يقول: (يحرم) علي الحائض والنفساء زيادة علي ما يحرم علي الجنب شيآن:

* **أولاً: الصوم**: أي إذا حاضت ـ المرأة ـ أو نفست في نهار رمضان ـ ولو قبل الغروب بلحظة ـ بطل صومها، ووجب عليها قضاء ذلك اليوم (ولو) حاضت أو نفست فى أول اليوم أو نصفه جاز أن تأكل أو تشرب، ولا ينبغى لها مواصلة الصوم لأنه لا يفيدها، لكن يستحب لها أن تستتر من الناس عند تناول ما يفطر صيانة لحرمة الشهر المفروض صومه على كل مكلف وهو شهر رمضان المعظم (والدليل) على أن الحائض أو النفساء لا تصوم فى حالة نزول الدم ما رواه البخارى ومسلم (عن) أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: (خرج رسول الله ﷺ فى أضحى، أو فطر [1] إلى المصلى فمر على النساء [2]، فقال: (**(يا معشر النساء تصدقن، فإنى رأيتكن أكثر أهل النار)**) فقلن: لم يا رسول الله ؟!. قال: (**(تكثرن اللعن، وتكفرن العشير**[3].. **ما رأيت من ناقصات عقل ودين، أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن)**) قلنا: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله ؟! قال: (**(أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟!)**) قلن بلى. قال: (**(فذلك من نقصان عقلهن: أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟!)**) قلن بلى. قال: (**(فذلك نقصان دينهن)**).

---

(١) أى: يوم عيد الأضحى أو يوم عيد الفطر.
(٢) أى: وهو فى طريقة إلى المصلى.
(٣) أى: أنهن يكفرن أفضال الزوج المعاشر ... أى ينكرنها ...

(والدليل) على أن الحائض والنفساء تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة: ما رواه البخارى ومسلم عن معاذة قالت: **((سألت عائشة رضى الله عنها، فقلت: ما بال الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ؟! قالت: كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة))**، (والحكمة) فى ذلك أن الصلاة تتكرر فى اليوم والليلة خمس مرات فيشق عليها قضاؤها بخلاف الصوم فإنه لا يأتى فى العام إلا مرة واحدة.

* **وثانيا**: الوطء، أى أنه لا يجوز للرجل ـ الزوج ـ أن يطأ زوجته الحائض أو النفساء حتى تطهر من حيضها أو نفاسها (وحرمة) ذلك ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة..

(قال) تعالى فى سورة البقرة: **﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾** [البقرة:٢٢٢]. (وروى) أحمد ومسلم (عن) النبى ﷺ أنه قال لأصحابه حين نزلت هذه الآية: **((اصنعوا كل شيء إلا الجماع))**، (وقد) نص الشافعى على أن جماع الحائض والنفساء كبيرة من الكبائر.

(وقال) الإمام النووى رحمه الله: (.. لو اعتقد مسلم حل جماع الحائض والنفساء فى فرجها صار كافرا مرتدا، ولو فعله غير معتقد حله ناسيا أو جاهلا الحرمة أو وجود الحيض فلا حرمة ولا كفارة [(١)]، وإن فعله عامدا عالما بالحيض والتحريم مختارا فقد ارتكب معصية) ا. هـ.

* (ثم) يقول تحت عنوان:

الاستمتاع بما دون الفرج

* (ويرى) جمهور الفقهاء جواز أن يستمتع الرجل بزوجته الحائض أو النفساء بما دون الفرج.

---

(١) يرى جمهور الفقهاء من الشافعية أنه من جامع امرأته فى حيضها أو نفاسها وجب عليه إخراج كفارة وهى دينار من ذهب، ولهم فى ذلك تفصيلات فراجعها ـ إن شئت فى شرح (المهذب للإمام النووى).

(واستدلوا) بحديث أنس ﷺ قال «إن اليهود إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوهـا و لم يجامعوها. ولقد سأل أصحاب رسول الله ﷺ، _ عن هذا _ فأنزل الله عز وجـل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذىً﴾ الآية، فقال الرسول ﷺ: **«اصنعوا كل شـيء إلا الجماع»**. رواه أحمد ومسلم.

(وعن) مسروق بن الأجدع ﷺ قال: سألت عائشة رضى الله عنها: **«ما للرجل من امرأته إذا كانت حائضا ؟!. قالت: كل شىء إلا الفرج»**. رواه البخارى فى تاريخه.

(ثم) يقول بعد ذلك:

* (والمهم) أن الرجل ينبغى عليه أن يتجنب مواضع الأذى فلا يحوم حول الحمى حـتى لا يقع فيه، لأن دم الحيض والنفاس من الأذى بمكان، بل هو ينبوع الأذى..

(ثم) يقول بعد ذلك، تحت عنوان:

لا جماع إلا بعد الاغتسال

* (يرى) جمهور الفقهاء: أنه لا يجوز جماعها إلا بعد أن تغتسل لأن الله تعالى قال ﴿وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أى _ يفعلن ما يطهرهن به وهو الاغتسال_ ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

* (ويرى) الأحناف جواز الوطء بعد انقطاع الدم تماما وقبل الاغتسال، بشـرط أن تطهر المرأة المحل تطهيرا يزيل أثر الدم.. (وقد) حمل القائلون بهذا الرأى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] على تطهير المحل، وإزالة ما فيه من أثر الدماء.. والله أعلم.

(وعلى هذا) فإننا نستطيع أن نعود الآن إلى موضوع الوصية الأصلى.. (وهـو) أنه إذا لم يكن هناك حيض أو نفاس بالنسبة للأخت الزوجة (وأقول) أيضا: إذا لم يكـن هناك مرض لا تستطيع الزوجة بسببه أن تلبى مطلب زوجها _ فإنه يجب عليه أن يكون رحيما بها _ وعليها أيضا إذا لم يكن هناك سبب من تلك الأسباب الشرعية _ أو مـا شابه هذا.. أن تلبى مطلبه الشرعى ولو كانت على التنور..

* (يعنى) أن الواجب عليها أن تجيبه مهما كان العمل الذى تباشره، وإن كانت تخبز على التنور.. (وهو) ما يخبز فيه.. (وذلك) مشروط بعدم خوفها التلف للخبز فإنه إضاعة للمال الذى هو عصب الحياة.. وهو من أهم أساسيات زينة الحياة الدنيا..

* (وعن) زيد بن أرقم رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((**المرأة لا تؤدى حق الله عليها حتى تؤدى حق زوجها كله، ولو سألها وهى على ظهر قتب [1] لم تمنعه نفسها**)) رواه الطبرانى بإسناد جيد.

أى يتعين عليها أن تنزل عن بعيرها وأن تمكنه من نفسها.. (اللهم) إلاّ إذا كانت حائضا أو نفساء.. أو كانت صائمة فى نهار رمضان.. فإنه يحرم عليها أن تطيعه.. لأنه لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.. (وإذا) حدث هذا والعياذ بالله من جانب الزوجين فى نهار رمضان.. (فإنه) يلزمهما الكفارة لا غير عند الجمهور؛ كما جاء فى (فقه السنة) :

* (فعن) أبى هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال هلكت يا رسول الله، قال: ((**وما أهلكك ؟**)) قال: وقعت على امرأتى فى رمضان: فقال: ((**هل تجد ما تعتق رقبة ؟**)) قال: لا. قال: ((**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟**)) قال: لا. قال: ((**فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟**)). قال: لا. قال: ثم جلس؛ أى:الرجل؛ فأتى النبى ﷺ بعَرق [2] فيه تمر، فقال النبى ﷺ للرجل:ـ ((**تصدق بهذا**))، قال: فهل على أفقر منا، فما بين لابتيها [3] أهل بيت أحوج إليه منا فضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه، وقال: ((**اذهب فأطعمه أهلك** [4])).رواه الجماعة.

* (ومذهب) الجمهور على أن المرأة والرجل سواء فى وجوب الكفارة عليهما ماداما قد تعمدا الجماع مختارين فى نهار رمضان [5] ناويين الصيام. فإن وقع الجماع نسيانا أو لم يكونا مختارين بأن أكرها عليه أو لم يكونا ناويين الصيام فلا كفارة على واحد منهما. فإن أكرهت المرأة من الرجل أو كانت مفطرة لعذر وجبت الكفارة عليه دونها.

(ومذهب) الشافعى أنه لا كفارة على المرأة مطلقا لا فى حالة الاختيار ولا فى حالة الإكراه. وإنما يلزمها القضاء فقط.

---

(١) يعنى وهى راكبة على بعيرها.
(٢) العرق مكيال يسع ١٥ صاعا.
(٣) جمع لابة وهى الأرض التى بها حجارة سود.. والمراد ما بين أطراف المدينة أفقر منا.
(٤) استدل بهذا الحديث من ذهب إلى سقوط الكفارة بالإعسار وهو أحد قولى الشافعى ومشهور مذهب أحمد، وجزم به بعض المالكية لا تسقط بالإعسار.
(٥) فإن كان الصيام قضاء رمضان أو نذرا وأفطر بالجماع فلا كفارة فى ذلك.

(قال) النووى: والأصح على الجملة وجوب كفارة واحدة عليه خاصة عن نفسه فقط، وأنه لا شيء على المرأة ولا يلاقيها الوجوب لأنه حق مال مختص بالجماع فاختص به الرجل دون المرأة كالمهر. (قال) أبو داود: سئل أحمد[1] عمن أتى أهله فى رمضان أعليها كفارة ؟ قال: ما سمعنا أن على امرأة كفارة. قال فى المغنى: ووجه ذلك أن النبى ﷺ: «**أمر الواطئ فى رمضان أن يعتق رقبة**». ولم يأمر فى المرأة بشيء مع علمه بوجود ذلك منها. ا. هـ.

(ثم) يقول ــ فى فقه السنة ــ (والكفارة) على الترتيب المذكور فى الحديث فى قول جمهور العلماء، فيجب العتق أولا، فإن عجز عنه صام شهرين متتابعين ــ ليس فيهما رمضان ولا أيام العيدين والتشريق ــ فإن عجز عنه، أطعم ستين مسكينا من أوسط ما يطعم منه أهله [2] وأنه لا يصح الانتقال من حالة إلى أخرى إلا إذا عجز عنها. (ومذهب) المالكية ورواية لأحمد أنه مخير بين هذه الثلاث فأيها فعل أجزأ عنه (لما) روى مالك وابن خريج عن عبد الرحمن عن أبى هريرة: «**أن رجلا أفطر فى رمضان فأمره رسول الله ﷺ أن يكفر بعتق رقبة، أو صيام شهرين متتابعين، أو إطعام ستين مسكينا**». رواه مسلم.

(وأو) تفيد التخيير.. ولأن الكفارة بسبب المخالفة، فكانت على التخيير ككفارة اليمين.

(قال) الشوكانى: وقد وقع فى الرويات ما يدل على الترتيب والتخيير، والذين رووا الترتيب أكثر، ومعهم الزيادة، وجمع المهلب والقرطبى بين الروايات بتعدد الواقعة، قال الحافظ وهو بعيد لأن القصة واحدة والمخرج متحد والأصل عدم التعدد، وجمع بعضهم بحمل الترتيب على الأولوية، والتخيير على الجواز. وعكسه بعضهم. انتهى.

---

(١) هذه إحدى الروايتين عن أحمد.

(٢) مذهب أحمد لكل مسكين مُدُّ من قمح، أو نصف صاع من تمر أو شعير ونحوهما. وقال أبو حنيفة: من القمح نصف صاع، ومن غيره صاع، وقال الشافعى ومالك: يطعم مدا من أى الأنواع شاء. وهذا رأى أبى هريرة وعطاء والأوزعى وهو أظهر. فإن العرق الذى أعطى للأعرابى يسع ١٥ صاعا.

(ثم) يقول ـ فى فقه السنة ـ: (ومن) جامع عامدًا فى نهار رمضان ولم يكفر، ثم جامع فى يوم آخر منه فعليه كفارة واحدة عند الأحناف، (وفى) رواية عن أحمد لأنها جزاء عن جناية تكرر سببها قبل استيفائها فتتداخل. (وقال) مالك والشافعى ورواية عن أحمد: عليه كفارتان، لأن كل يوم عبادة مستقلة، فإذا وجبت الكفارة بإفساده لم تتداخل كرمضانين.

(وقد) أجمعوا على أن من جامع فى نهار رمضان عامدا وكفر، ثم جامع فى يوم آخر فعليه كفارة أخرى.

(وكذلك) أجمعوا على أن من جامع مرتين فى يوم واحد ولم يكفر عن الأول أن عليه كفارة واحدة، فإن كفر عن الجماع الأول لم يكفر ثانيا عند جمهور الأئمة. (وقال) أحمد: عليه كفارة ثانية.

** (وأما) عن:

صيام التطوع

(فقد) نهى رسول الله ﷺ المرأة أن تصوم وزوجها حاضر حتى تستأذنه.

* (فعن) أبى هريرة أن النبى ﷺ قال: **((لا تَصُم المرأة يوما واحدا، وزوجها شاهد إلا بإذنه، إلا رمضان))** رواه أحمد والبخارى ومسلم.

(وقد) حمل العلماء هذا النهى على التحريم، وأجازوا للزوج أن يفسد صيام زوجته لو صامت دون أن يأذن لها لافتياتها على حقه، وهذا فى غير رمضان كما جاء فى الحديث، فإنه لا يحتاج إلى إذنه إذا كان غائبا، فإذا قدم له أن يفسد صيامها، وجعلوا مرض الزوج وعجزه عن مباشرتها مثل غيبته عنها فى جواز صومها دون أن تستأذنه [1]. (فعلى) الأخت المسلمة ـ الزوجة ـ أن تلاحظ كل هذا حتى تكون مطيعة لزوجها.. وتؤدى له حقوقه الشرعية ـ إذا لم يكن هناك مانع شرعى يمنعها من تلبية مطلبه..

(وذلك) حتى لا يقع فى جريمة الزنا بسبب امتناعها عنه.. وحسبها ترهيبا لها هذا الذى أشرت إليه وهو أنها ستكون سببا فى ارتكابه جريمة الزنا.. (ولا سيما) بالنسبة لحليلة الجار.

---

(١) ارجع إلى (فقه السنة) ج ٣ ص ٢٠٦.

* (فعن) ابن مسعود ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم عند الله[1] ؟ قال: «**أن تجعل لله ندًّا** [2]، **وهو خلقك**» ، قلت: إن ذلك لعظيم، ثم أيٌّ ؟ قال: «**أن تقتل ولدك مخافة أن يُطعم معك** [3]»، قلت: ثم: أى ؟ قال: «**أن تزانى حليلة جارك**[4]» رواه البخارى ومسلم، ورواه الترمذى والنسائى.

(وفى) رواية لهما: وتلا هذه الآية: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً**﴾ [الفرقان:٦٧:٦٨].

(وعلى) الأخ المسلم ــ **إذا** لم يكن متزوجا:- أن يُحصِّن نفسه ضد الزنا... وذلك بتنفيذ وصية الرسول ﷺ: «**يا معشر الشباب: من استطاع منكم الباءة** [5] **فليتزوج** [6] **فإنه أغض للبصر** [7]، **وأحصن للفرج** [8]، **ومن لم يستطيع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء** [9]» رواه البخارى ومسلم واللفظ لهما، وأبو داود والترمذى والنسائى.

(وعليهما) فى ختام هذا التذكير الذى **أسأل الله** تعالى أن ينفعهما به.. أن يذكرا دائما أن كل واحد منهما سيسأل عن الآخر **أمام الله** تبارك وتعالى..

(وأنهما) كذلك سيسألان عن كل من **يعولانه**: **(فعن)** ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع ومسئول عن رعيته، الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها، والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته**» رواه البخارى ومسلم وغيرهما.

والله ولى التوفيق

---

(١) أى: أشد إثما وعقوبة.

(٢) أى: مساويا فى استحقاق العبادة.

(٣) أى: خوفا من أن يشاركك طعامك.

(٤) أى: تزنى بها، والمزاناه مفاعلة من الجانبين.. والحليلة هى الزوجة..

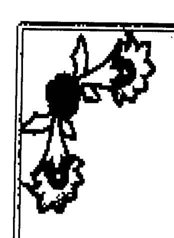
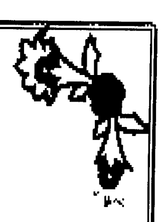
(٥) وهى مؤن النكاح ...

(٦) وهذا أمر واجب التنفيذ لاسيما إذا خاف العنت وهو الوقوع فى الزنا.

(٧) لأنه بالزواج تسكن شهوته فلا يجد حاجة إلى التطلع إلى محاسن النساء.

(٨) أحصن أفعل تفضيل ...أى أشد إحصاناً للفرج ومنعاً له من الوقوع فى الفاحشة.

(٩) أى: مضعف لشهوته ... و الوجاء رض الخصيتين لمنع الذكر من الجماع ...

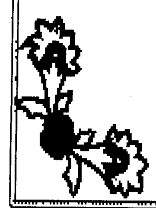
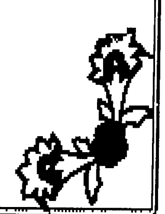



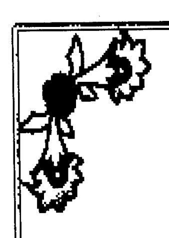
الوصية الثالثة والسبعون بعد المائة

• عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(لَا يَخْلُوَنَّ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ).

رواه البخاري ومسلم

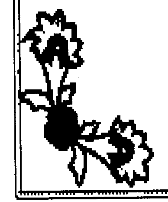
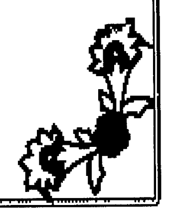



• وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قال:

(إِيَّاكُمْ وَالدخُولَ علىَ النساء) فقال رجل من الأنصار: أفرأيتَ الحمو؟ قالَ: (الحمو الموتُ).

رواه البخاري ومسلم والترمذي ثم قال: ومعنى كراهية الدخول على النساء على نحو ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(لا يَخلُونَّ رَجُلٌ بامْرأَةٍ إلَّا كَانَ ثَالِثُهُمَا الشَّيْطَانَ).

فكن أخا الإسلام

من المؤمنين الصادقين المنفذين للمراد من هذه الوصية العظيمة التى ينبغى أن تكون دائما أساسًا فى حماية أنفسنا من الزلل الذى يكون غالبا من جانب النساء:

* (فعن) أبى سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صباح إلا وملكان يناديان: ويل** [1] **للرجال من النساء، وويل للنساء من الرجال**» رواه ابن ماجة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

** (ولهذا) فقد حذر النبى ﷺ من الدخول على النساء الأجنبيات عنه والخلوة بهن فى بيوتهن:

* (فعن) عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحم [2]؟ قال: «**الحم الموت**» رواه البخارى ومسلم والترمذى، ثم قال: ومعنى كراهية الدخول على النساء، على نحو ما روى عن النبى ﷺ قال: «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان** [3]».

** (والحم) بفتح الحاء المهملة، وتخفيف الميم، وبإثبات الواو أيضا، وبالهمز أيضا: هو أبو الزوج، ومن أدل به كالأخ والعم، وابن العم ونحوهم، وهو المراد هنا.. كذا فسره الليث بن سعد وغيره، وأبو المرأة أيضاً، ومن أدلى به، وقيل: بل هو قريب الزوج فقط، وقيل: قريب الزوجة فقط، قال أبو عبيد فى معناه: يعنى فليمت، ولا يفعلن ذلك، فإذا كان هذا رواية فى أب الزوج، وهو محرم فكيف بالغريب ؟ ا.هـ [4]. (وهذا) معناه: أن الخوف منه أكثر من غيره وما يتوقع منه من الشر والفتنة أكثر، وذلك لمخالطته المرأة وتمكنه من الوصول إليها، والخلوة بها من غير أن ينكر عليه أحد، ولعل كثيراً من

---

(١) يعنى هلاك وتوقع شر، وقيل: واد فى جهنم.. قال فى الغريب: (قال: الأصمعى: ويل قبح، وقد يستعمل على التحسر ومن قال ويل واد فى جهنم فإنه لم يرد أن ويلا فى اللغة هو موضوع لهذا، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقرًّا من النار وثبت ذلك له..).

(٢) وهو والد الزوج، أو أخوه اللذان يعيشان معه فى بيت واحد فلا بد له من الدخول على المرأة (ومعنى: أفرأيت): أى أخبرنى عن حكمه، هل يمنع أيضا من الدخول كما يمنع غيره.

(٣) وذلك لأن الشيطان يرخى لهما عنان الغواية ويمشى بينهما بالفتنة ويزين لهما ارتكاب الفاحشة.

(٤) الترغيب والترهيب ج٣ ص٦٥. مع الهامش رقم ١.

فساد البيوت إنما يقع من جهة اختلاط المرأة بأقارب زوجها كأخيه وابن أخيه، أو من أقاربها هى كأولاد أخوالها، وأولاد خالاتها ... (فقد) جرت عادة الأزواج إلى التساهل فى تلك الناحية فينتهز الإثنان الفرصة وتنشأ بينهما علاقات مريبة.. وكم شاهدنا وسمعنا عن مآس وقعت بسبب هذا الاختلاط الزائد عن الحاجة وبسبب ثقة الكثير من الرجال فيمن يدخلون على نسائهم من الأهل والأصدقاء ...

* * (مع) أن النبى ﷺ قد وضع حدًّا لهذا، فقال: **«لا تُصَاحِبْ إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقى»** [1]، أى:

لا تمش إلا مَعْ رجال قلوبهم تَحنُّ إلى التقوى وترتَاحُ للذِّكْرِ

(وهذا) المعنى المشار إليه فى هذا البيت من الشعر لا يكون إلا فى المؤمن الذى أوصانا النبى ﷺ بمصاحبته لأنه هو المؤتمن على النفس والعرض والمال.. (وهو) الذى (كلُّه منفعة: إن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وإن ماشيته نفعك...) كما ورد فى سنة الرسول ﷺ ... (وأما) عن إطعام الطعام.. فإنه غالباً لايكون إلا فى البيت.. (وعلى) هذا فإنه ينبغى عليك كمؤمن غيور على أهل بيتك.. أن لا تدخل بيتك غير التقى الذى يتقى الله فيك وفى أهل بيتك.. فلا يكون مُتلصِّصًا.. ولا يدخل بيتك إلا إذا كُنتَ حاضرًا.. (وعلى) الزوجة أو نساء البيت بصفة عامة أن لا يُدخلن بيتك أحدًا إلا بإذنك.. وإلا إذا كنتَ حاضرًا ...

(وعلى) شريطة أن يكون الضيف هذا من الأتقياء الذين لاخوف منهم..

* * (وأحب) هنا أن أسجل قصة قرأتها فى (المتفرقات) [2]، تحت عنوان:

(ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله) [3]

* (فقد) حكى أن خدم بعض الملوك وجدوا طفلاً فى الطريق فالتقطوه (فأمر) الملك بتربيته وضمِّه إلى أهل بيته وسماه (أحمد اليتيم)، فلما نشأ ظهرت عليه أمارات النجابة والذكاء فهذبه وعلمه، ولما حضرته الوفاة أوصى به ولى عهده فضمه إليه

(١) رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا بأس به.
(٢) ج ١ص ١٠٥وما بعدها ـ لفضيلة الشيخ عيسى عاشور ـ عليه رحمة الله.
(٣) سورة فاطر: من الآية ٤٣.

واصطفاه وأخذ عليه العهد أن يكون له وفياً وخادماً أميناً، وبعد ذلك قدمه فى أعماله فصار حاكمًا على جميع حاشية الأمير، ومتصرفاً فى شئون قصره.

(وفى) أحد الأيام أمره أن يحضر شيئاً من بعض حجراته، فذهب ليحضره فـرأى بعض جوارى الأمير الخاصة به مع شاب من الخدم يفسقان ويزنيان.. فتوسلت إليـه الجارية أن يكتم هذا الخبر ووعدته بكل ما يطلب، وراودته عن نفسه لتأمن شـره، فقال لها: معاذ الله أن أخون الأمير، وقد أحسن إلى.. ثم تركها وانصرف علـى أن يكتم السر.. لكن الجارية أوجست فى نفسها خيفة منه وتوهمت أن (أحمد اليتـيم) سيفشى أمرها للأمير.. فما كان منها إلا أن انتظرت الأمير حتى حضر إلى قصـره.. ثم ذهبت إليه باكية شاكية فسألها ما خبرها ؟ فقالت: إن (أحمد اليتيم) راودها عـن نفسها، وكان يريد أن يكرهها على الزنا. (فلما) سمع الأمير ذلك غضـب واشـتد غضبه، وعزم على قتله.

(ثم) دبر قتله فى الخفاء حتى لا يعلم الناس بقتله وبسبب هذا القتل. (فقـال) لكـبير خدمه: إذا بعثت إليك أحدًا بطبق يطلب منك كذا وكذا فاقطع رأسه وضع الـرأس فى الطبق، وابعث به إلى (فأجاب) الخادم بالسمع والطاعة (وفى) يوم من الأيام أحضر الأمير (أحمد اليتيم) وقال له: اذهب إلى فلان الخادم، وقل له يعطيك كذا وكـذا.. (فامتثـل) الأمر وذهب إلا أنه لقى فى طريقه بعض الخدم فأرادوا أن يحكموه بينهم فى أمر.. فاعتذر وقال: إنه مكلف بقضاء أمر للأمير.. فقالوا: نبعث فلاناً الخادم [1] نائباً عنك ليحضر ما تطلبه حتى تفضل فى شأننا.. فأجابهم إلى ما طلبوا.. فأرسلوا واحداً منهم ـ وهو الشاب الذى سبق له الزنا بالجارية ـ (فلما) ذهب أخذه رئيس الخدم إلى المكان الذى أعـده ثم قطع رأسه على غرة ثم وضعها فى الطبق وغطاه وجاء به إلى الأمير.

(فلما) أبصر الطبق رفع الغطاء فرأى رأساً غير رأس (أحمد اليتيم).. فأحضر الأمير (أحمد اليتيم) فسأله عما فعل ؟ فأخبره بما كان.. فقال الأمير: أتعرف لهذا الخادم ذنبا؟ فقال: نعم، إنه فعل كذا وكذا مع الجارية.. وقد سألانى بالله ثم بك أن أكـتم

---

(١) أى: الزانى بالجارية..

الخبر.. (فلما) سمع الأمير ذلك أمر بقتل الجارية.. وعاد إلى ما كان عليه من محبة (أحمد) وإكرامه.. وكانت هذه عاقبة الوفاء، ونهاية الخيانة.. وصدق الله تعالى فهو القائل ﴿وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣]!!.

* (ومن) أجمل ما قرأت كذلك فى نفس المرجع السابق ـ تحت عنوان:

استجاب الدعوة

(فقد) روى أن بعض النبلاء علم برجل مجاب الدعوة عند الله تعالى.. فذهب إليه وتظاهر بمظهر الضيفان فأضافه فأقام عنده ثلاث ليال فلم يرمنه شيئا غريبا من طاعة أو عبادة، فسأله عن سبب إجابة دعائه ؟ فقال: يا هذا تلك دعوة نفس عضها الجوع، وصدقت لله تعالى فى السجود والركوع، فأجاب الله دعاها وأعطاها مناها.. (قال) وكيف ذلك ؟ فحدثه أنه حصل فى البلد قحط فى عام من الأعوام، وفى ليلة قرع الباب قارع.. فخرجت وإذا بشابة جميلة جدا تخجل البدر والأقمار، وتبدو كأنها الشمس وسط النهار.. فشكت جوعها.. فحدثتها ثم راودتها عن نفسها.. فقالت: الموت ولا معصية ربى.. ثم رجعت من حيث أتت.. وبعد أيام عادت وتوسلت إلى.. فقلت كما قلت أولا.. فبكت ثم دخلت وقد أشرفت على الهلاك، ثم قالت: تطعمنى لوجه الله ؟ (فقلت): لا، إلا أن تمكّنينى من نفسك.. فقالت: الموت خير من عذاب الله، ثم قامت فسرت خلفها فسمعتها تقول:

أيا واحدًا إحسانه شمل الخلقا	بسمعك ما أشكو بعينك ما ألقى
لقد صدمتنى شدة وخصاصة	ونازلنى ما بعضه: يمنع النطقا
كأنى ظمآن ترى الماء عينه	فلا غلة تروى ولا شربة تسقى
تنازعنى نفسى إلى نيل أكلة	لذاذتها تفنى وغصتها تبقى
أأعصيك بعد الفضل والجود والهدى	وكيف وبالطاعات أستجلب الرزقا

(فجزعت) لما سمعت ذلك.. ثم دخل قلبى الإيمان بالله وحب الخير.. فقلت لها: عودى وكلى ما شئت لله.. فعادت وهى فى حالة ضعف لا تكاد تسمع لها صوتًا، فلما علمت صدقى ورأتنى قدمت لها الطعام وعرضت عليها ما شاءت من متاع الدنيا

قالت: (**اللهم كما أنرتَ قلبه، وهديت لُبه، فأجب دعاءه ولا تردَّه خائبًا**) فكان ما دعت به.. ثم تزوجتُها وصارت لى زوجة والحمد لله.

(فعلى) الرجل والمرأة.. أن يلاحظا المراد من هاتين القصتين حتى ينتفعا بهما.. وحتى تكونا درسًا لهما.. فى الوفاء.. وعدم الخيانة.. وحب الخير.. وحتى يكونا أيضا بسبب هذا فى حصانة من مكائد الشيطان الذى يحرص كل الحرص على إفساد حياتهما الزوجية بأية وسيلة من وسائله الشيطانية التى لا حصر لها.. والتى ينبغى عليهما أن يتحصَّنا بالله ضدها.. حتى لا يكون لها سلطان عليهما.

(هذا) وإذا كان موضوعنا الذى ندور حوله هو المراد من نص الوصية التى يقول فيها صلوات الله وسلامه عليه: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذى محرم**»، (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال: «**ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يخلون بامرأة ليس بينها وبينه محرم**» رواه الطبرانى.

** (ففى) الحديث الأول والحديث الثانى: دليل على أن الخلوة بالأجنبية بغير وجود محرم ـ من المرأة، وهو من لا يحل له نكاحها من الأقارب كالأب والابن والأخ والعم ومن يجرى مجراهم ـ معهما أمر لا يليق بالمؤمن.. لأنه بذلك يعين الشيطان على نفسه، ويعرض نفسه للتهم..

(هذا) بالإضافة إلى المشار إليه فى الحديثين الآتيين:

* (فعن) معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «**لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط** [1] **من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**» [2] رواه الطبرانى والبيهقى، ورجال الطبرانى ثقات؛ رجال الصحيح.

---

(١) المخيط بكسر الميم وفتح الياء: هو ما يخاط به كالإبرة والمسلة.

(٢) والمقصود من المس أن تلاصق بشرته بشرتها فى أى موضع من جسدها.

* (وروى) عن أبى أمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إياك والخلوة بالنساء**[1] **والذى نفسى بيده ما خلا رجل بامرأة إلا ودخل الشيطان بينهما** [2]، **ولأن يزحم**[3] **رجل خنزيرًا متلطخا بطين أو حمأة** [4] **خير له من أن يزحم منكبه** [5] **منكب امرأة لا تحل له**» رواه الطبرانى.

* (وهذا) الحديث الأخير مع ضعفه وغرابته موافق للأحاديث الصحيحة فى التحذير من الخلوة بالنساء ومحاولة الالتصاق بهن كما يفعله أهل الدعارة والفسقة فى الأماكن المزدحمة التى يختلط فيها الجنسان كالموالد ــ المبتدعة ــ التى تقام عند أضرحة المشايخ المقبورين، وكالمركبات العامة، ودور اللهو واللعب.. والملاعب المتعددة التى يحضرها الرجال والنساء بدون تحفظات بتلك الصورة المخزية والمؤسفة.. التى لا يمكن أن يوافق عليها شرع أو دين..

(وعلى) هذا فإننى أنصح الأخ المسلم والأخت المسلمة بأن لا يمكنا الشيطان ــ سواء كان إنسيا أم جنيا ــ من كليهما.. حتى لا يكونا من الهالكين.. (وعليهما) كذلك أن يستغنيا كمسلمَين بالحلال عن الحرام..

(وذلك) بأن يملأ كل واحد منهما — كزوجين ــ فراغ الأخر فى حدود الشرع القويم.

والله ولى التوفيق

---

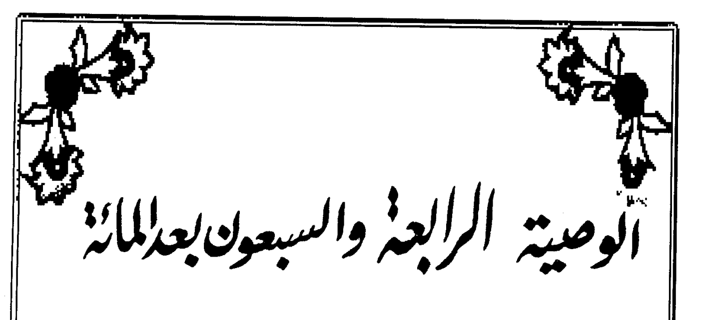
(١) أى: احذر أن تنفرد بامرأة فى مكان ليس فيه غيركما.

(٢) أى: قام بالسفارة بينهما فكان رسوله إليها ورسولها إليه حتى يوقعهما فى المحظور.

(٣) يقال زحمه بزحمة من باب ضايقه ودافعه فى محل ضيق، والمراد التصق به وباشره.

(٤) الحمأة: هى بفتح الحاء المهملة، وسكون الميم بعدها همزة، وتاء تأنيث: هو الطين الأسود النتن.

(٥) منكب الشخص هو مجتمع رأس العضد والكتف لأنه يعتمد عليه.



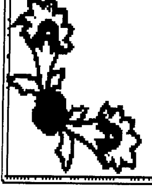
الوصية الرابعة والسبعون بعد المائة

● عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:

(لَا تُخِيفُوا أَنْفُسَكُمْ بَعْدَ أَمْنِهَا) قَالُوا: وَمَا ذَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: (الدَّيْنُ).

رواه أحمد واللفظ له، وأحد إسناديه ثقات، وأبو يعلى والحاكم والبيهقي وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

●● (لا تخيفوا أنفسكم..) أي: لا تجلبوا لها المخاوف بعد أن تكون متمتعة بالأمن والطمأنينة.. ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: (الدين) أي: أن الدين هو الذي يورثها الخوف من لقاء الدائن ومطالبته.



فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التى إن فهمت المراد منها ونفذتها لن تكون فى ضيق أو كرب .. ولن تكون أبداً مديوناً لأحد من الناس.

** (وحسبك) أولاً أن تفهم المراد من قول الرسول ﷺ فى أول الوصية، وهو: **((لا تخيفوا أنفسكم بعد أمنها))**، فإن المراد هو: لاتجلبوا لها المخاوف بعد أن تكون [(١)] متمتعة بالأمن والطمأنينة .. (وذلك) بجميع الأسباب التى تؤدى غالباً إلى الوقوع فى براثن (الدَّين) الذى هو. هَمٌّ بالليل وذُلٌّ بالنهار .:.

* (وقد) قرأت عن الإمام على كرم الله وجهه: (أشد خلق الله عشرة: الجبال الرواسى، والحديد يقطع الجبال، والنار تذيب الحديد، والماء يطفئ النار، والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء، والريح يقطع السحاب، وابن آدم يلتحف ببردة فيمضى فى الريح، والسُّكْر يغلب ابن آدم، والنوم يغلب السُّكر، والهمُّ يغلب النوم .. فأشد خلق الله الهمُّ) .

** (وقد) يسأل الأخ المسلم عن أهم الأسباب الموصلة إلى الوقوع فى براثن الدَّين..؟

فأقول له: إنه من أوائل هذه الأسباب: التكاسل عن أداء الأعمال الشريفة التى أمرنا الله تعالى بأن نطلب الأرزاق عن طريقها ـ حتى فى يوم الجمعة ـ فقال تعالى فى سورة الجمعة:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [الجمعة:٩] ثم يقول بعد ذلك:﴿**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الجمعة:١٠] كما يقول تبارك وتعالى فى سورة الملك:﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك: ١٥].

* (وفى) ختام سورة المزمل يشير الله تعالى إلى ملاحظة هامة تتعلق بفضل العمل الشريف على الجهاد فى سبيل الله، فيقول:﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ [المزمل: ٢٠] (فقد) قدم الله تعالى فى هذه الآية الكريمة العمل فى طلب الرزق على الجهاد فى سبيل الله.. وهذا شرف عظيم للعاملين.

(١) أى: النفس ..

(وقد) ورد فى حديث شريف رواه الطبرانى أن رسول الله ﷺ كان جالساً مع أصحابه يوماً فنظروا إلى شاب ذى جَلَد وقوة قد بَكَّر [1] ليسعى، فقالوا: وَيْحَ [2] هذا لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله [3].فقال رسول الله ﷺ: **«لا تقولوا هذا فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً، فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين، فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يُعَّفها** [4]**، فهو فى سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياء ومفاخرة، فهو فى سبيل الشيطان»**.

* (وورد) كذلك فى حديث رواه الدارقطنى عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«أخشى ما خشيت على أمتى: كبر البطن ومداومة النوم والكسل»**.

* (وأخرج) الحاكم، وابن أبى الدنيا، عن معاوية بن قرة، قال: لقى عمر بن الخطاب ناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم ؟ فقالوا: متوكِّلون !! قال: كذبتم!! ما أنتم متوكلون إنما المتوكل الذى ألقى حبة فى الأرض وتوكل على الله.

* (ومن) أجمل ما قرأت عن الإمام على كرم الله وجهه أنه قال: (جُعتُ يوماً فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة [5]، فإذا أنا بامرأة قد جَمعتُ مدراً _ أى تراباً متلبداً _ تريد بله بالماء، فبادلتها كل ذنوب _ دلو عظيمة من الماء _ على تمرة، فملأت لها ستة عشر ذنوباً حتى مجلت يدى _ أى ظهر فيها الاحمرار _ ثم جئت المرأة فبسطت كفى لترى أثر العمل، فعدت لى ستَّ عشرة تمرة، فأتيت رسول الله ﷺ _ فأخبرته فأكل معى منها).

* (ويروى) عنه رضي الله عنه أنه كان يقول:

لحملى الصخر من قمم الجبال ... أحبُّ إلى من مننِ الرجالْ
يقول الناس لى فى الكسب عارٌ ... فقلت العارُ فى ذُلّ السؤالْ

---

(١) أى: خرج من بيته مبكراً بعد صلاة الصبح مع رسول الله ﷺ..
(٢) أى: أنهم تمنوا أن يكون شبابه وجلده مستغلا فى مواجهة أعداء الله .
(٣) أى: فى ميدان الجهاد .
(٤) أى: عن المسألة ..
(٥) اسم مكان فى المدينة .

* (وورد) كذلك _ كما يقول ابن سعد _ أنه: (لما استُخلفَ _ أبو بكر رضي الله عنه _ أصبح غادياً إلى السوق، على رأسه أثوابٌ يَتَّجرها ، فلقيه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح - رضى الله عنهما _ فقالا له: (كيف تصنع هذا؟ وقد وليتَ أمر المسلمين ؟) فقال لهما: (فمن أين أُطعم عيالى؟ فقالا له: نفرض لك[1] ففرضوا له كل يوم شَطر[2] شاة ..)

(وهذا) معناه أن العمل للدنيا لابد منه حتى يكون الانسان منا -كمؤمن- عزيزًا بين الناس .. بل وحتى يكون بهذا العمل مستغنيًا عن سؤالهم.

* * (فعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه**» رواه البخارى ومسلم.

* (وعن) الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأن يأخذ أحدكم أحبله فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكفَّ بها وجهه: خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه**» رواه البخارى.

** (وعلى) هذا فإنه ينبغى على الأخ المسلم إذا أراد أن يكون مستورًا و غير مديون لأحد من الناس: أن يحرص على أن يكون عاملاً [3]، أو زارعا، أو تاجراً.. حتى يكون هذا إن شاء الله من الفقراء إلى الله الأغنياء بالله (فقد) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (يا معشر الفقراء ارفعوا رءوسكم: اتجروا فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس).

* (وروى) العزام بن حوشب عن أبى صالح مولى عمر رضى الله عنهم: أنه قال: كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة فيحلب واحد، و يبيع الآخر، و يغزو الثالث فى سبيل الله تعالى: قال العوام: فحدثنى أبو صالح، ورأيته مرا بطا بالساحل.. قال: نحن ثلاثة شركاء، وهذه نوبتى فى الغزو.

---

(١) أى: نفرض لك أجراً مقابل تفرغك للخلافة ..

(٢) أى: نصف شاة .

(٣) فى أى عمل شريف .. أو صناعة شريفة .

* (وقد) ورد كذلك ـ توضيحًا لموضوع المشاركة فى العمل ـ أن النبى ﷺ خرج ذات يوم مع بعض الأصحاب ـ رضى الله عنهم ـ فى سفر من الأسفار وكانت معهم شاة .. (فلما) أرادوا ذبحها ـ لكى يطبخوها ويأكلوها، أو يأكلوا منها ـ قال أحدهم: عَلَيَّ ذبحها، وقال آخر: على سلخها، وقال ثالث: عليَّ طبخها.. فقال النبى ﷺ : **((وعلى جمع الحطب))** فقال له الأصحاب: إننا سنكفيك هذا يا رسول الله.. فقال: **((أنا أعلم أنكم تكفوننى هذا .. ولكن لا أريد أن أتميز عليكم))**.

** (فلتكن) أخا الإسلام مقتديا برسول الله ﷺ وأصحابه الفضلاء .. حتى تأكل من كسب يدك ..

* (فعن) المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: **((ما أكل أحد طعاما خيرا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده))**. رواه البخارى.

* (وأما) عن السبب الثالث الذى غالبًا ما يتورط الإنسان بسببه فى (الدَّين)، فهو:

الإسراف والتبذير

** (وكلاهما) منهيٌّ عنه فى القرآن والسنة .. قال تعالى: ﴿**وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف: ٣١] ، وقال تعالى: ﴿**وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيراً * إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**﴾ [الإسراء:٢٧].

** (وقد) ورد فى السنة الشريفة ما يحذر من الإسراف والتبذير فى المأكل والملبس:

* (فعن) عمرو بن سعيد عن أبيه عن جده: أن النبى ﷺ قال: **((كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا فى غير إسراف ولا مخيلة))**(١). أخرجه أحمد والنسائى والحاكم وابن ماجه.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **((المسلم يأكل فى معًا واحد، والكافر فى سبعة أمعاء))**.رواه البخارى ومسلم.

---

(١) مخيلة : كعظيمة : المراد بها الكبر .

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة**» رواه البخارى ومسلم (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «**لم يلتحف العباد بلحاف أبلغ عندى من قلة الطعام**». رواه الديلمى.

* (وعن) المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما ملأ آدمى وعاءًا شرًّا من بطنه، بحسب ابن آدم لُقَيمات يُقمن صُلبه، فإن كان لا محالة فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفَسه**».رواه الترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه.

** (ومن) الأقوال المأثورة التى ينبغى أن ينتفع الأخ المسلم بالمراد منها حتى لا يكون مُسرفا أو مُبذرا:

* (قال) المأمون رحمه الله: لا خير فى السَّرف ولا سَرفَ فى الخير .

* (وقال) بعض الحكماء: لا كثير مع إسراف، ولا قليل مع احتراف .

* (وقال) الأصمعى: من اقتصد فى الغِنى والفقر، فقد استعد لنوائب الدهر.

(وقال) أحد الشعراء:

أنفق بقدر ما استطعتَ ولا تُسرف وعشْ صَاح عيشَ مُقتصد

* (وقال) بعضهم:

من كان فيما استفاد مقتصدا لم يفتقر بعدها يومًا إلى أحد

* (وقال) بعضهم: الاقتصاد فى المعيشة أبلغ وأدوم من الإسراف فيها. (ومن) ادخر المال صار له عُدَّة فى يوم الشدة.

* (وقال) أحد الحكماء: من كان سليم الجسم، مطمئن النفس، خالى البال اعتمادًا على ما ادخره من المال: فإن مثله كمثل القابض بيده على زمام الدنيا.

* (وكان) للأعمش صديق متصرف فى عمل السلطان فبقى عليه مال سُجن من أجله .. فزاره الأعمش فرأى بين يديه سلَّة فيها فالوذج وهو يتغذى منه، فقال له: والله ما لازمت الوثاق، إلا بإسرافك فى الإنفاق، فلو قنعت نفسك وعفت يدك، لم يكن السجن مقعدك.

* (وقال) حكيم:

احرص على الدرهم والعين [1] تسلم من العيلة [2] والدين
فقوة العين بإنسانها وقوة الإنسان بالعين [3]

* * (فلاحظ) أخا الإسلام المراد من كل هذا ونفذه .. وإياك إياك أن تكون كهذا الذى يقول:

وكان المال يأتينا فكنا نبذره وليس لنا عقول
فلما أن تولى المال عنا عقلنا حين ليس لنا فضول [4]

* * (وكذلك) من أهم الأسباب المورطة فى الدين وكل ما يتعلق به من تبعات: الحرص على تنفيذ ما تريده النفس.

من شهوات دنيوية

* (مع) أن الدنيا بكل ما فيها لا تزن عند الله جناح بعوضة _ كما ورد فى حديث شريف _ (وفى) القرآن الكريم يقول الله تبارك وتعالى:

* **﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾** [الحديد: ٢٠] .

* * (ولهذا) كان من الخير للإنسان المسلم العاقل أن يترك الدنيا قبل أن تتركه .. (وذلك) بالزهد فيها .. (وقد) يسأل الأخ المسلم:

وما هو الزهد ؟

(فأجيبه) بحديث أخرجه الترمذى وابن ماجه من رواية عمر وبن واقد عن يونس ابن حليس عن أبى إدريس الخولانى عن أبى ذر ﷺ أن النبى ﷺ سئل عن الزهد فأجاب بقوله: **((الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال .. ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى يد الله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها بقيت لك))**

---

(١) العين: المراد بها هنا: الذهب.
(٢) العيلة : أى الفقر .
(٣) أى: بالمال .
(٤) أى: من المال .

* (وقال) الجنيد رحمه الله: الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد.

* (وقال) الإمام أحمد رحمه الله: الزهد فى الدنيا قصر الأمل.

(وفى) رواية أخرى: إنه عدم فرحه بإقبالها، وحزنه على إدبارها.

(وكان) قد سئل عن الرجل يكون معه ألف دينار هل يكون زاهدا ؟

فقال: نعم على شريطة أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت.

* (وقال) أيضا عليه رحمة الله الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام، وهو: زهد العوام،

(والثانى): ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

(والثالث): ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين .

* (وعن) ثوبان ﷺ قال: قلت يا رسول الله ما يكفينى من الدنيا ؟ قال: **((ما سَدَّ جوعتك، ووارى عورتك، وإن كان لك بيت يظلك فذاك، وإن كان لك دابـــة فبخٍ[1] بخٍ))**.

* (وعن) أبى يعقوب قال: (سمعت ابن عمر يسأله رجل: ما ألبس من الثيـــاب؟ قال: ما لا يزدريك فيه السفهاء، ولا تعيبك به الحكماء. قال: ما هو ؟ قال: ما بين الخمسة دراهم إلى العشرين درهما) رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح.

** (وعلى) هذا، فإنه ينبغى على الأخ المسلم الذى عرف حقيقة الدنيا فزهد فيها .. أن يجاهد نفسه حتى لا يكون مستجيبا لملذاتها وشهواتها التى تحاول السيطرة عليه بها .. (عن) طريق التزيين المشار إليه فى قوله تعالى:**﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾** [آل عمران:١٤] ثم بعـــد ذلـــك يقـــول سبحانه: **﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾** [آل عمران:١٥].

** (وقد) رأيت بعد هذا التمهيد أن أذكر الأخ المسلم بأحد هؤلاء المـــتقين الـــذين جاهدوا أنفسهم بتلك الصورة التى قرأتها فى المتفرقات ج١ ص ٩٦. تحت عنوان:

---

(١) بخ بخ : كلمة تقال عند الرضى والإعجاب بالشىء أو المدح أو الفخر ..

لا أبيع الدّين بالتين

(فقد) ذكر أن مالك بن دينار كان يمشى فى سوق البصرة فرأى التين فاشتهاه و لم يكن معه نقود يشترى بها، فخلع نعله وأعطاه لبائع التين [1]، فقال له: إن نعلك لا يساوى شيئاً .. فأخذ مالك نعله وانصرف .. (فقيل) لصاحب التين: إنه مالك بن دينار ـ وكان يسمع عنه ولكنه لم يره ـ فملأ طبقاً من التين وأعطاه لغلامه ثم قال له الحق بمالك ابن دينار ..وأعطه التين مجاناً ـ فإن قَبِلَهُ منك فأنت حر ..

فأسرع الغلام وراءه .. فلما أدركه ..قال له: اقبل مني هذا التين .. فأبى أن يأخذه منه .. فقال له الغلام: اقبل هذا مني فإن فيه تحريرى ..فقال مالك: إن كان فيه تحريرك فإن فيه تعذيبى ..فلما ألحَّ الغلام عليه [2] قال له مالك بن دينار: حلفت أن لا أبيع الدين بالتين ولا آكل التين إلا فى يوم الدين.

* * (فهذه) صورة من صور المجاهدة التى أشار إليها الرسول ﷺ بعد أن عاد من غزوة كبيرة ضد أعداء الإسلام فقال: «**رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر: ألا وهو جهاد النفس**» .

* * (وقد) يسأل الأخ المسلم: وكيف يحرم مالك بن دينار التين على نفسه .. والله تعالى يقول: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾ [الأعراف: ٣٢] فأقول له: إن الرجل لم يحرم التين على نفسه .. وإنما يؤدب نفسه ـ هو ـ حتى لاتعود إلى مثل هذا مرة أخرى ..

(ثم) إذا كانت فى هذه المرة قد جعلته يخلع نعله ليأكل به تيناً .. (فإنه) فى المرة الأخرى (قد) يبيع أرضه أو عرضه فى سبيل إرضاء نفسه التى قال الله تعالى عنها فى قرآنه:﴿**إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾[يوسف: ٥٣].

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على ... حُبِّ الرضاع وإن تفطمه ينفطم

---

(١) لكى يعطيه به تينًا ...

(٢) بعد أن أخبره أنه سيأخذه مجانا.

** (ولهذا) كان لابد وأن يؤدها حتى لا تلعب به بعد ذلك وتكــون ســبباً فى استدانته من القريب والبعيد _ كما عرفنا قبل ذلك فى موضوع الإسراف والتبذير _ (ولهذا) كان سيدنا سليمان عليه السلام يقول: (إن من يقهر نفسه كمن يفتح المدينة وحده) (كما) كان على كرم الله وجهه يقول: (أنا ونفسى كراع يرعى الغنم كلما جمعها من ناحية تشتت من ناحية أخرى)

** (فلينتفع) الأخ المسلم بهذا الدرس.. حتى يجاهد نفسه ولا سيما إذا كان مــن المبتلين بشرب الدخان الذى هو من المحرمات[1].. (بل) هو من أكبر الأسباب المؤدية إلى التهلكة التى لابد وأن يحرص الأخ المسلم على أن لا يكون من الذين يلقون بأيديهم فيها.. (ولا سيما) إذا كان عاقلا لا مجنونا.. لأنه ليس من الكياسة أن يضــر الإنســان نفسه بنفسه عن طريق التدخين بجميع أنوعه.. (وهذا) بإجماع الأطباء والعقلاء ..

** (هذا) وأحب أن أذكر الأخ المسلم بأنه إذا كان مديونا فعلا.. فإنه ينبغى عليه أن يحرص على السداد.. (فقد) ورد عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رســول الله ﷺ: **((مــن أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذ أموال الناس يريد إتلافهــا أتلفه الله))**.رواه البخارى وابن ماجة وغيرهما .

** (فمعنى): **((أدى الله عنه))**: أى إن مات قبل أن يتمكن من الوفاء .. (ومعنى): **((أتلفه الله))** أى أتلف الله أمواله فى الدنيا بكثرة المصائب ومحق البركة .. وقيل غــير ذلك.

** (وأحب) أن أذكره كذلك، بأن: (مؤخر صداق الزوجة) يعتبر دينا فى رقبــة الزوج لا بد وأن يسدده للزوجة قبل وفاته [2] _ اللهم إلا إذا تنازلت عنــه ولكــن بدون إكراه _ أما إذا مات قبل أن يسدده لها .. فإنه يخصم من التركة قبل توزيعها على الورثة .. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله:﴿...**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**..﴾ [النساء: ١١]، (وإلا) فإن الحق هذا سيدفع لصاحبته _ من حسنات هذا الزوج المدين فى يوم المحاسبة _ (مع) ملاحظة أن الله تعالى يسامح فى حقه ولا يســامح فى

---

(١) لأنه مضر بالصحة ومتلف للمال .. وكذلك جميع الممنوعات من المهلكات .. والعياذ بالله ...

(٢) مع مراعاة الفارق من يوم الزواج إلى يوم الدفع لهذا الحق .. والله أعلم .

حقوق العباد...

* (فعن) أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء** [1] **من الشاة القَرْناء**[2]» رواه مسلم.

* (وعن) أبي هريرة ـ أيضًا ـ عن النبي ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلمة لأخيه: من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم** [3] **قبل أن لا يكون دينار ولا درهم** [4] **: إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه**» رواه البخاري .

* (وعن) أبي هريرة ـ أيضًا ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون مَنِ المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا درهم [5] له ولا متاع [6]، فقال: «**إنَّ المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا** [7]**، وقذف هذا** [8]**، وأكَلَ مال هذا** [9]**، وسفكَ دم هذا** [10]**، وضرب هذا: فيعطي هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه**[11]**، أُخِذ من خطاياهم** [12] **فطُرِحَت عليه ثم طُرِح في النار**[13]». رواه مسلم.

---

(١) أي: التي لا قرن لها.

(٢) أي: التي لها قرنان. وهذا تصريح بحشر البهائم إظهارًا لعدل الله تبارك وتعالى.

(٣) يستحل ، أي: يطلب الحلال في الدنيا .

(٤) أي: يوم القيامة لما يثقل حمله إذ ذاك .

(٥) لانقطاع أمور الدنيا قد يزول عنه لعارض من يسار .

(٦) أي: كل ما ينتفع به من عروض الدنيا .

(٧) أي: سبه .

(٨) أي: رماه بالزنا .

(٩) أي: بغير رضاه .

(١٠) أي: قتله ، ومثله سائر الإتلاف .

(١١) أي: من تبعات .

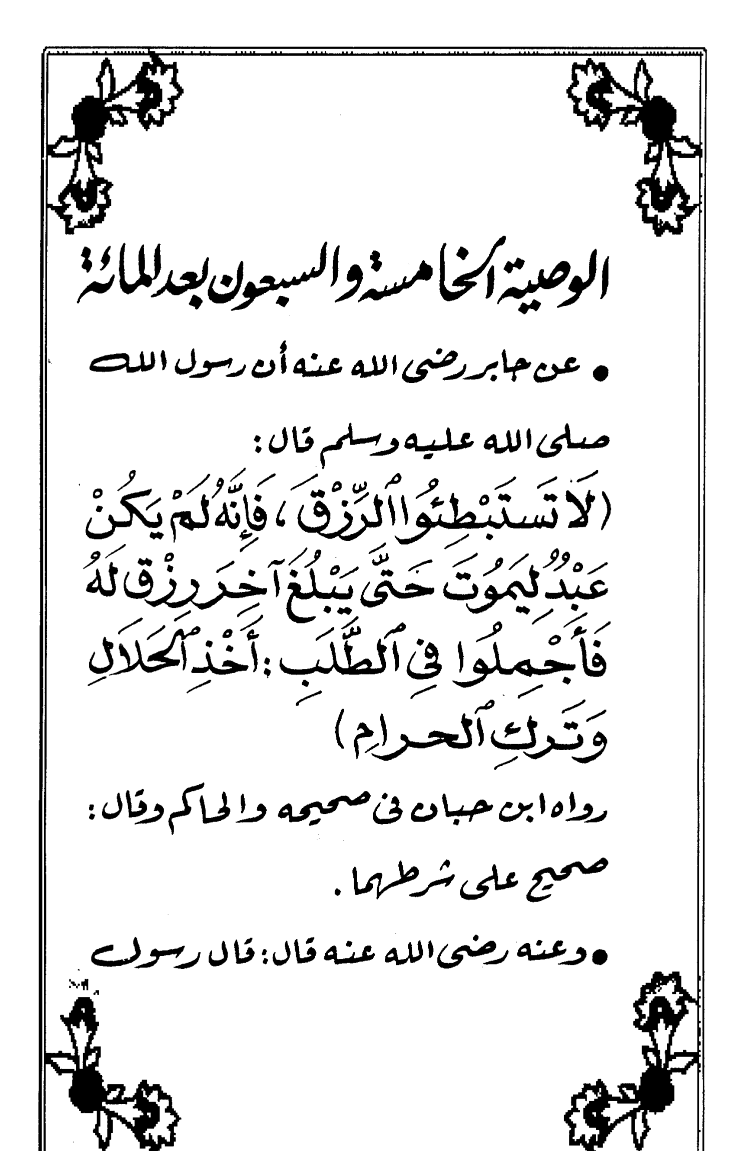
(١٢) أي: من ذنوبهم .

(١٣) أي: قدر عمله السئ وما طرح عليه .

** (وعلي) الأخ المسلم أن يستعين بالله تعالي علي سداد ديونه .. (وذلك) بمثل هذا الدعاء الذي قال فيه الحبيب المصطفي صلوات الله وسلامه عليه _ لأبى أمامة ﷺ عندما أخبره بأنه ملازم للمسجد بسبب همومه وديونه التي يريد أن يتخلص منها _: ((**قل: إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك مــن العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهــر الرجال**)) رواه أبو داود.

* * (ثم) حسبك بعد ذلك أن تقول كما قال أبو أمامة فى ختام الحديث: (ففعلت ذلك فأذهب الله همى وقضى عنى دينى)

والله ولى التوفيق



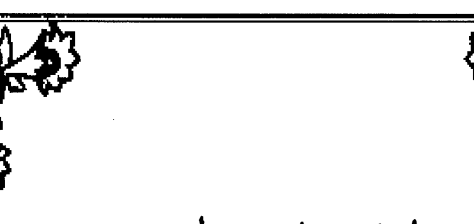
الوصية الخامسة والسبعون بعد المائة

• عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(لَا تَسْتَبْطِئُوا الرِّزْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبْدٌ لِيَمُوتَ حَتَّى يَبْلُغَ آخِرَ رِزْقٍ لَهُ فَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ: أَخْذِ الحَلَالِ وَتَرْكِ الحَرَامِ)

رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

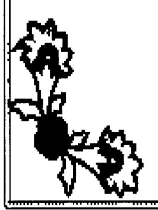
• وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول

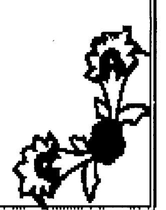


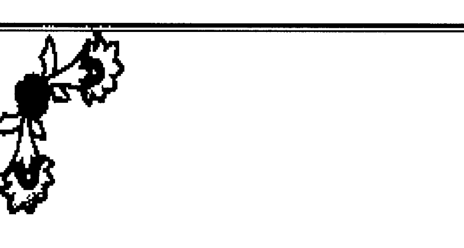
الله صلى الله عليه وسلم :

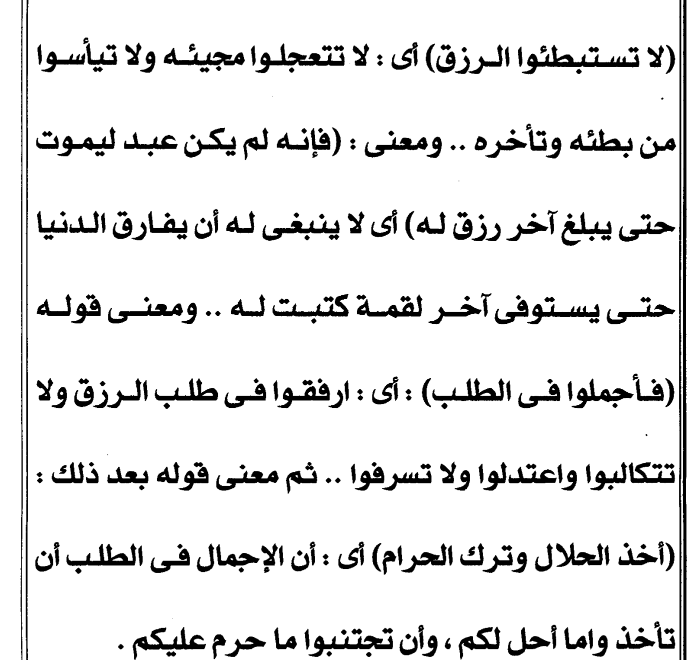
(يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي ٱلطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا ٱللَّهَ فِي ٱلطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ وَدَعُوا مَا حَرُمَ).

رواه ابن ماجه واللفظ له والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

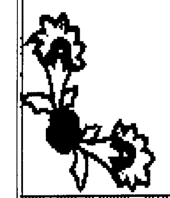


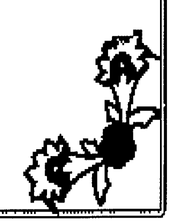






(لا تستبطئوا الـرزق) أى : لا تتعجلـوا مجيئـه ولا تيأسـوا من بطئه وتأخره .. ومعنى : (فإنـه لم يكـن عبـد ليمـوت حتى يبلغ آخر رزق لـه) أى لا ينبغـى لـه أن يفـارق الـدنيا حتـى يسـتوفى آخـر لقمـة كتبـت لـه .. ومعنـى قولـه (فـأجملوا فـى الطلـب) : أى : ارفقـوا فـى طلـب الـرزق ولا تتكالبوا واعتدلوا ولا تسرفوا .. ثم معنى قوله بعد ذلك : (أخذ الحلال وترك الحرام) أى : أن الإجمال فـى الطلـب أن تأخذ واما أحل لكم ، وأن تجتنبوا ما حرم عليكم .





فكن أخا الإسلام

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التى لو نفذتَ ـ إن شاء الله ـ المراد منها .. لن تكون من أهل المعاناة الحسية أو المعنوية فى الدنيا ..

(ولا سيما) إذا كانت المعاناة هذه فى طلب الرزق الذى من المفروض عليك كمؤمن عاقل أن لا تُشغل به أكثر من اللازم .. وهو الأخذ بالأسباب التى أمرنا الله تعالى بها فى قوله: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك:١٥]، ولله دَرُّ الإمام الشافعى ﷺ فلقد قال:

ورزقك ليس ينقصه التأنِّى   و ليس يزيد فى الرزق العناء

* (وقد) ورد أن صحابياً قال لرسول الله ﷺ أوصنى، فقال له: ((**لا تتشاغل عما فرض عليك بما ضمن لك: فإنه ليس بفائتك ما قسم لك، و لست بلاحق ما زوى عنك**)).

** (لهذا) فإنه حسب الأخ المسلم أن يؤمن إيماناً جازماً بأن الله تعالى قد ضمن جميع أرزاق المخلوقين .. فهو القائل سبحانه:

*﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦]، ﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾ [الذريات:٥٨].

** (وقد) أشار النبى ﷺ إلى ملاحظة هامة لابد وأن تكون أساساً فى هذا الموضوع فقال ـ بالإضافة إلى نص الوصية ـ: ((**إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله**)) رواه الطبرانى بإسناد جيد إلا أنه قال: ((**إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله**))

(فإن) الإشارة هذه تؤكد أمراً هاماً، وهو أنه لا مفر من الرزق .. (كما) ورد كذلك فى نص حديث شريف يقول فيه صلوات الله وسلامه عليه: ((**لو ركب ابن آدم الريح هرباً من رزقه لركب الرزق البرق حتى يدخل فى فمه**)).

* (وهذا) هو المعنى المراد من قول الرسول ﷺ ((**فإنه لم يكن عبد ليموت حتى يبلغ آخر رزق له ..**)).

وقوله: ((**فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عنها ..**)) .

** (إن) كل تلك الإشارات لابد وأن تكون سبباً مباشراً فى تنفيذ المراد من قول الرسول ﷺ فى أول الوصية، وهو: «**لا تستبطئوا الرزق**»: أى لا تتعجلوا مجيئه ولا تيأسوا من بطئه وتأخره ..

(وذلك) حتى لا يكون هناك انشغال بطلب الرزق بتلك الصورة التى قد تؤدى غالبًا إلى الإنشغال عن الآخرة التى من المفروض أن لا يشغل عنها بأى شاغل دنيوى؛ لأنها دار القرار:﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ**[1] **لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت: ٦٤]

(وقد) يؤدى هذا الانشغال الدنيوى إلى عدم المواظبة والمحافظة على أداء الصلوات الخمس وفى أوقاتها.. (بل) قد يؤدى إلى ترك الصلاة وعدم الاهتمام بها...

(وإن) هذا لهو الخسران المبين المشار إليه فى قول الله تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾ [المنافقون:٩].

** (ثم) إذا كان لى أن أنتقل بعد هذا التمهيد الأساسى إلى الموضوع الأصلى وهو طلب الرزق الحلال .. فى أى موقع من مواقع الأرض (فإننى) أذكر أولاً بما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، وهو: (لايقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقنى .. وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة)، (وإن) هذا معناه أن الرزق لا يُطلب بالقعود أو الكسل وإنما يُطلب بالحركة المشار إليها فى الحديث الشريف الذى ورد: (عن) عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً**» رواه الترمذى، وقال حديث حسن.

(ومعناه): تذهب أول النهار خماصاً، أى ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً، ممتلئة البطون.

** (فليكن) هذا هو مفهومنا عن التوكل الحقيقى .. (حتى) لا نكون من أهل التواكل الذى معناه ترك العمل بدعوى الزهد .. (فقد) قال العلماء: (ليس الزاهد من لا مال عنده بل الزاهد من لم يشغل المال قلبه وإن أوتى مثل ما أوتى قارون).

---

(١) أى: لهى الحياة الحقيقية .

(وهذا) معناه أنه لا مانع شرعاً أن يكون معك مال _ حلال _ كمال قارون، ولكن بشرط أن يكون فى يدك لا فى قلبك (لأنه) إذا كان فى يدك استطعت أن تستغله فى طاعة الله تعالى .. أما إذا كان متربعاً على قلب البعيد فإنه سيكون مطية له.(وقد) ورد أن النبى ﷺ جلس ذات يوم مع أصحابه .. فسمعهم يثنون على رجل منهم بأنه يصوم النهار، ويقوم الليل، ويكثر من الذكر ..فقال لهم:«**أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟**» فقالوا: كلنا يا رسول الله، فقال: «**كلكم خير منه**»: فلما سمع الأصحاب هذا اندفعوا يعملون وينشطون حتى قرن الله تعالى التجار منهم بالمجاهدين فى سبيل الله، فقال تعالى:﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** (1)﴾ [المزمل: ٢٠].

** (وقد) قرأت تحت عنوان:

يا أكباد آبائكم

أن حكيماً كان يهذب بعض الصبيان فيقول لهم: يا أكباد آبائكم .. تعلموا حرفة لا تعتمدوا على ما لديكم من ثروة أو متاع، لأن من اعتمد عليها وقصَّر فى تعليم نفسه هلك.

(واعلموا) أن الذهب واللُّجين _ أى الفضة _ منبع المتاعب، ومصدر المصائب، فإن لم يسلبها سالب أسرف فيها صاحبها وبذرها. (أما) الحرفة فكالبئر البكر لا ينضب ماؤها، أو الأرض الخصبة لا يهلك زرعها.

(ولو) أن صاحب فن فقد ماله فلا يحزنه ذلك لأن فى فنّه ماله وغناه. ولا يعزب عن أذهانكم أن الإكرام والتبجيل لا يكونان إلا لذى صنعة .. أما من لا صنعة له .. فتصيبه المذلة والهوان والفقر ..

(وقد) جاء فى الحكم: (صنعة فى اليد أمان من الفقر).

* كما جاء فى الحكم: (من لا عمل له: لا قيمة له، ومن لا قيمة له: لا حق له فى البقاء مع الأحياء، بل هو فى عداد الموتى).

---

(١) وقد قدم الله تعالى فى هذه الآية الساعين فى طلب الرزق على المجاهدين فى سبيل الله وهذا شرف عظيم للعاملين ...

* ولله در من قال:

لـــيس الحيـــاة بأنفـــاس نرددهـــا إن الحيـــاة حيـــاة الفكـــر والعمـــل

* وقال بعضهم: (بركة العمر حسن العمل).

وقال آخر:

وما المال للإخفـــاء فى طَـــيِّ حفـــرة ولا للتبـــاهى بالمواكـــب والعليـــا

ولكن ليغنى المرءَ عـــن مـــال غـــيره وهذا قُصارىَ الحُرِّ فى دارنـــا الـــدنيا

** (وقد) رأيت بعد هذا التذكير الضرورى حتى لا يكون هناك تكاسل عن طلب الرزق الحلال بالعمل .. أن أدور مع الأخ المسلم حول أهم الإشارات التى قرأتها فى كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) تحت عنوان:

فى الكسب والاحتراف

* (فقد) ذكر أن الله تبارك وتعالى هيأ الأرض وسخرها ذلولاً لخدمة الإنســـان.. حتى ينتفع بكل ما فيها من النعم التى لا تحصى ولا تعد .. (وهو) يسعى فى جوانبها مبتغياً من فضل الله .. مستدلاً على هذا بقول الله تبارك وتعالى:﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ [الملك:١٥].

* (ثم) أشار بعد ذلك إلى حرمة قعود القادر عن العمل فقال: ولا يحل لمسلم أن يكسل عن طلب رزقه، باسم التفرغ للعبادة، أو التوكل على الله، فإن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة (كما) لا يحل له أن يعتمد على صدقة يُمْنَحُها وهو يملك من أسباب القوة ما يسعى به على نفسه، ويغنى به أهله ومن يعول. وفى ذلـــك يقول نبى الإسلام ﷺ: «لا تحل الصدقة لغنى، ولا لذى مِرَّة ــ أى قوة ــ سَوِىٍّ» رواه الترمذى .

* (ثم) يقول: ومن أشد ما قاومه النبى عليه الصلاة والسلام، وحرمه على المسلم، أن يلجأ إلى سؤال الناس، فيريق ماء وجهه، ويخدش مروءته وكرامته من غير ضرورة تلجئه إلى السؤال. ففى الحديث الشريف: «**الذى يسأل من غير حاجة كمثل الذى يلتقط الجمر**». رواه البيهقى وابن خزيمة فى صحيحه.

(وقال)ﷺ : **((من سأل الناس ليثرى به ماله[1] كان خموشاً فى وجهه إلى يوم القيامة، ورضفاً[2] يأكله من جهنم، فمن شاء فليقلّل، ومن شاء فليُكْثِــر))**. رواه الترمذى.

(وقال)ﷺ :**((لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليست فى وجهه مزعــة لحم))**. متفق عليه .

** (وهذا) صريح فى حرمة المسألة التى ينبغى أن يتتره عنها الأخ المسلم القــادر على الكسب.. حتى لا يكون عالة على الناس.. بل وحتى يستطيع أن يكون موفور الكرامة بين الناس.. كما يقول الإمام على كرم الله وجهه:

لحملى الصخر مــن قمــم الجبــال   أحــب إلى مــن مــنَن الرجــال

يقول النــاس لى فى الكســب عــار   فقلــت العــار فى ذل الســؤال

** (ثم) بعد ذلك يقول فى (الحلال والحرام فى الإسلام) _ ما خلاصــته _ تحت عنوان:

متى تباح المسألة

(ولكن) الرسولﷺ يقدر الضرورة والحاجة قدرها، فمن اضطر تحــت ضــغط الحاجة إلى السؤال وطلب المعونة من الحكومة أو الأفراد فلا جناح عليه، لقولهﷺ : **((إنما المسائل كدوح[3] يكدح الرجل بها وجهه، فمن شاء أبقى على وجهه، ومــن شــاء ترك، إلا أن يسأل ذا سلطان، أو فى أمر لايجد منه بُدًّا))**. رواه أبو داود والنسائى.

(وروى) مسلم فى صحيحه (عن) أبى بشر قبيصة بن المخارقﷺ قال: (تحملت حمالة [4] فأتيت رسول اللهﷺ أسأله فيها فقال: **((أقم حتى يأتينا الصدقة فنأمر لك بها، ثم قال: يا قبيصة ! إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة : رجل يتحمــل حمالــة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل: أصابته جائحة[5] اجتاحت مالــه**

(١) أى: ليكثر به ماله .

(٢) الرضف : هو الحجارة المحماة .

(٣) الكدوح : آثار الخدوش .

(٤)الحمالة : ما يتحمله المصلح بين فئتين فى ماله ليرتفع بينهم القتال ونحوه

(٥)الجائحة : أى الآفة تصيب الإنسان فى ماله .

فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً (١) **من عيش، ورجل: أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوى الحجا** (٢) **من قومه: لقد أصابت فلاناً فاقة ! فحلت له المسألة حتى يصيب قواماً من عيش .. فما سواهن من المسألة يا قبيصة سُــحت** (٣) **يأكلــها صاحبها سحتاً**» رواه مسلم وأبو داود والنسائى.

** (ثم) يقول: تحت عنوان:

الكرامة فى العمل

(وينفى) النبى ﷺ فكرة احتقار بعض الناس لبعض المهن والأعمال، ويعلم أصحابه أن الكرامة كل الكرامة فى العمل أى عمل (٤)، وأن الهوان والضعة فى الاعتماد على معونة الناس يقول: «**لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه خير من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**» متفق عليه.

** (ثم) يقول: فللمسلم أن يكتسب عن طريق الزراعة، أو التجارة، أو الصناعة، أو فى أى حرفة من الحرف أو وظيفة من الوظائف _ الشريفة _ ما دامت لا تقــوم على حرام، أو تعين على حرام، أو تقترن بحرام.

** (والذى) أريد أن أبدأ الآن فى توضيحه والترغيب فيه، هو (٥):

الاكتساب عن طريق الزراعة، أو التجارة، أو الصناعة

** (أما) بالنسبة للزراعة (فقد) هيأ الله تعالى الأرض للإنبات، فجعلــها ذلــولاً، وجعلها بساطاً، وهى لذلك نعمة للخلق يجب _ عليهم أن يذكروها، ويشكروها .. وإلى هذا يشير الله تعالى فى قوله: ﴿**وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطاً ۝ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً**﴾ [نوح١٩:٢٠]. كما قال تعالى: ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ۝ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ۝ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ ۝ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن١٠:١٣].

---

(١) القوام : ما يقوم حال الإنسان من مال وغيره.

(٢) الحجا : أى العقل والرأى.

(٣) السحت : أى الحرام .

(٤) مادام عملاً شريفاً ...

(٥) كما جاء أيضا فى (الحلال و الحرام فى الإسلام) بإيجاز و تصرف .

(كما يقول) الله تبارك و تعالى مشيرا إلى نعمة نزول المطر الذى يجريه أنهارا، فيحى به الأرض بعد موتها: **﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِراً نُخْرِجُ مِنْهُ حَبّاً مُتَرَاكِباً﴾** [الأنعام:٩٩].

(كما يقول) : **﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبّاً * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقّاً * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبّاً * وَعِنَباً وَقَضْباً﴾** [عبس ٢٤: ٢٨] .

(وأيضا) يقول تبارك وتعالى مشيرا إلى نعمة إرسال الرياح مبشرات، فتسوق السحاب، وتلقح النبات: **﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾** [سورة الحجر:١٩، ٢٢]. (وفى) كل هذه الأيات تنبيه إلهى للإنسان إلى نعمة الزراعة وتيسير وسائلها له.

(كما) ورد كذلك فى السنة المطهرة ما يرغب فى الزراعة:

* (ففى) الحديث الشريف المتفق عليه يقول صلوات الله وسلامه عليه: **« ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير ولا إنسان إلا كان له به صدقه ».**

* (وفى) حديث شريف رواه مسلم يقول صلوات الله وسلامه عليه: **«ما من مسلم يغرسُ غرسًا إلا كان له به صدقة، وما سُرق منه له صدقة ولا يرزؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة».**

* * (وقد) قال العلماء: فى سعة كرم الله أن يُثيب على ما بعد الحياة، كما كان يُثيب على ذلك فى الحياة، وفى السنة: **«صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعوا له، أو غرس، أو رباط[1]».**

* (وقد) روى أن رجلاً مر بأبى الدرداء ﷺ وهو يغرس جوزة، فقال: أتغرس هذه وأنت شيخ كبير، وهذه لا تثمر إلا فى كذا وكذا عاماً ..؟ فقال أبو الدرداء: ما على أن يكون لى أجرها ويأكل منها غيرى ؟

---

(١) وهو الإقامة على الثغور والحدود لحراستها من الأعداء .

* (وعن) رجل من أصحاب النبى ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بأُذُنَىَّ هاتين: «**من نصب شجرة فصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر فإن له فى كل شىء يصاب من ثمرها صدقة عند الله عز وجل**» رواه أحمد.

** (وقد) استدل بعض العلماء بهذه الأحاديث وأمثالها على أن الزراعة أفضل المكاسب.

* (وقال) آخرون: بل الصناعة وعمل اليد أفضل.

* (وقال) غيرهم: بل التجارة أفضل .

** (وقال) بعض المحققين ينبغى أن يختلف ذلك باختلاف الأحوال، فحيث احتيج إلى الأقوات أكثر تكون الزراعة أفضل، للتوسعة على الناس.

(وحيث) احتيج إلى المتجر لا نقطاع الطرق مثلاً تكون التجارة أفضل.

(وحيث) احتيج إلى الصنائع تكون أفضل [1] .

(وهذا) التفضيل الأخير يوافق أفضل ما انتهى إليه الاقتصاد الحديث .

** (ثم) يقول بعد ذلك متحدثاً عن:

الزراعة المحرمة

* (كل) نبات حرم الإسلام تناوله، أو لا يعرف له استعمال إلا فى الضُّر: فزراعته حرام كالحشيش وغيره. «**ومثل**» ذلك التبغ _ أى الدخان _ إن قلنا تناوله حرام _ كما هو الراجح _ فزراعته حرام، وإن قلنا مكروه [2] فمكروه.

* (وليس) عذراً للمسلم أن يزرع الشىء المحرم ليبيعه لغير المسلمين، فإن المسلم لا يروج الحرام أبداً، كما لا يحل له أن يُربى الخنازير مثلاً ليبيعها للنصارى.. (وقد) حرم الإسلام بيع العنب الحلال لمن يعلم أنه يتخذه خمراً.

---

(١) انظر القسطلانى على البخارى .

(٢) وهو فى الحقيقة بالإضافة إلى جميع الممنوعات من أكبر المحرمات .. باتفاق العقلاء ...

* * (وأما) عن:

الصناعات والحرف

(فقد) ذكر أنه لابد مع الزراعة من الصناعات والحرف الأخرى، والتى تكتمل بها عناصر الحياة الطيبة، ومقومات الأمة العزيزة الحرة، والدولة القوية الغنية ... (وهذه) الحرف والصناعات ليست عملاً مباحاً فى شريعة الإسلام فحسب، بل هى _ كما قرر أئمته وعلماؤه _ فرض كفاية فى دين المسلمين، بمعنى أن الجماعة الإسلامية لابد أن يتوافر فى أهلها من كل ذى علم وحرفة وصناعة من يكفى حاجتها، ويقوم بشأنها. (فإذا) حدث نقص فى جانب من جوانب العلم أو الصناعة، و لم يوجد من يقوم به: أثمت الجماعة كلها، وبخاصة أولوا الأمر وأهل الحل والعقد فيها.

* * (ثم) ذكر بعد ذلك كلاماً هاماً للإمام الغزالى عليه رحمة الله حول موضوع فرض الكفاية يقول فيه:

(أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا، كالطب، إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان، وكالحساب، فإنه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث، وغيرهما، وهذه هى العلوم التى لو خلا البلد عمن يقوم بها حُرِج أهل البلد، وإذا قام بها واحد كفى، وسقط الفرض عن الآخرين .. فلا يتعجب من قولنا: إن الطب والحساب من فروض الكفايات فإن أصول الصناعات أيضًا من فروض الكفايات، كالفلاحة، والحياكة _ أى النسج _ والسياسة، بل الحجامة والخياطة، فإنه لو خلا البلد من الحجَّام لسارع الهلاك إليهم بتعريضهم أنفسهم للهلاك. فإن الذى أنزل الداء، أنزل الدواء وأرشد إلى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك بإهماله [1]).

* * (ثم) يقول بعد ذلك: (وقد) أشار القرآن إلى كثير من الصناعات التى ذكرها على أنها نعمة من فضله، كقوله عن داود عليه السلام .

* ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ:١٠_١١] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ [الأنبياء:٨٠]

(١) إحياء علوم الدين ج١ص١٥.

وقوله عن سليمان عليه السلام: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢،١٣].

وقوله عن ذى القرنين وإقامة سده العالى:

﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ [الكهف: ٩٥_٩٧].

وذكر قصة نوح وصنعه للسفينة، وأشار إلى نوع ضخم من السفن يجرى فى البحار كالجبال، فقال:﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الشورى:٣٢] أى: الجبال.

(وذكر) فى كثير من سوره صناعة الصيد بكل صورة وأنواعه، من صيد الأسماك وحيوان البحر، وصيد الحيوانات البرية، وصناعة الغوص لاستخراج اللؤلؤ والمرجان ونحوهما. (وفوق) ذلك نبه القرآن على قيمة الحديد تنبيهاً لم يسبقه به كتاب دين أو دنيا، فبعد أن ذكر سبحانه وتعالى إرساله الرسل لخلقه وإنزاله الكتب عليهم قال: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

** (وكل) صناعة أو حرفة تسد حاجة فى المجتمع أو تجلب له نفعاً حقيقياً فهى عمل صالح إذا نصح فيها صاحبها وأتقنها كما أمره الإسلام .

** (ثم) يقول كلاماً هاماً لابد وأن نفهم المراد منه حتى لا نحتقر حرفة من الحرف الشريفة فقال: (وقد) مجد الإسلام حرفاً كان الناس ينظرون إليها نظرة فيها كثير من التحقير والازدراء:

(فعمل) كرعى الغنم لا يعبأ الناس بصاحبه فى العادة، ولا ينظرون إليه نظرة إجلال أو تكريم، ولكنه عليه الصلاة والسلام يقول: «**ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم**» قالوا: وأنت يا رسول الله ؟

قال: «**نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة**» رواه البخارى. أى: كان محمد صلوات الله وسلامه عليه وهو أفضل خلق الله على الإطلاق يرعى الغنم لبعض

أهل مكة بأجر معين.. (وهو) بهذا الإخبار لأصحابه الفضلاء .. يريد أن يـذكرهم بأن الفخر للعاملين لا للمترفين والعاطلين.

** (وقد) قص القرآن الكريم علينا قصة سيدنا موسى عليه السلام وهـو يعمـل أجيراً عند شيخ كبير استأجره ثماني سنين على أن يزوجه إحدى ابنتيه، وكان عنـده نعم العامل، ونعم الأجير، وصدقت فيه فراسة ابنة الشيخ حـين قالـت: **﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾** [القصص:٢٦].

** (وقد) روى ابن عباس رضي الله عنهما أن: داود: كان زراداً ــ أى يصنع الزرد والدروع ــ وكان إدريس خياطاً، وكان موسى راعياً) أخرجه الحاكم .

(فليهنأ) المسلم بحرفته، فما من نبى إلا عمل فى حرفة.وفى (الصحيح): **((ما أكـل أحد طعاماً خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده))** أخرجه البخارى وغيره.

** (ثم) يشير بعد ذلك إلى صناعات وحرف يحاربها الإسلام .. فيقول:

(غير) أن هناك صناعات وحرفاً يحرم الإسلام على أبنائه الاشتغال بها لما فيه من إضرار بالمجتمع فى عقيدته أو فى أخلاقه أو أعراضه أو مقوماته الأدبية .. فيقـول تحت عنوان:

البغاء

* (فالبغاء) مثلاً حرفة تبيحها أكثر بلاد الغرب، وتعطى بها إذناً وترخيصاً، يجعل صاحبته ضمن أصحاب الحرف، ويعطيها حقوقهم، على حين يرفض الإسلام ذلـك كل الرفض، ولا يجيز لحرة ولا لأمة أن تتكسب بفرجها.

(وقد) كان بعض أهل الجاهلية يفرضون ضريبة يومية على الأَمَة [1]، عليهـا أن تؤديها لسيدها، بأى طريق أكتسبتها، وكانت كثيراً ما تلجأ إلى احتراف الزنا لتدفع ما ضرب عليها. وكان بعضهم يكرهن على ذلك إكراهاً، طلباً لعرض دنيوى تافه، وكسب قدر رخيص. فلما جاء الإسلام ارتفع بأبنائه وبناته عن هذا الهوان، ونـزل قول الله تعالى: **﴿وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾** [النور: ٣٣]

(١) أى: الجارية المملوكة .

* (وروى) ابن عباس رضى الله عنهما أن عبد الله بن أبى ــ رأس المنافقين ــ جاء إلى رسول الله ﷺ ومعه جارية من أجمل النساء تسمى (معاذة) فقال: يا رسول الله هذه لأيتام فلان، أفلا تأمرها بالزنا فيصيبون من منافعها؟ فقال عليه السلام: **((لا))**[1].

* (وبذلك) منع النبى ﷺ هذا الاحتراف الدنس، أيًّا كان الدفع إليه، وأهدر كل ما يمكن أن يقال من الحاجة أو الضرورة أو نيل الغاية، ليبقى المجتمع الإسلامى طاهراً من هذه الخبائث الموبقات.ــ لها أى المهلكات ــ.

** (ثم) بعد ذلك يشير إلى النوع الثانى من الصناعات والحرف التى يحاربها الإسلام، فيقول تحت عنوان:

الرقص والفنون الجنسية

(وكذلك) لا يقبل الإسلام احتراف الرقص الجنسى المثير، ولا أى عمل من الأعمال التى تثير الغريزة كالغناء الخليع، والتمثيل الماجن، وكل عبث من هذا النوع، وإن سماه بعض الناس (فنا) وعده قوم (تقدماً) إلى غير ذلك من العبارات المضللة.

(إن) الإسلام حرم كل علاقة جنسية تقوم على غير الزواج، وحرم كل قول أو عمل يفتح نافذة إلى علاقة محرمة. (وهذا) سر نهى القرآن عن الزنا بهذا التعبير المعجز﴿**وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾ [الاسراء:٣٢].

(فلم) يكتف بالنهى عن الزنا، بل نهى عن القرب منه.

(وكل) ما ذكرناه، وما يعرفه الناس من مثيرات، وإنما هو قرب من هذه الفاحشة، بل إغراء بها، وتحريض عليها. ألا ساء ما يفعلون.

** (وأيضاً) من الصناعات المحرمة التى أشار إليها كذلك بعد ذلك:

صناعة التماثيل ونحوها

(وإذا) كان الإسلام يحرم اتخاذ التماثيل، فإنه يحرم صناعتها أكثر من اتخاذها .

(وقد) روى البخارى عن سعيد بن أبى الحسن قال: كنت عند ابن عباس إذ جاءه رجل فقال: يا ابن عباس، إنى رجل إنما معيشتى من صنعة يدى، وإنى أصنع هذه

(١) تفسير الفخر الرازى ج٢٣ص٢٢٠.

التصاوير! فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت من رسول الله ﷺ. سمعته يقول: **((مَنْ صوَّر صورة فإن الله يعذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبداً))** فربا الرجل ربوة شديدة ــ يعنى انتفخ من الغيظ والضيق ــ فقال ابن عباس: **((ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع، فعليك بهذا الشجر، وكل شىء ليس فيه روح [1]))** أخرجه البخارى ذلك صناعة الأصنام أو ما ماثلها .

* (أما) تصوير اللوحات والتصوير الفوتوغرافى (فقد) ذكر أن الأقرب إلى روح الشريعة فيهما هو الإباحة ــ أو على الأكثر الكراهية.

(ثم) يقول: وهذا مالم يشتمل موضوع الصورة نفسها على محرم فى الإسلام كإبراز مواضع الفتنة من الأنثى، وتصوير رجل يقبل امرأة ونحوها، (ومثل) ذلك الصور التى تعظم وتقدس كصور الملائكة والأنبياء ونحوها.

* * (وكذلك) من الصناعات المحرمة فى الإسلام:

صناعة المسكرات والمخدرات

(فإن) الإسلام يحرم كل مشاركة فى ترويج الخمر [2]، صناعة أو توزيعاً، أو تناولاً. وكل من فعل ذلك فهو ملعون على لسان رسول الله ﷺ (والمخدرات) من حشيش وأفيون وغيرها مثل المسكرات فى حرمة تداولها وتوزيعها وصنعها. (وكذلك) يأبى الإسلام على المسلم أن يشتغل بأى صناعة أو حرفة تقوم على عمل شىء حرام أو ترويج أمر حرام.

** (وأما) عن:

الاكتساب عن طريق التجارة المشروعة

(فهو) حلال .. بدليل أن الإسلام قد دعا فى نصوص قرآنه، وفى سنة رسوله ﷺ دعوة قوية إلى التجارة، والعناية بها، وأغرى بالرحلة والسفر من أجلها، وسماه (ابتغاء من فضله الله)، وقرن الله تعالى ذكر الضاربين فى الأرض للتجارة بالمجاهدين فى سبيل الله،

(١) يريد أن يقول له : إذا أردت أن تصنع ... فاصنع شيئاً لاارواح فيه كالشجر والسفن والجبال والأنهار ... الخ .

(٢) التى منها شراب (البيرة) لأنها مسكرة ... وفى الحديث : كل مسكر خمر وكل خمر حرام وفى الحديث : **((ما كان كثيره مسكر فقليلة حرام))** .

فقال: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] ـ (وأقول) بل إن الله تبارك وتعالى فى هذه الآية الكريمة قدم الضرب فى الأرض ابتغاء لفضل الله على الجهاد فى سبيل الله ...

(قد) امتن الله تعالى على الناس بتهيئتة لهم سبل التجارة الداخلية والخارجية بالمواصلات البحرية التى لا تزال أعظم وسائل النقل للتجارة العالمية فيقول تبارك وتعالى:﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [فاطر:١٢] إلى أن يقول بعد ذلك فى (الحلال والحرام فى الإسلام):

** (وقد) هيأ الإسلام للمسلمين فرصة التبادل التجارى فيما بين أقطارهم وشعوبهم على نطاق عالمى واسع فى كل عام، وذلك فى الموسم السنوى العالمى، موسم الحج إلى بيت الله الحرام، حين يأتون: ﴿رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ [الحج:٢٧:٢٨] (ومن) هذه المنافع ـ ولا شك ـ التجارة.

(وقد) روى البخارى أن المسلمين كانوا يتحرجون من التجارة فى موسم الحج، يخشون أن يكون فى هذا ما يشوب إخلاص نيتهم، أو يكدر صفاء عبادتهم، فنزل القرآن يقول فى صراحة وجلاء:

* ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ[1] أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

** (أما) فى السنة، فقد حث نبى الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ علي التجارة، وعني بأمرها، وإرساء قواعدها بقوله وفعله وتقريره (ففي) أقواله الحكيمة نسمع هذه الأحاديث:

* «**التاجر الأمين الصدوق مع الشهداء يوم القيامة**». رواه ابن ماجه والحاكم.

* «**التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**» رواه الحاكم والترمذي بإسناد حسن.

(ويكفينا) من فعله عليه الصلاة والسلام في شأن التجارة أنه كما عني بالجانب الروحي.

(١) الجناح بضم الجيم : أى الإثم .

عني بالجانب الاقتصادى فأقام سوقاً إسلامية صرفاً، لا سلطان لليهود عليها، كما كانت سوق بني قينقاع من قبل... (وقد) رتب النبيﷺ بنفسه أوضاعها، وظل يرعاها بتعاليمه وتوجيهاته، فلا غش، ولا تطفيف، ولا احتكار، ولا تناجش[1] إلي غير ذلك...

(وفي) سِيَر أصحاب رسول اللهﷺ .. رضي الله عنهم أجمعين: نجد منهم التجار البارعين كما نجد الصُّناع، و الزراع، و سائر أهل الحرف والأعمال .

** (فهذا) علي سبيل المثال: عبد الرحمن بن عوف المهاجر يعرض عليه أخوه في الله سعد بن الربيع الأنصاري أن يشاطره ماله وداريه، ويختار إحدي زوجتيه فيطلقها له .. فيلقي هذا الإيثار النبيل بعفاف نبيل آخر .. ويقول لسعد: بارك الله لك في مالك وأهلك، لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة ؟ قال سعد: نعم سوق بني قينقاع (فغدا) إليه عبد الرحمن بأقط _ أي جبن _ وسمن وباع واشتري.

ثم تتابع الغُدو إلي السوق حتي صار من أكبر أثرياء المسلمين، ومات عن ثروة ضخمة. (وهذا) أبو بكر الصديق ظل يتاجر ويسعي، حتي يوم بايعه المسلمون خليفة، كان يريد أن يذهب إلي السوق.

(وهذا) عمر بن الخطاب قال عن نفسه: ألهاني الصفق بالأسواق عن سماع حديث النبيﷺ.

(وهذا) عثمان .. وهؤلاء كثيرون _ عليهم جميعاً رضوان الله.

** (وأما) عن:

الاشتغال بالوظائف

(فإن) للمسلم أن يكسب رزقه عن طريق الوظيفة، سواء أكان تابعاً للحكومة أم لهيئة أم لشخص، ما دام قادراً علي تحمل تبعات عمله، وأداء واجباته، ولا يجوز لمسلم أن يرشح نفسه لعمل ليس أهلاً له، وخاصة إذا كان من مناصب الحكم، أو القضاء

(١) النجش أصله الإرتفاع و الزياده ، وهو أن يزيد في ثمن سلعة ليغر غيره ، وهو حرام لأنه غش وخداع ..

(فعن) أبي هريرة ﷺ عن أن النبي ﷺ قال: «**ويل للأمراء ويل للعرفاء** _ أي الرؤساء _ **ويل للأمناء** _ أي الحفظة علي الأموال_ **ليتمنين أقوام يوم القيامة أن ذوائبهم معلقة بالثريا، يدلون بين السماء والأرض، وأنهم لم يلوا عملاً** » أخرجه ابن حبان في صحيحه والحاكم وصحح إسناده.

** (ثم) بعد ذلك يقول في (الحلال والحرام في الإسلام):

(والأولي) بالمسلم ألا يحرص علي تلك المناصب الكبيرة، ويسعي وراءها ولو كان لها كفئاً، فإن من اتخذ المنصب رباً اتخذه المنصب عبداً، ومن وجه كل همه إلى مظاهر الأرض حرم توفيق السماء (وعن) عبد الرحمن بن سمرة قال: قال لى رسول الله ﷺ «**يا عبد الرحمن ! لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها من غير مسألة أُعنْتَ عليها، وإن أُعطيتها عن مسألة وُكلْت إليها** ». متفق عليه.

** (وهذا) مالم يعلم من نفسه أنه لا يسد الفراغ غيره، وإذا لم يقدِّم نفسه لعُطِّلت المصالح، واضطرب حمل الأمور.. (وقد) قص علينا القرآن قصة يوسف وفيها قال أنه قال للملك:

* ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [يوسف:٥٥]. (وهذا) هو أدب الإسلام فى طلب الوظائف السياسية ونحوها.

* (ثم) بعد ذلك يشير إلى موضوع هام لا بد وأن يقف عليه كل من يريد لنفسه النجاة من عذاب الله ... فى الدنيا والآخرة.. ألا وهو:

الوظائف المحرمة

حيث يقول بعد هذا العنوان: (وما قلناه) من إباحة الاشتغال بالوظيفة إنما هو مقيد بألا يكون فى وظيفتة ضرر للمسلمين، فلا يحل لمسلم أن يعمل ضابطا أو جنديا فى جيش يحارب المسلمين، ولا يحل له أن يعمل فى مؤسسة أو مصنع ينتج أسلحة لحرب المسلمين، ولا يجوز له أن يشتغل موظفا فى هيئة تناوئ الإسلام وتحارب أهله.

* (وكذلك) من اشتغل بوظيفة من شأنها الإعانة على ظلم أو حرام: فهى حرام كمن يشتغل فى عمل ربوى، أو فى محل للخمر، أو فى مرقص، أو ملهى أو نحو ذلك..

(ثم) يقول كلاما هاما لابد وأن يلاحظه الأخ المسلم الذى يريد أن يأكل مع كل أفراد أسرته التى يعولها حلالا.. (وهو) أنه لا يعفى هؤلاء جميعا من الإثم أنهم لا يباشرون الحرام ولا يقترفونه.. لأنه من مبادئ الإسلام أن الإعانة على الإثم إثم.. (ومن) أجل ذلك لعن النبى ﷺ كاتب الربا وشاهديه كما لعن آكله، ولعن عاصر الخمر وساقيها كما لعن شاربها.

(ثم) يقول: (وكل) هذا ما لم تكن هناك ضرورة قاهرة تلجئ المسلم إلى طلب قوته من مثل هذه الأعمال، فإن وجدت فإنها تقدر بقدرها مع كراهيته للعمل، ودوام بحثه عن غيره حتى ييسر الله له كسبا حلالا بعيدا عن أوزار الحرام (والمسلم) ينأى بنفسه دائما عن مواطن الشبهات التى يَرِقُّ فيها الدين ويضعف اليقين، مهما كان فيها من مكسب ثمين، ومالٍ وفير.

(ففى) الحديث الشريف الذى رواه أحمد، والترمذى، والنسائى، وابن حبان فى صحيحه، والحاكم، وقال الترمذى: حديث حسن صحيح يقول صلوات الله وسلامه عليه: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك** »، وفى الحديث الذى رواه الترمذى يقول «**لا يبلغ عبد درجة المتقين، حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس**».

** (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذه الأحكام والتنبيهات التى لخصتها له من كتاب (الحلال والحرام فى الإسلام) من صفحة ١٣١ إلى صفحة ١٥٢ ـ وهو للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوى أكرمه الله تعالى ـ والذى أرجو أن يرجع إليه الأخ المسلم ليقرأه بالتفصيل.

* (ثم) فى الختام أنصح الأخ المسلم بضرورة أن ينفذ المراد من كل هذا التذكير الذى لابد وأن يكون أساسا فى تنفيذ وصية الرسول ﷺ التى ندور حولها..

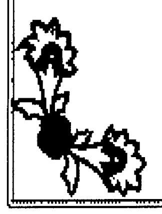
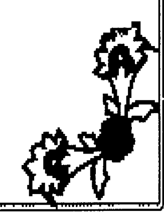
والله ولى التوفيق



الوصية السادسة والسبعون بعد المائة

● عن المَعْرُورِ بن سُوَيْدٍ رضي الله عنه قال: رأيت أبا ذر بالربذة، وعليه برد غليظ، وعلى غلامه مثله، قال: فقال القوم: يا أبا ذرٍّ لو كنت الذي على غلامك، فجعلته مع هذا، فكانت حله، وكسوت غلامك ثوبا غيره؟ فقال أبو ذر: إني كنت سابيت رجلاً، وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه، فشكاني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

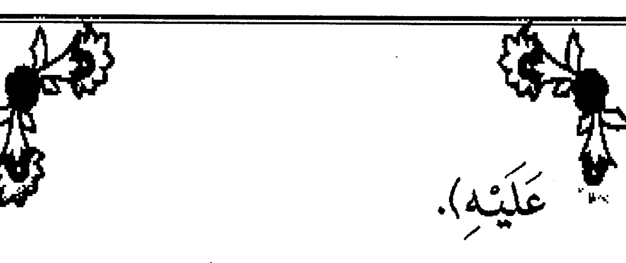
(يا أَبَا ذَرٍّ: إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ،

فقال: إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُم فَضَّلَكُمُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَمَنْ لَمْ يُلَائِمْكُمْ فَبِيعُوهُ وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ ٱللَّهِ)

رواه أبو داود واللفظ له وهو في البخاري ومسلم والترمذي بمعناه إلا إنهم قالوا فيه:

اهُمْ إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ ٱللَّهُ تَحتَ أَيدِيكُمْ، فَمَنْ جَعَلَ ٱللَّهُ أَخَاهُ تَحتَ يَدِهِ: فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مِنَ ٱلعَمَلِ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ



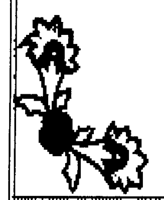
عَلَيْهِ).

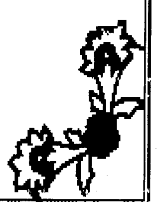
واللفظ للبخاري.

• وفي رواية للترمذي قال:

(إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ فِتْيَةً تَحْتَ أَيْدِيكُمْ: فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِنْ طَعَامِهِ، وَلْيُلْبِسْهُ مِنْ لِبَاسِهِ، وَلَا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ عَلَيْهِ).

• وفي رواية لأبي داود عنه قال: دخلنا على أبي ذر بالربذة، فإذا عليه برد، وعلى

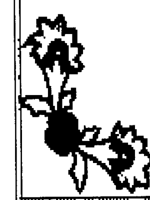


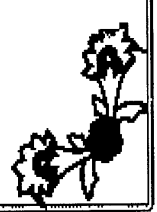


الله عليه وسلم :

(مَنْ لَاءَمَكُمْ مِنْ مَمْلُوكِيكُمْ فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَمَنْ لَمْ يُلَائِمْكُمْ مِنْهُمْ فَبِيعُوهُ، وَلَا تُعَذِّبُوا خَلْقَ اللَّهِ).

•• (الربذة) بالتحريك قرية قرب المدينة أقام بها أبوذر رضى الله عنه حتى مات .. و(الحلة) أى : الثوب الكامل .. (وساببت رجلا) أى : شاتمته، وهذا الرجل هو بلال رضى الله عنه .. وكان أبوذر قد قال له : يابن السوداء ..





فكن أخا الإسلام

منتفعا بهذه الوصية العظيمة التي إن نفذتها _ إن شاء الله _ كأبي ذر رضى الله عنه.. كنت من أهل التواضع.. وكنت من الرحماء بجميع خلق الله حتى ولو كانوا عبيدا..أو دوابا دون سب أو تعيير بالآباء أو بمن ينتسبون إليه من القبائل أو الملّونين..

(وإذا) كان أبو ذر رضي الله عنه هو المعنى بهذه الوصية.. (فإن) السبب فيها _ كما يحكى عليه رضوان الله فى مقدمتها _ هو أنه كان قد قال لبلال رضي الله عنه: يا ابن السوداء.. فلما علم النبى ﷺ بهذا حزن وتألم ثم قال: «**يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية**»: أى: فيك بقايا ورواسب من أنفة الجاهلية وحميتها وتفاخرها بالأحساب.. الخ ثم قال:

* «**إنهم إخوانكم فضلكم الله عليهم**»: أى: فى الرزق.. كما يشير إلى هذا قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ**﴾ [النحل: ٧١] وقوله: ﴿**انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ [الإسراء: ٢١]، ثم بعد ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه فى نص الوصية:

* «**فمن لا يلائمكم**» أى: يوافقكم فى الطاعة وحسن الخدمة.. ونحو ذلك «**فبيعوه**» حتى لا تتحملوا مسئوليته أمام الله تبارك وتعالى فى يوم المحاسبة.. وهو يوم القيامة الذى لا فضل فيه لأحد على أحد إلا بالتقوى..

* «**ولا تعذبوا خلق الله**»: حتى لا يقتص منكم بسبب هذا يوم القيامة.. «**ويُلْحَق**» بالعبد: الأجير، والخادم، والضعيف، والدابة..

** (ولهذا) فقد أوصانا النبى ﷺ بهم _ بصفة عامة _ فى رواية أخرى: فقال:

* (هم إخوانكم) أى فى الإنسانية _ أو فى الإسلام إذا كانوا مسلمين _ «**جعلهم الله تحت أيديكم**» أى مملوكين لكم (وفى) رواية أخرى: «**إخوانكم خولكم**» أى: عبيدكم وإماؤكم الذين يتخولون الأمور أى يصلحونها.. «**فمن جعل الله أخاه تحت يده: فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا يكلفه من العمل ما يغلبه**» أى: ما يشق عليه ولا يطيقه «**فإن كلفه ما يغلبه فليعنه**» أى: فليعنه (عليه) كما فى رواية للترمذى، التى فيها كذلك: «**إخوانكم جعلهم الله فتية تحت أيديكم**»: (وفتية): جمع فتى وهو العبد ويطلق على الغلام الحدث.

** (قال) النووي: (وفيه أن الدواب ينبغي أن يحسن إليها، ولا تكلف من العمل ما لا تطيق الدوام عليه، (وفيه) النهي عن الترفع على المسلم وإن كان عبدا (وفيه) المحافظة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

** (هذا) وإذا كان لي بعد هذا الإيجاز السريع لمضمون الوصية وما تبعها من روايات.. (فإنني) أريد الآن أن أدور مع الأخ المسلم حول هذا التلخيص الذي بدأت به.. حتى نقف على المراد من مضمون الوصية التي ندور حولها..فإليه:

أولا: ما كان من أمر أبي ذر رضي الله عنه يوم أن قال لبلال رضي الله عنه (يا ابن السوداء): (إن) الذي حدث بعد ذلك هو أن النبي ﷺ عندما علم بهذا.. قال لأبي ذر ـ وهو في حزن شديد ـ: «**أعيرته بأمه.. إنك امرؤ فيك جاهلية**»، أي لا زِلْتَ فيك رواسب الجاهلية التي أعلن صلوات الله وسلامة عليه في خطبة الوداع أنه لا رجعة إليها.. لأن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط.. لا فضل لعربي علي أعجمي إلا بالتقوي:

* (فعن) جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق [1] خطبة الوداع فقال: «**يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى**» [2].. ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. **ألا هل بلغت**» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «**فليبلغ الشاهد الغائب.. **» ثم ذكر الحديث في تحريم الدماء والأموال والأعراض. رواه البيهقي، وقال: في إسناده بعض من يجهل [3].

* (وعن) عقبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أنسابكم هذه ليست بسباب على أحد** [4]، **و إنما أنتم ولد آدمَ طفُّ الصاع** [5] **لم تملؤوه، ليس لأحد**

---

(١) وهي اليوم الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر من ذي الحجة.
(٢) فهي التي يتفاضل بها الناس عند الله عز وجل.
(٣) ولكنها خطبة مشهورة.
(٤) يعني أنها لا توجب نقصاً و لا تقتضي عاراً على صاحبها.
(٥) هو ما يبقى في الإناء بعد مسح رأسه يعني أنهم متساوون في النسبة إلى أبيهم آدم عليه السلام. (وقيل) المعنى: أي قريب بعضكم من بعض.

فضل على أحد إلا بالدِّين، أو عمل صالح » رواه أحمد و البيهقى وكلاهما من رواية ابن لهيعة، ولفظ البيهقى قال: «**ليس لأحد على أحد فضل إلا بالدين، أو عمل صالح. حسب الرجل أن يكون فاحشاً بذياً بخيلاً** [1] » وفى رواية له: «**ليس لأحد على أحد فضل إلا بدين أو تقوى، وكفى بالرجل أن يكون بَذيًّا فاحشاً بخيلاً** ».

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه: «**إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادى: ألا إنى جعلت نسبًا، وجعلتم نسبًا، فجعلت أكرمكم أتقاكم، فأبيتم إلا أن تقولوا: فلان ابن فلان خير فلان ابن فلان** [2]**، فاليوم أرفع نسبى**[3]**، وأضع نسبكم**[4]**، أين المتقون** » رواه الطبرانى فى الأوسط والصغير والبهيقى مرفوعا وموقوفا، وقال المحفوظ الموقوف، وتقدم فى أول كتاب العلم [5] حديث أبى هريرة الصحيح، وفيه: «**من بطأ به عمله لم يُسرع به نسبه**».

** (ثم) بعد ذلك وبعد أن أوقف النبى ﷺ أبا ذر على مضمون هذا أو بعض هذا ما كان من أبى ذر بعد أن فهم المراد من عتاب الرسول ﷺ له، إلا أن وضع خده على الأرض ثم طلب من بلال. أن يطأ وجهه بقدمه عقابا له.. ولكن بلالاً أبى وعفا عن صاحبه.. (وهذا) هو الخلق الكريم الذى غرسه النبىﷺ فى قلوب أصحابه الفضلاء الذين شبههم بعد ذلك كما ورد (بالنجوم).. ثم قال: «**بأيهم اقتديتم اهتديتم**».

(والله) تعالى يقول ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٤]، ويقول: ﴿**وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾ [الشورى:٤٣].

(ولقد) كان النبى ﷺ أسوة حسنه لأصحابه.. بل ولكل فرد من أفراد أمته إلى يوم الدين.. فى هذا الخلق الكريم الذى هو خلق الإسلام:

---

(١) الفاحش الذى يقول الفحش، والبذئ السليط اللسان من البذاءة، والممسك الممنوع.

(٢) يعنى فامتنعتم أن تزنوا الناس بما وزنهم الله به، وأبيتم إلا أن تضعوا موازين للتفاضل بينكم غيرها.

(٣) يعنى أشهره وأغلبه.

(٤) أى: أسقطها وألغيها.

(٥) من قصر به عمله عن بلوغ الدرجات العالية فلن يسرع به شرف نسبه .

*(فعن) أنس ﷺ قال: (كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانى غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء) متفق عليه.

*(وعن) ابن مسعود ﷺ قال: كأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى أن نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه [1] وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: «**اللهم أغفر لقومى فإنهم لا يعلمون** ». متفق عليه.

**(ثم) إذا كان النبى ﷺ وبعد ذلك يوصينا جميعا ــ كمؤمنين صادقين ــ فى شخص أبى ذر ﷺ بل وجميع أصحابه.. بأن نتعامل مع المملوكين لنا ــ كسادة ــ أو مع الدواب التى نركبها على أساس من التراحم والتعاطف وعدم الإيذاء.. (فإننى) أحب أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة المتعلقة بموضوع:

الشفقة على خلق الله تعالى من الرعية والعبيد وغيرهم، ورحمتهم والرفق بهم

**(فقد) قرأت تحت هذا العنوان فى (الترغيب والترهيب) ج ٣ ص٣٥١. وما بعدها الأحاديث الآتية:

*(فعن) جرير بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من لا يرحم الناس لا يرحمه الله** »[2] رواه البخارى ومسلم والترمذى، ورواه أحمد وزاد: «**ومن لا يغفر لا يغفر له** »[3] أبى سعيد بإسناد صحيح. وهو فى المسند أيضا من حديث أبى سعيد بإسناد صحيح.

*(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«**الراحمون يرحمهم الرحمن**[4]**، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**[5]»

رواه أبو داود والترمذى بزيادة وقال: حديث حسن صحيح.

---

(١) أى: أجروا دمه بالجرحات.

(٢) يعنى أن من قسا على عباد الله فلم يرحم من يحتاج إلى الرحمة من الضعفاء والأرامل واليتامى والبؤساء والمرضى وذوى العاهات ونحوهم فهذا تناله الرحمة يوم القيامة.

(٣) وكذلك من لا يغفر للمسيء هفوته ويتجاوز إساءته لا يغفر الله ذنبه.

(٤) فإنهم المستحقون لرحمته تعالى بسبب رحمتهم لعباده.

(٥) قوله (يرحمكم) بالجزم جواب الأمر، أى إن ترحموا من فى الأرض يرحمكم الله الذى فى السماء.

* (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق صاحب هذه الحجرة أبا القاسم ﷺ يقول: «**لا تنزع الرحمة إلا من شقى** [1]» رواه أبو داود واللفظ له، والترمذى وابن حبان فى صحيحه. وقال الترمذى: حديث حسن، وفى بعض النسخ حسن صحيح.

* (وعن) معاوية بن قرة عن أبيه رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله إنى لأرحم الشاة أن أذبحها [2]، فقال: «**إن رحمتها رحمك الله** [3]» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد، والأصبهانى. ولفظه: قال: يا رسول الله إنى آخذ شاة وأريد أن أذبحها فأرحمها، وقال: «**والشاة إن رحمتها رحمك الله** [4]».

* (وعن) ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلا أضجع شاة [5] وهو يحد شفرته [6] فقال النبى ﷺ: «**أتريد أن تميتها موتتين** [7]، **هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها**» رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط والحاكم واللفظ له، وقال صحيح على شرط البخارى.

* (وعن) أبى مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته، فرأينا حُمَّرة [8] معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمَّرة فجعلت تعرش [9]، فجاء النبى ﷺ، فقال: «**من فجع هذه بولديها** [10] **ردوا ولديها إليها**»

---

(١) قال العملقى: (إلا من قلب شقى وهو ضد السعيد، وهو إشارة إلى الشقاء فى الآخرة، وقد يكون فى الدنيا. رواية الترمذى: «**من لم يرحم الناس لا يرحمه الله، ومن لم يرحمه الله فهو الشقى**».

(٢) يعنى لا أجرؤ على ذبحها رحمة بها.

(٣) وفى هذا دليل على وجوب رحمة الحيوان.

(٤) يعنى أن الله يثيب على رحمه الحيوان كما يثيب على رحمة الإنسان.

(٥) أى: أنا مها على جنبيها استعداد لذبحها.

(٦) أى: يشحذها وبرفقها ـ والشفرة أى السكين.

(٧) فإنها تحس أن تلك السكين إنما تحد لذبحها فتتمثل الموت فكأنها ماتت قبل موتها.

(٨) وهى طائر أحمر اللون، وجمعه حمر بتشديد الميم.

(٩) أى: تبنى عريشها وهو العش.

(١٠) أى: من آلمها وأحزنها بسلب ولديها منها.

(ورأى) قرية نمل[1] قد حرقناها، فقال: **«من حرق هذه ؟»** قلنا: نحن، قال: **«إنه لا ينبغي أن يعذب بالنار إلارب النار[2]»** رواه أبو داود.

* (وعن) عبد الله بن جعفر رضى الله عنهما قال: أردفنى [3] رسول الله ﷺ خلفه ذات يوم، فأسر إلى حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس، وكان أحب ما استتر بـه النبى ﷺ لحاجته [4] هدفاً [5]، أو حايش نخل [6]، فدخل حائطاً لرجل من الأنصار، فإذا فيه جمل، فلما رأى النبى ﷺ حَنَّ [7] وذرفت عيناه[8]، فأتاه رسـول الله ﷺ، فمسح ذفراه[9] فسكت، فقال: **«مَنْ رَبُّ هذا الجمل[10]؟ لمن هذا الجمل ؟»** فجـاء فتى من الأنصار، فقال: يا رسول الله [11]، فقال **«أفلا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكا إلى أنك تجيعه[12] وتدئبه[13]»** رواه أحمد وأبو داود.

* (وعن) سهل بن الحنظلية رضي الله عنه قال: مر رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهـره ببطنه[14]، فقال **«اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة[15]، فاركبوها صالحة، وكلوها صالحة[16]»**. رواه أبو داود وابن خزيمة فى صحيحه، إلا أنه قال: قد لحق ظهرها.

---

(١) وهى موضع النمل مع النمل.
(٢) وهو الله عز وجل.
(٣) أى: أركبنى خلفه على الناقة.
(٤) أى: عند قضاء حاجته من بول أو غائط.
(٥) وهو كل مرتفع بناء أو كثيب رمل أو جبل.
(٦) وهو النخل المجتمعة المتقاربة.
(٧) أى: بكى بصوت فيه حنين
(٨) يعنى سال دمعها.
(٩) وهو العظم الذى خلف الأذن.
(١٠) يعنى من صاحبه و مالكه.
(١١) يعنى هذا الجمل لى و أنا صاحبه.
(١٢) أى لا تعطيه كفايته من الطعام.
(١٣)أى تتعبه فى العمل ... (والحائط): هو البستان.
(١٤) وذلك من شدة الجوع فهزل وضعف.
(١٥) أى: الخرساء التى لا تستطيع الشكوى بالكلام.
(١٦) يعنى أعطوها من العلف و الطعام لتسمن و تقوى، فتصبح صالحة للركوب و للذبح.

** (وهكذا) كان صلوات الله وسلامه عليه يغرس فى قلوب أصحابه الرحمة حتى بالنسبة للحيوان الأعجم.. (فما بالكم) بالنسبة للمملوكين من العبيـــد.. أو الخـــدم الذين جعلهم الله تعالى تحت أيدينا..

(فلقد) ورد الترهيب من ضرب المملوك أو تعذيبه ظلماً

* (فعن) عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله ﷺ: **((مـــن ضـــرب مملوكـــه ظلماً[1]، أُقيد منه يوم القيامة[2]))** رواه الطبرانى و رواته ثقات.. قال المناوى: حديث حسن.

* (وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم ﷺ نبى التوبة [3]: **((من قـــذف مملوكه[4] بريئاً[5] مما قيل: اقيم عليه الحد يوم القيامة[6] إلا أن يكون كما قال [7]))** رواه البخارى و مسلم و الترمذى و اللفظ له وقال: حسن صحيح.

* (وكذلك) جاء فى نفس المرجع ص٧٢٥ وما بعدها تحت عنوان:

الترهيب من السِّباب و اللعن لاسيما لمعين آدميا أو دابة أو غيرهما و بعض ما جاء فى سب الديك و البرغوث و الريـــح ...

* (فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((المُستَبَّان [8] ما قالا [9] فعلى البادئ منهما حتى يتعدى المظلوم [10]))** رواه مسلم و أبو داوَد و الترمذى.

قال النووى: (معناه: أن إثم السباب الواقع من اثنين مختص بالبادئ منهما كله إلا أن يتجاوز الثانى قدر الانتصار فيقول للبادئ أكثر مما قاله فلا يكون الإثم على البادئ فقـــط

---

(١) أى بغير سبب يستوجب ضربه و (ظلما): حال.

(٢) يعنى مكن الله المملوك من أن يقتص من سيده هناك.. قال المناوى: (ولا يلزمه فى أحكام الدنيا شئ..)

(٣) لأنه هو الله الذى فتح الله باب التوبة على أهل الأرض(بسببه).. كما قال ابن القيم. رحمه الله..

(٤) أى: اتهمه بالزنا..

(٥) حال من مملوكه أى حال كونه بريئاً.

(٦) يعنى أقام الله عليه الحد يوم القيامة ولكن لا حد عليه فى الدنيا..

(٧) أى: إلا أيكون السيد صادقا فى اتهامه إياه.

(٨) أى: اللذان يسب كل منهما الأخر.

(٩) أى: ما قالاه من السب و الشتم.

(١٠) لأنه السبب لتلك المخاصمة.

بل عليهما، وفى هذا جواز الانتصار ولا خلاف فى جوازه و قد تظاهرت عليـــه دلائـــل الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَلَمَن انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ [الشورى:٤١]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ [الشورى:٣٩]، و مع هذا فالعفو والصبر أفضل، قال تعالى:﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشـــورى:٤٣]، وفى الحديث: «**ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًّا** ».

(و اعلم) أن سباب المسلم بغير حق حرام كما قال عليه الصلاة والسلام: «**سباب المسلم فسوق** »، (ولا يجوز) للمسبوب أن ينتصر إلا ما بمثل سبه ما لم يكن كذبا أو قذفا أو سبًّا لأسلافه، (وإذا) انتصر المسبوب استوفى ظلامته، وبرئ الأول مـــن حقه وبقى عليه إثم الابتداء.

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن مـــن الكبائر**[1] **أن يلعن الرجل والديه**» قيل: يا رسول الله: وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «**يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه** [2]». رواه البخارى وغيره .

* (وعن) أبى الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن العبد إذا لعن شيئا** [3] **صعدت اللعنة إلى السماء**[4]، **فتغلق أبوابها دونها، ثم تهبط إلى الأرض، فتغلق أبوابها دونها**[5]، **ثم تأخذ يمينا وشمالا، فإن لم تجد مساغا**[6]،**رجعت إلى الذى لُعن**[7]، **فـــإن كان أهلا** [8]، **وإلا رجعت إلى قائلها** [9]». رواه أبو داود.

---

(١) أى من أقبحها وأفحشها.. والكبائر جمع كبيرة واختلف فى عددها وحدها ... والصحيح أنها كل ما توعد عليه بلعن أو بنار، أو ترتب عليها حد.. (وقد) سئل عنها ابن عباس فقال: هى إلى السبعين أقرب منها إلى السبع غير أنه لا صغيرة مع الإصرار ولا كبيرة فى الإستغفار.

(٢) قال فى الفتح: (استبعاد من السائل لأن الطبع المستقيم يأبى ذلك.. فبين فى الجواب أنه وإن لم يتعاط السب بنفسه فى الأغلب الأكثر لكن قد يقع السبب فيه وهو مما يمكن وقوعه كثيرا).

(٣) أى: من الأشياء إنسانا كان أو دابة أو غيرهما.

(٤) أى: إلى الله عز وجل لأنها دعاء.

(٥) يعنى لا يسمح لها بالدخول من أبوابها.

(٦) أى: مسلكا وطريقا..

(٧) بالبناء للمفعول أى الذى دُعِيَ عليه باللعنة.

(٨) أى: مستحقا للعنة.

(٩) أى: الذى دعا بها.

* (وعن) أنس رضي الله عنه قال: سار رجل مع النبي ﷺ، فلعن بعيره[1]، فقال النبي ﷺ: «**يا عبد الله لا تسر معنا[2] على بعير ملعون [3]**» رواه أبو يعلى وابن أبي الدنيا بإسناد جيد.

* (وعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه (أن ديكا صرخ [4] عند رسول الله ﷺ، فسبه رجل [5]، فنهى عن سب الديك) رواه البزار بإسناد لا باس به والطبراني إلا أنه قال: «**لا تلعنه ولا تسبه**».

* (وعن) أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فلدغت رجلا برغوث فلعنها[6]، فقال النبي : «**لا تلعنها فإنها نبهت نبيا من الأنبياء لصلاه الصبح**». رواه أبو يعلى واللفظ له البراز إلا أنه قال: «**لا تسبه فإنه أيقظ نبيا من الأنبياء لصلاة الصبح**» ورواته الصحيح إلا سويد بن إبراهيم، ورواه الطبراني في الأوسط ولفظه: (ذكرت البرغيث عند رسول الله ﷺ، فقال: «**إنها توقظ للصلاة**» ورواه الطبراني ثقات إلاسعيد بن بشير.

* (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلا لعن الريح عند رسول الله ﷺ فقال: «**لا تلعن الريح، فإنها مأمورة [7]، من لعن شيئا ليس له بأهل [8] رجعت اللعنة عليه**» رواه أبو داود والترمذي وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث غريب لا نعلم أحدًا أسنده غير بشير عمر.

(قال) الحافظ: وبشير هذا ثقة احتج به البخاري ومسلم وغيرهما ولا أعلم فيه جرحا.

---

(١) أي: دعا عليه باللعنة.
(٢) أي: لا تصاحبنا في سفرنا.
(٣) وهذا يحتما أن يكون المراد نهى الرجل عن السير معهم وأمر أن يرجع، ويحتمل أن يكون المراد أن ينزل عن ظهر هذا البعير ويركب غيره أو يمشي.
(٤) أي: صاح صباحا عاليا.
(٥) لأنه كره ارتفاع صوته عند رسول الله ﷺ.
(٦) أي: سبها ودعا عليها باللعنة.
(٧) يعني أنها تهب بأمر الله عز وجل و تسخيره لها.
(٨) أي: لا يستحق اللعن.

** (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا التذكير حتى ينفذ وصية الرسول ﷺ على أساس جوهرى سليم.. (بل) وحتى يكون متواضعا.. وهو يذكر قول الله تبارك وتعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ [1] وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ [2] بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾** [الحجرات: ١١].

** (بل) وحسبه أن يذكر كذلك حديث الرسول ﷺ الذى ورد:

(عن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم أخو المسلم[3]، لا يظلمه[4]، ولا يخذله[5]، ولا يحقره[6]. التقوى ههنا**_ ويشير إلى صدره_ **بحسب امرئ من الشر[7] أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله** » رواه مسلم وغيره.

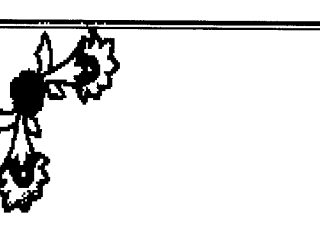
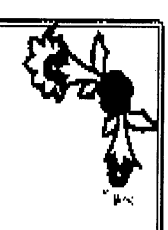
* (وعن) ابن مسعود ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر** [8]» فقال رجل: إن الرجل: يحب أن يكون ثوبه حسنا[9] ؟ فقال: «**إن الله تعالى جميل** [10] **يحب الجمال** [11] **الكبْر بَطَر الحق** [12] **وغَمْط الناس**» رواه مسلم والترمذى والحاكم إلا أنه قال «**ولكن الكبر مَنْ بَطَر الحق وازْدَرَى الناس** » وقال الحاكم احتجا برواته.

---

(١) أى: ولا يسهزئ بعضكم بعضا.
(٢) أى: ولا يخاطب أحدكم غيره بالألفاظ التى يكرها كأن يقول له يا أحمق أو يا أعمى.
(٣) أى: فى الدين.
(٤) أى: لا ينقصه من حقه شيئا ولا يعتدى عليه فى دم أو مال أو عرض.
(٥) لا يسلمه لأعدائه ولا يتخلى عن نصرته.
(٦) ولا يزدريه لفقرة أو ضعفه أو رثاثة هيئته.
(٧) أى: كافيه.
(٨) يحتمل أنه لا يدخلها أصلا فإن الكبر أخو الشرك، ويحتمل أنه لا يدخلها ابتداء حتى يعذب على كبره.
(٩) يعنى فهل بعد ذلك من الكبر.
(١٠) فالجمال صفة له تعالى على ما يليق به بل هو أجمل من كل جميل.
(١١) أى: يحب المنظر الجميل والهيئة الحسنة، وكذلك يحب جمال الكلام وجمال الحركات والأفعال كلها.
(١٢) أى: احتقارهم والاستخفاف بهم.

واذكر دائما وأبدا ما فعله أبو ذر رضي الله عنه بعد أن عاتبه النبى ﷺ على ما قالــه لبلال رضي الله عنه.. (الذى) عفا أيضا عن صاحبه.. (حتى) تذكر أيضا من خلاله ما فعله النبى صلى الله وسلم فى أواخر أيامه.. (فلقد) ثبت أنه صلوات الله وسلامه عليه قال لأصحابه: ((**هذا ظهرى فمن كنتُ جلدت له ظهرا فهذا ظهرى فليقتص منى)).. وذلك لأن الله تعالى يسامح فى حقه ولا يسامح فى حقوق العباد..

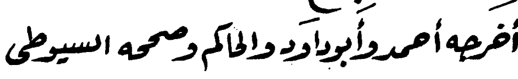
والله ولى التوفيق

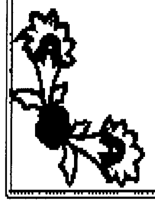
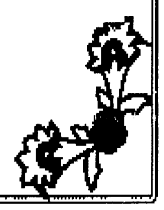
الوصية السابعة والسبعون بعد المائة

• عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (عبدالله بن عمرو) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

(مُرُوا أَوْلَادَكُم بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَٱضْرِبُوهُم عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُم فِي ٱلْمَضَاجِعِ)



أخرجه أحمد وأبوداود والحاكم وصححه السيوطي

فكن أخا الإسلام

* أهلا لتنفيذ هذه الوصية العظيمة التى يأمرنا فيها الرسول ﷺ كآباء ـ بل وكأمهات ـ بأن نأمر أبناءنا من الذكور والإناث – بالصلاة وهم أبناء سبع سنين.. (وهذا) الأمر عند المالكية: للندب، لأن الأمرَ بالأمرِ بالشىء أمرٌ بذلك الشىء، فالصبى عندهم مأمور بالصلاة ندبا[1]، وتكتب له الحسنات ولا تكتب عليه السيئات..

* (والأمر) فى الحديث للوجوب عند الجمهور القائلين بأن الأمر بالأمر بالشىء ليس أمرا به. فكون الصبى غير مكلف ـ عندهم ـ فى هذه الحالة لا يمنع من وجوب الأمر على الولى

* (وقال) الإمام النووى: قال الشافعى فى المختصر: على الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ويعلموهم الطهارة والصلاة ويضربوهم على ذلك ـ ضربا غير شديد ـ قال أصحابنا: ويأمره الولى ـ أبا أو جدا أو وصيًّا من جهة القاضى ـ بحضور الصلوات فى الجماعات، وبالسواك، وسائر الوظائف الدينية. ويعرفه تحريم الزنا واللواط والخمر والكذب والغيبة وشبهها. [2]

** (ولا تجب) الصلاة على الصبى حتى يحتلم، أو حتى يبلغ (مع) ملاحظة أنه من علامات البلوغ: خروج المنى فى اليقظة أو فى النوم، ونزول دم الحيض، ونبت شعر فوق الفرج وحواليه، وتحت الإبطين. (ففى) الحديث الذى رواه الإمام أحمد يقول الرسول ﷺ: **«رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم ـ وفى رواية: حتى يبلغ ـ وعن المجنون حتى يفيق»**.

** (وإتماما) للفائدة: فإننى أذكر الأخ المسلم بما جاء فى (الفقه الواضح) وغيره.. تحت عنوان:

من تجب عليه الصلاة

(فقد) ذكر أنه: تجب الصلاة على كل من توفرت فيه خمس شروط، وهى: الإسلام، والعقل، والبلوغ، ودخول الوقت، وخلوا المرأة من دم الحيض والنفاس (فلا تجب) الصلاة على الكافر، بناء على أن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة، حتى يؤمنوا.. (فالإيمان) أولا، ثم بعد ذلك يطالبون بتنفيذ ما أمر الإسلام به.

---

(١) أى: سنة غير مؤكدة.. يثاب الإنسان على فعلها ولا يعاتب على تركها.

(٢) انظر (الدين الخالص) ج٢ ص ٩٥.

(ولا تجب) الصلاة على مجنون، ولا تصح منه، (ولا تجب) على صبى ــ ذكرا أم أنثى ــ لكن لو أتى بها صحت منه، وكان ثوابه لأبويه، على المشهور. (ولا تجب) الصلاة على المرأة أثناء حيضها أو نفاسها، ولو أدتها لا تصلح منها.. ولا يجب عليها قضاؤها (لماروى) البخارى ومسلم (عن) معاذة رضى الله عنها قالت: سألت عائشة رضى الله عنها، فقلت: ما بال الحائض تقضى الصوم، ولا تقضى الصلاة ؟.. قالت: كان يصيبنا ذلك مع رسول الله ﷺ، فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة) (ولا تجب) الصلاة على المكلف إلا إذا دخل وقتها، ولا تصح منه لو أداها قبل دخول وقتها، إلا فى جمع العصر مع الظهر جمع تقديم فى السفر، أو جمع العشاء مع المغرب جمع تقديم فى المسجد، فى الليلة المطيرة والمظلمة ... (قال الله تعالى) ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾ [النساء: ١٠٣]، أى: فرضا محددًا أبوقت معلوم، لا يجوز أن تتقدم عليه، ولا يصح أن تتأخر عنه إلا لضرورة شرعية.

** (ثم) يقول تحت عنوان:

صلاة الصبى

(الصبى): وإن لم تجب عليه الصلاة (يجب) على ولى أمره أن يأمره بها، ويدربه عليها، حتى يتعود على أدائها، ويتشرب حبها.. (ثم) يذكر بعد ذلك الحديث الذى ندور حوله، وهو: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع** » أخرجه أحمد وأبـوا داود والحـاكم وصححه السيوطى.

(ثم) يعلق بعد ذلك على الحديث فيقول: (فالحديث) يأمر أولياء الأمر أن يعلموا أولادهم الصلاة، ويأمروهم بها، إذا بلغوا سبع سنين، دون أن يضربوهم عليها، إن تهاونوا فى أدائها، حتى لا يؤدوها على كره من بادئ الأمر. (فإذا) بلغوا عشر سنين، وجب على الأولياء أن يضعوا الأمر موضع الجد، وأن يراقبوا أولادهم مراقبة تامة، فى تأديتهم للصلاة. (فإن) هم أدوها كما ينبغى، فليحمدوا الله على ذلك التوفيق.. وإلا وجب عليهم أن يضربوهم، ضربا غير شديد.

(وتعليقى) على هذه الجزئية بالذات هو أنه يجب علينا نحن الآباء والأمهات أو الأوصياء أن نهتم اهتماما كبيرا بتنفيذ ما أوصى به النبى ﷺ بالنسبة لأمر الأبناء بالصلاة وهم فى سن السابعة الذى فيه يستطيع الابن أن يحفظ ما يملى عليه بسهولة.. (وقد) ورد فى الحديث رواه البيهقى والطبرانى عن أبى الدرداء رضي الله عنه مرفوعا: «العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر**»، (وقد) أثبت علم التربية الحديث هذه الظاهرة وأكدها.. كما جاء فى قول أحدهم:

أرانىَ أنْسى ما تعلمتُ فى الكبر	**ولست بناس ما تعلمت فى الصغر**
وما العلم إلا بالتعلم فى الصبا	**وما الحلم إلا بالتحلم فى الكبر**
ولو فُلقَ القلبُ المعلَّم فى الصبا	**لأصبح فيه العلم كالنقش فى الحجر**
وما العلم بعد الشيب إلا تعسُّف	**إذا كَلَّ قلب المرء والسمع والبصر**
وما المرء إلا اثنان عقل ومنطق	**فمن فاته هذا وهذا فقد دَمَرْ**

(فعلى) الأخ المسلم والأخت المسلمة.. أن يلاحظا هذا وينفذاه مع أبنائهما فى هذه السنة المبكرة. (مع) ضرورة التبكير فى هذا.. (بل) ومع ضرورة أن يكونا قدوة لجميع الأبناء ـ من الذكور والإناث ـ فى تنفيذ هذا الأمر الذى هو أساس الخير.

**(وأما) عن موضوع:

التفريق بين الأبناء فى المضاجع

(فقد) قال عنه فى (الفقه الواضح) كلاما هاما وموجزا ينبغى أن ينفذ كل حرف فيه حتى لا تكون هناك خطورة جنسية من جانب أحد البنين، مع أخيه أو أخته.. أو إحدى البنات مع أخيها أو أختها ـ كما قرأنا كثيرًا فى الجرائد والمجلات ـ وما خفى كان أعظم..

وربما حدث هذا بين الرجال بسبب التلاصق الذى يؤدى إلى فعل اللواط، أو تلاصق النساء بما يؤدى إلى ما يسمى بالسحاق [1] ـ والعياذ بالله من هذا ومن ذاك ـ (وإذا) كانوا يقولون: الوقاية خير من العلاج.. فإنه حسبنا أن نقرا ما كتبه صاحب (الفقه الواضح)، فلقد قال:

(١) السحاق: هو إتيان المرأة المرأة.

(وفى) الحديث أمر آخر، وهو التفريق بينهم فى المضاجع إذا بلغوا سن العاشـــرة. (بأن) يجعل لكل منهم فراشه الخاص به، ينام عليه وحده، إن أمكن ذلك (فـــإن) لم يمكن حولف بينهم، بأن يجعل رأس هذا فى جانب، ورأس ذلك فى الجانب الآخـــر، (وذلك) حرصا على أخلاق الأولاد، ومنعا لحدوث شيء مخل بالآداب، فإن الشـــيطان يستحوذ على الصبيان فى هذه السن، فيسوِّل لهم أشياء لا ينبغى فعلها.. والرســـول ﷺ حكيم، لا ينطق عن الهوى، ويجب علينا أن نأخذ أوامره ونواهيه مأخذ الجد.

**(وتعليقى) أيضا على هذه الجزئية.. هى الإجابة على سؤال قد يوجهـــه إلى أحد الآباء.. وهو: ومن أين سآتى بمال أشترى به فراشا لكل ولد، أو لكل ابنـــة.. ومرتبى كذا وكذا من القروش الضئيلة ؟ التى قد لا تكفى لأبسط غذاء أو كســـاء.. فضلا عن إيجار المسكن.. والعلاج الذى قد لا يمر يوم بدونه.. ؟ فأقول له: لو كنت من العقلاء بالمعنى الصحيح لما سألت السؤال هذا.. لأنك كنت ستدبر شئون حياتك على أساس من القصد المشار إليه فى قول الله تبارك وتعالى:

* **﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً﴾** [الإسراء:٢٩]، وقوله: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾** [الفرقان:٦٧] أى: وسطا. (وكذلك) إذا كنت من المبتلين بشـــرب الـــدخان ومشتقاته ــ إلى الآن ــ فإنه يجب عليك وفورًا أن تقلع عن شرب هذا الخبث المحرم ــ الذى يضر ولا ينفع ــ حتى توفر ثمنه الذى قد يصل إلى ثلث مرتبك أو دخلك.. لصالح نفسك ولصالح أهلك الذين يكونون فى أشد الحاجة إلى غذاء أو كســـاء.. أو علاج.. أو مسكن واسع فيه فراش لكل واحد منهم.. الخ.

(وقد) يسأل مرة أخري: وماذا أفعل الآن إذا أردت أن أنفذ أمر الرســـول ﷺ ؟ فأقول له: اجعل حائلاً بين كل ولدين أو بنتين ــ ولو حجراً ــ كما قـــال أحـــد الصالحين إلي أن تتيسر الأسباب.. قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه ــ والعياذ بالله ــ

** (هذا) وقد رأيت حتى لا نستهين بموضوع اللواط.. أن أذكر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة التي قرأتها في (الترغيب والترهيب) ج ٣ ض ٤٧٨ تحت عنوان:

الترهيب: من اللواط، وإتيان البهيمة والمرأة في دبرها.. سواء كانت زوجته أو أجنبية.

* (عن) جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أخوف ما أخاف على أمتي من عمل قوم لوط** [1] » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث غريب، والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

* (وعن) أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أربعه يصبحون في غضب الله، ويمسون في سخط الله**» [2] قلت: من هم يا رسول الله ؟ قال: «**المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال** [3] **والذي يأتي البهيمة، والذي يأتي الرجال** [4] » رواه الطبراني والبيهقي ...

* (وعن) ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا ينظر الله عز وجل إلى رجل أتى رجلا أو امرأة في دبرها** » رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيح.

* (وعن) عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « **هي اللوطية الصغرى يعني الرجل يأتي امرأته في دبرها**» رواه أحمد و البزار، ورجالها رجال الصحيح.

** (ثم) بعد ذلك أنتقل مع الأخ المسلم إلى موضوع ناقشه أيضا صاحب (الفقه الواضح) تحت عنوان:

وأمر أهلك بالصلاة

(فلقد) قال: وليس الصبي وحده هو الذي يأمره وليه بالصلاة، بل يجب على الولي: أن يأمر بها كل من له عليه حق الولاية، من قريب أو من بعيد.. (قال) تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ [طـه:١٣٢].

---

(١) وهو إتيان الذكران في أدبارهم كما تؤتى المرأة في فرجها.
(٢) يعني أن غضب الله وسخط لا يفارقهم أبدا.
(٣) وهم المخنثون الذين يتكسرون في مشيتهم وفي كلامهم.
(٤) أي: يلوط بهم.

** (فالأولياء) كما يجب عليهم حماية من يعولون من الأخطار لوقاية أجسامهم من الأضرار، وحفظ أموالهم من الضياع: يجب عليهم كذلك حفظ دينهم، فهو عصمة أمرهم، وسبيل سعادتهم، فى الدنيا والآخرة، وأول شىء يترتب عليه حفظ الدين هو الصلاة، فالصلاة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد. (والأمر) فى الآية: للنبىﷺ .. والأهل فيها هم: أمته جميعًا. كما قال القرطبى فى تفسيره [1].

* (غير) أن لفظ الأهل يراد به _ فى الغالب _ الأقارب.. ويطلق كثيرا على الزوجة.

* (ولا بأس) أن يراد بالأهل فى الآية كل مسلم، تستطيع أن تأمره بالصلاة.. فالمسلمون جميعا أخوة والأخوة أهل، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واجب، بل هو من أهم الواجبات، ولا ريب أن ترك الصلاة من أكبر المنكرات.. (لهذا) وجب على ولى أمر المسلمين _ على الخصوص _ أن يأمر تارك الصلاة بإقامتها فإن أقامها، فبها.. وإلا حمله عليها قسْرا [2]، وذلك بأن يعذبه بالضرب والسجن، ولو أدى تعذيبه وسجنه إلى موته.

(ويجب) أن يقوم بهذا الأمر _ أعنى الأمر بإقامة الصلاة _ العلماء _ أيضا _ فهم أولياء الأمر شرعًا، وهم شركاء الوالى فى إصلاح شئون المسلمين، وهم المسئولون أمام الله، عن كل انحراف، وعن كل فريضة من فرائض الإسلام.

** أمر الزوج زوجته بالصلاة.

والزوجة من الأهل، بل يطلق لفظ الأهل عليها كثيرا _ كما عرفت _ ولهذا يجب على الزوج أن يأمرها بالصلاة، من أول ليلة تدخل عليه فيها، أمرا لا هوادة فيه.

(فإن) امتثلت إلى أمر الله، فذلك توفيق من الله، يحمد عليه.. وإلا: وجب عليه _ أولا _ أن يعظها، ويذكرها بعذاب الله عز وجل ويحذرها مقته وغضبه، فإن قبلت النصح، فذاك ... وإلا: وجب عليه أن يهجرها فى المضجع، فإن خضعت لأمر الله وأقامت الصلاة، فبها.. وإلا: وجب عليه ضربها، حتى تفىء إلى أمر الله، وتقيم الصلاة. (فالزوجة): هى ربة البيت، وهى مدْرسة لأولادها، وهى الأمينة على مال زوجها وعرضه.. فإن أقامت الصلاة صح دينها وصلح حالها، واقتدى بها أولادها، فصلوا بصلاتها فيكون بيتها مثلا للبيوت المؤمنة.

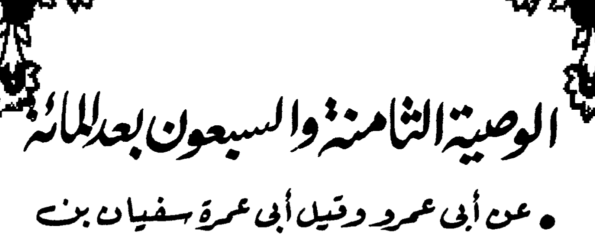
(١) ص ٢٦٣ ج ١١ طبعة دار الكتب.
(٢) أى: بالقوة.

(والمرأة) التى تستنكف أن تقيم الصلاة، أو تتكاسل عن أدائها: امرأة لا دين لها، وبالتالى، لا أمان لها، ولا أمانة لها. (وقد) أوصانا النبى ﷺ: أن ننكح ذات الدين، فقال: **«فاظفر بذات الدين تربت يداك »**: (ومعنى) الظفر: نهاية البغية: أى: وليكن أسمى ما تبتغيه من الزوجة: دينها: فإن لم تفعل تربت يدك، أى: افتقرت حتى تلتصق يداك بالتراب، من شدة الحاجة.. والحديث أخرجه البخارى،

(وتعليقى) على هذا الموضوع الأخير، هو أنه لابد وأن يكون الزوج آمرا لأهله بالصلاة.. (بل) ولابد وأن يكون جادا فى هذا.. (بمعنى) أنه إذا جاء ـ مثلا ـ من عمله بعد الظهر فإنه يجب عليه بمجرد أن يدخل بيته أن يسأل زوجته ـ أولا ـ أصليت الظهر أم لا ؟ فإن قالت نعم.. دعا لها بالتوفيق.. وإن قالت: لا.. (سألها) لماذا ؟ فإن قالت له: لأننى أجهز طعام الغداء.. قال لها: أطفئى الموقد وأدركى الظهر قبل أن يفوت وقته.. (إنما) إن سمعت منه هذا أو مثل هذا ورأت منه الجديه فيه.. فإنها ستطيعه وستكون محافظة على الصلوات الخمس وفى أوقاتها.. (ولا سيما) إذا كان قدوة لها ولأولادهما فى هذا.. (أما) إذا كان العكس هو الصحيح.. فإنها لن تكون مطبقة له.. وسيكون البيت خربا وبدون صلاة.. (وبالتالى) ستعشش الشياطين فيه.. أى أنه لن تكون هناك بركات فى هذا البيت.. لا فى الزوجة ولا فى الزوج ولا فى الأولاد.. ولا فى الأرزاق. (وقد) أشار الله تعالى فى قرآنه الكريم إلى أهم مصادر البركات فقال ﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ [الأعراف:٩٦] (وهذا) هو المعنى المشار إليه فى الآية الكريمة التى أمر الله تعالى فيها رسوله.. بأن نأمر الأهل بالصلاة.. ثم قال فى ختامها. ﴿.. **لا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى**﴾ [طه: ١٣٢].

نسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا نحن الآباء والأمهات والأوصياء بهذا التذكير.. حتى نربى أبناءنا على أساس شرعى سليم.. بل وحتى نكون قدوة صالحة لهم فى المحافظة على الصلوات الخمس وفى أوقاتها على أساس من الخشوع والسكينة والوقار.. اللهم آمين.

والله ولى التوفيق



الوصية الثامنة والسبعون بعد المائة

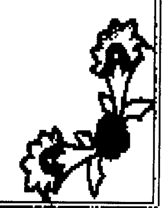
• عن أبي عمرو وقيل أبي عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك قال:

(قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ)

رواه مسلم.

•• الإستقامة: ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات. قال الله تعالى: (فاستقم كما أمرت): أي: كما أمرت ونهيت، وقال تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة): أي: عند الموت







فكن أخا الإسلام

من الحريصين كل الحرص على تنفيذ ما جاء فى هذه الوصية العظيمة التى حسبك إذا أرادت أن تعرف أهميتها.. أن تقف على المراد من قول (أبى عمرو) رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: يا رسول الله.. (قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرك).. (إنه) يسأل رسول الله ﷺ عن الأمر الذى ينبغى أن لا يجيب عنه سواه.. (لأنه) يتعلق بأهم ما يتعلق بالإسلام..الذى هو دين الله الذى لا دين سواه... والذى قال الله تعالى عنه: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران:٨٥]، كما قال عنه رسول الله ﷺ: ((**رأس الأمر الإسلام**))[1] الذى هو: الدين الذى اختاره الله لعباده، ورضيه لهم، وفطرهم عليه..فهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ**﴾ [آل عمران: ١٩] ، (وما) من نبى، ولا رسول إلا دان بهذا الدين وأسلم وجهه لله رب العالمين، وأمر قومه بذلك.. فقال تعالى: ﴿**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۞ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة :١٢٧-١٣٣]، وقال عن لوط وبيته: ﴿ **فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۞فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الذاريات: ٣٥:٣٦]، كما حكى سبحانه وتعالى عن الحواريين أتباع عيسى فقال: ﴿**فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾ [آل عمران:٥٢].

---

(١) من حديث رواه الترمذى وقال عنه أنه حسن صحيح.

* (إنه) الإسلام الذى معناه فى اللغة الانقياد والطاعة لله رب العالمين الذى لابـــد وأن يطاع.. (ولا سيما) بالنسبة لتنفيذ أركان الإسلام التى أجاب بها رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الصحيح [١] الذى سأله فيه جبريل عليه السلام عـــن الإســـلام فقال: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**».

* (ومعنى) أن تشهد أن لا إله إلا الله: أى أن تقر وتعترف عن علم وإذعان بأنه لا معبود بحق إلا الله.

* (ومعنى) أن تشهد أن محمدًا رسول الله: أى أن تقر وتعترف عن علم وإذعان أن محمدا رسول الله حق وأن كل ما بلغ عن ربه حق وصدق.

* (ومعنى) إقام الصلاة: أى: المداومة عليها، وأداؤها فى أوقاتها بكامـــل هيئتـــها وخشوعها وطمأنينتها.

* (ومعنى) إيتاء الزكاة: أى إعطاء مال مخصوص، يؤخذ من مال مخصوص، إذا بلغ قدراً مخصوصاً..لمستحقيه الذين حددهم الله تعالى فى الآية رقم ٦٠ من سورة التوبة، وهى: ﴿**إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ**﴾.

* (ومعنى) أن تصوم شهر رمضان: أى: أن تصوم كل يوم من أيامه عن شهوتى البطن والفرج من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس [٢]...

* (ومعنى) أن تحج البيت الحرام ـ فى أشهره المعلومات، وهى شهر شوال، وذى القعدة والعشر من ذى الحجة [٣] ـ وهو عبادة ذات إحرام، وطواف بالبيت ســـبعاً وسعى بين الصفا والمروة سبعاً، ووقوف بعرفة جزءاً من ليلة النحر [٤]..

** (ولا بد) كذلك وأن يكون الأخ المسلم مطيعاً لرسول الله ﷺ (بمعنى) أن ننفذ

---

(١) رواه: البخارى ومسلم.

(٢) اللهم إلا إذا كنت ﴿**مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَر فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّام أُخَرَ**﴾.

(٣) وهناك خلاف بالنسبة للعشر من ذى الحجة.. هل هو بأكمله، أو عشر منه فقط...

(٤) يرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر اليوم العاشـــر وأنه يكفى الوقوف فى أى جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً.

أوامره ونجتنب نواهيه..

* قال تعالى: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر:٧] وقـال: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

** (نعم) إنه الإسلام الذى لا بد وأن يسبقه الإيمان بالله رباً.. خالقاً...رازاقاً... نافعاً..ضارًّا...محيياً... مميتاً.. وأنه سبحانه أرسل رسلاً مبشـرين ومنـذرين.. وأن خاتمهم هو محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين...

** (حتى) إذا ما أسلم بعد ذلك كان مسلماً لا متمسلماً.. (وحسبى) حتى تتضح الصورة لنا أن أذكر الأخ المسلم على سبيل المثال بهذه القصة:

قصة إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه

(فلقد) قرأت أنه كان قد خرج ذات يوم ــ وهو يحمل سيفه والغضـب يمـلأ جوانبه ــ متجها إلى دار الأرقم ابن الأرقم ــ التى كان النبى ﷺ يدعوا فيها إلى الله سراً ــ ليقتل رسول الله ﷺ.. (فرآه) أحد أصدقائه فسأله: إلى أين يا ابن الخطاب؟ فقال له: إلى دار الأرقم لأقتل محمداً الذى يسب آلهتنا، ويسفه أحلامنـا..لأريـح الناس منه... (فقال) له صاحبه هذا: أرى أن تذهب أولاً إلى أختـك وزوجهـا لأنهما قد آمنا بمحمد..

(وفعلاً) بعد أن كان متجهاً إلى دار الأرقم اتجه إلى دار أخته...وهناك طـرق الباب طرقة قوية عُرف طارقُها...ــ لأن عمر بطبيعته كان قوياً ــ وكانت أخته فى هذا الوقت تقرأ القرآن مع زوجها سعيد بن زيد ــ وهو أحد العشـرة المبشـرين بالجنة ــ وكان معهما صحابى جليل يعلمهما القرآن، وهو الخباب بـن الأرت ــ عليهم جميعاً رضوان الله ــ فلما علموا أن الطارق هو عمر اختبأ الخباب فى مكان ما ــ لأنه لا يستطيع مواجهة عمر ــ ثم ذهبت أخته وفتحت الباب، فلطمهـا علـى وجهها لطمة شجت وجهها. (ثم) ذهب إلى زوجها وأخذ يضربه حـتى كـاد أن يقتله..لولا أن الله تعالى قد شاء لهذا الزوج أن يعيش.. فكان السبب فى هذا.. هو أن نظر عمر إلى وجه أخته فلما رأى الدماء تسيل حن قلبه...فقام من على صدر زوج أخته ثم ذهب إلى أخته وقال لها: أين الصحيفة التى كنتما تقرآن فيها ــ لأنه وهـو

يطرق الباب سمع همهمة داخل الدار – ولهذا فهو يسألها، فقالت له: اذهب أولًا واغتسل لأنه قرآن... والقرآن: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾[الواقعة:٧٩]..إنها تقصد نجاسة الشرك.. لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[التوبة: ٢٨].

(وفعلاً) لأن الله تعالى قد شاء له الهداية.. (فقد) ذهب واغتسل ثم عاد فناولته الصحيفة التى أخذ يقرأ فيها بعض آيات من سورة (طه) ــ

بتدبر وفهم ــ إلى أن تأكد له أن كلاما كهذا لا يمكن أبدا أن يكون من كلام محمد أو تأليفه.. (ولهذا) قال: دلونى على محمد.. (فلما) قال هذا.. خرج المختبئ – وهو الخباب – وقال: أبشر يا عمر.. (لقد) سمعت الرسول بالأمس يقول: «**اللهم أعز الإسلام بأحد العُمرين: عمرو بن هشام** [1]، **أو عمر بن الخطاب** »، و ها هى الدعوة قد أصابتك، هلم بنا إلى رسول الله ﷺ

(وفعلا) ذهب مع زوج أخته ومع الخباب – مؤمنًا – إلى رسول الله ﷺ.. (وهناك) طرق دار الأرقم بن أبى الأرقم – أيضا – طرقة قوية عرف طارقها... (ولهذا) لم يجرؤ أحد من الأصحاب على فتح الباب – لأنهم يعرفون قوة عمر – إلا الحبيب المصطفى صلوات الله عليه.. (فلقد) ذهب إلى الباب ففتحه ثم جذب عمر من تلابيبه.. فكان عمر القوى فى يد الرسول لا شىء.. جذبه الرسول ﷺ جذبة هاشمية... وهو يقول له: أما آن لك يا ابن الخطاب أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ؟ فقال: ما جئتُ إلا من أجلها: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله... فكبر الأصحاب تكبيرة ارتجت لها مكة..

(ثم) بعد ذلك وبعد أن جلس عمر بين يدى الرسول ﷺ.. وبعد أن امتلأ قلبه بشحنة كبيرة من الإيمان.. أراد أن يكون مسلما لا مُتمسْلمًا منذ اللحظة الأولى التى دخل الإسلام فيها، فقال: يا رسول الله ألسنا على الحق ؟ وهم على الباطل ؟ قال: «**نعم** »، قال: فعلام إذن نختبئ ؟ هلم بنا لنعلنها أمام الملأ – وكان الكلام هذا موافقا للوحى – فقال له النبى ﷺ: «**هلم بنا يا عمر** »، فخرج النبى ﷺ، وخرج عمر على رأس الأصحاب – عليهم جميعا رضوان الله– فكان عيدا كما يقول ابن مسعود

(١) وهو أبو جهل عليه لعنه الله

رضى الله عنه: (كان إسلام عمر فتحًا، وهجرته نصراً وإمارته رحمة)

* * (ثم) إذا كان لى أن أعلق على هذه القصة؛ فأننى أحب أن أذكر الأخ المسلم بأن عمر عليه رضوان الله.. لم يذهب إلى رسول الله ﷺ لكى يعلن إسلامه.. (إلا) بعد أن آمن إيمانا جازما، بأن محمد رسول الله، وأن الكلام هـذا الـذى قـرأه فى الصحيفة و الذى تذوق حلاوته.. لا يمكن أبدا أن يكون من كلام البشر.. (ولهذا) ذهب فأعلن إسلامه.. وصار بعد ذلك سببًا فى إخراج الإسـلام مـن السـر إلى العلانية.. (وهذا) هو الفرق بينه وبين كثير من الذين ينتسبون إلى الإسلام انتسـابا صوريا — بشهادة ميلاد أو بطاقة عائلية أو شخصية.

(إننا) فعلا نريد إسلامًا يسبقه الإيمان الذى يصنع المعجزات..والذى به يستطيع المسـلم أن يكون من حراس العقيدة الذين يحتاج الإسلام إلى كل لحظة من لحظات حياتهم التى لا وجود لهم فيها إلا إذا كانوا من المؤمنين حقا بأن الله تعالى موجود بلا ابتداء قبل وجـود جميع الحوادث من عرش وكرسى وسماوات وسائر العالمين.

* (وأنه) سبحان وتعالى قديم لاابتداء لوجوده، و لم يسبقه عدم (وأنـه) بـاق لا انتهاء لوجوده، (وأنه) لا يلحقه عدم (وأنه) تعالى موجود بلا مُوجِد وغَنِىٌّ عن كل ما سواه، (وأنه) متصف بصفات الكمال، ومتره عن صفات النقص (وأنه) واحـد فى ذاته وصفاته وأفعاله (وأن) الحياة صفة قديمة قائمة بالذات العليـة تصـحح لموصـوفها الاتصاف بالعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر، وما إلى ذلك من الصفات اللائقة به تعالى (وأن) حياته سبحانه وتعالى ليست بروح...

* (وأن) العلم صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود: واجباً كان أو جائزاً، وبكل معدوم: مستحيلاً أو ممكناً.. (فهو) سبحانه وتعالى (يعلم) وجـود ذاته وصفاته، وأنها قديمة لا تقبل العدم (ويعلم) أنه لا شريك له وأن وجود الشريك محال (ويعلم) جواز حدوث الممكن وعدمه. (ويعلم) فى الأزل عدد من يدخل الجنة ومن يدخل النار جملة واحدة فلا يزاد فى ذلك العدد ولا ينقص منه (ويعلم) أفعالهم وكل ما يكون منهم.. (ويعلم) أنه عالم بكل الأمور لا تخفى عليه خافية..

* (وأن) الإرادة صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز

عليه كوجود المخلوق فى زمن دون غيره، وفى مكان دون آخر... وهكذا...

* (وأن) القدرة: صفة وجودية قديمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه..

* (وأن) السمع: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تحيط بكل موجود واجباً أو جائزًا جسماً أو لوناً أو صوتاً أو غيرها بلا حدقة ـ إحاطة غير إحاطة العلم والسمع.. (وأنه) تعالى لو لم يكن سميعاً بصيراً لكان أصم أعمى وهو نقص. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

* (وأن) الكلام: صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى تدل على كل موجود واجباً أو جائزاً، وعلى كل معدوم محالاً أو جائزاً.

(وليس) كلامه تعالى بحرف ولا صوت، ولا يوصف بجهر ولا بسر ولا تقديم ولا تأخير ولا وقف ولا سكوت ولا وصل ولا فصل، لأن هذا كله من صفات الحوادث، وهى محالة عليه تعالى.

* * (وله تعالى) صفات غير ذلك كالجلال، والجمال، والعزة، والعظمة، والكبرياء، والقوة ـ وهى غير القدرة ـ والوجه ـ والنفس، والعين، واليد، والأصابع، والقدم، والمحبة، والرضا، والفرح، والضحك، والغضب، والكراهة، والعجب، والمكر.. ونحو ذلك مما ورد فى الكتاب والسنة..(فيجب) الإيمان به بلا كيف فنقول: له تعالى يد لا كالأيدى...ونفوض معرفة ذلك وتفصيله إلى الله تعالى.

(ولا نؤول) أن يده تعالى قدرته أو نعمته وأمثال ذلك، لأن فيه إبطال الصفة التى دل عليها الكتاب والسنة، ولكن نقول يده صفة له بلا كيف وهكذا.. وغضبه ومكره واستهزاؤه غير انتقامه وغير إرادة الانتقام. (بل) من صفاته بلا كيف، وهذا مذهب السلف فى المتشابهات... (وهذا) هو ما يلزم اعتقاده ومعرفته تفصيلاً من الواجب فى حقه تعالى.

** (وأما) الواجب معرفته إجمالاً فهو أن يعتقد المكلف أن الله تعالى متصف بكمالات موجودة تليق به تعالى لا نهاية لها يعلمها الله تعالى تفصيلاً، ويعلم أنها لانهاية لها، لأنه لو انتفى عنه تعالى شيء من الكمال الذى يليق به لكان ناقصاً،

والنقص محال فى حقه لاستلزامه الحدوث المحال عليه تعالى. [1]

** (ثم) إذا كان النبى ﷺ قد أجاب أبا عمرو أو أبا عمرة سفيان بن عبد الله رضي الله عنه بقوله: «**قل آمنت بالله ثم استقم**» : فإن المراد من تلك الإجابة الجامعة: أن يكون الأخ المسلم.. أو الأخ المؤمن من الصادقين فى إعلائهم كلمة الإيمان بالله.. (وهم) يحسنون ترجمتها فى كل حركة من حركات حياتهم الإيمانية، وفى كل فعل من الأفعال الإيمانية التى بها سيؤكدون وجود الإيمان متربعاً على قلوبهم بتلك الصفات الحميدة التى شهد الله تعالى لهم بها بصدق إيمانهم.. كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم**﴾ [الأنفال: ٢-٤].

** (وهذا) هو المشار إليه فى الوصية الثانية من (وصايا الرسول ﷺ):

* (فعن) سويد الأزدى رضي الله عنه أنه قال: وفدت سابع سبعة من قومى على رسول الله ﷺ ، فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه ما رأى من سمتنا وزِيِّنا، فقال: «**من أنتم ؟** » فقلنا: مؤمنون. فقال: «**إن لكل قول حقيقة، فما حقيقة قولكم وصدق إيمانكم ؟** » فقلنا: خمسَ عشرة خصلة، خمس آمنا بها، وخمس عملنا بها، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية، ونحن عليها للآن فإن كرهتها تركناها.

فقال عليه الصلاة والسلام: «**فاذكروا ما عندكم** »، فقالوا: أما خمس الإيمان،فهى: أن نؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت.

وأما خمس العمل، فهى: أن نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن نقيم الصلاة، ونؤتى الزكاة، ونصوم رمضان، ونحج البيت إن استطعنا إليه سبيلا.

وأما خمس الجاهلية، فهى: الشكر عند الرخاء، والصبر عند البلاء، والرضا بمر

---

(١) ويستطيع الأخ المسلم أن يعود إلى كل هذا بالتفصيل فى الجزء الأول من (الدين الخالص) وغيره من كتب التوحيد... التى لا بد وأن يعود إليها حتى يعرف الواجب والمستحيل والجائز فى حق الله تعالى.. (وكذلك) بالنسبة للمتشابه الذى لا بد وأن يقف على أهم تفصيلاته...
والله ولى التوفيق.

القضاء، والصدق والثبات عند الحرب واللقاء، وترك الشماتة بالأعداء.

ومن عظم سرور النبى ﷺ بهم وبإيمانهم النقى وفطرتهم السليمة قال لهم: «**أنتم حكماء، علماء فقهاء، كدتم أن تكونوا أنبياء، وأنا أزيدكم خمساً ليتم لكم عشرون: إن كنتم كما تقولون فلا تجمعوا ما لا تأكلون، ولا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تتنافسوا فى شىء أنتم عنه غداً زائلون، واتقوا الله الذى إليه ترجعون، وعليه تعرضون، وارغبوا فيما أنتم عليه تقدمون، وفيه تخلدون**». أخرجه أبو نعيم فى الحلية، والبيهقى فى الزهد، والخطيب فى التاريخ.

(فالإيمان) إذن لا بد وأن يكون عملاً وتطبيقاً.. ولابد كذلك أن يكون الإيمان الصادق عكس الإيمان الكاذب الذى أشار الله تعالى إليه فى قوله تعالى عن المنافقين فى الربع الأول من سورة البقرة: فقال: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ * اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة ٨-١٦].

** (فحذار) أخا الإسلام أن تكون منافقاً.. حتى لا تكون:﴿**فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: ١٤٥].

وحتى لا تكون من شر الناس..

(فعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**تجدون شر الناس ذا الوجهين: الذى يأتى هؤلاء بوجه، ويأتى هؤلاء بوجه**» رواه البخارى ومسلم ومالك.

** (وكن) على عكس هذا _ كما رغبتك قبل هذا _ صادقاً فى إيمانك، حتى

تفوز إن شاء الله بجزاء المؤمنين الذين: ﴿... **جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٦]، ﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢]، والذين: ﴿**لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ**﴾ [الرعد: من الآية٢٢]، والذين: ﴿**سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ**﴾ [التوبة: ٧١] ، والذين ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ [الأنفال:٤] ، والذين: ﴿**هَدَاهُمُ اللَّهُ**﴾ [الزمر: ١٨] والذين: ﴿**رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢]، والذين هم وليهم الله كما يشير إلى هذا قول الله تبارك وتعالى: ﴿**لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الأنعام:١٢٧].

** (فعلى) الأخ المسلم أن يكون متخلقاً بأخلاق المؤمنين: الذين ﴿**آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ * وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ**﴾ [الشورى ٣٦:٣٩].

﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾ [الحجرات: ١٥].

* * (وأما) عن الاستقامة التي أمر الرسول ﷺ أبا عمرو، أو أبا عمرة بها، فهي: كما قال الإمام النووى فى شرح الأربعين النووية: ملازمة الطريق بفعل الواجبات وترك المنهيات.. (بل) وهذا هو المراد من قول الله تبارك وتعالى لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى سورة هود: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾ : أى: كما أمرتَ ونُهيتَ... (ولقد) كانت شدة الالتزام بكمال الامتثال من النبى ﷺ فى هذه السورة وغيرها، داعية إلى مَشيبه ﷺ.. ففى الحديث الذى أخرجه الترمذى يقول: ((**شيبتنى هود والواقعة وأخواتها**)).

* * (ومن) هذا وأمثاله يُعْلَم [1] أنه لا طبقية فى الإسلام، فالكل عبـاد الله، وأنـه لا فرق بين الحاكم والمحكوم، ولا بين نبى وغيره فى التزام شريعة الله.. ولهذا كان النبى ﷺ يقول للزهراء رضى الله عنها: «**اعملى فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً**» وكان يقول أيضاً: «**والله لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها**».

* (ولقد) أوجب الله تعالى على عباده ما يسهل عليهم الاستقامة مـن فعـل الواجبات وترك المحرمات، ولهذا قال ﷺ: «**إن الدِّين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشىء من الدلجة**» أخرجـه البخارى عن أبى هريرة فى كتاب الحج..

(ومن) تتبع التكاليف الشرعية وجدها سهلة ميسرة على القوى والضعيف، والغنى والفقير مع ما فيها من الترخيص لأصحاب الأعذار بالرخص الكثيرة، كإسقاط الحج عن فاقد الاستطاعة، والصوم عن الحائض والنُّفَساء والشيخ الفانى، وغير ذلك مـن الأمثلة المطروحة فى كتب الفقه...

(ولما) بلغ النبى ﷺ أن بعض الصحابة نذر أن يصوم ولا يفطر، ويقوم الليل عابدا ولا ينام، ولا يتزوج النساء، خطب فى الصحابة ناهيـا عـن ذلـك وقـال: «**إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النسـاء، فمن رغب عن سنتى فليس منى**» أخرجه الشيخان.

(وكانت) عبادته ﷺ وسطًا لا إفراط فيها ولا تفريط، مراعاة للطاقـة البشـرية لأمته؛ أخرج مسلم عن جابر بن سمرة قال: (كنت أصلى مع الـنبى ﷺ فكانـت صلاته قصدا وخطبته قصدا).

* (فعلى) المسلمين أن يستقيموا على أمر الله، فإن الدين يسـر لا عسـر، وليعلموا أن الله مطلع على أعمالهم وعبادتهم ومجازيهم عليها، إن خيراً فخـير، وإن شراً فشر.

---

(١) كما جاء فى تفسير الوسيط ص ٢٦٠حول تفسير الآية.

** (ثم) إذا كان الله تبارك وتعالى قد قال لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بعد قوله: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ ، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا﴾ فإن المراد هو: أى إذا علمت يا محمد أن كلاً من المؤمنين والكافرين سيوفيهم ربك جزاء أعمالهم... فدم على ما أنت عليه من الاستقامة على الشرع الذى شرعه الله لك عقيدة وعملاً، وليستقم عليه من تاب عن الشرك والكفر ليكون معك ويشاركك فى الإيمان، ولا تتجاوز الحد بإفراط ممل أو تفريط مخل ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم على عملكم وفق ما علمه من أدائكم له، فمن أحسن فلنفسه، ومن قصر فعليها.

* (وقد) دلت الآية على وجوب اتباع المنصوص عليه، من غير انحراف عنه بمجرد الرأى، فإنه طغيان وضلال... (وأما العمل) بمقتضى الاجتهاد المترتب على علل المنصوص، فذلك من باب الاستقامة أيضاً، لقوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، فإنه أمر بالقياس، ومثال ذلك قياس عصير القصب إذا أسكر فى الحرمة، على الخمر- المنصوص على حرمتها _ لعلة الإسكار المشتركة بينهما.

* (والغرض) من توجيه الأمر بالاستقامة على أمر الله إلى نبينا محمد ﷺ فى مقدمة من آمن وتاب _ إلى الله وأصبح فى معيته، والغرض من ذلك أن يعلم الناس أن عبادة الله وأوامره واجبة الاتباع حتى بالنسبة للأنبياء، وأنهم فى مقدمة المكلفين بذلك، لأنهم قدوة لأقوامهم، فلا يباح لهم الخروج على أمره وعدم الاستقامة عليه بإفراط **«فإن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى»** ولا بتفريط فإنهم مكلفون بكمال العمل، لأنه حق له تعالى، وليكونوا أسوة لغيرهم، ولأنه تعالى طيب فلا يقبل إلا طيباً _ كما جاء فى الحديث الشريف الصحيح.

** (وقد) قرأت _ بالإضافة إلى ما وقفنا عليه _ فى (حاشية الصاوى على الجلالين) الخلاصة الآتية:

﴿فَاسْتَقِمْ﴾: أى دم على الاستقامة التى أمرت بها فى خاصة نفسك كقيام الليل، وتبليغ ما أمرت بتبليغه للخلق، وعدم فرارك من قتال الكفار ولو اجتمعت أهل الدنيا، وغير ذلك من التكاليف العامة له ولغيره والخاصة به ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ أى

آمن ﴿ وَلا تَطْغَوْا﴾: خطاب للنبى ﷺ والأمة، ولكن المراد الأمـــة، فـــإن الطغيـــان مستحيل على النبى ﷺ، وهذه الآية صعبة التكاليف، ولذلك قال رســـول الله ﷺ: «**شيبتنى هود وأخواتها** ».... ا.هـــ بتصرف وإيجاز.

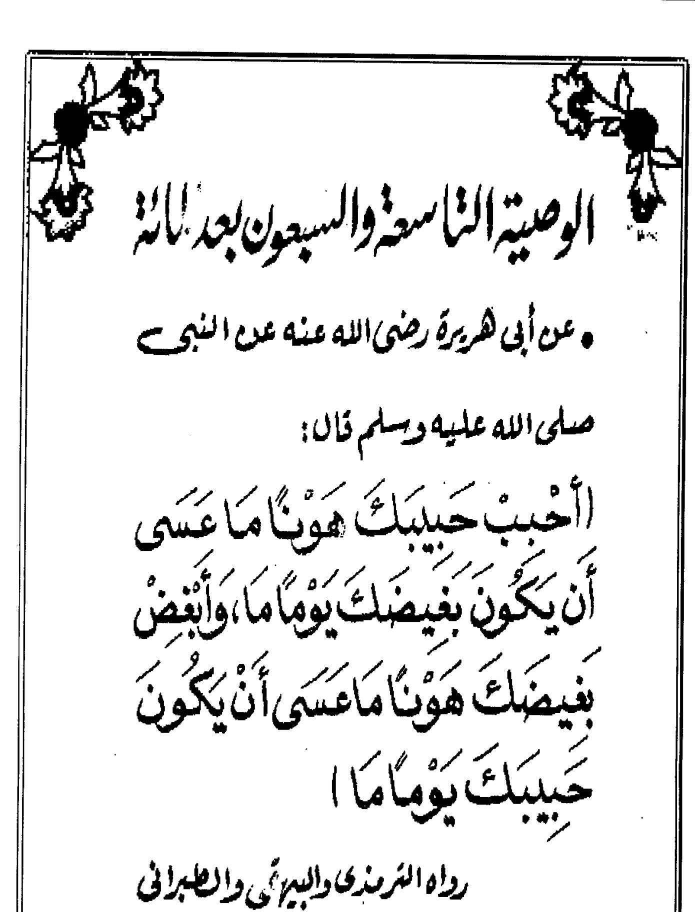
* * (فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذه حتى يكون إن شاء الله مـــن المؤمنين بالله.. المستقيمين الذين بشرهم الله تعالى بالجنة والنعيم المقـــيم ـــ فى قولـــه تعالى:﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت:٣٠] أى ظاهراً وباطنـــاً، بـــأن، فعلوا المأمورات واجتنبوا المنهيات وداوموا على ذلك..

(قال) عمر بن الخطاب ﷺ: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهى ولا تـــروغ روغان الثعلب.

(قال) ابن عباس رضى الله عنهما: نزلت هذه الآية فى أبى بكـــر الصـــديق ﷺ ﴿**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ**﴾ أى: عند الموت، أو عند الخروج من القبر... ولا مانع مـــن الجمع... والمراد ملائكة الرحمة بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن ﴿**أَلَّا تَخَافُوا**﴾ من الموت وما بعده ﴿**وَلا تَحْزَنُوا**﴾ على ما خلفتم من أهل وولد فـــنحن نخلفكم فيه ﴿**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: من الآية٣٠] أى فى الكتب المترلة وعلى ألسنة الرسل ﴿**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾ [فصلت: من الآيـة٣١] يحتمل أن يكون هذا من كلام الله تعالى وهو ولى المـــؤمنين ومـــولاهم، ويحتمل أن يكون من كلام الملائكة...

(والمعنى) كنا أولياؤكم فى الدنيا ونكون معكم فى الآخرة فلا نفارقكم حتى تـــدخلوا الجنة ﴿**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**﴾ [فصلت: ٣١] أى: مـــا تطلبـــون ﴿**نُزُلاً**﴾ أى رزقاً مهيئاً منصوب بجعل مقدراً، ويصح أن يكون حالاً من قوله ما تدعون ﴿**نُزُلاً مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**﴾ [فصلت:٣٢]: وهو الله سبحانه وتعالى... الذى ندعوه أن يحقق لنـــا هذا الخير الذى نرجوا أن نفوز به مع الأنبياء والصالحين وحسن أولئك رفيقـــا... (وأن) يجعلنا دائما وأبداً مع جميع المؤمنين والمؤمنات من أهل الإيمان المؤكد بالاستقامة...

اللهم آمين

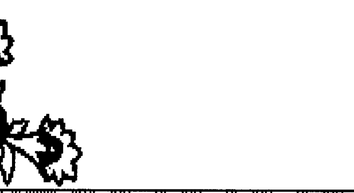
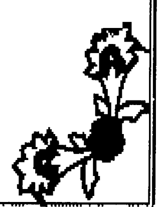


الوصية التاسعة والسبعون بعد المائة

• عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(أحْبب حبيبكَ هوْنًا ما عَسى أن يكُونَ بَغيضكَ يوْمًا ما، وأبْغض بَغيضكَ هوْنًا ما عَسى أنْ يكُونَ حَبيبكَ يوْمًا ما)

رواه الترمذي والبيهقي والطبراني

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية العظيمة التى يوصيك الرسول ﷺ فيها بأن تكـون وَسِطيًّا فى حبك وبغضك...

(وذلك) حتى تكون فى مأمن من كيد عدوك وبغض حبيبـك... (وإذا) كـان الشاعر يقول:

احـذر عـدوك مـرة ... واحـذر صـديق ألـف مـرة

فلربمـا انقلـب الصـديق ... فكـان أدرى بالمضـرة

(فإن) ما قاله الشاعر هذا.. هو المراد من هذه الوصية حتى لا تمكن عدوك منك.. وأيضا حتى لا تخسر صديقك.. (وتوضيح) هذا أنك بطبيعتك تعرف هوية عـدوك ولهذا فأنت تحذره دائما وأبدا.. (ومع) هذا فإن النبى ﷺ يوصيك بأن لا تسرف فى بغضه.. لأنه قد يكون صديقا لك فى يوم ما [١]..

(وأما) بالنسبة للصديق فإنك تتعامل معه بعكس معاملتك للعدو.. بمعنى أنك تسرف فى حبه.. ولا تكتمه سرا من أسرارك الخاصة أو العامة.. (ثم) يحدث بعد ذلك أن ينقلب هذا الصديق عدوا لك فيضرك بتلك الأسرار التى عرفها منك..

* (وهذا) إن دل على شىء فإنما يدل على أنك لم تكـن حكيمـا فى تعاملـك معهما.. حتى تكون فى مأمن من كيدهما، أو من كيد أحدهما (ولو) تعاملت مع كل واحد منهما بهذا الأسلوب المحمدى لما خسرت غير عدوك الحقيقى الذى أظهرته لك الشدائد على حقيقته.. كما يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه:

جـزى الله الشـدائد كـل خـير ... عرفت بهـا عـدوى مـن صـديقى

* (والصديق) الحقيقى، فهو الذى يكون زينة فى الرخاء عُدَّة فى البلاء: وقد قـال الإمام الشافعى كذلك:

قريبٌ ليس ينفـع وقـت بـاس [٢] ... بعيـدٌ بـل عـدوٌ بالقيـاس

---

(١) إلا عداوة من عاداك فى الدين.

(٢) وقت باس أى وقت شدة.

* ولله در الإمام على كرم الله وجهه، فلقد قال:

إن قل مـــالى فـــلا خـــل يصـــاحبنى ... أو زاد مالى فكـــل النـــاس خلَّـــانى

فكم عـــدو لبـــذل المـــال صـــاحبنى ... وصاحب عند فقـــد المـــال خَلّـــانى

* (ولهذا) فإن العاقل هو الذى يحسن اختيار الصديق حتى إذا ما تعامل معه كـــان فى مأمن من شره.

* (وقد) قرأت لأحد الحكماء قوله: أيها الراغب فى معالم المعـــارف، الطالـــب لمطالب العوارف، قد﴿ **أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾ [النمـل:٢٢] فشنف سمعك بما ألقيه إليك ولا تكن من الغافلين، وأول ما أبديه إليك، وألقى معانيه عليك: أن لا تحسن الظن بإنسان إلا بعد التجربة والامتحـــان، ولا تثـــق بســـماع أخباره، قبل إحكام نقده واختباره، فإنى رأيتك قد عولت على ظواهر الرجال، فلم تتفقد ما هم عليه من تقلبات الأحوال. وهذا الشأن كان محمود العواقـــب حيـــث الإخلاص فى السلف الصالح الأكثر الغالب ؟ إذ الناس ناس والزمن زمان.. وأما الآن:

فـــأكثر مَـــنْ تلقَـــى يَسُـــرُّك قولـــه ... ولكـــن قليـــلٌ مَـــنْ يســـرك فعلُـــه

وقد كان حُسْنُ الظَّنِّ بعضُ مذاهبى ... فـــأدَّبنى هـــذا الزمـــانُ وأهلُـــه

** (ثم) استطرد بعد ذلك صاحب كتاب (تحفة العصر الجديد ونخبة الأدب المفيـــد) للشيخ عبد المجيد الشرنوبى ـ عليه رحمة الله ـ يواصل تحذيراته من أصدقاء السوء فيقول:

* قال بعضهم:

لا أشـــتكى زمـــنى هـــذا فأظلمـــه ... وإنما أشتكى مـــن أهـــل ذا الـــزمَن

هم الذئاب التى تحت الثيـــاب فـــلا ... تكـــن لأحـــد منـــهم بمـــؤتَمن

قد كان لى كنز صـــبر فـــافتقرت إلى ... إنفاقـــه فى مُـــداراتى لهـــم ففـــنى

* (ثم) يقول: ولنا فى هذا المعنى:

قد تعـــدى بنـــو الزمـــان وصـــاروا ... فى زوايـــا طغيـــانهم يعمهـــون [1]

واستحلوا مـــا يغضـــب الله جهـــراً ... وعلى ما يرضـــى الـــورى عـــاكفونْ

---

(١) العمه: هو عمى القلوب.

لا يُـــرى جمعهـــم بغـــير نفـــاق   أو شـــقاق أو ذمّ عـــرض مصـــونْ
فاصْطبرْ صاح إن تكـــن فى ارتيـــاب   ثم ذرهـــم فى خوضـــهم يلعبـــونْ

* (وقال) بعض الفضلاء:

اجعل يقينك سوء الظـــن تَـــنْجُ بـــه   من عاش مســـتيقظا قلـــت مصـــائبُهُ
ولن جوابـــا وكـــن كالُــأفعُوان إذا   لانـــت ملابســـه أعيـــت مضـــاربهُ
وَالْقَ العدوَّ بوجـــه لا قُطُـــوبَ بـــه   واجعل له فى الحشـــا جيشًـــا يحاربُـــهُ

* (وقال) علقمة بن لبيد يوصى ولده: يا بنى إن احتجت إلى صـــحبة الرجـــال فاصحب من إن صحبته زانك، وإن أصابتك خصاصة أعانك، وإن قُلْتَ سدَّد قولك، وإن صُلْت قوَّى صَوْلتك، وإن بدت منك ثُلْمة سدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن سألته أعطاك، وإن نزلت بك إحدى المهمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائق.

* (وفى) هذا المعنى يقول أحدهم:

إن أخاك الحـــق مـــن كـــان معـــك   ومـــن يضـــر نفســـه لينفعـــك
ومن إذا ريـــب الزمـــان صـــدعك   شـــتت فيـــك شملـــه ليجمعـــك

* (ثم) يقول: فطلبُ الصديق على حدِّ ما وصف لك أمر متعين لتشكو إليه حزنك، وتنتصر به على من ظلمك، وفى المثل السائر: رُبَّ أخٍ لك لم تلده أمك..

(فإن) خلا الصديق عما ذكر فلا خير فى عشرته، ولا راحة فى صحبته، بل يجب الصدّ عنه، والبعد منه، فإن عشرته لا تفيد إلا التعب، والمشقة والنصب، وإياك إياك بالظاهر تغتر، أو بملق اللسان تنسر، فتشقى بسبب ذلك، وربما وقعت فى المهالـــك، واحتجت إلى أن تنشد هذه الأبيات:

وإخـــوان تَخِـــذْتُهُمُو ادُرُوعًـــا   فكانوهـــا ولكـــن للأعـــادى
وخلـــتُهُمُ ســـهاما صـــائبات   فكانوهـــا ولكـــن فى فـــؤادى
وقالوا: قـــد صـــفت منـــا قلـــوبٌ   نعـــم صـــدقوا ولكـــن مـــن ودادى
وقـــالوا: قـــد ســـعينا كـــلَّ سَـــعْى   لقد صـــدقوا ولكـــن فى فســـادى

* (خصوصا) فى زمان قل فيه الخير وطمَّ الأمر، وصار القابض على دينه كالقابض على الجمر.

* (فهيهات) ثم هيهات أن تجد صديقا فيه ما تقدم من الصفات، فإن هذا أقل من القليل، بل صار من قسم المستحيل.

(ولذا) سئل بعضهم: ما الصديق ؟ فقال: اسم على غير مسمى، وحيوان غير موجود.

* (وفى) هذا المعنى يقول أحدهم:

سمعت عن الصديق وما نراهُ — على التحقيق يوجد فى الأنام

وأحسبه مُحالا جوَّزوه — على وجه المجاز من الكلام

* (وقال) بعض المنصفين:

خليلى جربت الزمان وأهله — فما نالنى منهم سوى الهم والعنا

وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد — صديقا يوفى بالعهود ولا أنا

* (وقال) أبوا الدرداء رضي الله عنه: كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه.

* (وقال) جعفر الصادق لبعض إخوانه: أقلل من معرفة الناس وأنكر من عرفت منهم، وإن كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر.

* (والحاصل) أنه لم يكن الآن إلا مصداق قول القائل:

الناس إخوان مادامت به نعَمُ — والويل للمرء إن زلَّت به القدمُ

تحالف الناس والزمان — فحيث كان الزمان كانوا

* (وهو) معنى قول بعضهم:

* (وقيل) لمعاوية: ما بلغ من عقلك ؟ فقال: ما وثقت بأحد قط. ا. هـ باختصار وزيادة

على أنك فى غُنية عن سرد هذه الشواهد، إذ كان العيان لك أعظم شاهد:

وليس يصح فى الأذهان شيء — إذا احتاج النهار إلى دليل

* (فكن) على بصيرة من أبناء هذا الزمان، لتجتنى يانع ثمرات السلامة من رياض العرفان، وأصغ لما قيل فى هذا القبيل:

اسمع نصيحة ناصح — جمع النصيحة والمقة [1]

إياك واحذر أن تكو — ن من الثقات على ثقة

(قال) البديع الهمذانى بعد نقله لهذين البيتين: صدق الشاعر وأجاد، إن للثقات

---

(١) المقة: أى المحبة.

خيانة فى بعض الأوقات، هذه العين تريك السراب شرابا، وهذه الأذن تسمعك الخطأ صوابا، فلست بمعذور، إن وثقت بمحذور، وهذه حالة الواثق بعينه السامع بأذنه ا.هـ.

فما بالك بالوثوق بمطلق الناس وهم الذئاب المستورة بغش اللباس:

بمن يثق الإنسان فيما ينوبة ... ومن أين للحر الكريم صحابُ

وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ... ذئابا على أجسادهنَّ ثياب

* * (وإذا) كان الأخ الحر الكريم يبحث عن الصديق الحقيقى الذى ينبغى أن يكون مصاحبا له على الدوام..

* (فهو) المؤمن الذى أوصاه النبى ﷺ بمصاحبته فى الحديث الذى يقول فيه: **«لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى »** [1].

* (لأن) المؤمن: **«من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب »**. [2]

* (ولأن): **«المؤمن كله منفعة: إن ماشيته نفعك، وإن شاورته نفعك، وإن شاركته نفعك، وكل شيء من أمره منفعة »** [3].

* * (بل) وإن العمل الصالح هو الصديق الصالح الذى سينفعك فى حياتك وبعد مماتك.. قال تعالى: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً[4] وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ[5]﴾** [النحل ٩٧ :٩٨].

* (وقد) جاء فى حديث البراء بن عازب رضي الله عنه الذى أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة: أنه بعد أن يُسأل الإنسان المؤمن فى قبره.. وبعد أن يجيب بكل تثبيت.. **«يأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك، هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول له: من أنت فوجهك الوجه: يجيء بالخير ؟ فيقول: أنا عملك الصالح... »**.

---

(١) رواه أبو داود والترمذى بإسناد لا بأس به.
(٢) أخرجه ابن ماجه عن فضالة بن عبيد.
(٣) رواه الدارقطنى فى الأفراد والضياء عن جابر .
(٤) أى: فى الدنيا.
(٥) أى: فى الآخرة.

* (وعن) أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**سبعة يظلهم الله فى ظله** [1] **يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمسجد، ورجلان تحابا فى الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه**» متفق عليه.

** (وحسبى) والشيء بالشيء يذكر أن أذكر الأخ. المسلم برجل من السلف الصالح _ وهو حاتم الأصم عليه رحمته _ (فلقد) قرأت أنه تتلمذ على أستاذه شقيق البلخى عليه رحمة الله لمدة ثلاثين عاما.. (فأراد) أستاذه أن يمتحنه لكى يرى إذا كان تلميذا نجيبا أم لا. (فقال) له: يا حاتم ما الذى تعلمته منى منذ صحبتنى ؟ فقال: ستة أشياء.. فقال: هات ما عندك يا حاتم.. فقال:

* **أما الأولى**: فقد رأيت جُلَّ [2] الناس فى شك من أمر الرزق... وما منهم إلا وهو شحيح بماله وحريص عليه.. فتوكلت على الله لقوله تعالى: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ [هود: من الآية٦] لأنى من جملة الدواب [3] فلم أشغل قلبى بما تكلف به القوى المتين.... (فقال) له: أحسنت.

* **وأما الثانية**: فقد رأيت لكل إنسان صديقا يفشى إليه سره، ويشكو إليه أمره.. ولكنهم لا يكتمون الأسرار، ولا يدفعون مصادمة الأقدار [4].. فجعلت صديقى العمل الصالح: ليكون لى عونا عند الحساب ويثبتنى بين يدى الله عز وجل، ويرافقنى فى مرورى على صراط.. (فقال) له: أحسنت.

* **و أما الثالثة**: فقد رأيت لكل إنسان عدوا.. فنظرت فإذا الذى اغتابنى ليس بعدوى، ولا من ظلمنى، ولا من ساءنى لأنه إنما.. يهادينى بحسناته ويتحمل عنى من سيئاتى (ولكن) عدوى: هو الذى إذا كنت فى طاعة الله أغرانى بمعصيته..

---

(١) أى: فى ظل كرامته وحمايته، وقيل تحت ظل عرشه.. سبحانه وتعالى.. لأن الله تعالى لا ظل له.. إذ لو كان له ظل لكان حادثا ولما كان إلها.. والله تعالى مخالف للحوادث...

(٢) أى: معظم الناس...

(٣) لأن كل ما يدب على الأرض فهو دابة..

(٤) أى: لا ينفعون فى وقت الشدة ونكبات الزمن وغدراته....

(فعلمت) أن ذلك هو إبليس، والنفس، والدنيا، والهوى.. فاتخذتهم أعداء واحترست منهم، وأعددت العدة لمحاربتهم فلا أُدَعُ واحدا منهم يقربني.. (فقال) له: أحسنت.

* **وأما الرابعة**: فقد علمت أن كلَّ حَيٍّ مطلوب.. وأن ملك الموت عليه السلام هو الطالب.. فأعددت نفسى لملاقاته.. حتى إذا ما جاء بادرت [1] معه بلا عائق... (فقال) له: أحسنت.

* **وأما الخامسة**: فقد رأيت الناس متحابين ومتباغضين.. ورأيت المحب لا يملك لحبيبه شيئاً.. فتأملت سبب المحبة والبغضاء... فعلمت أنه الجسد... فنفيته عنى بنفى العلائق التى بينى وبينه.. وهى الشهوات... فأحببت الناس كلهم فلم أرض لهم إلا ما رضيته لنفسى.. (فقال) له: أحسنت.

* **وأما السادسة**: فقد علمت أن كل حى لا بد له من مفارقة سكنه، وأن مصير كل ساكن إلى القبر.. (فأعددت) كل ما قدرت عليه من الأعمال التى تسرنى فى ذلك المسكن الجديد الذى ما وراءه إلا الجنة أو النار...

(فقال) له أستاذه: يكفيك هذا واعمل عليه إلى الموت. ا.هـ بتصرف كبير.

** (وإذا) كان شاهدنا فى هذا العلم النافع، هو قول (حاتم): فجعلت صديقى العمل الصالح..

(فإننى) أذكر الأخ المسلم بأن الصديق هنا...الذى هو العمل الصالح من الممكن أن يكون وصولاً له حتى بعد مماته:

* (فعن) أبى هريرةﷺ أن النبىﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عملُه إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**» أخرجه أحمد ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى.

* (وعن) أبى أمامة الباهلىﷺ أن النبىﷺ قال: «**أربع تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: رجل مات مرابطاً فى سبيل الله، ورجل علم علماً فأجره يجرى عليه ما**

(١) أى: سارعت معه وأنا فرح وسرور بلقاء الله الذى أحب لقاءه...

عمل به، ورجل أجرى صدقة فأجرها يجرى عليه ما جرت عليه، ورجل ترك ولداً صالحاً يدعو له » أخرجه أحمد والطبرانى وفيه ابن لهيعة ورجل لم يسم، لكن حسنه الحافظ السيوطى لقوته بالحديث السابق.

* (وعن) أبى هريرة ﷺ أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**إن الله تعالى ليرفع الدرجة للعبد الصالح فى الجنة،فيقول: يا رب أنى لى هذا** [1] ؟ **فيقول: باستغفار ولدك لك** » أخرجه أحمد بسند رجاله رجال الصحيح.

** (والصدقة الجارية): أى: الباقى أجرها بعد الموت... أى بعد موت المتسبب فيها ما دامت قائمة.. (وهى) عشر خصال نظمها الحافظ السيوطى فى قوله:

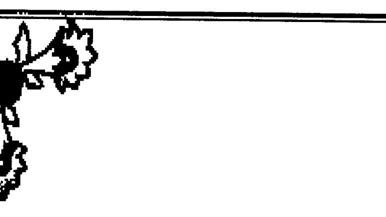
إذا مات ابن آدم ليس يجرى ... عليه من خصال غير عشر
علومٌ بثَّها ودعاء نَجْل ... وغرسُ النخل والصدقات تجرى
وراثةُ مصحف ورباطُ ثغر ... وحفر البئر أو إجراء نهر
وبيت للغريب بناه يأوى ... إليه أو بناء محل ذكْر
وتعليمٌ لقرآن كريم ... فخذها من أحاديث بحصْر

** (فليكن) العمل الصالح هو الصديق الذى تستمسك به، ونحرص على تنميته والاستمرار فيه إلى آخر لحظة فى حياتنا.. ونحن نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعله فى صحائف حسناتنا.. حتى ننتفع به فى الحياة وبعد الممات... إن شاء الله.. وما ذلك على الله بعزيز.

(ثم) إذا كان موضوع الوصية ـ كما علمنا قبل ذلك ـ هو ضرورة الوسطية فى الحب والبغض حتى لا نكون من المسرفين فى الحب والبغض بتلك الصورة التى قد تؤدى إلى فقد أحبائنا وانفلات الزمام من أيدينا بالنسبة لأعدائنا... (فإننى) أرجو من الأخ المسلم أن يحرص على تحقيق المراد من هذه الوصية..

والله ولى التوفيق

(١) أى: من أين لى هذه ؟



الوصية الثمانون بعد المائة

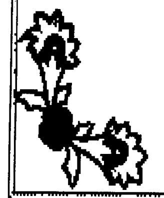
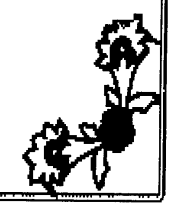
● عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(تَعَجَّلُوا إِلَى الْحَجِّ، يَعْنِى الْفَرِيضَةَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِى مَا يَعْرِضُ لَهُ).

رواه ابو القاسم الاصبهانى، وكذلك رواه الإمام أحمد فى مسنده.

●● (تعجلوا) أى: اسرعوا بأداء فريضة الحج من غير تسويف ولا إبطاء مادمتم تملكون الإستطاعة..

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية التى يوصينا فيها الرسول ﷺ بأن نعجل بأداء فريضة الحج- التى هى ركن من أركان الإسلام الخمس- ما دمنا نملك الاستطاعة المشار إليها فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ [آل عمران: ٩٧].

(وذلك) بدون إبطاء أو تسويف.

(فإن) أحدنا: (لا يدرى ما يعرض له) كما قال رسول الله ﷺ فى نص الوصية..

(وقد) ورد فى الحديث: «**حجوا قبل أن لا تحجوا**».

(ولهذا) فقد رأيت بعد هذا التقديم أن أقف مع الأخ المسلم على:

أهم ما يتعلق بفريضة الحج

(وأول) ما أذكرك به هو الحديث الصحيح الذى رواه مسلم والنسائى والترمذى.

(عن) أبى هريرة ﷺ، قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا**»، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت، حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله ﷺ «**لو قلت نعم لوجبت**» ولما استطعتم، ثم قال: «**ذرونى ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**».

(فإذا) كنا سننفذ أمر الله تعالى فى الآية الكريمة (وفى) قوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ**﴾ [البقرة: ١٩٦].

(وإذا) كنا سننفذ أمر رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الصحيح الذى وقفنا عليه..(فإنه) ينبغى علينا أن نلاحظ أن التنفيذ هذا يكون على الفور.. أو على التراخى -وهو الراجح- (ثم) على الأخ المسلم أن يلاحظ:

أهم شروط الحج المقبول

(فإن) أهم شرط فيه أن يكون المال الذى يحج به الأخ المسلم - ذكراً كان أو أنثى- من الحلال الطيب.. الذى لابد وأن يكون جمعه من المصادر الحلالية التى لا حرمة فيها ولا شبهة- وإلا فإن الله تعالى سيرفض حجة أو حجها.. لأن الله تعالى «..**طيب لا يقبل إلا طيبًا**..» من حديث صحيح رواه مسلم.

(وقد) ورد فى الحديث الشريف الذى رواه الطبرانى فى الأوسط [1].. (أن) رسول الله ﷺ قال: «**إذا خرج الحاج حاجاً بنفقة طيبة**» أى من كسب حلال- «**ووضع رجله فى الغرز**» أى- فى ركاب الرحل.. أو فى السيارة، أو الباخرة، أو الطائرة- «**فنادى: لبيك اللهم لبيك** [2]» .. «**ناداه مناد من السماء: لبيك وسعديك** [3]»، «**زادك حلال، وراحلتك حلال، وحجك مبرور غير مأزور**[4].**وإذا خرج الحاج- بالنفقة الخبيثة**» أى الملوثة..التى هى عن طريق بيع الممنوعات، أو الدخان بجميع أنواعه ومشتقاته، أو المشروبات المسكرة من الخمور أو البيرة، أو السرقة من الميزان، أو التطفيف فى الكيل، أو التعامل الربوى، أو الرشوة، أو العمل الغير متقن، أو اللهو واللعب الذى يشغل الناس عن الله وعن الصلاة بصفة خاصة.. أو الغش أو الخداع أو الظلم، أو الميسر.. إلخ- «**فوضع رجله فى الغرز، فنادى: لبيك اللهم لبيك، ناداه مناد من السماء: لا لبيك ولا سعديك** [5]**، زادك حرام، ونفقتك حرام -وراحلتك حرام** [6]**، وحجك مأزور غير مبرور** [7]».

(وأما) الشرط الثانى من شروط الحج المقبول عند الله، فهو:

(أن) ينوى بحجه وجه الله تبارك وتعالى..

ولا يقصد به رياء ولا سمعة (فإن) الحج عبادة ينبغى أن تكون خالصة لوجه الله الكريم الذى يقول: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ**﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

---

(١) ورواه الأصبهانى من حديث أسلم مولى عمر بن الخطاب، مرسلا مختصراً.
(٢) أى: إسراعاً فى إجابتك بعد إسراع.
(٣) أى: إسعاداً لك بعد إسعاد..
(٤) أى: مقبول واقع موقعه عند الله غير متلبس بشىء من الوزر.
(٥) دعاء عليه بأن تلبيتة غير مقبولة ولا مسموع لها.
(٦) فقد تكون مسروقة أو مغتصبة مثلا.
(٧) أى: مرفوض مردود غير مقبول.

كما يقول تبارك وتعالى:﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: ١١٠]. (أى) أنه ينبغى على الأخ الحاج- إن شاء الله- أن يكون حجه بل جميع أعماله خالية من الرياء والسمعة (فعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رجل لرسول الله ﷺ: يا رسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يرى موطنى [1]. فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزل:﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ رواه الحاكم. وقال صحيح على شرط الشيخين. (وهذا) معناه كذلك: أن العمل إذا لم يكن خالصًا لوجه الله تعالى فإن الله تعالى يرفضه..

(وأما) الشرط الثالث من شروط الحج المقبول عند الله تعالى، فهو: (أن) يتقى الله تعالى ما استطاع فى حلّه وترحاله من وقت خروجه من بيته إلى أن يعود إليه - إن شاء الله- (بمعنى) أن لا يتكلم إلا بخير، ولا يفعل فعلاً مشيناً يتنافى مع هذه العبادة الجليلة التى لابد وأن يكون حريصاً على أن يكون ملتزماً فيها بالأخلاقيات الكريمة التى هى روح الإسلام الذى من أهم صفات المسلم فيه أن يسلم المسلمون من لسانه ويده..

(وعليه) بصفة خاصة أن يترك الرفث، (وهو) القبح فى الأقوال والأفعال، والنظر إلى النساء بشهوة- حتى لا يفكر فى الجماع- (وعليه) أن يحذر الاختلاط بهن إلا لضرورة التعاون معهن فى شراء المطلوب من الطعام أو الشراب.. والقيام برمى الجمرات نيابة عنهن..

(ولاسيما) فى الحل والترحال.. إلى حيث ستؤدى المناسك (وعليه) أن لا يقتل صيداً، ولا يؤذى مسلماً، ولا يخاصم أحداً، ولا يجادل فى البيع والشراء..

(لأن الله تعالى) يقول: : ﴿**..فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ [البقرة: ١٩٧]. (وفى) الحديث الذى أرجو أن يفهم الأخ الحاج المراد منه يقول صلوات الله وسلامه عليه «**من حج ولم يرفث ولم يفسق: رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» رواه البخارى وغيره.

(١) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب.

(وحسب) الأخ الحاج أن يعود- بعد أداء فريضة الحج- كيوم ولدته أمه..(لأن) هذا سيكون معناه أنه سيعود بشهادة ميلاد جديدة.. ينبغى عليه أن يكون سعيداً بها، ومحافظاً على أن لا يضيع أهم نتائجها؛ وهى أن يكون صادقاً فى عهده الذى عاهد الله تعالى عليه هناك، وهو يستلم الحجر الأسود الذى هو يمين الله فى الأرض.

(وأما) الشرط الرابع من شروط الحج المقبول عند الله تعالى، فهو: (أنه) يجب عليه أن يتوب إلى الله من جميع ذنوبه وأن يرد المظالم إلى أصحابها، أو يطلب منهم السماح فيها [(١)]، وأن يسترضى خصومه، ويصفح عنهم، ويطلب منهم أن يصفحوا عنه.. فربما لا يعود إليهم [(٢)].

(وهذا) التنبيه الأخير لابد وأن يكون أساساً فى تفكير الأخ الحاج..حتى يكون من الذين يعرفون الهدف الأسمى من أداء فريضة الحج..

(وهو) أن يعود من هناك – إن شاء الله- كيوم ولدته أمه. (وهذا) الهدف-أيضاً- لن يكون محققاً إلا بتحقيق الشرط الأخير الذى سيكون معناه أن الأخ الحاج الذى سيدرك تماماً أنه على سفر..

وأنه قد يعود وقد لا يعود.. لابد وأن يعمل لهذا السفر المبارك ألف حساب بحيث يكون على صلة دائمة بالله عن طريق الرجوع إلى الله تبارك وتعالى ورد المظالم إلى أصحابها.. قبل السفر حتى يتقبل الله منه حجه أو عمرته.

(وحسبه) أن يذكر من خلال هذا التذكير – حتى يشكر الله تعالى على نعمة توفيقه له لأداء فريضة الحج إن شاء الله – ما قاله أبو الدرداء رضي الله عنه .. يوم أن وقف أمام الكعبة، فقال لأصحابه: أليس إذا أراد أحدكم سفراً يستعد له بزاد؟ قالوا: نعم.. قال: فسفر الآخرة أبعد مما تسافرون.. فقالوا: دلنا على زاده.. فقال: (..حجوا حجة لعظائم الأمور، وصلُّوا ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور، وصوموا يوماً شديدًا حره لطول يوم النشور).

---

(١) بسبب الموت هناك..مثلا...

(٢) وهو ينوى السداد.

(وعليه) إذا عزم على الحج – إن شاء الله–: أن يقوم بعمل الإجـراءات .. مع التوكل على الله تعالى..بدون تردد..قال تعالى: ﴿**فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

(وعليه) إذا حان وقت السفر أن يدخل إلى محرابه فى بيته [1]..ويركع ركعتين لله رب العالمين..

وهو يحاول أن يستحضر قلبه فيهما.. (وأن) يضرع إلى الله فى سجوده أن يجعل التوفيق حليفه فى حله وترحاله.. وأن يجعل عمله خالصاً لوجهه الكريم.. وأن يعيده إلى بلده سالماً غانماً.. مغفوراً له..

(وعليه) إذا أراد الخروج من منزله أن يودع أهله وجيرانه.. وهو يقول لمن يودعه: أستودعكم الله الذى لا تضيع ودائعه..

(وعليهم) أن يقولوا له: فى حفظ الله وكنفه، زودك الله التقوى، وجنبك الله الردى[2]، وغفر ذنبك، ووجهك إلى الخير أينما توجهت.. (ونحو) ذلك من الأدعية التى نسأل الله تعالى أن يتقبلها..

(وعليه) أن يقرأ عند خروجه من بيته: آية الكرسى– وهى الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة–، وسورة القدر. (ثم) يتصدق بصدقة طيبة..

(ثم) يدعو قائلا: اللهم إنى أعوذ بك أن أَضِلَ أو أُضَل، أو أَزِلَ أو أُزَل، أو أَظلِم أو أُظْلَم، أو أَجهَل أو يُجْهَل على. اللهم إنى أعوذ بك من الضيعة فى السفر، والكآبة فى المنقلب [3]، اللهم اقبض لنا الأرض [4]، وهون علينا السفر.. بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة إلا بالله..

---

(١) الذى ينبغى أن يكون مسجداً له..يصلى فيه السنة..وصلاة التهجد ليلاً..كما تصلى فيه زوجته وجميع أبنائه الصغار..(أما) بالنسبة له فالفرض يصليه فى المسجد مع الجماعات كل وقت إن شاء الله..

(٢) أى: الهلاك والخسران.

(٣) أى المرجع.

(٤) أى: اطوِ لنا الأرض وقَصِّر لنا المسافة.

(وعلى) الأخ الحاج- إن شاء الله- أولاً وأخيراً:

(أن) يتعلم مناسك الحج حتى يؤديها على أكمل وجه. (وكما) ورد عن رسـول الله ﷺ الذى يقول «**خذوا عنى مناسككم**» [1]، (وعليه) أن يذكر: أن «**طلب العلم فريضة على كل مسلم**» [2]، (وذلك) حتى لا يستنكف أن يسأل عن أى شـىء لا يعرفه..(لأنه) لا حياء فى فهم الدين [3] ...

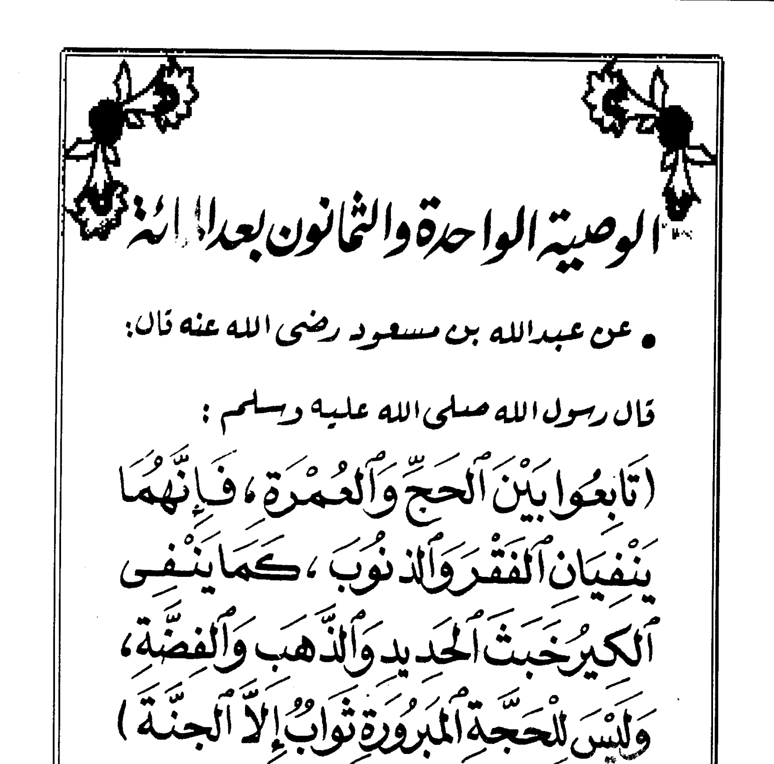
والله ولى التوفيق

---

(١) وهو حديث صحيح فى صحيح الجامع.

(٢) حديث صحيح صححه الألبانى فى الصغير (٣٨٠٨، ٣٣٠٩).

(٣) لا تقل لا حياء فى الدين لأن الدين كله حياء..ولأن الحياء شعبة من أهم شعب الإيمان.. (انظر الفقه الواضح ج٥)، (انظر الجواهر المنبرية للمؤلف ص٤٩٠ وما بعدها).



الوصية الواحدة والثمانون بعد المائة

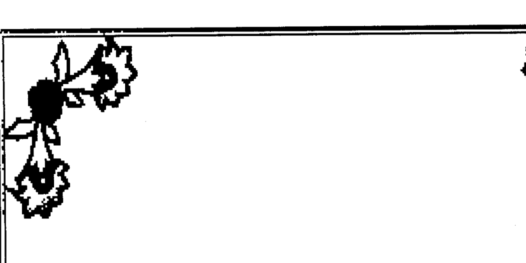
• عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ، فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةَ)

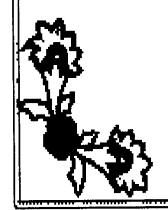
رواه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح

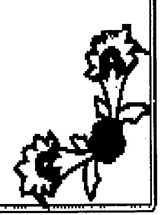
ورواه ابن ماجه والبيهقي من حديث عمر،



وليس عندهما: والذهب إلى آخره. وعند البيهقي:

(فإن متابعة بينهما يَزِيدَانِ فى ٱلأجل وينفيانِ ٱلفقر وٱلذنوبَ كما ينفى ٱلكِيرُ ٱلخَبثَ)





فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التى يوصينا فيها الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه بأن نتابع بين الحج والعمرة.. أى: أن نأتى بهما متتابعين من غير طـول فصـل بينهما.. وليس المراد بالمتابعة تعاقبهما من غير فاصل، بل المراد كون الثانى بعد الأول بدون فاصل كبير بحيث ينسب للأول عرفاً..

(مع) ملاحظة: أن الحج واجب فى العمر مرة واحدة، وهذا مجمع عليه.. (وأما) العمرة فهى فى اللغة: الزيارة، (وشرعاً): زيارة البيت الحرام، (وركناها): طواف وسعى.

(وقد) اختلف فى وجوبها.. (فقيل): واجبة كالحج لقوله تعـالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّـهِ**﴾ [البقرة: ١٩٦]، (فقد) قرن الله تعالى بينهما فى وجوب الإتمام، ولقوله ﷺ لأبى رزين العقيلى: «**حج عن أبيك واعتمر**».

قال الإمام أحمد: لا أعلم فى إيجاب العمرة حديثاً أجود من هذا ولا أصح منه.. وهـو المشهور عن الشافعى وأحمد.

(وقيل): إن العمرة سنة ليست بواجبة.. وهو المشهور عن المالكية وهـو قـول الحنفية، واستدلوا بما أخرجه الترمذى وصححه أحمد عن جابر أن أعرابياً جـاء إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله أخبرنى عن العمرة أواجبة هى؟ فقال: «**لا وأن تعتمر خير لك**» وفى رواية: «**أولى لك**» ولكن فى سنده العجاج بن أرطأة ضعيف.

(قال) الشوكانى: والحق عدم وجوب العمرة لأن البراءة الأصلية لا ينتقل عنها إلا بدليل يثبت به التكليف ولا دليل يصلح لذلك. (ويؤيده) اقتصاره ﷺ على الحج فى حـديث: «**بنى الإسلام على خمس...**» واقتصار الله جل جلاله على الحج فى قولـه: ﴿**وَلِلَّـهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ**﴾ [آل عمران: ٩٧] وأما قوله تعالى: ﴿**وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّـهِ**﴾: فلفظ التمـام مشعر بأنه إنما يجب بعد الإحرام لا قبله...

(هذا) وإذا كان النبى ﷺ قد قال- فى نص الوصية- عن المتابعة بـين الحـج والعمرة: «**فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكـير خبـث الحديـد والذهب والفضة**»:

(فإنه) حسب الأخ المسلم المتابع بين الحج والعمرة أن يفهم المراد من هذا القـــول المحمدى الذى لابد وأن يكون منتفعاً به.. حتى ينفيا عنه الفقر والذنوب إن شاء الله..

(وإذا) أردنا أن نقف على:

المعنى المراد من الفقر والغنى

(فإنه) حسبى أن أقف مع الأخ المسلم على بعض قراءاتى فى كتاب: (فتح الرحمن الرحيم) بشرح لامية الإمام ابن الوردى [1]، حيث يقول:

(يستحب) للفقير أن يكتم فقره عن الناس بمعنى أنه لا يظهر الفقر والمسكنة على جهة التضجر.

(فإن) الفقر: شعار عباد الله الصالحين (روى) زيد بن أسلم (عن) أنس بن مالك رضى الله عنهما قال: بعث الفقراء رسولاً إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنى رسول الفقراء إليك..فقال **((مرحباً بك وبمن جئت من عندهم..جئت من عند قوم أحبهم الله))**، فقال: يا رسول الله إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله.. هم يحجون ونحن لا نقدر عليه، ويتصدقون ونحن لا نقدر عليها، ويعتقون ولا نقدر عليه.. فإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم [2] ذخراً..

فقال ﷺ **((بلغ عنى الفقراء أن لمن صبر منكم واحتسب ثلاث خصال لـــيس للأغنياء منها شىء..(أما) الخصلة الأولى: فإن فى الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى النجوم لا يدخلها إلا نبى فقير أو شهيد أو مؤمن فقير (والثانية): يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو مقدار خمسمائة عام يتمتعون فيها كيف شاءوا، ويدخل سليمان بن داود عليه الســـلام بعد دخول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الجنة بأربعين سنة، وذلك بسبب مـــا أعطاه الله تعالى فى الدنيا (والثالثة): إذا قال الفقير: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر مخلصاً، ويقول الغنى مثل ذلك مخلصاً لم يلحق الغـــنى الفقـــير وإن**

---

(١) المسماة نصيحة الإخوان –التزام سعيد على الخصوصى– المكتبة السعيدية.

(٢) أى: الزائد من أموالهم.

أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم، وكذلك أعمال البر كلها» فرجع إليهم الرسول[1] وأخبرهم بذلك، فقالوا: رضينا يا رب.

(وروى) أن الملائكة تقول: يا رب عبدك الكافر تبسط له الدنيا؛ وتزوى عنه البلاء؟

فيقول الله للملائكة: اكشفوا لهم عن عقابه فإذا رأوه قالوا: يا رب لا ينفعه ما أصابه من الدنيا.. (ويقولون): يا رب عبدك المؤمن تزوى عنه الدنيا وتعرضه للبلاء؟ فيقول الله للملائكة: اكشفوا لهم عن ثوابه.. فإذا رأوا ثوابه.. قالوا: يا رب لا يضره ما أصابه من البلاء.

(وروى) الحسن رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال: **«أكثروا من معرفة الفقراء واتخذوا عندهم الأيادى فإن لهم دولة»**. قالوا: يا رسول الله وما دولتهم؟ قال: **«إذا كان يوم القيامة قيل لهم: انظروا من أطعمكم كِسرة [2]، ومن سقاكم شربة، ومن كساكم ثوباً فخذوا بيده ثم امضوا به إلى الجنة»**.

(وعن) الضحاك قال: من دخل السوق فرأى ما يشتهيه فصبر واحتسب كان خيراً من ألف دينار ينفقها كلها فى سبيل الله.

(وفى) (تنبيه الغافلين): ويستحب للفقير أيضا أن يكون صابراً للأحاديث السابقة – التى قد تكون صحيحة– ولئلا يشمت به أعداؤه، وأن يتعفف [3] عن سؤال الناس ما أمكن.. (فقد) مدح الله تعالى الفقراء الموصوفين بذلك فقال تعالى: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(وكان) أبو ذر رضي الله عنه إذا سقط سوطه من يده يكره أن يقول لأحد ناولنيه.

(واعلم) أن الفقر على قسمين: خاص وعام..

(فالعام): هو احتياج الخلق كلهم إلى الله تعالى..قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥] أى: أنتم المحتاجون إلى الله والله غنى عنكم.

---

(١) أى: رسول الفقراء إلى رسول الله ﷺ.

(٢) الكسرة بكسر الكاف: القطعة من الخبز.

(٣) حتى يكون عزيزاً بين قومه.

(وأما الفقر) الخاص: فهو المأمور بكتمه (ويستحب) للغنى أيضاً أن يكتم غناه لما ينشأ عنه من التفاخر والتعاظم والخيلاء الذى هو من شأن ذوى الأموال، ولما يلحقه أيضاً بسبب الإظهار من الحسد –المذموم– وتسليط الظَّلمة واللصوص عليه.

(ولذلك) روى عن معاوية ابن أبى سفيان.. أنه قال لجلسائه: ما العافية فيكم؟ فقال كل واحد منهم شيئاً..

فقال معاوية: العافية للرجل فى أربعة أشياء: بيت يأويه، وعيش يكفيه، وزوجة تُرضيه، ونحن لا نعرفه فنؤذيه.. (يعنى) لا يعرفه السلطان – أى الظالم- والعياذ بالله منه.

(وروى) عن سفيان الثورى رضي الله عنه أنه قال: نعمتان إن رزقهما الله تعالى لك فاحمد الله تعالى عليهما واشكره: اجتنابك باب السلطان، واجتنابك باب الطبيب[1].

(واختلفوا) رضى الله عنهم:

فى الفقر والغنى أيهما أفضل؟

(فقال) الأكثرون: إن الفقر أفضل من الغنى إذا كان مقروناً بالرضا (ولذلك) اختاره ﷺ حين عرضت عليه مفاتيح خزائن الأرض، فقال «يا جبريل أريد أن أجوع يوماً، وأشبع يوماً..فإذا جعت تضرعت إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا شبعت حمدته وشكرته»..والله تعالى يقول: ﴿..لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ..﴾ [إبراهيم: ٧].

(وقال) ﷺ **«اللهم أحينى مسكيناً وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زُمرة المساكين»**:

قال بعض العارفين: لو سأل الله تعالى أن يحشر المساكين فى زمرته لكان لهم الفخر العظيم.. فكيف وقد سأله سبحانه أن يحشره فى زمرهم.. (وقد) قرأت أن سليمان عليه السلام كان إذا جالس مسكيناً قال: (مسكين جالس مسكيناً).

(وذهب) آخرون من العلماء: إلى أن الغنى أفضل من الفقر.. واحتجوا بقوله ﷺ: **«اليد العليا خير من اليد السفلى..»**[2].

---

(١) الذى نسأل الله تعالى أن يغنينا عنه..آمين ولكن إذا حدث المرض..لابد وأن نأخذ بالأسباب ونذهب إلى الطبيب ونحن نسأل الله الشفاء...

(٢) من حديث صحيح متفق عليه.

(واختلف) أيضاً: هل الفقير الصابر أفضل أم الغنى الشاكر؟

(فقيل): الفقير الصابر أفضل: لخلو يده من الدنيا الملهية عن الله عز وجل، ولما يلحقه من المشقة الشديدة التى يوشك أن يكون الفقر بسببها كفراً. (وقيل): الغنى الشاكر أفضل: لما فيه من السعة والاعتراف بنعمة الله عليه، والبر والمواساة، والإحسان إلى الفقراء والمساكين.ا.هـ.

(قال) فى الجامع الصغير عنه ﷺ: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء**».

(قال) فى الفتح: ليس قوله: «**اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء**»: يوجب فضل الفقير على الغنى (وإنما) معناه: أن الفقراء فى الجنة أكثر من الأغنياء..

(وليس) الفقر أدخلهم وإنما دخلوا بصلاحهم مع الفقر.. (فإن) الفقير إذا لم يكن صالحاً لا يفضل على الغنى.

(لكن) ظاهر الحديث التحريض على ترك التوسع من الدنيا، (كما) أن فيه تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار..

(فإن) قلت: هذا الحديث ينافيه حديث أبى يعلى (عن) أبى هريرة رضي الله عنه فى صفة أدنى أهل الجنة: (**فيدخلن الرجل على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشئ الله وزوجتين من ولد آدم**)، (فإن) مقتضى هذا الحديث: أن النساء فى الجنة أكثر من الرجال..(يجاب) بأن كون النساء أكثر أهل النار فى أول الأمر قبل خروج العصاة منهن من النار بالشفاعة (ويجاب) أيضاً بأن المراد من قوله ﷺ : تحريض النساء على المحافظة على أمر الدين لئلا يدخلن النار —كما تقدم.

(وأجاب) شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: بأن المراد بكونهن أكثر أهل النار نساء الدنيا، وبكونهن أكثر أهل الجنة نساء الآخرة فلا تناف..ا.هـ من العلقمى على الجامع الصغير.

(ومع) هذا فإننى أنصح الأخ المسلم بضرورة أن يحسن التوكل على الله حتى يغنيه الله تعالى عن الناس بالعمل الشريف الذى هو شرف وواجب..(ولا سيما) إذا كان الله تعالى قد أمر به فقال:﴿ **فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾ [الملك ١٥].

ولله در من قال:

ألم تـــر أن الله أوحــــى لمـــريم فهزِّى إليك الجذع يَسَّاقط الرُّطبُ
ولو شاء أدنى الجذع من غــير هــزِّه إليها ولكن كل شــىء لــه ســبب

(ثم) إن أكثر الناس للأسف الشديد- وخصوصاً فى هذا الزمان- لا يحترمون ولا يجلون غير صاحب المال..كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

إن الغَـــنىَّ إذا تكلـــم بالخطـــا قالوا أصــبت وصــدَّقوا مــا قــالا
وإذا الفقير أصــاب قــالوا كلــهم أخطأت يــا هــذا وقلــت ضــلالا
إن الـــدراهم فى الأمـــاكن كلـــها تكســـو الرجـــال مهابــة وجمـــالا
فهـــى اللســـان لمـــن أراد فصـــاحة وهـــى الســـلاح لمـــن أراد قتـــالا

(وقالوا): إذا افتقر الرجل اتهمه من كان يأمنه، وأساء به الظن من كان يحســـنه، وإذا أذنب غيره ينسب إليه، ومن كان له صار عليه.

ولله در من قال:

يغدو الفقير وكــل شــىءٍ ضــده والنـــاس تغلـــق دونـــه أبوابهـــا
وتـــراه ممقوتـــاً ولـــيس بمـــذنب ويـــرى العـــداوة لا يـــرى أســـبابها
حتى الكـــلاب إذا رأت ذا بـــزَّة [1] أصـــغت إليـــه وحركـــت أذنابهـــا
وإذا رأت يومـــا فقـــيراً عاريـــاً نبحـــت عليـــه وكشَّـــرت أنيابهـــا

(ولهذا) نصحتك بأن تأخذ بالأسباب حتى تكون مستغنياً عن الناس.. (وكن) فى نفس الوقت قنوعاً..لأن القناعة كنز لا يفنى..كما يقول أحدهم:

وجـــدت القناعـــة ثـــوب الغـــنى فصـــرت بأذيالهـــا أمتســـك
فألبســـنى جاههـــا حُلَّـــةً يمـــر الزمـــان ولم تنتـــهك
فصـــرت غنيـــاً بـــلا درهـــم أمـــر علـــى النـــاس كـــأنى مَلـــك

(وإذا) أردت أن تسأل أحداً فسل الله تعالى الذى بيده مفاتيح الرزق:

لا تســـألن بَنـــىَّ آدم حاجـــة وسَـــل الـــذى أبوابـــه لا تُحْجَـــبُ
الله يغضـــب إن تركـــت ســـؤاله وبَنـــىَّ آدم حـــين يُسْـــأل يغضـــب

---

(١) أى: هيئة.

(وأما) عن الذنوب التي سينفيها التتابع بين الحج والعمرة.. (فالمراد) بها الصغائر.. على شريطة أن تكون أساساً مجتنباً للكبائر.. لأن الله تعالى يقـــول: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً**﴾ [النساء: ٣١].

(والكبائر): هي المشدد عليها في القرآن والسنة الصحيحة.. (وقد) جمعها أبو طالـــب المكي عليه رحمة الله على النحو الآتي:

أربعة في القلب، وهي: الشرك بالله تعالى، والإصرار على معصـــية الله تعـــالى، والقنوط من رحمة الله تعالى، والأمن من مكر الله تعالى (١).

وأربعة في اللسان، وهي: شهادة الزور، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنـــات، واليمين الغموس، والسحر.

وثلاثة في البطن، وهي: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا وهو يعلم.

واثنان في اليدين، وهما: القتل، والسرقة.

واثنان في الفرج، وهما: الزنا، واللواط.

وواحدة في الرجل، وهي: الفرار من الزحف (٢).

وواحدة في جميع البدن، وهي: عقوق الوالدين.

(وهذه) الكبائر -بالإضافة إلى غيرها- لن يغفر الله تعـــالى لمرتكبـــها إلا بالتوبـــة الصادقة..(وقد) قال الإمام النووي في كتابه (رياض الصالحين) تحت عنوان:

باب التوبة

(قال) العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب: فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميٍّ فلها ثلاثة شروط:

أحدها: أن يقلع عن المعصية.

والثاني: أن يندم على فعلها.

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً.

(فإن) فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته.

---

(١) أي: عذاب الله تعالى.

(٢) أي: من ميدان الجهاد في سبيل الله.

(وإن) كانت المعصية تتعلق بآدميٍّ فشروطها أربعة، هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كان مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كان حدٍّ قذف أو نحوه مكنه منه [1]، أو طلب عفوه، وإن كان غيبة استحله منها.. ويجب أن يتوب من جميع الذنوب (فإن) تاب من بعضها صحَّت توبته: عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي.ا.هـ.

(مع) ملاحظة أن الذنب الوحيد الذى لن يغفره الله تعالى- للعبد- هو الشرك الأكبر..قال تعالى﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِه**[2] **وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

(وعن) أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى.**

يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك.

يا ابن آدم: إنك لو أتيتنى بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً».

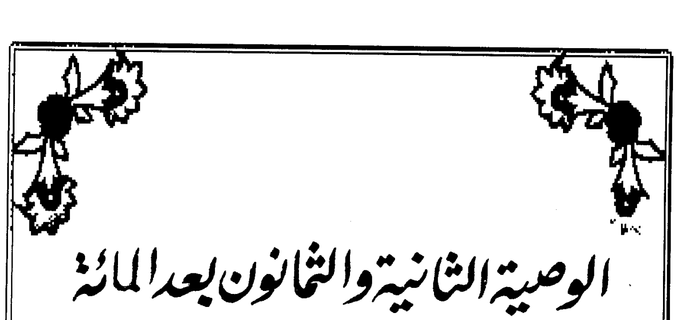
رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(ثم) إذا كان النبى ﷺ قد قال فى ختام الوصية التى ندور حولها: «**وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة**».. فإنه حسبك أن تسأل الله تعالى أن يحقق لنا جميعاً هذا.. حتى نكون من أهل الجنة إن شاء الله..

والله ولى التوفيق

(١) أى: من نفسه من أجل القصاص.

(٢) اللهم إلا إذا تاب توبة صادقة تؤكد عودته إلى التوحيد الخالص.



الوصية الثانية والثمانون بعد المائة

● عن جابر بن عبدالله رضى الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الإستخارة فى الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول:

إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ

علاَّمُ الغُيُوبِ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ: فَاقْدُرْهُ لِي، وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي، وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِي الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ.

قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ).

رواه البخاري، وأبوداود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

فكن أخا الإسلام

حريصاً على تنفيذ المراد من هذا العلم النافع الذى كان النبى ﷺ يعلمه لأصحابه كما يعلمهم السورة من القرآن.. فى الأمور كلها..

(وهذا) العلم النافع هو:

دعاء الاستخارة

الذى قال الرسول ﷺ فى نصه: «**إذا هم أحدكم بالأمر أى: فى الأمر المباح الذى التبس عليه وجه الخير فيه..كالزواج أو السفر أو التجارة**[1]».

(قال) الشوكانى: (فيه دليل على الاهتمام بأمر الاستخارة وأنه متأكد مرغوب فيه).

(وأن) معنى قوله ﷺ: «**إذا هم**»: أن الهم مجرد خطور الشىء بالبال من غير عزم على الفعل..(وإذا كان الرسول) ﷺ يعلم أصحابه الاستخارة فى الأمور كلها:

(فإن) هذا-كما يقول-الشوكانى: دليل على العموم، وأن المرء لا يحتقر أمراً لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه.. فرب أمر يستخف بأمره فيكون فى الاقدام عليه ضرر عظيم أو فى تركه. (ولذلك) قال النبى ﷺ: «**ليسأل أحدكم ربه حتى فى شسع نعله**».

«**فليركع ركعتين من غير الفريضة**»: ولو كانتا من السنن الراتبة أو تحية المسجد[2] فى أى وقت من الليل أو النهار يقرأ فيهما بما شاء- أى من القرآن- بعد الفاتحة، ثم يحمد الله ويصلى على نبيه ﷺ..ثم يدعو بالدعاء (قال) الشوكانى: فيه أن السنة فى الاستخارة كونها ركعتين فلا تجزئ الركعة الواحدة.(وأيضاً)يقول الشوكانى حول قوله (من غير الفريضة): فيه لا يحصل التسنن بوقوع الدعاء بعد صلاة الفريضة والسنن الراتبة وتحية المسجد وغير ذلك من النوافل..(وأيضاً) قال فى (فقه السنة): ولم يصح فى القراءة فيها شىء مخصوص- بعد الفاتحة-كما لم يصح شىء فى استحباب تكرارها.

---

(١) أما المحرم والمكروه: فمطلوب الترك، ولهذا لا تجرى الاستخارة إلا فى أمر مباح. والواجب والمندوب مطلوب الفعل بدون استخارة.

(٢) كما قال فى (فقه السنة) ج٢ ص٦٧ وما بعدها...

(قال) النووى: ينبغى أن يفعل بعد الاستخارة ما ينشرح له-صدره- فلا ينبغى أن يعتمد على انشراح كان فيه هوىً قبل الاستخارة، بل ينبغى للمستخير ترك اختياره رأساً، وإلاَّ فلا يكون مستخيراً لله، بل يكون غير صادق فى طلب الخيرة وفى التبرِّى من العلم والقدرة وإثباهما لله تعالى، فإذا صدق فى ذلك تبرَّأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه[1].ا.هـ.

(ثم) معنى:

«**اللهم إنى أستخيرك**»: أى أطلب منك الخير أو الخيرة.. و«**بعلمك**»: أى بأنك أعلم، وكذا قوله: «**بقدرتك**».. «**أو قال عاجل أمرى وآجله**»: شك من الراوى..ومعنى قوله: «**شرًا لى فى دينى**»:

أى: يترتب عليه تقصير فى أداء واجب أو إفضاء إلى محرم، أو إلهاء عن ذكر الله، وفى بعض الروايات (ودنياى)، ومعنى: (واصرفنى عنه) أى: اصرف قلبى عن الانشغال به والتفكير فيه.. «**واقدر لى الخير حيث كان ثم أرضنى به**» أى: اجعلنى راض به عن اقتناع.. «**ويسمى حاجته**»أى: ينطق بها ويعينها بعد قوله: «**هذا الأمر**» أو يجعلها بدلاً من قوله: «**هذا الأمر**».

(وقيل): ينطق بعد الدعاء وينويها بقلبه عنده.

(هذا)، وقد رأيت إتماماً للفائدة أن أذكر الأخ المسلم بما جاء فى (الدين الخالص)ج٥ ص٣٦٩ وما بعدها تحت عنوان:

الاستخارة غير الشرعية

(فقد) جاء فيه ما خلاصته، أنه(قد) جهل كثير من الناس الاستخارة الشرعية المرغَّب فيها بالأحاديث- الواردة فيها والتى من أهمها الحديث الذى ندور حوله، وهو دعاء الاستخارة- وهجروها أو قلَّ من يعمل بها، وابتدعوا لها أنواعاً كثيرة لم يرد شىء منها فى الكتاب ولا فى السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف والخلف

---

(١) وإذا كان قد ورد فى الأثر: (لا خاب من استخار ولا ندم من استشار): فإن الاستشارة تكون قبل الاستخارة.. حتى تكون الاستخارة بعد ذلك إن شاء الله هى الفيصل فى هذا الموضوع..والله أعلم.

(وجهلوا) قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: **((ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة))**[1] أخرجه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير عن غضيف بن الحارث... وقد حسنه السيوطى.

(إلى) أن يقول بعد ذلك: هذا، والاستخارة المبتدعة كثيرة، (منها) ما يسميه العامة وبعض الخاصة استخارة

(ومنها) ما يسمى بأسماء أخرى هى أقرب إلى الطِّيرة منها إلى الاستخارة، بل هى نوع من التعريف المنهى عنه..(وهاك) مجمل القول فى الاستخارة غير الشرعية التى منها:

١- استخارة النوم

(فقد) ذكر أنه (يعملها) صاحب الحاجة، أو يعملها له غيره، بأن يقرأ الشخص شيئاً من القرآن ويدعو الله أن يريه فى منامه ما نواه أو يريه خضرة أو بياضاً إن كان ما يقصده خيراً. ويريه حمرة أو سواداً إن كان ما يقصده لا خير فيه... إلى أن يقول:

(ورؤيا) المؤمن الصادق وإن كانت لا تكاد تخطئ، فالاستخارة بواسطتها لم تشرع، وفيها عدول عن تعليم الرسول الأعظم ﷺ، وعن الدعاء الجامع لخيرى الدنيا والآخرة- وهو دعاء الإستخارة الذى ندور حوله- وهذا يتنافى مع كمال الإيمان وحسن اليقين الذى يقتضى التخلى عن البدع، والتحلى بالسنن (وقد) ذكر العلامة الصاوى فى تفسير آية: ﴿ **وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ** ﴾ [القصص: ٦٨]: صلاة الاستخارة ودعاءها ثم قال: فإن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقل: **((اللهم خِرْ لى واختر لى))** كما روى عن عائشة عن أبى بكر رضى الله عنهما..ثم يقول: (واعلم) أن هذه الكيفية هى الواردة فى الحديث الصحيح. (وأما) الاستخارة بالمنام أو بالمصحف أو السبحة، فليس وارداً عن النبى ﷺ (ولذا) كرهه العلماء وقالوا: إنه نوع من الطيرة.

---

(١) ذلك لأن الناس إذا تركوا السنة فى تهذيب أنفسهم بالاهتداء بهدى نبيهم ، يتولاهم الشيطان ويسلك بهم سبل الضلال.. وذلك أنهم إذا أنسوا البدعة واطمأنوا إليها، استهانوا بالسنة وأضاعوها..وما كذَّب أحد بحق إلا عوقب بتصديقه بباطل، وما ترك سنة إلا أحب بدعة (الدين الخالص) (هامش ٣٩٦ رقم ١).

(وقال) ابن الحاج فى المدخل: وليحذر مما يفعله بعض الناس ممن لا علم عنده، أو عنده علم وليس عنده معرفة بحكمة الشرع الشريف فى ألفاظه الجامعة للأسرار القلبية، لأن بعضهم يختارون لأنفسهم استخارة غير الاستخارة المتقدمة الذكر.. وهذا فيه ما فيه من اختيار المرء لنفسه غير ما اختاره له من أرحم به وأشفق عليه من نفسه ووالديه، العالم بمصالح الأمور- يعنى الدينية- المرشد لما فيه الخير والنجاح والفلاح ﷺ.

٢- استخارة السبحة[1]

(ويعملها) صاحب الحاجة أو تعمل له، وطريقتها أن يأخذ الشخص مسبحة فيتمتم عليها بحاجته ثم يحصر بعض حباتها بين يديه ويعدها.. (فإن) كانت فردية عدل عما نواه..(وإن) كانت زوجية اعتبر ما نواه خيراً وسار فيه.. ولعمرى ما الفرق بين هذه الطريق وما كان يتبع فى الجاهلية الأولى من إطلاق الطير فى الجو وهو ما سماه الشرع الشريف بالطيرة ونهى عنها.

٣- استخارة الفنجان

(ويعملها) عادة غير صاحب الحاجة.. ويقوم بعملها رجل أو امرأة (وطريقتها) أن يشرب صاحب الحاجة القهوة المقدمة إليه ثم يُكفئ الفنجان وبعد قليل يقدمه لقارئه وينظر فيه بعد أن أحدثت فضلات القهوة به رسوماً وأشكالاً مختلفة.. شأنها فى ذلك شأن كل راسب فى أى إناء إذا انكفأ..بل إن مجرد صب الماء على الأرض المتربة يحدث بها صوراً وأشكالاً هندسية وجغرافية يعجز عنها أصحاب الفن، فيتخيل ما يريد ثم يأخذ فى سرد حكايات كثيرة لصاحب الحاجة، فلا يقوم من عنده إلا وقد امتلأت رأسه بهذه الأسطورة.

(وبعضهم) يعتمد فى معرفة سارق الشيء على آخر يسمى (صاحب المندل) (وطريقته): أن يوضع الفنجان مملوءاً ماء على كف شخص مخصوص فى كفة تقاطيع مخصوصة.. ويكون ذلك فى يوم معلوم من أيام الأسبوع.. ثم يأخذ العراف فى التعزيم والهمهمة بكلام غير مفهوم.. وينادى بعض الجن ليأتوا بالمتَّهم السارق.. (وبعد) برهة تظهر خيالات فى الفنجان ذاهبة وآيبة فيوهم العرَّاف من حوله أن المتهم قد ظهر.

(١) قال فى (مختار الصحاح): السبحة بضم السين المشددة: خرزات يسبح بها.

(وبعضهم) يضع القلَّة على كف آخر ويتمتم بما شاء فيسير حامل القلة إلى مكان الشيء الضائع، فيتوهم الحاضرون أن عامل المندل يعلم ما خفى.. وهو بهتان عظيم..

ولعمرى إن كان هذا حقاً فلم أتعبت الحكومات أنفسهم فى معرفة المسروق وتبين الظالم من المظلوم ؟؟ ولِمَ لم تلجأ فى تبين حقائق الأمور إلى هؤلاء الدجالين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل؟؟ مع أن سيد الأنبياء ﷺ لم يَدَّعِ هذا المقام لنفسه.. بل كان يحكم بالظاهر ويكل السرائر إلى الله: ﴿**وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ**﴾ [الأعراف: ١٨٨]، (وعن) أم سلمة أن النبى ﷺ قال: «**إنما أنا بشر مثلكم وإنكم تختصمون إلىَّ، ولعلَّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضى على ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً، فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**» أخرجه الجماعة.

٤- استخارة الورق (الكوتشينة)

(وهى) لا تخرج عن سابقتها.. غير أن صاحب الحاجة يعطى ورقتين مصور فيهما رجل وامرأة فيسر إليهما ما يريد ثم يأخذهما الدجال، فيخلطهما بباقى الأوراق، ثم يأخذ فى رصِّها بطريقة فنية، فيصادف وجود رجل بجوار امرأة، أو وجود رجل أو امرأة فى طريق، أو وجود واحد منهما بجوار أوراق يرمز إليها بالمال أو الفرح، أو القضاء، أو إلى ذلك فيأخذ فى سرد ما يمليه عليه خياله، فلا يقوم الشخص من مقامه هذا إلا مقتنعاً بحقيقة ما يقول، وما هو إلا رجم بالغيب.

٥- استخارة الرمل

(وطريقتها) أن يخطط الشخص فى الرمل خطوطاً متقطعة ثم يعدها بطريقة حسابية معروفة لديهم، فينتهى منها إلى استخراج برج الشخص فيكشف عنه فى كتاب استحضره لهذا الغرض، فيسرد عليه حياته الماضية والمستقبلة.. وهذا الكلام بعينه الذى قيل له يقال لغيره ما دام برجاهما قد اتفقا..

(وأقول): هذا المشار إليه فى استخارة الرمل وبالنسبة لموضوع البرج.. (هو) نفسه الذى ينشر فى جميع الجرائد الصباحية تحت عنوان: حظك هذا اليوم.. (وبالطبع) هذا دجل ينبغى علينا أن لا نشارك فيه (وأعنى) بهذا أنه بمجرد قراءة برجك وانشغالك

به.. (فإن) هذا يعتبر مشاركة منك فى هذا الدجل.. (وإنه) قد ينطبق عليك الحديث الذى ورد (عن) صفية بنت أبى عبيد عن بعض أزواج النبى ﷺ قال: **«من أتى عرَّافاً فسأله عن شىء فصدَّقه لم تقبل منه صلاة أربعين يوماً»** رواه مسلم.

(وعن) ابن مسعود ﷺ قال: **«من أتى عرافاً أو ساحراً، أو كاهناً يؤمن بما يقول: فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»** رواه الطبرانى فى الكبير ورواته ثقات.

(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: رسول الله ﷺ **«من اقتبس علماً[1] من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد»** رواه أبو داود وابن ماجه.

٦- استخارة الودع

(لا تقوم) به إلا امرأة وهى تسمى فى العرف (بالغجريَّة) يخرج الإنسان من حافظته شيئاً من النقود ويسر بحاجته إلى ذكر الودع، ثم يطرحه على الودع فتأخذه بيديها وتلقيه على الأرض بعد خلطه. وهى فى الغالب تكون امرأة ذكية نابهة، لها فراسة خاصة فى ذوى الحاجات، فتسلك سبيلاً فى الكلام يتفق مع مزاج الشخص فيجيبها بالموافقة فتسمر فى طريقها، فلا يقوم من عندها إلا وهو مقتنع بصدقها، وبينها وبين الصدق كما بين السماء والأرض.

٧- استخارة الكف

(وهى) لا تخرج عن سابقتيها من جهة قوة فراسة قارئ الكف.. يساعده على ذلك اختلاف خطوط باطن الكف وما يستخلصه من ميول الشخص وموافقته له على بعض الأشياء (ولا شك) عندى وعند العقلاء أن جميع هذه الطرق من استخارة الفنجان حتى النهاية لا تخرج عن أنها نوع من التعريف المنهى عنه والذى يقول الرسول ﷺ فيه: **«من أتى عرافاً-أى ذهب إليه- فسأله عن شىء لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة»** أخرجه أحمد ومسلم عن حفصة، ويقول: **«من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ»** أخرجه أحمد والحاكم عن أبى هريرة بسند صحيح.

---

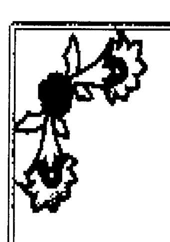
(١) يستدل به على الحوادث المستقبلة، (والشعبة) أى الطائفة والقطعة.

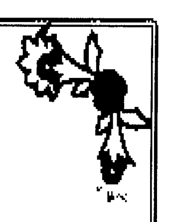
(وقد) قالت عائشة رضى الله عنها: من زعم أنه يعلم ما فى غد فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول: **﴿قُلْ لا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾** [النمل: ٦٥]. أخرجه ابن جرير الطبرى.

(ولا أدرى) بعد ذلك كيف يعكف الناس على أمثال تلك التراهات وهذه الأباطيل، معرضين عن هدى النبى محمد ﷺ وما جاء به.

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا..حتى لا يفعل غير الوارد الصحيح عن رسول الله ﷺ..

والله ولى التوفيق



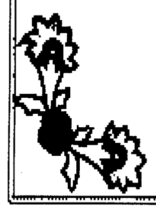


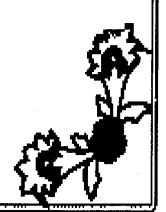
الوصية الثالثة والثمانون بعد المائة

• عن عمران بن حصين رضي الله عنهما أنه مر على قارئ يقرأ، ثم سأل، فاسترجع، ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

(مَنْ قرأ ٱلقرآنَ فليَسْأَلِ ٱللهَ به، فإنَّهُ سَيَجِئُ أقْوامٌ يُقْرَءُونَ ٱلقُرآنَ يَسْأَلُونَ بِهِ ٱلنَّاسَ).

رواه الترمذي وقال حديث حسن





فكن أخا الإسلام

من المؤمنين الذين يقرءون القرآن ويسألون الله تعالى به..حتى يكون القرآن شفيعاً لهم عند الله تعالى فيما يرجونه ويطلبونه..

(وقبل) أن أدور مع الأخ المسلم حول هذا المعنى الكريم المتعلق بشفاعة القرآن لنا إذا ما أحسنَّا قراءته وكنا من المتدبرين فى معانيه.. (فإننى) أرى أن أبدأ مع الأخ المسلم الحديث عن القرآن الكريم وأهم ما يتعلق به من أخبار.. وآداب..حتى تكون القراءة بعد ذلك أو مع ذلك على أساس من العلم والمعرفة بأهم أساسيات القرآن المتعلقة بتلاوته.. ومعرفة أحكامه..

وذلك من خلال ما جاء فى كتاب (مشكاة الواعظ) للأستاذ إبراهيم عبد الباقى..فلقد ذكر تحت عنوان:

القرآن الكريم

إن القرآن: هو كلام الله الذى أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين، أنزله- سبحانه- تأييداً لدعوته، وشاهداً بصدق رسالته فتحدَّى به العرب جميعاً، دعاهم بأمر الله تعالى فى آيات القرآن إلى المعارضة، وأغراهم بالمناهضة، فقال تعالى: ﴿**فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ**﴾ [الطور: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [البقرة: ٢٣].

فأنت ترى مع طول زمن التحدى و إمعانهم فى التكذيب، لم يستطيعوا أن يأتوا بشيء من مثله وقد كانوا أرباب الفصاحة والبلاغة يأبون الضَّيم، ويحرصون كل الحرص على التغلّب عليه، وإذا عجز العرب عن المعارضة كان غيرهم أشد عجزاً..قال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾ [الإسراء: ٨٨]، ثم يقول فى نفس المرجع: وهنا أنبه القارئ إلى أن إعجاز القرآن ليس فى فصاحته وبلاغته فقط، بل فى إخباره عن المغيبات والقرون السابقة، وفى تشريعه وغير ذلك، وبخاصة إذا كان من أُمِّيٍّ نشأ فى الصحراء، بين الصخور والجبال لا يقرا كتاباً، ولا يخط بيمين وليس عنده من وسائل العلم قليل ولا كثير.

(ويعجبني) ما وضعه أحد البلغاء عن القرآن بقوله:

إن أوجز كان كافياً، وإن أكثر كان مذكِّراً، وإن أمر فناصحاً، وإن نهى فمشفقًا، وإن حكم فعادلاً، وإن أخبر فصادقاً، وإن بيَّن فشافياً، ولا يمله قارئـه، ولا يمجـه سامعه، يزيد على الترديد حلاوة، وعلى التكرار طلاوة، وغيره يعـادى إذا أعيـد، ويُملُّ مع التكرار والترديد.ا.هـ.

(ثم) يقول بعد ذلك، تحت عنوان:

كيف نزل القرآن

لم يتزل القرآن جملة واحدة كسائر الكتب السماوية، بل نزل منجَّماً مفرقـاً فى خلال الثلاث والعشرين سنة لتيسير كتابته وحفظه.. قال تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾ [الفرقان: ٣٢].

وأقول: كان القرآن فى أول الأمر قد نزل به سيدنا جبريل فى ليلة القدر جملة واحدة من اللوح المحفوظ، ثم أودعه بعد ذلك فى السماء الأولى فى بيت العزة، ثم صار يتزل به بعد ذلك منجَّما، أى حسب الأحداث طوال مدة الرسالة[1]ـ

(وأول) آيات نزلت فيه قوله سبحانه: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ١-٥].

(وخاتمته) قوله تعالى: ﴿**وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ**﴾ [البقرة: ٢٨١].

(وما يقوله) المفسرون من أن آخر آية نزلت هى: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِيناً**﴾ [المائدة:٣]: قول ضعيف..(والحق) أنها آخر ما نزل من آيات الأحكام.

(وعدد) سوره: مائة وأربع عشرة سورة، (وقد) نزل منها بمكة قبل الهجرة ستُّ وثمانون سورة، والباقى بعد الهجرة بالمدينة وأكثرها من السور الطِّوال، كانت تـتزل منه الآية والآيتان، وما هو أكثر من ذلك، وقد تتزل السورة بتمامهـا، إذا لم تكـن طويلة، ومن هذا: فاتحة الكتاب، وسورة الإخلاص.

(١) كما جاء فى جميع مراجع التفسير..التى منها القرطبى وابن كثير...إلخ.

وكان ﷺ كلما نزلت آية يأمر كتّاب الوحى بكتابة ما يترل وقت نزوله، كما كان يستحفظ أصحابه إياها فيحفظونها من فورهم، ثم يتلون أمامه ما حفظوا ليتثبتوا من حفظه على ما سمعوا منه ﷺ، وكان يعلمهم مواضع الآيات من السور، ويقرأون أمامه على ما رتّب وعلّم، وقد ثبت أنه ﷺ عرض القرآن بعد تمامه عرضتين على جبريل، ثم قرأه عليه أصحابه بعد ذلك على الترتيب الذى نحن عليه.

(هذا): ولم يجاور الرسول ﷺ ربه حتى كان القرآن كله مكتوباً ويحفظه العدد الكثير من أصحابه.

(وكانت) الكتابة على عُسُب[1] النخيل، والرقاع [2]، واللّخاف[3]..

(ومن) كتّاب الوحى: زيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبى بن كعب، وعبد الله ابن سلام، وعلى بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبى سفيان، وعبد الله ابن مسعود وغيرهم- عليهم جميعًا رضوان الله.

(وقد) جاء أيضًا فى نفس المرجع، تحت عنوان:

جمع القرآن وتدوينه فى صحف

(أن) القرآن كان محفوظاً فى الصدور مكتوباً فى الرقاع وغيرها فى عهد الرسول ﷺ وفى صدر خلافة أبى بكر-رضي الله عنه- (ولما) رأى عمر- عليه رضوان الله- أنّ حفّاظه عرضة للفناء لتهافُتهم على القتال -فى سبيل الله-طلب إلى أبى بكر أن يجمعه فى صحف من المكتوب والمحفوظ، فتوقّف أبو بكر، ثم شرح الله صدره، فجمع الحفظة المشهود لهم بالإتقان، فأخذوا يراجعون المكتوب على المحفوظ فلم يجدوا إلا آيتين محفوظتين، وليستا مكتوبتين: الأولى قوله تعالى﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**﴾ [التوبة١٢٨].

والثانية قوله تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٢٣]. (ولكنهم) وجدوا الأولى عند (أبى خزيمة الأنصارى) والثانية عند (خزيمة بن ثابت) فكتبوا القرآن على الترتيب والضبط اللذين تلقوهما عن رسول الله ﷺ، ووضعت الصحف عند أبى بكر، وبعده وضعت عند أم المؤمنين حفصة بنت عمر، رضى الله عنهم أجمعين.

---

(١) العسب: جمع عسيب وهو مالا ينبت عليه الخوص.
(٢) الرقاع: جمع رقعة..وقد تكون من جلد أو ورق.
(٣) اللخاف: جمع لخفة-بالفتح-وهى صفائح الحجارة.

(ثم)يقول تحت عنوان:

جمع القرآن فى مصاحف (المصحف الإمام، أو مصحف عثمان)

(أنه) فى نحو الثلاثين من الهجرة فى خلافة سيدنا عثمان ﷺ فتحت أرمنية وآذربيجان بعد أن استشهد الكثيرون من أصحاب رسول الله ﷺ، واستقر الأمر على رأى عثمان ﷺ أن ينسخ من الصُّحف التى كتب فيها القرآن مصاحف باستشارة الصحابة ويرسلها فى الآفاق، فبعث إلى السيدة حفصة رضى الله عنها أن أرسلى إلىَّ الصُّحف التى عندك حتى لا يقع فى القرآن زيادة ولا نقص، ولا تبديل فى آيات، ولا تغيير فى ترتيبه، ثم ترد الصحف إليك، فأرسلت الصحف إليه..فأمر زيد بن ثابت- وهو أحد الجامعين للقرآن فى عهد أبى بكر- وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها فى المصاحف.

ثم ردَّ عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل مصر[1] مصحفاً، فأرسل إلى مكة والكوفة والبصرة، ودمشق، وأبقى بالمدينة مصحفاً، وأمر بما سواه أن يحرق مما كان مشهوراً بين الصحابة: من مصحف على، ومصحف ابن مسعود.

(هذا)، وقد اشتهر ما كتب بأمر عثمان: بالمصحف الإمام، أو مصحف عثمان، وهو المعروف فى كلامنا الآن بالمصحف العثمانى، نسبة إلى عثمان ﷺ..ا.هـ باختصار.

(وقد) قرأت كذلك فى كتاب:

(كيف نتأدب مع المصحف[2]).للأستاذ محمد فرج فرجانى..

(أكرمه الله).تحت عنوان:

المصحف الشريف بالأرقام

(فقد) ذكر أن:

عدد سور المصحف: ١١٤سورة.

وعدد أجزائه: ٣٠جزءاً والجزء حزبان.

وعدد أحزابه: ٦٠ حزباً والحزب ٤ أرباع

وعدد أرباعه: ٢٤٠ ربعاً.

---

(١) أى: من الأمصار الإسلامية التى دخلها الإسلام.

(٢) طبعة دار الاعتصام.

وعدد آياته: ٦٢٣٦.

وعدد آياته المكية: ٤٤٧٥.

وعدد آياته المدنية: ١٧٦١.

وأن ابتداء نزول القرآن[١] هو ليلة ١٧ من شهر رمضان.

وأن مدة النزول فى مكة: ١٢ سنة، وخمسة أشهر، وثلاثة عشر يوماً.

وأن مدة النزول فى المدينة: تسع سنوات، وتسعة أشهر، وتسعة أيام.

وأن انتهاء النزول هو قرب وفاة النبى ﷺ.

(هذا)، وإذا كان لى أن أعود بعد ذلك إلى نص الوصية التى ندور حولها، والتى يوصينا فيها النبى ﷺ بأن نقرأ القرآن ونسأل الله تعالى به..

أى: لكى يكون شفيعاً لنا عند الله فيما نرجوه ونطلبه..(فإننى) أرى أن أذكّر الأخ المسلم.. بأنه إذا كان إن شاء الله سينفذ ما أوصانا به الرسول ﷺ- بعد أن وقف معى على أهم ما يتعلق بالقرآن ونزوله وجمعه...إلخ-فإنه ينبغى عليه أن يلاحظ شيئاً هامّاً..وهو:

حُسن التلاوة

(وقد) اختلف العلماء فى التطريب فى القراءة والترجيع فيها[٢]، فمنهم من أنكر ذلك كالإمام مالك بن أنس، وسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والقاسم بن محمد، والحسن، وغيرهم.

وكرهه أحمد بن حنبل، كما كرهه مالك رحمهم الله.

(وأجاز) ذلك طائفة، منهم: أبوحنيفة وأصحابه، والشافعى وأصحابه، وابن المبارك، واختاره الطبرى وابن العربى، وغيرهما..واحتجوا بقوله عليه الصلاة والسلام: **((زينوا القرآن بأصواتكم))** رواه البراء ابن عازب، أخرجه أبو داود والنسائى وابن ماجه.

وبقوله ﷺ: **((ليس منّا من لم يتغنَّ بالقرآن))** أخرجه مسلم..

---

(١) أى: منجماً حسب الأحداث. (ونزل) جملة واحدة من اللوح المحفوظ- ثم أودع فى بيت العزة فى السماء الأولى- فى ليلة القدر وهى على الأرجح ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك.

(٢) كما جاء أيضاً فى كتاب(مشكاة الواعظ) ص١٩ وما بعدها، بتصرف يسير..

(وهى) أن قراءة النبى ﷺ لم تكن تطريباً ولا ترجيعاً، وإنما كانت مدّاً.

(وأما) ما احتج به المخالف من قوله ﷺ: **((زينوا القرآن بأصواتكم))** فليس على ظاهره، وإنما هو من باب المقلوب، أى [زينوا أصواتكم بالقرآن] وقالوا: هو من باب المقلوب كما قالوا: عرضت الحوض على الناقة، وإنما هو: عرضت الناقة على الحوض.

(ثم) يقول: وهذا هو المعقول والأقرب إلى الصواب: ومعاذ الله أن يتأول على رسول الله ﷺ من أن القرآن يزيَّن بالأصوات، أو بغيرها.. (فمن) تأول هذا فقد أساء الفهم وأتى أمراً عظيماً حيث أنه يُحوِج القرآن إلى ما يزينه..

ثم أخذ يقيم الأدلة على صحة القول (الأول) منها: أن معنى يتغنى به، يتحزَّن. أى: يظهر على قارئه الحزن الذى هو ضد السرور عند تلاوته، وليس من الغنية، لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغانَّى به، و لم يقل يتغنَّى به وهو قول الليث بن سعد، وأبى عبيد، ومحمد ابن حبان.. (واحتجوا) بما رواه مطرق بن عبد الله بن الشِّخِّير عن أبيه قال: (رأيت رسول الله ﷺ يصلى وبصدره أزيز[1])

وقيل: إن معنى يتغنى به يستغنى به من الاستغناء الذى هو ضد الافتقار لا من الغناء.

يقال: تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت، قال الجوهرى: تغنى الرجل بمعنى استغنى كما قال الشاعر:

كلانا غنى عن أخيه حياته ... ونحن إذا متنا أشد تغانيا

(وإلى) هذا التأويل ذهب سفيان بن عيينة، ووكيع بن الجراح، ورواه سفيان بن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه.

(ثم) يقول: ومما يؤسف له أشد الأسف أنه دار حديث فى ندوة اجتمع فيها عدد من الناس، فسئل أحد القراء المشهورين: هل يجوز أن يلحِّن القرآنَ محمد عبد الوهاب؟

فكان جواب القارئ: نعم يجوز !وإن هذه الفتوى –بالإضافة إلى أنها سقطة له لتكبُّ صاحبها– وكل من وافقه عليها وأيده فيها– فى النار..قال رسول الله ﷺ: **((أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار)).**

(١) أى: كأزيز المرجل..كما ورد فى الحديث.

(ألا) فليجبنى صاحب هذه الفتوى التى جعلت كتاب الله ألعوبة فى أيـدى الملحـنين يسيرونه على ما تهواه أنفسهم ويوافق أمزجة المستمعين: هل محمد عبد الوهاب- أو غيره- تعلم علم القراءات حتى يعطى كل حرف حقه من المدِّ وغيره؟!

كانت هذه الفتوى فى ٥رمضان سنة ١٣٨٤هـ.

(ثم) يقول تحت عنوان:

آداب التلاوة

(حيث)يقول: فمن حُرمة القرآن أن لا يمسَّه إلا طاهر.. (نعم) يُغتفر للذى يلازم القراءة أن يمسه إذا كان غير متوضئ- وكذلك بالنسبة لمعلم الصبيان- وأما القـراءة فتجوز مع الحدث الأصغر فقط لا فى الجنابة ولا فى الحيض ولا فى النفاس.

(ومن) حرمته أيضاً: أن يؤدى لكل حرف حقه من الأداء حتى يبرز الكلام باللفظ تماماً، فإن له بكل حرف عشر حسنات.

(ومن) حرمته إذا انتهت قراءته أن يصدق ربه- أى: أن يقول: صدق الله العظيم، أو يقول: آمنت بما أنزل الله ويشهد بالبلاغ لرسوله ﷺ، ويشهد على ذلـك بأنـه حق، فيقول: صدقت ربَّنا وَبلَّغَتْ رسُلُك، ونحن على ذلك من الشـاهدين، اللـهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط.ثم يدعو بما يشاء.

(ومن) حرمته أن لا يلتقط الآى من كل سورة فيقرأها، فإنه روى لنـا عـن رسول الله ﷺ أنه مر ببلال وهو يقرأ من كل سورة شيئاً فأمره أن يقـرأ السـورة كلها، أو كما قال عليه السلام.

(ومن) حرمته: أن لا يضع فوقه شيئاً، وأن لا يمحوه من اللوح ببصاق، ولكـن يغسله بالماء.

(ومن) حرمته: ألا يقرأ فى الأسواق ولا فى مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء، ولا فى العربات، ولا على عتبات البيوت.

(ومن) حرمته أيضًا: أن لا يحلَّى بالذهب ولا يكتب بالذهب، فتختلط به زينـة الدنيا، كما أنه لا يكتب على الأرض ولا على الحائط.

(ومن) حرمته أيضًا: أن لا يدخل به الخلاء[1] - إلا إذا خاف عليه من الضـياع وكان فى حرز أمين-

---

(١) أى: المرحاض..كما نسميه.

(هذا)، وإذا كان لى أن أعود بعد ذلك إلى المراد من قول الرسول ﷺ فى نص الوصية: «**فإنه سيجىء أقوام يقرأون القرآن يسألون به الناس**»: أى: أنه جعل قراءته مقدمة سؤال الناس ليعطفوا عليه.. (فإن) هذا الفعل يعتبر إهانة للقرآن وأهله.. (بل) ويعتبر مصيبة...

(ولهذا) فإن عمران بن حصين رضى الله عنهما عندما مر على قارئ يقرأ القرآن ثم سأل الناس.. (استرجع) أى قال: ﴿ **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ** ﴾ [البقرة:١٥٦]، وذلك لأن قارئ القرآن ينبغى أن يسأله الناس..لا أن يَسأل هو الناس..

(وقد) قرأت نصًّا جاء فيه: (حامل القرآن حامل لواء الإسلام..فلا ينبغى أن يكون حامل القرآن محتاجاً للناس..بل ينبغى أن تكون حوائج الناس كلها إليه).

(وعن) عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال: «**من قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد عظَّم ما صغَّر الله، وصغَّر ما عظَّم الله، وليس ينبغى لحامل القرآن أن يسفَّه فيمن يسفَّه، أو يغضب فيمن يغضب، أو يحتد فيمن يحتد، ولكن يعفو ويصفح لفضل القرآن**».أخرجه الطبرانى.

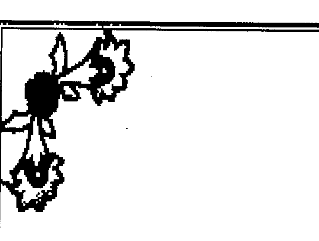
(وكان) الإمام أبو عبد الرحمن السلمى إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه، ووضع يده على رأسه وقال له: يا هذا اتق الله فما أعرف أحداً خيراً منك إن عملت بما علمت.

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا وينفذ المراد منه.. حتى يثاب على هذا.. إذا ما سأل الله تعالى خيراً بعد تلاوته القرآن قراءة صحيحة على أساس من الخشوع والتدبر..

(وليحذر) أن يسأل الناس بالقرآن بتلك الصورة المزرية التى نراها- من جانب هؤلاء الشحاذين- الذين يبيعون القرآن بثمن بخس فى بعض الأماكن العامة، وأمام بعض المساجد.. وعند المقابر ولا سيما فى تلك المناسبات التى ابتدعوها.. والتى لا تمت إلى زيارة المقابر بصلة.. بل ولا تنفع الأموات بشىء .. وإنما الذى سينتفعون به هو ما قدموه من أعمال صالحة..

قال تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى..**﴾ [النجم: ٣٩].

والله ولى التوفيق



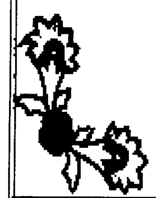
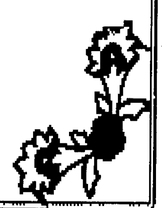

الوصية الرابعة والثمانون بعد المائة

• عن معقل بن يسار رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

(قَلْبُ ٱلقُرآنِ يسٓ لَا يَقْرؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ ٱللهَ وَٱلدَّارَ ٱلآخِرَةَ إِلَّا غَفَرَ ٱللهُ لَهُ، اقْرَءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ).

رواه أحمد وأبو داود والنسائي واللفظ له.

وابن ماجه والحاكم وصححه.

فكن أخا الإسلام
منفذاً للمراد من هذه الوصية..

(وذلك) بالإكثار من تلاوة سورة يس~ التى هى قلب القرآن.. والتى لا يقرؤها رجل – أو امرأة- يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له..كما قال الرسول ﷺ فى نص الوصية.. (ولهذا) فإنه حسبك بسبب قراءتك لها أن تفوز بمغفرة الله لك..لأن هذا سيكون معناه.. أن الله تبارك وتعالى قد تجاوز عن سيئاتك.. وأراد لك أن تكون من أهل المغفرة المشار إليهم فى قوله تعالى: **﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ۝ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ۝ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ۝ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾** [آل عمران: ١٣٢-١٣٦].

وقال تعالى فى سورة الحديد الآية ٢١: **﴿ سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾**.

(ففى) هذين النصين القرآنيين يأمرنا الله تبارك وتعالى بأن نسارع بطلب المغفرة من الله تبارك وتعالى..

(وذلك) بالإكثار من الاستغفار –الذى معناه هذا– لأن الاستغفار من أهم أسباب الأمن والأمان فى الدنيا والآخرة..

(وقد) قرأت نصّاً جاء فيه: كان فى الأرض أمانان من عذاب الله تعالى..رُفِعَ أحدهما وبقى الآخر..أما الذى رفع فهو رسول الله ﷺ..

وأما الذى بقى فهو الاستغفار..ثم استدل قائل هذا النص بقول الله تبارك لحبيبه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه: **﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾** [الأنفال: ٣٣].

(كما) ورد فى السنة الشريفة ما يرغب فيه:

(فعن) الأغرِّ المزنى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ((**إنه ليغان[1] على قلبى وإنى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة**)).رواه مسلم.

(وعن) أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة**)) رواه البخارى.

(وعن) أبى هريرة-أيضاً- قال: قال رسول الله ﷺ: ((والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله تعالى بكم ولجاء بقوم يُذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم)) رواه مسلم.

(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: كنا نعد لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرة: ((**رب اغفر لى وتب على إنك أنت التواب الرحيم**)) رواه أبو داود والترمذى وقال حديث حسن صحيح.

(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: ((**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضِيق مخرجاً، ومن كل هَمٍّ فرجاً، ورزقة من حيث لا يحتسب**)) رواه أبو داود.

(وعن) شداد بن أوس ﷺ عن النبى ﷺ قال: ((**سيد الاستغفار، أن يقول العبد: اللهم أنت ربى لا إله إلاّ أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شر ما صنعتُ، أبوء لك[2] بنعمتك علىَّ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنتَ؛ من قالها فى النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يُمسىَ فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة**)) رواه البخارى.

(وهناك) حديث شريف وقدسى أيضا فى نفس الوقت..أحب أن أذكِّر به الأخ المسلم حتى لا ييأس من رحمة الله تعالى:

(فعن) أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((**قال الله تعالى: يا ابن آدم: إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى.**

(١) أى: غطى عليه (مختار الصحاح).
(٢) أى: أعترف لك.

يا ابن آدم: لو بلغت ذنوبك عَنان[1] السماء ثم استغفرتني غفرت لك.

يا ابن آدم: إنك لو أتيتنى بقُراب[2] الأرض خطايا ثم لقيتنى لا تشرك بى شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرةً» رواه الترمذى وقال حديث حسن.

(ولابد) أخا الإسلام أن تكون قد لاحظت ما أشار إليه رب العزة فى ختام الحديث وهو قوله: **«لا تُشْرِكْ بي شَيْئاً»** (وذلك) لأن الله تعالى يقول:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً﴾ [النساء: ٤٨].

(مع) ملاحظة أن الشرك الأكبر هو: عدم إفراد الله تعالى بالعبادة.. أى: أن المشرك هذا يعبد مع الله تعالى غيره.. (مع) أنه لا معبود بحق إلا الله..

(وهذا) هو المعنى المراد من كلمة التوحيد، وهى: (لا إله إلا الله) أى: لا معبود بحق إلا الله.. (ولهذا) فإنه حسبك أن تموت على التوحيد الخالص.. بالإضافة إلى حبك الصادق لرسول الله ﷺ..

كما يشير أحدهم إلى هذا فى قوله:

يا رب إن ذنوبى فى الورى كثُرت ... وليس لى عمل فى الحشر ينجينى

وقد أتيتُك بالتوحيد يصحبه ... حبُّ النبى وهذا القدر يكفينى

(وهناك) تحذير آخر لابد وأن أذكِّرك به.. وهو الشرك الأصغر – وهو – الرياء – المشار إليه فى قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ [3] عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ [4] فَتَرَكَهُ صَلْداً [5] لا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا [6] وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾** [البقرة: ٢٦٤].

---

(١) عَنان السماء بفتح العين: قيل هو السحاب، وقيل: هو ما عَنَّ لك منها أى ظهر.
(٢) وقُراب الأرض بضم القاف وروى بكسرها والضم أشهر: وهو ما يقارب ملأها.
(٣) الصفوان: حجر أملس.
(٤) والوابل: أى المطر الشديد.
(٥) والصلد: أى الصلب الأملس.
(٦) أى: لا يجدون له ثواباً فى الآخرة كما لا يوجد على الصفوان شىء من التراب لإذهاب المطر إياه.

(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رجل: يا رسول الله إنى أقف الموقف أريد وجه الله وأريد أن يُرى موطنى[1].فلم يرد عليه رسول الله ﷺ حتى نزل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ رواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين.

(فليذكر) الأخ المسلم كل هذا حتى يكون إن شاء الله تعالى من المنفذين للمراد منه..

وحتى يكون أهلاً لمغفرة الله تبارك وتعالى الذى يقـول: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ﴾ [الكهف: ٥٨] : (وإذا)كان النبى ﷺ قد أشار فى أول الوصية التى ندور حولها..

إلى أهم خصائص هذه السورة، وهى سورة يس..

(فقد) قال ابن كثير كذلك مشيراً إلى بعض الخصائص الأخرى: ولهذا قال بعض العلماء: من خصائص هذه السورة أنها لا تقرأ عند أمر عسير إلا يسَّره الله تعالى، وأن قراءتها عند الميت- أى عند الاحتضار- لتترل الرحمة والبركة، وليسهل عليه خروج الروح والله تعالى أعلم.

(وهذا) هو ما أشار إليه الرسول أيضا فى ختام الوصية: **((اقرءوها على موتاكم))**: قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان قال: المشيخة يقولون: إذا قرئت يعنى يس عند الميت خفف الله عنه بها.

(وروى) عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن لكل شئ قلبـاً، وقلـب القرآن[2] يس، ومن قرأ يس كتب الله بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات))**.

زاد فى رواية: **((دون يس))** رواه الترمذى وقال حديث غريب.

(وعن) جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غُفر له))** رواه مالك، وابن السني، وابن حبان فى صحيحة.

(فعلى) الأخ المسلم أن يلاحظ كل هذا بالنسبة لنفسه حتى لا يحرم من كل هـذا الخير الذى أهمه المغفرة (وأيضا) بالنسبة لأخيه المحتضر..

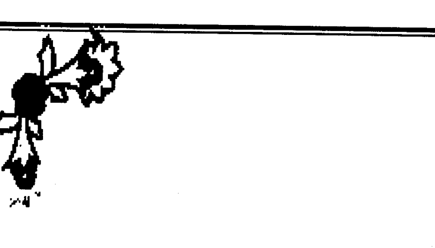
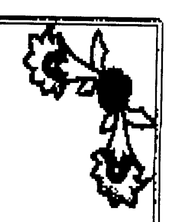
وذلك بقراءة سورة يس بجواره حتى تُسهّل خروج الروح.. وهذا هو المراد الذى أرجو أن يقتنع به.. لأنه لم يثبت أن النبىﷺ قرأ قرآناً عند القبور.. ولكن كل مـا ثبت عنه هو الدعاء .. فالخير كله فى الإتباع والشر كله فى الابتداع.

والله ولى التوفيق

---

(١) الموطن: المشهد من مشاهد الحرب.

(٢) أى أنها منه بمترلة القلب للحيوان، والقلب أمير البدن وأشرف عضو فيه.

الوصية الخامسة والثمانون بعد المائة

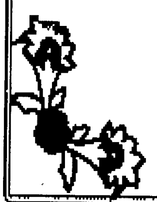
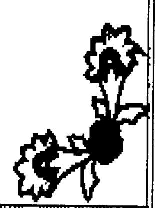
• عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال:

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو مرعوب، فقال:

(أَطيعُوني مَا كُنتُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، أَحِلُّوا حَلالَهُ، وَحَرِّموا حَرَامَهُ).

رواه الطبراني في الكبير، ورواته ثقات.

فكن أخا الإسلام

منتفعاً بهذه الوصية العظيمة التي يوصينا فيها الرسول ﷺ -كمؤمنين صادقين- بأن نطيعه ما دام بين أظهرنا.. أي: ما دام موجوداً بيننا بجسده وروحه- أو بهديه وأنواره وتعاليمه إذا ما رحل عنا إلى جوار ربه ما دامت هناك حياة على وجه الأرض- (وذلك) لأن طاعته صلوات الله وسلامه عليه تعتبر طاعة لله تبارك وتعالى..

ففي القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى:﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر: ٧].

ويقول:﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً**﴾ [النساء: ٨٠].

ويقول: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ۝ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيماً**﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

(وعن) جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم: «**إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا، إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان.فقالوا:**

مثله مثل رجل بنى داراً، وجعل فيها مأدبة، وبعث داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة[١]**، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدُبة، فقالوا: أوِّلوها**[٢] **له يفقهها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: فالدار الجنة، والداعي محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فرَّق بين الناس**[٣]» رواه البخاري.

---

(١) أي: طعام صنع لوليمة أو عرس وهي بالضم والفتح.
(٢) وأولوها أي فسروها وبينوا ما تؤول إليه.
(٣) أي: فرق بين مطيعهم وعاصيهم.

(قال) البخاري: في باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ وقول الله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**﴾ [الفرقان: ٧٤] قال: أئمة نَقْتدى بمن قبلنا، ويَقْتدى بنا مَنْ بعدنا.

وقال ابن عون: ثلاث أحبهن لنفسي ولإخواني: هذه السنة أن يتعلموها ويسألوا عنها، والقرآن أن يتفهموه ويسألوا الناس عنه ، ويدَعَوا الناسَ إلا من خير، ا.هـ.

(وعلى) هذا، فإنه حسبنا أن نقف على هذا الحديث الذى يقول فيه العرباض ابن سارية رضي الله عنه : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب. فقال قائل: يا رسول الله: كأن هذه موعظة مودِّعٍ فماذا تعهد إلينا[1]؟

فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً**[2]، **فإنه مَنْ يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلَّ محدثةٍ بدعة، وكل بدعة ضلالة**». أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم وصححه والبيهقى والترمذى، وقال حسن صحيح.

(فليفهم) الأخ المسلم المراد من كل هذا التذكير حتى يكون- بسبب تنفيذه له-إن شاء الله من أهل الجنة ومن الذين سيأكلون من المأدبة.. (وهناك) مأدبة أخرى لابد وأن نحرص كل الحرص على أن نكون من المتزوِّدين منها ما حيينا..

(ألا) وهى مأدبة القرآن الذى لابد وأن نُحِل حلاله، ونُحرم حرامه-كما أوصانا النبى ﷺ - (وذلك) بالحرص على مُدارسة القرآن فى مجالس العلم النافع.. ولله در من قال:

ولولا العلم ما سعدت نفوس ... ولا عُرِفَ الحلالُ من الحرام

(١) أى: بماذا توصينا.

(٢) أى: وإن تأمَّر عليكم عبد..

(وقد) ورد الترغيب فى هذا:

(فعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: «**من نفَّس عن مؤمن كُربةً من كُرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر يسَّر الله عليه فى الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه..ومن سلك طريقاً يطلب فيه علماً سهَّل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفَّتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطَّأ به عمله لم يُسرع به نسبه**» رواه مسلم بهذا اللفظ.

(ومعنى) (أحلوا حلاله، وحرموا حرامه): أى: أحلوا ما أحل الله فى قرآنه، وحرموا ما حرم الله فى قرآنه...

(وفى) القرآن الكريم يقول تبارك وتعالى: ﴿**وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]...

وقد ورد فى الحديث:

(عن) أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، وأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾** [المؤمنون: ٥١]. **وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾** [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرامُ، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغُذِىَ بالحرام فأنَّى يستجابُ له**» رواه مسلم.

(وعن) أبى عبد الله النعمان بن بشير رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهنَّ كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه،**

ألا وإن لكلِّ ملك حمىً، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن فى الجسد مضـــغةً إذا صلحت صلح الجسَد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله: ألا وهى القلب» رواه البخارى ومسلم.

(وقد) علق الإمام النووى-فى الأربعين النووية- على هذا الحديث الأخير بكلام هام أرجو أن ينتفع به الأخ المسلم..فقال:

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمـــور مشتبهات..إلخ»**:

اختلف العلماء فى حدِّ الحلال والحرام:

فقال أبو حنيفة رحمة الله: الحلال ما دلَّ الدليل على حلّه.

(وقال) الشافعى رضي الله عنه : الحرام ما دلَّ الدليل على تحريمه.

«وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: وبينهما أمور مشتبهات»: أى بين الحـــلال والحرام أمور مشتبهة بالحلال والحرام، فحيث انتفت الشبهة انتفت الكراهة وكـــان السؤال عنه بدعة، وذلك إذا قدم غريب بمتاع يبيعه فلا يجب البحث عن ذلك بل ولا يستحب، ويكره السؤال عنه..

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: **« فمن اتقى الشبهات فقـــد اســـتبرأ لدينـــه وعرضه»**: أى طلب براءة دينه وسلم من الشبهة، وأما براءة العـــرض فإنـــه إذا لم يتركها تطاول إليه السفهاء بالغيبة ونسبوه إلى أكل الحرام فيكون مدعاةً لوقوعهم فى الإثم، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: **«من كان يؤمن بالله واليـــوم الآخر فلا يقفنَّ مواقف التُّهم»**.

(وعن) على رضي الله عنه قال: (إياك وما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كـــان عنـــدك اعتذاره، فَرُبَّ سامعٍ نُكْراً لا تستطيع أن تُسمعه عذراً)،

(وفى) صحيح الترمذى أنه عليه الصلاة والسلام قال: **«إذا أحدث أحـــدكم فى الصلاة فليأخذ بأنفه ثم لينصرف»**، (وذلك) لئلا يقال عنه أحدث.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام**»: يحتمل أمرين:

أحدهما: أن يقع فى الحرام وهو يظن أنه ليس بحرام.

والثانى: أن يكون المعنى قد قارب أن يقع فى الحرام.. كما يقال: المعاصى بريد الكفر، لأن النفس إذا وقعت فى المخالفة تدرَّجت من مفسدة إلى أخرى أكبر منها، قيل: وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٢]: يريد أنهم تدرَّجوا بالمعاصى إلى قتل الأنبياء.

(وفى) الحديث: «**لعن الله السارق: يسرق البيضة فتقطع يده، ويسرق الحبل فتقطع يده**»: أى يتدرج من البيضة والحبل إلى نصاب السرقة.

(والحمى) ما يحميه الغير من الحشيش-الأخضر[1]- فى الأرض المباحة، فمن رعى حول الحمى يقرب أن تقع فيه ماشيته، فيرعى فيما حماه الغير، بخلاف ما إذا رعى إبله بعيداً من الحمى..

(ثم) يقول: واعلم أن كل مُحَرَّم له حمى يحيط به. فالفرج محرم وحماه الفخذان لأنهما جعلا حريماً للمحرم، وكذلك الخلوة بالأجنبية حمى للمحرم.. فيجب على الشخص أن يجتنب الحريم والمحرم..

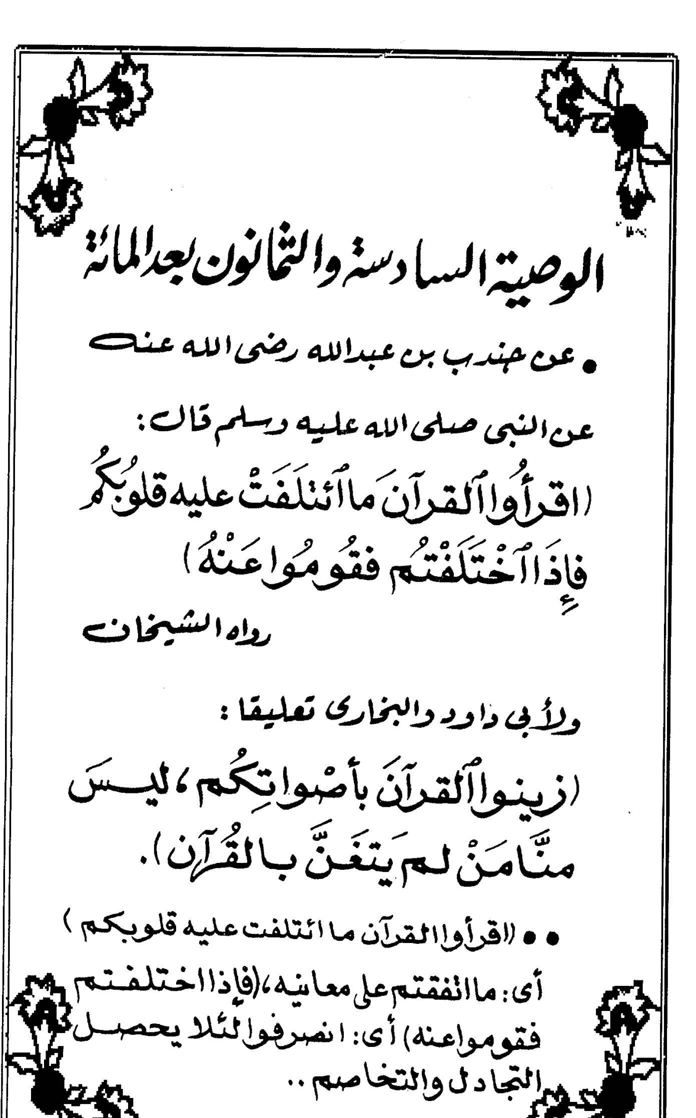
فالمحرم حرام لعينه، والحريم محرم لأنه يتدرج به إلى المحرم.

(فعلى) الأخ المسلم أن يكون على علم بكل تلك الأساسيات.. حتى ينفذ الحلال الثابت فى القرآن، وهو الطيبات.. ويجتنب الحرام الثابت فيه كذلك -وهو الخبائث- و(حتى) يكون إن شاء الله من أهل القرآن: الذين أحلوا حلاله وحرَّموا حرامه. كما أوصاهم النبى ﷺ..

(وبهذا) أيضاً سيكون القرآن حجة لهم لا عليهم..

والله ولى التوفيق

(١) أى: الذى ترعاه الأنعام...



الوصية السادسة والثمانون بعد المائة

• عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(اقرَأُوا ٱلقرآنَ ما ٱئتلفتْ عليه قلوبُكُم فإذا ٱخْتَلَفْتُم فقُومُوا عَنْهُ)

رواه الشيخان

ولأبي داود والبخاري تعليقا:

(زينوا ٱلقرآنَ بأصْواتِكُم، ليس منَّا مَنْ لم يَتغَنَّ بالقُرآن).

•• (اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم)

أي: ما اتفقتم على معانيه، (فإذا اختلفتم فقوموا عنه) أي: انصرفوا لئلا يحصل التجادل والتخاصم..

فكن أخا الإسلام

من المنفذين للمراد من هذه الوصية العظيمة التى يوصينا فيها الرسول ﷺ بضرورة أن لا نقرأ القرآن إلا إذا كنا -كمؤمنين- على ائتلاف قلبىٍّ يكون معناه أننا سنعيش مع القراءة بكل مشاعرنا..

ونحن نحرص كل الحرص على أن نكون من أولى الألباب الذين يجتهدون فى فهم المراد من تلك الآيات التى نتلوها..

وبدون خلاف حول معنى من المعانى أو كلمة من الكلمات التى قد لا نفهم المراد منها.. إن النبى ﷺ يوصينا بأن لا نختلف حول أمر كهذا لدرجة قد تصل إلى التجادل أو التخاصم..

(فإذا) وصل الأمر إلى هذا الحد الذى لا يتفق مع جلال القرآن..

فلنقم عنه..حتى تتهيأ النفوس بعد ذلك للقراءة الصحيحة البعيدة عن الجدل والخصام.. ونفوسنا منشرحة له أى لقراءة القرآن الذى هو كلام الله عز وجل.. والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

(ولتكن) العودة إلى القراءة بعد الاطلاع - فى المراجع التفسيرية- على موضوع الخلاف الذى أدَّى إلى قيامنا قبل هذا من مجلسه..والله تعالى يقول:

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩]: أى: ردوه إلى القرآن والسنة..

فتلك هى حكومة المؤمنين التى تقطع نزاعهم وتزيل تفرقهم..ولذا قال بعد: **﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾** [النحل: ٤٣] كما يقول سبحانه وتعالى: **﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** [النحل: ٤٣]، وهذا معناه كذلك أننا إذا لم نستطع الوصول باجتهادنا إلى معرفة ما يتعلق بأصول الخلاف.. فلنسأل العلماء المتخصِّصين فى هذا العلم الذى اختلفنا فيه..والذى قد يكون تفسيراً، أو مصطلحا فى الحديث ...إلخ...

(وقد) يكون موضوعاً دنيوياً لا صلة لنا بأبعاده.. (وقد) قرأت توضيحاً لهذا أن

رجلاً ذهب إلى أحد العلماء المتخصصين فى علوم القرآن فقال لـه: إن الله تعالى يقول﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، فهل تستطيع أن تأتينى بنص من القرآن يخبر الله تعالى فيه بعدد الأرغفة التى من الممكن إنتاجها من أردب قمح[1]؟ فقال نعم..(ثم) بعد ذلك اتصل العالم هذا بالمسئول عن المطاحن والمخابز- تليفونياً- فسأله فى تخصصه..ثم بعد ذلك أخبر السائل بالإجابة..

فتعجب السائل ثم قال له: وكيف عرفت هذا؟ قال من كتاب الله لأن الله تعالى يقول ﴿فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وأنا قد سألت أهل الذكر..

(فهكذا) يكون الانفتاح على القرآن بهذا الأسلوب العصري الذى من الممكن أن يكون مثلاً لنا فى جميع الأمور التى نريد أن نصل فيها إلى الإجابة القاطعة التى لا تدع مجالاً للشك..

(وقد) كان الإمام على كرم الله وجهه يقول: (احفظوا عنى خمساً، لو شددتم إليها المطايا، لم تظفروا بمثلها، ألاَ لاَ يرجون أحدكم إلا ربَّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه، ولا يستحى أحدكم إذا لم يعلم أن يتعلم، وإذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ألا وإن الخامسة الصبر، فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا صبر له، لا إيمان له).

(وقد) روى أن كل فقيه من الفقهاء المشهورين كان يقول بعد تقرير حكم الله فى المسألة: هذا ما وصل إليه علمى، فإن وجدتم فى كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ما يخالف قولى، فخذوا به، واضربوا بقولى عرض الحائط.

(وقيل): إن الإمام مالكاً سئل عن مائة مسألة، فأجاب عن أربعة منها، وقال فى الباقيات: الله أعلم- فعوتب فى ذلك، فقال: من قال: الله أعلم، فقد أفتى.

(١) وكان السائل هذا صاحب مخبز...

(وعلى) هذا، فإنه لا يجوز لأحد كائناً من كان، أن يقول فى دين الله ما لم يقلـــه الله ورسوله، وأن يفتى فى دينه بغير علم، ولا هدى، ولا كتاب منير، فإن القول على الله –بغير علم– افتراء عظيم، وجرم كبير.

(فليذكر) الأخ المسلم كل هذا، وليذكّر به غيره..

حتى لا يكون هناك خلاف بين المسلمين بتلك الصورة التى قد تؤدى إلى القيام من مجلس القرآن–كما يشير نص الوصية التى ندور حولها–.

(وأما) عن موضوع التغنى بالقرآن المشار إليه فى الرواية الثانية..(فقد) ســبق أن ناقشناه فى الوصية الثالثة والثمانين بعد المائة..فليعد الأخ المسلم إليه.

والله ولى التوفيق



الوصية السابعة والثمانون بعد المائة

• عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(تَعَاهَدُوا ٱلقرآنَ، فوٱلذي نفسي بيده لَهُوَ أَشَدُّ تَفَصِّيًا من ٱلإِبلِ في عُقُلِهَا)

• وعن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(إنما مثل صاحب القرآنِ كَمثَلِ صاحب الإِبلِ ٱلمُعَقَّلة إن عاهد عليها أَمْسَكَهَا وإنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ)

رواهما الشيخان.

فكن أخا الإسلام

من الحريصين على تنفيذ المراد من هذه الوصية العظيمة التي يوصينا فيها النبي ﷺ -كمؤمنين صادقين- بأن نتعاهد القرآن..بمعنى أن نكون من الذين يكثرون من تلاوته حتى لا يتفلَّت منا نحن الحفَّاظ..لأنه أشد تفلُّتاً من الإبل في عقلها- أي المربوطة بالعقال وهو حبل يشد به البعير في وسط ذراعه وجمعه عُقل بضمتين- وتوضيحاً لهذا إليك ما ورد.

(عن) ابن عمر رضى الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما مثل صاحب القرآن**» أي الذي ألف القرآن واعتاد قراءته- والمؤالفة أي المصاحبة «**كمثل الإبل المعقلة إن عاهد عليها أمسكها**» أي: إن داوم على حراستها وتفقدها و لم يغفل عنها أمسكها وضبطها «**وإن أطلقها ذهبت**» أي: وإن حلَّ عقلها وأهمل تعاهدها أفلتت منه وشردت بحيث لا يقدر عليها.

والحديث رواه البخاري ومسلم.. وزاد مسلم في رواية:

«**وإذا قام صاحب القرآن فقرأه بالليل والنهار**» أي: داوم وواظب على قراءته «**ذكره**» أي: ظل ذاكراً وحافظاً له «**وإذا لم يقم به نسيه**»:

(وقد) علق الإمام النووي على هذا الحديث فقال:

(فيه الحثُّ على تعاهد القرآن وتلاوته والحذر من تعريضه للنسيان)ا.هـ.

(وعن) عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**بئسما لأحدهم يقول: نسيت آية**[1] **كيت وكيت**».

أي ينسب فعل النسيان لنفسه، فإن النسيان ترك وإهمال وهو كبيرة «**بل هو نُسِّي**» يعني أن الله هو الذي نسَّاه، فقول: (نُسِّي) بتشديد السين مبنيٌّ للمجهول «**استذكروا القرآن**» أي: داوموا على قراءته واستذكاره حتى يبقى محفوظاً في صدوركم «**فلهو أشد تفصِّيًا**» أي: تفلتا وذهابا «**من صدور الرجال من النَّعم بعقلها**» أي: من الإبل إذا حلَّت عقلها..

(١) يعني أن يقول فالكلام على حذف المصدر.

والنِّعم تذكَّر وتؤنث والحديث رواه البخارى هكذا، ومسلم موقوفاً.. (وقد) قال الإمام النووى معلقاً عليه:

(فيه كراهة قول نسيت آية كذا، وهى كراهة تنزيه[1]، وأنه لا يكره قول أُنسيتُها، وإنما نهى عن نسيتها لأنه يتضمن التساهل فيها والتشاغل عنـــها..وقـــد قـــال الله تعالى﴿أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا﴾ [طه: ١٢٦].

(وقال) القاضى عياض (: أولى ما يتأول عليه الحديث أن معناه ذمُّ الحـــال لا ذمُّ القول..أى بئست الحالة حالة من حفظ القرآن فغفل عنه حتى نسيه) ا.هـــ. وهـــو تأويل لا معنى له، ولفظ الحديث ظاهر لا يحتاج لهذا التكلف.[2]

(ولهذا) فقد ورد:

الترهيب من نسيان القرآن بعد تعلمه

(فعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن الذى لـــيس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخَرِب))**. رواه الترمذى والحاكم كلاهما عن طريق قابوس بن أبى ظبيان، عن أبيه عن ابن عباس، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقـــال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(وقد) قرأت فى هامش (الترغيب والترهيب) ج٢ ص٦٠٠ جاء فيه: (لا شك أن هذا تشبيه فى غاية الروعة، فإن الله عز وجل قد أودع فى هذا القرآن العظـــيم مـــن العلوم والمعارف فى العقيدة والتشريع والقصص والمواعظ والأخـــلاق والاجتمـــاع ومظاهر الوجود، وصور الحياة، وأخبار الغيب وغيرها..

(أقول) قد أودع الله جل شأنه فى هذا الكتاب الحكيم من هذا كله ما لابد منه لحياة القلوب وصلاحها، فهو غذاؤها النافع وبلسمها الشـــافى، ومصـــدر طاقتها، ومركز إشعاعها.. فالقلب الحاوى لعلوم القرآن: قلب عامر بمعانى الخير والحق والجمال فهو كالبيت الآهل بالسكان فيه حركة وفيه حياة.

(١) أى: إلى الحلال أقرب، أما كراهة التحريم فهى إلى الحرام أقرب.

(٢) انظر: هامش (الترغيب والترهيب) ج٢ ص٦٠٧ وما بعدها..

و(أما) القلب الذى ليس فيه شىء من القرآن (فهو) كالبيت المهجور الخالى من ساكنيه، فهو مأوى للحشرات والقاذورات. ا.هـ.

(وعن) أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((عُرضت علىَّ أجور أمَّتى حتى القذاة[1] يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت علىَّ ذنوب أمتى فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن، أو آيةٍ أوتيها رجل ثم نسيها))**.رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه، وابن خزيمة فى صحيحه كلهم من رواية المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس.

(وهذا) دليل على أن نسيان القرآن بعد حفظه كبيرة من الكبائر.

(وقد) يسأل الأخ المسلم عن دعاء يدعو الله تعالى به.. حتى يعينه على حفظ القرآن، وعدم نسيانه.. فأذكره بحديث شريف قرأته فى (الترغيب والترهيب) ج٢ ص٦٠٣.

تحت عنوان:

الترغيب فى دعاء يدعى به لحفظ القرآن

(وهو) وإن كان ضعيفاً..إلا أنه يعمل به فى فضائل الأعمال[2]..ولا مانع أن يدعو به الأخ المسلم عسى أن يتقبله الله منه ويكون سبباً فى حفظه وعدم تفلُّت القرآن منه:

(فعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه علىُّ بن أبى طالب ﷺ فقال: بأبى أنت[3] تفلَّت هذا القرآن من صدرى[4] فما أجدنى أقدر عليه. فقال له رسول الله ﷺ: **((يا أبا الحسن[5] أفلا أعلمك كلمات يعلمك الله بهنَّ، وينفع بهنَّ من علمته، ويثبت[6] ما تعلمت فى صدرك ؟))** قال: أجل يا رسول الله فعلمنى.

(١) القذاة: ما يقع فى العين أو الشراب من تبنة ونحوها وجمعه قذى.
(٢) وهو خير من أقوال الرجال كما قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى.
(٣) قوله (بأبى) متعلق بفعل محذوف تقديره أفديك وهى جملة دعائية.
(٤) أى انطلق منه وذهب كما يتفلت البعير من عقاله.
(٥) وهى كنية على و لم يكن من عادته عليه السلام أن يكنيه بذلك ولكن بأبى تراب.
(٦) يعنى يمكن ويقوى فلا يطرأ عليه زوال أو نسيان.

قال: «إذا كان ليلة الجمعة، فإن استطعت أن تقوم فى ثلث الليل الآخر، فإنها ساعة مشهودة[1]، والدعاء فيها مستجاب[2] فقد قال أخى يعقوب لبنيه: سوف أستغفر لكم ربى[3]، يقول حتى تأتى ليلة الجمعة، فإن لم تستطع[4]: فقم فى وسطها، فإن لم تستطع: فقم فى أولها[5]، فصلِّ أربع ركعات[6]، تقرأ فى الركعة الأولى: بفاتحة الكتاب وسورة يس، وفى الركعة الثانية: بفاتحة الكتاب، وحم الدخان، وفى الركعة الثالثة: بفاتحة الكتاب، والم تتريل السجدة، وفى الركعة الرابعة: بفاتحة الكتاب، وتبارك المفصل[7]، فإذا فرغت من التشهد فاحمد الله، وأحسن الثناء على الله، وصل علىَّ وأحسن، وعلى سائر النبيين، واستغفر للمؤمنين والمؤمنات، ولإخوانك الذين سبقوك بالإيمان، ثم قل فى آخر ذلك:

اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدا ما أبقيتنى[8]، وارحمنى أن أتكلف ما لا يعنينى[9]، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى. اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا تُرام[10]: أسألك يا ألله يا رحمن بجلالك، ونور وجهك: أن تلزم قلبى حفظ كتابك كما علمتنى، وارزقنى أن أتلوه على النحو الذى يرضيك عنى، اللهم بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام، والعزة التى لا ترام: اسألك يا ألله يا رحمن بجلالك، ونور وجهك: أن تنور بكتابك بصرى، وأن تطلق به لسانى[11]، وأن تفرج به عن قلبى، وأن تشرح به صدرى،

---

(١) أى: يشهدها الله والملائكة.

(٢) لأنها وقت التترل الإلهى حيث يبسط الله يده بالعطاء لعباده، وإجابة الدعاء منهم.

(٣) يقال إنه أمهلهم إلى وقت السحر لكى يكون الدعاء أرجى للإجابة.

(٤) يعنى القيام فى الثلث الآخر.

(٥) أى: فى أول الليل.

(٦) مثنى مثنى..لأن صلاة الليل والنهار مثنى كما ورد فى الحديث بالنسبة للسنن الراتبة لكل صلاة..

(٧) يعنى: تبارك الذى بيده الملك.

(٨) ما: هى المصدرية الظرفية أى: مدة إبقائك إياى.

(٩) وفى الصحيح: **«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**.

(١٠) أى: لا تنال ولا تدرك ولا يلحقها ضيم ولا ذل.

(١١) فلا يتلجلج ولا يتلعثم عند قراءته.

وأن تستعمل به بدنى[1]، فإنه لا يعيننى على الحق غيرك، ولا يؤتينيه إلا أنت. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

يا أبا الحسن تفعل ذلك ثلاث جمعٍ، أو خمساً، أو سبعاً: تجاب بإذن الله، والذى بعثنى بالحق، ما أخطأ مؤمناً قطُّ».

(قال) ابن عباسٍ رضى الله عنهما: فوالله ما لبث علىٌّ إلا خمساً، أو سبعاً، حتى جاء رسول الله ﷺ فى مثل ذلك المجلس، فقال يا رسول الله: إنى كنت فيما خلا[2] لا آخذ إلا أربع آيات ونحوهنَّ، فإذا قرأتهنَّ على نفسى تفلّتن، وأنا أتعلم اليوم أربعين آية ونحوها، فإذا قرأتهنَّ على نفسى فكأنما كتاب الله بين عينىَّ، ولقد كنت أسمع الحديث فإذا رددته تفلّت، وأنا اليوم أسمع الأحاديث، فإذا تحدثت بها لم أخرم منها حرفاً، فقال رسول الله ﷺ: «**مؤمن ورب الكعبة، يا أبا الحسن**».

رواه الترمذى، وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الوليد ابن مسلم.

ورواه الحاكم، وقال: صحيح على شرطهما، إلا أنه قال: يقرأ فى الثانية بالفاتحة، وألم~ السجدة، وفى الثانية: بالفاتحة والدخان عكس ما فى الترمذى، وقال فى الدعاء: وأن تشغل به بدنى، مكان، وأن تستعمل، وهو كذلك فى بعض نسخ الترمذى، ومعناهما واحد، وفى بعضها: وأن تغسل (قال المعلّى)، رحمه الله: طريق هذا الحديث جيد، ومتنه غريب جدّاً، والله أعلم.

(ومع) هذا فإننى أنصح بالانتفاع به (مع) ضرورة الاستعانة بالله تعالى على تحقيق هذا المطلوب..لأنه:

إذا لم يكن عون من الله للفتى ... فأولى ما يجنى عليه اجتهاده

(وحسبى) فى ختام هذا التذكير.. أن أذكر الأخ المسلم بحديث شريف أرجو أن يكون حافزاً له على تعاهده للقرآن الكريم.. حتى لا ينساه..أو يتفلّت منه:

---

(١) أى: تستعمل بدنى فيما يأمر به القرآن من أنواع القربان والطاعات.

(٢) يعنى فيما مضى.

(فعن) عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسـول الله ﷺ: **«يقال لصاحب القرآن: اقرأ و ارْق[1]، ورتِّل[2] كما كنت تُرتِّل فى الدنيا، فـإن منزلك عند آخر آية تتلوها[3]»**. رواه الترمذى، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى: حسن صحيح.

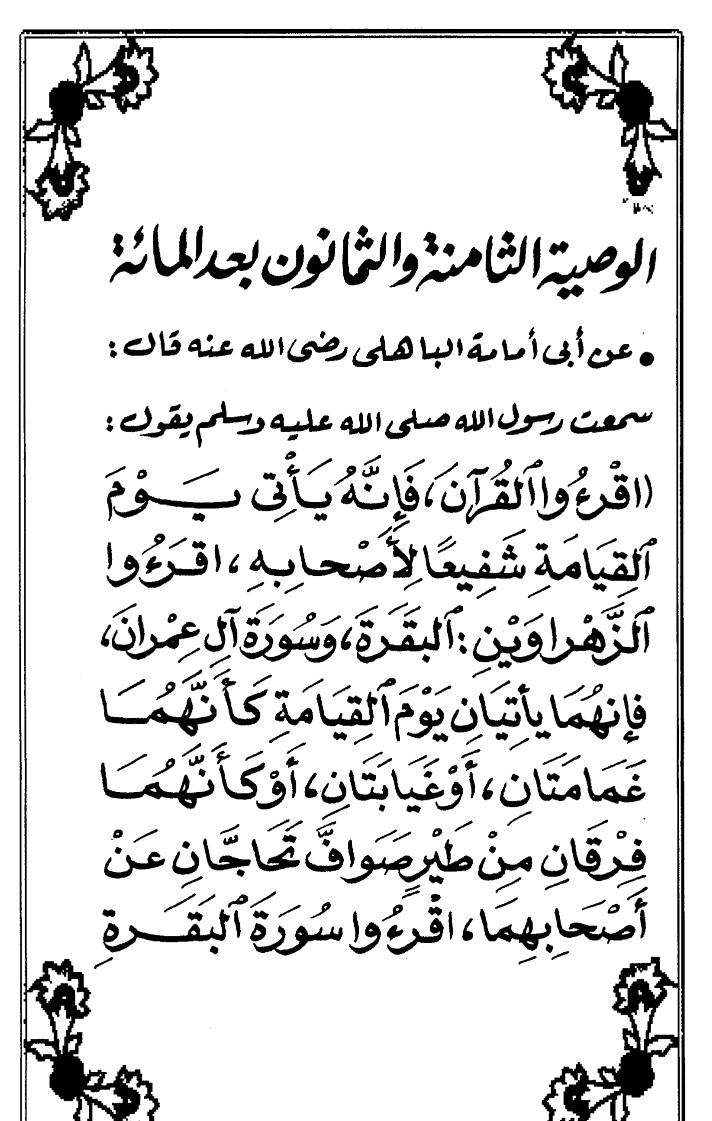
والله ولى التوفيق

---

(١) أمر من الرقى والصعود.

(٢) والترتيل: هو القراءة بتؤدة وتمهل.

(٣) فإن عدد درجات الجنة هو نفس عدد آيات القرآن وهو: ٦٢٣٦ آية.

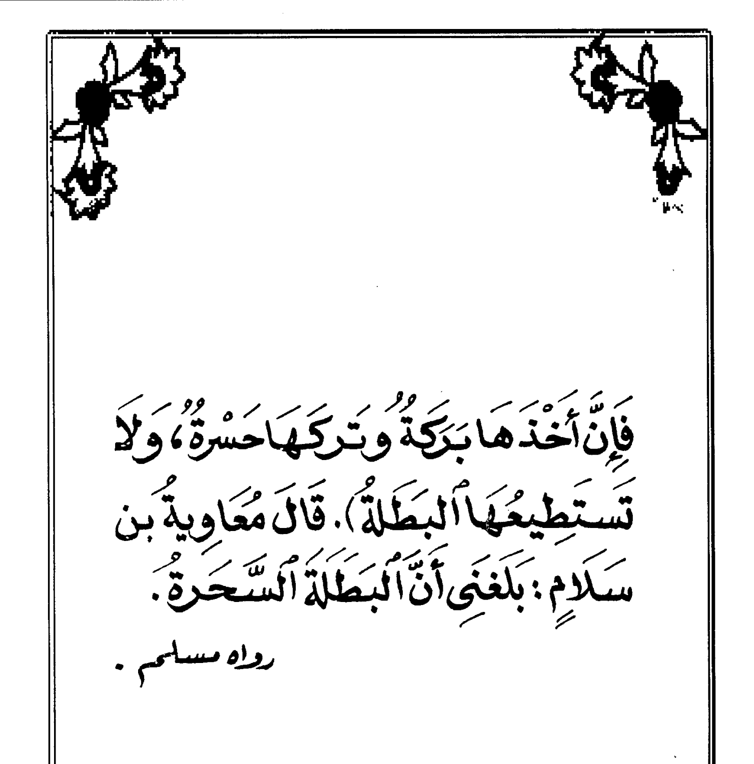


الوصية الثامنة والثمانون بعد المائة

• عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال :

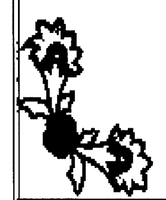
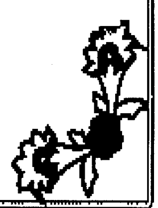
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

«اقْرَءُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ: الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ



فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا
تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ). قَالَ مُعَاوِيَةُ بن
سَلَامٍ: بَلَغَنِي أَنَّ الْبَطَلَةَ السَّحَرَةُ.

رواه مسلم.

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية العظيمة التى يوصينا النبى ﷺ فيها بأن نقرأ القرآن كله -بصفة عامة- ثم ذكر أنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه..أى لأهله الذين كانوا يتلونه ويعملون بما فيه (كما) يوصينا بصفة خاصة أن نقرأ الزهراوين- قال النووى: سميتا بذلك لنورهما وهدايتهما وعظيم أجرهما-وهما: البقرة، وسورة آل عمران..ثم ذكر أنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان -تثنية غمامة وهى القطعة من السحاب- «**أو غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف**» يعنى باسطات أجنحتها فى الهواء[1] «**تحاجان عن أصحابهما**» أى تجادلان وتدافعان عنهم- ثم يقول صلوات الله وسلامه عليه فى نص الوصية التى ندور حولها: «**اقرءوا سورة البقرة**[2]، **فإن أخذها بركة، وتركها حسرة**» يعنى أن قراءتها مع تدبرها والعمل بها: فيه خير كثير لقارئها، وتركها وإهمالها يعود عليه بالحسرة والندم لنقص حفظه من العلم الذى اشتملت عليه، ومن الثواب المعد لقارئها-«**ولا تستطيعها البطلة**» قال معاوية بن سلام: بلغنى أن البطلة السحرة[3].رواه مسلم.

(وعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل شىء سنام** -وهو أعلى شىء فيه-، **وإن سنام القرآن سورة البقرة، وفيها آية هى سيدة آى القرآن**» رواه الترمذى عن حكيم بن جبير، عن أبى صالح، عن أبى هريرة، وقال: حديث غريب.

ورواه الحاكم من هذه الطريق، ولفظه: «**سورة البقرة فيها آية سيدة آى القرآن: لا تقرأ فى بيت وفيه شيطان إلا خرج منه، آية الكرسى**»، هى الآية رقم ٢٥٥ من سورة البقرة.. التى قال عنها فى هامش (الترغيب والترهيب)ج٢ ص٦٢٢ ما نصه:

والمراد بها آية الكرسى: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ..﴾ ، وإنما كانت هذه الآية

---

(١) كما يشير الله تعالى إلى هذا فى قوله: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ**﴾ [الملك ٨٩].

(٢) فيه دليل على جواز قول سورة البقرة وسورة آل عمران الخ ولا كراهة فى ذلك وبه قال الجمهور، وكرهه بعض المتقدمين والأحاديث حجة عليهم.

(٣) وهو جمع باطل، يقال باطل لما هو ضد الحق وللشيطان والساحر، والغيابة كل شىء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة والغاشية ونحوهما..(وفرقان) أى: قطعتان.

سيدة آى القرآن لاشتمالها على جملة كبيرة من صفات الرب جل شأنه فى الإثبات وفى النفى..

فقد أخبر فيها سبحانه عن نفسه بأنه الله الذى لا معبود بحق فى الوجود كله إلا هو، وأنه المتصف بالحياة الكاملة التى لا يلحقها موت ولا فناء، وأنه القائم بنفسه المستغنى عن خلقه مع افتقارهم جميعاً إليه، وأنه لا تغلبه سنة أى نعاس ولا نوم.. ثم أخبر عن تمام ملكه وسلطانه وأن له كل ما فى السموات والأرض، وأن أحداً لا يجرؤ أن يشفع عنده إلا بإذنه، ثم أخبر عن إحاطة علمه وشموله للأمور الماضية والمستقبلية، وأن الخلق لا يعلمون إلا ما أذن لهم أن يعلموه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض.. (فهى) فى جوفه كحلقة فى فلاة، وأنه لا يثقله..حفظ السموات والأرض وما فيها، وأنه العلى الذى ثبت له وصف العلو بكل معانيه: علو الذات.. فهو على بذاته فوق جميع خلقه، وعلو الصفات..فليس لغيره صفة تساوى صفته.. وعلو القهر.. فهو القاهر فوق عباده.. وعلو القدر والشرف.. فهو الذى كمل فى سؤدده ومجده، وأنه العظيم الذى لا حَدّ لعظمته..ا.هـ.

(وعن) سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **((إن لكل شىء سناماً، وإن سنام القرآن سورة البقرة من قرأها فى بيته ليلاً لم يدخل الشيطان بيته ثلاث ليالٍ، ومن قرأها نهاراً لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام))**.رواه ابن حبان فى صحيحه.

(وعن) أبى ذر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش: فتعلموهنَّ وعلموهنَّ نساءكم وأبناءكم فإنهما: صلاة وقرآن ودعاء))** رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط البخارى.

(كما) ورد:

الترغيب فى قراءة آية الكرسى

(فعن) عبد الله بن أبى بن كعبٍ[1] ﷺ أن أباه أخبره أنه كان لهم جرين[2] فيه

(١) وهو أقرأ الصحابة للقرآن، ولهذا قال عمر فى يوم مماته: (مات اليوم سيد المسلمين).
(٢) هو موضع تجفيف التمر ونحوه وجمعه جُرن بضمتين.

تمر، وكان مما يتعاهد[١]، فيجده ينقص، فحرسه ذات ليلة، فإذا هو بدابة كهيئة الغلام المحتلم[٢].

قال: فسلم فرد عليه السلام، فقلت ما أنت، جنٌّ أم إنس؟ قال: جنٌّ، فقلت: ناولني يدك، فإذا يد كلب، وشعر كلب، فقلت: هذا خلق الجنّ؟ [٣]، فقال: لقد علمت الجن أن ما فيهم من هو أشد مني، فقلت: ما يحملك على ما صنعت[٤]؟ قال: بلغني أنك تحب الصدقة فأحببت أن أصيب من طعامك، فقلت: ما الذى يحرزنا منكم[٥]؟ قال: هذه الآية، آية الكرسى.. قال: فتركته، وعدا أبى إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «**صدق الخبيث**[٦]».رواه ابن حبان فى صحيحه وغيره..

(وعن) أبى بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا المنذر**[٧] **أتدرى أىُّ آية من كتاب الله معك أعظم**[٨]**؟**» قال: قلت الله ورسوله أعلم[٩]، قال: «**أبا المنذر أىٌّ أية من كتاب الله معك أعظم**[١٠]**؟**» قال: قلت: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ قال: فضرب فى صدرى وقال: «**ليهنك العلم أبا المنذر**» رواه مسلم وأبو داود. ورواه أحمد وابن أبى شيبة فى كتابه بإسناد مسلم، وزاد: «**والذى نفسى بيده إن لهذه الآية لساناً وشفتين تقدّس الملك -سبحانه وتعالى- عند ساق العرش**».

(فلتكن) أخا الإسلام من الذين يكثرون من قراءة آية الكرسى..حتى تفوز بكل هذا الخير المشار إليه..

---

(١) يعنى يتفقده من حين لآخره.
(٢) يقال احتلم إذا أدرك وبلغ مبلغ الرجال.
(٣) يعنى أهذه خلقة الجن كلهم أم لضعيف منهم.
(٤) يعنى من سرقة التمر.
(٥) يعنى يحفظنا من شركم وأذاكم.
(٦) أى فى جوابه لأُبى بأن آية الكرسى تحرز قارئها من الشيطان.
(٧) وهى كنية أُبىّ رضي الله عنه.
(٨) وفى رواية: (أى آية فى كتاب الله أعظم؟) يعنى أكثر فضلاً وإشتمالاً على المعانى السامية والمقاصد الشريفة وأكثر ثواباً لقارئها.
(٩) فوض العلم إلى الله ورسوله حين لم يتبين الجواب.
(١٠) وأعاد عليه النبى ﷺ السؤال ليحمله على التفكير فى استخراج الجواب فينال بذلك شرف العلم. و(لهذا) لما أجاب بالجواب الصحيح ضرب النبى ﷺ بيده فى صدره علامة الرضا والإعجاب وهنأه بما وصل إليه من علم الكتاب.

(كما) ورد..

الترغيب في قراءة سورة الكهف أو عشرة من أولها أو عشرة من آخرها

(فعن) أبي الدرداء رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال: **((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف[1] عصم من الدجَّال))** رواه مسلم واللفظ له، وأبو داود والنسائي، وعندهما: **((عصم من فتنة الدجال))**[2] وهو كذا في بعض نسخ مسلم. (وفي) رواية لمسلم وأبي داود: **((من آخر سورة الكهف))**[3]. (وفي) رواية للنسائي: **((من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف..))**.

ورواه الترمذي ولفظه **((من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال))**.

(وعن) أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **((من قرأ الكهف كما أنزلت[4]: كانت له نوراً يوم القيامة من مقامه إلى مكة[5]، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يسلط عليه[6]، ومن توضأ ثم قال: سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك: كتب في رقّ[7]، ثم طبع بطابع، فلم يكسر إلى يوم القيامة))** رواه الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم ...

(قال) الحافظ: وتقدم باب في فضل قراءتها يوم الجمعة وليلة الجمعة في كتاب الجمعة..

(فلاحظ) هذا أخا الإسلام حتى تقرأ سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها ...

---

(١) يعني من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً ﴾ [الكهف: ١٠].

(٢) يعني حفظ ووقي من فتنته الشديدة.

(٣) أي من قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي ﴾ إلى آخر السورة، أي من الآية رقم ١٠١ إلى ١١٠.

(٤) يعني قراءة بترتيل مع التجويد والتحسين.

(٥) يعني يضيئ بين يديه في عرصات الموقف وعلى الصراط. ويعني أن امتداد هذا النور يكون بقدر المسافة بين المكان الذي قرأها فيه وبين مكة.

(٦) أي: لم يتمكن من فتنته والتلبيس عليه.

(٧) هو بفتح الراء الجلد الذي يكتب فيه قال تعالى: ﴿ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴾.

(مع) ملاحظة كذلك ما قاله الإمام النووى، وهو أن السبب فى قراءة عشر آيات من أول السورة ومن آخرها، هو: (أن السبب فى ذلك ما فى أولها من العجائب والآيات فمن تدبرها لم يفتن بالدجَّال وكذا فى آخرها قوله تعالى: ﴿**أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ** ﴾ [الكهف: ١٠٢]

(وكذلك) ورد:

الترغيب فى قراءة سورة تبارك الذى بيده الملك

(فعن) أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «**إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له**[١]**، وهى تبارك الذى بيده الملك**[٢]» رواه أبو داود والترمذى وحسنه واللفظ له، والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه، والحاكم وقال صحيح الإسناد.

(وكما) ورد:

الترغيب فى قراءة إذا الشمس كورت وما يذكر معها

(فعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى العين: فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت**» رواه الترمذى وغيره.

(وكما) ورد:

الترغيب فى قراءة إذا زلزلت وما يذكر معها

(فعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا زلزلت: تعدل نصف القرآن**[٣]**، وقل هو الله أحد: تعدل ثلث القرآن**[٤]**، وقل يا أيها الكافرون: تعدل ربع القرآن** [٥]» رواه الترمذى والحاكم...وقال الحاكم صحيح الإسناد.

---

(١) يعنى أن هذا الرجل كان يكثر من قراءتها فلما مات شفعت له عند الله أن يمحو عنه ذنوبه وخطاياه فاستجاب الله شفاعتها فيه وغفر له بسببها.

(٢) يعنى وهى السورة التى أولها: (تبارك الذى بيده الملك).

(٣) يعنى أن قراءتها فى الثواب قراءة نصف القرآن.

(٤) وذلك لاشتمالها إجمالاً على عقائد القرآن.

(٥) وذلك لما فيها من البراءة من الكفار وعبادتهم.

(وكما) ورد:

الترغيب فى قراءة قل هو الله أحد

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ((احشُدوا[1] فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن)) فحشد من حشد[2]، ثم خرج النبى ﷺ فقرأ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثم دخل. فقال بعضنا لبعض إنا نرى هذا خبراً جاءه من السماء فذلك الذى أدخله، ثم خرج نبى الله ﷺ فقال: ((إنى قلت لكم سأقرأ عليكم ثلث القرآن، ألا إنها تعدل ثلث القرآن)) رواه مسلم والترمذى.

(وكما)ورد:

الترغيب فى قراءة المعوذتين

(فعن) عقبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **((ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهنَّ قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس))** رواه مسلم والترمذى والنسائى وأبو داود ولفظه قال: كنت أقود برسول الله ﷺ فى السفر، فقال: **((يا عقبة: ألا أعلمك خير سورتين قرئتا؟))** فعلمني: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس فذكر الحديث.

(وفى) رواية لأبى داود، قال: بينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ بين الجحفة[3] والأبواء[4] إذ غشينا ريح وظلمة شديدة، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بأعوذ برب الفلق، وأعوذ برب الناس، ويقول: **((يا عقبة تعوذ بهما، فما تعوذ متعوِّذ بمثلهما))** قال: **((وسمعته يؤمنا بهما فى الصلاة))**.

(فعلى) الأخ المسلم أن يذكر كل هذا الخير الذى ينبغى عليه أن يستعين بالله تعالى على تنفيذا المشار إليه والمرغَّب فيه فى كل تلك الأحاديث الشريفة التى وقف عليها بالإضافة إلى نص الوصية التى أرجو أن نكون قد فهمنا المراد منها..

ونحن نسأل الله تعالى أن يجعلنا أهلاً لتنفيذها على أساس فقهى سليم.. اللهم آمين.

والله ولى التوفيق

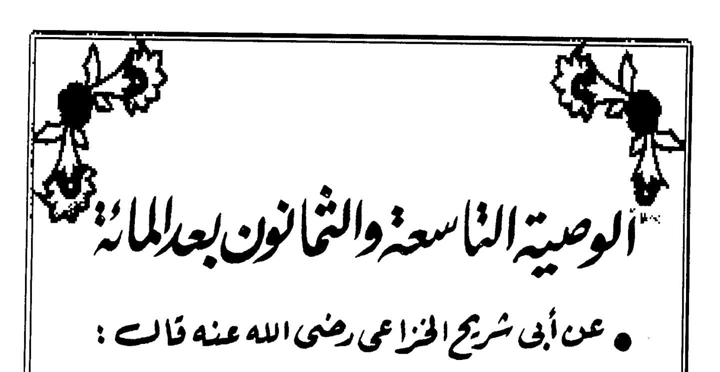
---

(١) يعنى اجتمعوا..

(٢) يعنى اجتمع من اجتمع.

(٣) الجحفة: هى ميقات أهل الشام.

(٤) والأبواء: قرية بين مكة والمدينة.



الوصية التاسعة والثمانون بعد المائة

● عن أبي شريح الخزاعي رضي الله عنه قال :

خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال :

(أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا ٱللَّهُ ، وَأَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عليه وسَلَّمَ ؟) قَالُوا: بلى . قَالَ : (إِنَّ هَذَا ٱلْقُرآنَ طَرَفُهُ بِيَدِ ٱللَّهِ ، وَطَرَفُهُ بأيديكُمْ فَتَمَسَّكُوا بِهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَضِلُّوا، وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أَبَدًا).

رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد .

فكن أخا الإسلام:

كمسلم-صادق- يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ: من المؤمنين الصادقين الذين يدركون تماماً أن القرآن الكريم حبل ممدود بين السماء والأرض..كما شبه النبى ﷺ- وأنه كذلك عهد بين الله وبين عباده..

وأنه كذلك يجب عليه أن يحافظ عليه ويستمسك به، ويتدبره، ويعمل بما فيه..

حتى لا يضل أو يزل.. (وهذا هو ما أكَّده النبى ﷺ فى قوله-فى نص الوصية- **((إن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم فتمسكوا به، فإنكم لن تضلوا، ولن تهلكوا بعده أبدا))**. (وقد) قال ابن عباس رضى الله عنهما: (تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أن لا يضلَّ فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة).

(وروى) عن جبير بن مطعم، قال: كنا مع النبى ﷺ بالجحفة فقال:

((أليس تشهدون أن لا إله إلا الله لا شريك له، وأنى رسول الله، وأن القرآن جاء من عند الله؟)) قلنا: بلى.قال: **((فأبشروا، فإن هذا القرآن طرفه بيد الله، وطرفه بأيديكم: فتمسكوا به، فإنكم لن تهلكوا، ولن تضلوا بعده أبداً))** رواه البزار والطبرانى فى الكبير والصغير.

(هذا)، وإذا كان المراد من هذين الحديثين الشريفين هو ترغيب المسلم فى أن يكون هناك اتصال دائم بينه وبين الله تبارك وتعالى عن طريق الإكثار من تلاوة القرآن، والتدبر فى معانيه، والحرص الكامل على تنفيذ ما جاء فى القرآن من الأوامر، واجتناب ما فيه من المنهيات..

مع ضرورة: تنفيذ المراد من قول الله تبارك وتعالى ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا** ﴾ [الحشر: ٧]. لأن الرسول ﷺ يبلغ عن الله تعالى الذى يقول مخاطباً إياه صلوات الله وسلامه عليه: ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ**﴾ [المائدة: ٦٧]..كما يقول تعالى: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾ [النساء: ٨٠].

(ومع) الحذر كل الحذر من الكذب على رسول الله ﷺ:

(فعن) أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((من كذب علىَّ متعمداً فليتبوأ[1] مقعده من النار))** أخرجه الشيخان وغيرهما وللحديث طريق بلغت التواتر.

---

(١) يقال تبوأ منزلا نزله وهو أمر فى اللفظ وخبر فى المعنى.

(وعن) سمرة بن جندب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من حدَّث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين))** رواه مسلم وغيره.

(وعن) المغيرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **((إن كذباً عليَّ ليس ككذب على أحد فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))**رواه مسلم وغيره.

(مع) ملاحظة أن الكذب على رسول الله يعتبر كذبا على الله–والعكس كذلك هو الصحيح– لأن الله تبارك وتعالى يقول:

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً(١) لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٦٠].

(وعن) أبى هريرة ﵁ عن النبى ﷺ قال: **((دعونى ما تركتكم إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شىء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم))** رواه البخارى.

(وعنه) أيضاً ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: **((كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى))** قالوا يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: **((من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى))** رواه البخارى.

(وقد) رأيت بعد هذا التحذير الأخير..

أن أذكِّر الأخ المسلم ببعض الأحاديث الشريفة المرغبة له فى تلاوة القرآن..والعمل بما فيه..

حتى يكون الحبل بينه وبين الله تعالى متصلاً..طوال حياته..(بل) وحتى يكون القرآن سبباً فى نجاته والفوز بالجنة بعد مماته:

(فعن) عبد الله بن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: **((من قرأ حرفاً(٢) من**

(١) المعنى أن فيها مقاماً للمتكبرين عن قبول الحق.

(٢) الحرف واحد الحروف التى تسمى بحروف الهجاء..وقد يطلق الحرف على الكلمة كقولهم: هذا الحرف ليس فى القاموس يعنون هذه الكلمة.

كتاب الله[١] : **فله به حسنة**[٢]، **والحسنة بعشر أمثالها**[٣]، **لا أقـول آلم حـرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**[٤]» رواه الترمـذى وقـال حـديث صحيح غريب.

(وعن أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**ما اجتمع قوم**[٥] **فى بيـت مـن بيوت**[٦] **الله يتلون**[٧] **كتاب الله ويتدارسونه**[٨] **فيما بينـهم: إلا نزلـت علـيهم السكينة** [٩]، **وغشيتهم الرحمة**[١٠]، **وحفتهم الملائكة**[١١] ، **وذكـرهم الله فـيمن عنده**[١٢]»رواه مسلم وأبو داود وغيرهما.

(وعن) عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**الماهر بـالقرآن مـع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأ القرآن ويتعتع فيه، وهو عليه شاق له أجران**».

وفى رواية: «**والذى يقرؤه، وهو يشتد عليه**[١٣] **له أجران**» رواه البخارى ومسلم واللفظ له، وأبو داود، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه.

(قال) النووى[١٤]: (السَّفرة جمع سافر ككتاب وكتبة، والسافر الرسول، والسفرة الرسل: لأنهم يسفرون إلى الناس برسالات الله..

---

(١) يعنى القرآن.. وسمى كتاباً باعتبار أنه مكتوب بين دفَّتى المصحف.. وهو كذلك مكتوب فى اللوح المحفوظ.

(٢) وهى إحدى الحسنات يعنى الأعمال الصالحة.

(٣) فيكون له بكل حرف ثواب عشر حسنات.

(٤) (آلم) له بها ثلاثون حسنة..وفضل الله واسع.

(٥) القوم: الجماعة من الناس..وجمعه أقوام...

(٦) وبيوته سبحانه فى أرضه هى المساجد..

(٧) والتلاوة هى القراءة باللسان..

(٨) يعنى يتدبرون معانيه ويتفهمون أغراضه ومراميه...

(٩) يعنى يترل عليهم السكون والطمأنينة والهيبة والوقار.

(١٠) يعنى عمتهم وأحاطتهم.

(١١) أى: أحدقت بهم وجلست حولهم.

(١٢) يعنى أثنى عليهم سبحانه فى الملأ الأعلى تنويها بفضلهم وعلو درجتهم...

(١٣) أى: تثقل عليه القراءة لعدم حفظه وإتقانه...

(١٤) كما جاء فى (الترغيب والترهيب) ج٢ هامش ص٥٨٢.

وقيل: السفرة الكتبة، والبررة المطيعون.. من البر وهو الطاعة (والماهر): الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا يشق عليه القراءة بجودة حفظه وإتقانه

(قال القاضى): يحتمل أن يكون معنى كونه مع الملائكة أن له فى الآخرة منازل يكون فيها رفيقاً للملائكة السفرة لا تصافه بصفتهم من حمل كتاب الله تعالى

(قال) ويحتمل أن يراد أنه عامل بعملهم، وسالك مسلكهم.

(وأما) الذى يتعتع فيه فهو الذى يتردد فى تلاوته لضعف حفظه: فله أجران أجر بالقراءة، وأجر بتعتعته فى تلاوته ومشقته.

(قال) القاضى وغيره من العلماء: وليس معناه أن الذى تتعتع عليه له من الأجر أكثر من الماهر به، بل الماهر أفضل وأكثر أجراً لأنه مع السفرة وله أجور كثيرة، ولم يذكر هذه المنزلة لغيره.

وكيف يلحق به من لم يعتن بكتاب الله تعالى وحفظه وإتقانه وكثرة تلاوته وروايته كاعتنائه حتى مهر فيه والله أعلم) ا.هـ.

(وعن) أبى ذر ﷺ قال: قال: قلت: يا رسول الله أوصنى[1] ؟فقال: **«عليك بتقوى الله فإنها رأس الأمر كلّه»** قلت: يا رسول الله زدنى[2].قال: **«عليك بتلاوة القرآن[3] فإنه نور لك فى الأرض[4]، وذخر لك فى السماء[5]»**رواه ابن حبان فى صحيحه فى حديث طويل.

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **«يجئ صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول القرآن: يا رب حلّه، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يا رب زده، فيلبس حُلّة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيرضى عنه، فيقال له: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة»** رواه الترمذى وحسنه وابن خزيمة والحاكم وقال صحيح الإسناد.

---

(١) يعنى اعهد إلى بشىء أتمسك به وأحرص عليه..والوصية..أى الأمر المؤكد.
(٢) أى: من وصاياك الحكيمة وإرشاداتك السامية.
(٣) يعنى واظب على تلاوته مع التدبر والفهم واجعل ذلك أهم ما تحرص عليه.
(٤) حيث يرسم لك القرآن طريق الحق ويرشدك إلى مواطن الخير ويقودك إلى كل بر وفلاح.
(٥) يعنى أن ثواب قراءتك يدخر لك عند الله عز وجل حتى توفاه يوم القيامة.

(وعن) عبد الله بن عمر بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلك عند آخر آية تقرؤها))**.

رواه الترمذى، وأبو داود، وابن ماجه، وابن حبان فى صحيحه، وقال الترمذى حسن صحيح.

(قال) الخطابى: جاء فى الأثر أن عدد أى القرآن-وهى: ٦٢٣٦[1] - على قدر درج الجنة، فيقال للقارئ ارق فى الدَّرج على قدر ما كنت تقرأ من آى القرآن، فمن استوفى قراءة جميع القرآن استولى على أقصى[2] درج الجنة فى الآخرة، ومن قرأ جزءاً منه كان رقيه فى الدرج على قدر ذلك، فيكون منتهى الثواب عند منتهى القراءة..ا.هـ.

(وعن) ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **((لا حسد[3] إلا فى اثنتين: رجل آتاه الله هذا الكتاب-أى القرآن- فقام به آناء الليل وآناء النهار، ورجلٍ أعطاه الله مالاً فتصدق به آناء الليل وآناء النهار[4]))**رواه البخارى ومسلم.

(وعن) أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **((لا حسد إلا فى اثنتين: رجلٍ علَّمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار فسمعه جار له، فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل[5].ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه فى الحق[6]، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثل ما يعمل))** رواه البخارى.

---

(١) عدد آياته المكية: ٤٤٧٥+١٧٦١وهو عدد آياته المدنية..فيكون العدد الإجمالى هو: ٦٢٣٦ آية.

(٢) يعنى أبعد وأعلى..(والدرج) جمع درجة وهى الواحدة من السلالم التى يصعد عليها.

(٣) والمراد به الغبطة..وهى الحسد المحمود.

(٤) أى: ساعات الليل وساعات النهار..يعنى أنه واظب على قراءته.

(٥) فهو يعطى من الأجر على قدر نيته وتمنيه.

(٦) أى: ينفقه فى أبواب الخير المشروعة.

(قال المعلّى): والمراد بالحسد هنا الغبطة، وهو تمنى مثل ما للمحسود، لا تمنى زوال تلك النعمة عنه.. فإن ذلك هو: الحسد المذموم –أى الذى أمرنا الله تعالى فى قرآنه بأن نستعيذ به منه، فقال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [الفلق ١ :٥].

(وعن) عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه**[١] **غير أنه لا يوحى إليه**[٢]**، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد**[٣]**، ولا يجهل مع من جهل**[٤]**، وفى جوفه كلام الله**[٥]» رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

(وعن) بريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «**من قرأ القرآن وتعلّم وعمل به**[٦] **ألبس والداه حلتين لا يقوم لهما الدنيا، فيقولان: بم كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن**» رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط مسلم.

(وعن) ابن عباس رضى الله عنهما قال: من قرأ القرآن– وفى رواية من جمع القرآن– لم يرد إلى أرذل العمر[٧]، وذلك قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا..**﴾ [التين: ٥:٦] قال: (الذين قرءوا القرآن). رواه الحاكم وقال صحيح الإسناد.

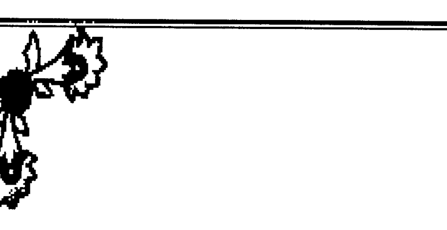
(فلتكن) أخا الإسلام من الفائزين بكل هذا الخير المشار إليه فى كل تلك الأحاديث التى وقفت معى عليها بالإضافة إلى غيرها.. (وذلك) بحرصك على تلاوة القرآن، والتمسك بتعاليمه وآدابه..

حتى يظل طرف حبل الله بيدك.. فتكون بهذا من الفائزين بخيرى الدنيا والآخرة.. إن شاء الله..

والله ولى التوفيق

---

(١) أى جعلها مندرجة وداخلة بين جنبيه.
(٢) يعنى لا ينقصه من النبوة إلا الوحى.
(٣) يعنى يغضب مع من غضب.
(٤) ولايسفه ويحمق ويسرع إليه الغضب..والجهل ضد الحلم.
(٥) جملة حالية؛ أى: لا ينبغى له أن يفعل فى حال وجود كلام الله فى جوفه.
(٦) يعنى أحل حلاله وحرم حرامه ووقف عند حدوده وتأدب بآدابه.
(٧) يعنى أن الله يحفظ صحته وقوته فلا يقهر ولا يضعف ولا يخرف عقله.



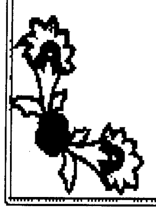
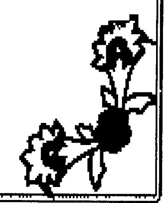
الوصية التسعون بعد المائة

• عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(اقْرَأْ يَا جَابِرُ) فَقُلْتُ: وَمَا أَقْرَأُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي؟ قَالَ: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) فَقَرَأْتُهُمَا، فَقَالَ: (اقْرَأْ بِهِمَا، وَلَنْ تَقْرَأَ بِمِثْلِهِمَا)

رواه النسائي، وابن حبان في صحيحه

فكن أخا الإسلام

منفذاً للمراد من هذه الوصية العظيمة التى يوصى فيها الرسول ﷺ جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن يقرأ بالمعوذتين..كما أخبره بأنه لن يقرأ بمثلهما..أى فى التحصن والتعوذ.

وحتى تتضح لنا أهمية هذه الوصية.. فإنه حسبنا أن نقف على خلاصة تفسير هاتين السورتين..ولنبدأ الآن بتفسير:

سورة الفلق [1]

(وقبل) أن أبدأ فى الوقوف مع الأخ المسلم على تلخيص تفسير المعوذتين.. فإننى أرى أن أذكره ونفسى أولاً بأهم أسباب نزول السورتين:

(فقد) ذكر أن سورة الفلق، وسورة الناس نزلتا بالمدينة المنورة.. وكان السبب فى نزولهما..

أنه لما سحر لبيد بن الأعصم النبى ﷺ فى ذى الحجة ودخل المحرم سنة سبع.. وكان قد فرغ من وقعة خيبر..جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفاً فى بنى زريق.. وكان ساحراً، فقالوا: أنت أسحرنا - أى أعلمنا بالسحر- وقد سحرنا محمداً فلم يؤثر فيه سحرنا شيئاً.. ونحن نجعل لك جعلاً على أن تسحره لنا سحراً يؤثر فيه.. فجعلوا له ثلاثة دنانير.. فأتى غلاماً يهودياً كان يخدم النبى ﷺ فلم يزل به حتى أخذ مشاطة رأس النبى ﷺ وعدة أسنان من مشطه وأعطاها له.. فسحره بها..

وكان من جملة السحر صورة من شمع على صورة رسول الله ﷺ.. وقد جعلوا فى تلك الصورة إبراً مغروزة إحدى عشرة، ووتَرٌ فيه إحدى عشرة عقدة..وكان النبى ﷺ قد مكث متأثراً بهذا السحر أربعين يوماً، وقيل ستة أشهر، وقيل عاماً.. قال ابن حجر: وهو المعتمد..(فأعلمه) الله بذلك وبمحلّه.. فأحضر بين يديه ﷺ.

---

(١) كما جاء (فى حاشية الصاوى على الجلالين) ج٤ ص٢٩٢ وما بعدها-٢٩٦.بتصرف وإضافات يسيرة..

(وقد) روى أنه ﷺ كان نائماً ذات يوم إذا أتاه ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه.. «**فقال الذى عند رأسه: ما بال الرجل ؟ فقال الذى عند رجليه: طُبَّ..أى سُحِر..قال: ومن سحره؟ قال: لبيد ابن الأعصم.. قال: بِمَ طبه؟ قال: بمشط ومشاطة. قال: وأين هو؟ قال: فى جف طلعة تحت راعوفة فى بئر ذروان**».. فانتبه النبى ﷺ ثم أمر علياً، والزبير، وعمار بن ياسر.. فنزحوا ماء تلك البئر كأنه نقاعة الحناء..ثم رفعوا الصَّخرة وأخرجوا الجف - فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان مشطه..وإذا وتر[1] معقود فيه إحدى عشرة عقدة.. وإذا تمثال من شمع على صورته ﷺ مغروز فيه إحدى عشرة إبرة-

وكانت هذه المذكورات كلها موضوعة فى الجفِّ - وهو بضم الجيم وتشديد الفاء وعاء طلع النخل، والراعوفة حجر أسفل البئر يقوم عليه السابح-فاحضر بين يديه ﷺ، وأمر بالتعوذ بالمعوذتين- اللتين أوحى الله إليه بهما- فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خفَّة حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما نشط من عقال — أى كأنما حُلَّ وأطلق منه-

(وقد) أشار (الصاوى) إلى بعض الملاحظات الهامة المتعلقة بتأثير السحر فى رسول الله ﷺ فقال: (إن) قلت: كيف يؤثر السحر فيه ﷺ مع أنه معصوم بنص الله: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]

(أجيب): بأن المعصوم بهَ ما أدَّى لخبل فى عقله، أو لضياع شرعه، أو لموته.. (وأما) ما عدا ذلك فهو من الأعراض البشرية الجائزة فى حقه (كما) أن جرحه وكسر رباعيته لا يقدح فى عصمته.

(ثم) يقول: وأنكر بعض المبتدعة حديث السحر زاعمين أنه يحط منصب النبوة.. ويشكك فيها.. وما أدَّى لذلك فهو باطل..

(وزعموا) أيضاً أن تجويز السحر على الأنبياء يؤدى لعدم الثقة بما أتوا به من الشرائع (إذ) يحتمل أن يخيل إليه أن يرى جبريل يكلمه وليس هو ثمَّ[2].

---

(١) الوتر بفتحتين: أى وتر القوس.

(٢) وثم: بمعنى هناك وهو للبعيد بمنزلة هنا للقريب(مختار الصحاح).

(وهذا) كله مردود لقيام الدليل على ثبوت السحر بإجماع الصحابة.. وعصمته ﷺ وجميع الأنبياء وصدقهم فيما يبلغونه عن الله..

(وأما) ما كان متعلقاً بأمور الدنيا فهم كسائر البشر تعتريهم الأعراض كالصحة، والسقم، والنوم، واليقظة، والتألم بالسحر ونحو ذلك.

(وأما) ما ورد فى قصة السحر من أنه كان يخيل إليه أنه يأتى أهله[1] ولم يأت (فمعناه) أنه يظهر له من نشاطه وسابق عادته الاقتدار على الوطء (فإذا) دنا من المرأة فَتَر عن ذلك كما هو شأن المعقود وتسميه العامة المربوط (لما ورد) أنه حبس عن عائشة سَنة (وعن) ابن عباس أنه مرض وحبس عن النساء والطعام والشراب (ففى) ذلك دليل على أن السحر إنما تسلط على ظاهر جسده لا على عقله (ثم) اعلم أن مذهب أهل السنة أن السحر حق وله حقيقة، ويكون بالقول والفعل.

(ومن جملة) أنواعه السيمياء وهى حيل صناعية يتوصل إليها بالاكتساب غير أنه لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس.. ومادته الوقوف على خواص الأشياء، والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها، وأكثرها تخيلات.. فيعظم عند من لا يعرف ذلك.. والحق أنه من الأسباب العادية التى توجد الأشياء عندها لا بها.. فيؤثر فى القلوب كالحب والبغض.. وإلقاء الخير والشر فى الأبدان بالألم والسقم (وأما) قلب الجماد حيواناً وعكسه فباطل لا يتصور (إذ) لو قدر الساحر على هذا لقدر أن يرد نفسه إلى الشباب بعد الهرم، وأن يمنع نفسه من الموت: وهو حرام إن لم يكن بما يعظم به غير الله، أو يعتقد تأثيره بنفسه وإلا فهو كفر.

(والآن) إليك أخا الإسلام-بعد أن وقفت معى على أهم أسباب نزول سورة الفلق والناس- إليك إيجاز تفسير كل واحدة منهما.. حتى تقف من خلال هذا على فضلهما:

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] أى الصبح.. لما فيه من زوال الظلمة بإشراق أنواره وتغير وحشة الليل وثقله بسرور الصبح وخفته.. (وقيل) هو اسم من أسماء جهنم

---

(١) أى: يجامعهم.

(وقيل) واد فى جهنم.. (وقيل) شجرة فى النار.. (وقيل) الرحم لانغلاقه عن الولد.. (وقيل)..كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والحبِّ والنوى وكـل نبـات (وقيل)غير ذلك.

﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] أى: من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسـم وغير ذلك، أى كالإحراق بالنار والإغراق فى البحار.

﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣] أى الليل إذا أظلم أو القمر إذا غاب.. (وسمى) الليل غاسقاً لانصباب ظلامه..ولشدة الآفات فيه ..

﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] أى السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ أى الـتى تعقدها فى الخيط تنفخ فيها بشىء تقوله من غير ريق-وخصَّ النسـاء بالـذكر لأن سحرهن أشد من سحر الرجال لما ورد أنه بعد إغراق فرعون وقومه وتوجه موسـى وقومه لقتال الجبارين ملك نساء القبط مصر وأقمن فيها ستمائة سنة كلما قصدهنَّ عسكر صورن صورته وفعلن بالصورة ما شئن من قلع الأعين، وقطع الأعضاء فيتفق نظيره للعسكر القاصد لهن فتخافهن العسكر.

﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] أى أظهر حسده وعمل بمقتضاه.. أى: حمله الحسد على إظهاره لأنه إذا لم يظهر الحسد لا يتأذى به إلا الحاسد وحده لاغتمامـه بنعمة غيره.. وفى هذا المعنى قال بعض العارفين:

ألا قـل لمـن بـات لى حاسـداً   أتـدرى علـى مـن أسـأت الأدب
أسـأت علـى الله فى فعلـه   لأنـك لم تـرضَ لى مـا وهـب
فكـان جـزاؤك أن خصَّـنى   وسـدَّ عليـك طريـق الطلـب

(مع) ملاحظة: أن الحسد المذموم معناه: تمنى زوال نعمة المحسود عنه وإن لم يصر للحاسد مثلها..

(والغبطة): تمنى مثلها.. فالحسد المذموم دون الغبطة.. وعليها حمل حديث: **((لا حسد إلا فى اثنتين))** والحسد (أول) ذنب عصى الله به فى السماء.. (وأول) ذنب عصى الله به فى الأرض: فحسد إبليس آدمَ، وقابيلُ هابيلَ..

(والحاسد) ممقوت مبغوض ومطرود وملعون..

(قال) بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه:

أولها: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره.

ثانيها: أنه ساخط لقسمة ربه، كأنه يقول: لم قسمت لى هذه القسمة.

ثالثها: أنه يعاند فعل الله تعالى.

رابعها: أنه يريد خذلان أولياء الله.

خامسها: أنه أعان عدو الله إبليس.

(وقال) بعضهم: الحاسد لا ينال فى المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال فى الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال فى الآخرة إلاحزناً واحتراقاً، ولا ينال من الله إلا بعداً ومقتاً..

(وفى) الحديث: «**فى الإنسان ثلاثة: الطيرة، والظن، والحسد..فيخرجه من الطيرة أن لا يرجع، ويخرجه من الظن أن لا يحقق، ويخرجه من الحسد أن لا يبغى**».

(فاذكر) كل هذا أخا الإسلام بالنسبة لسورة الفلق التى كرر فيها لفظ الشر مع كل جملة لئلا يتوهم أنه شر واحد مضاف للجميع

(نسأل الله تعالى). أن يعيذنا من كل شر استعيذ منه فى هذه السورة.. بالإضافة إلى غيره.. اللهم آمين.

(وأما عن) خلاصة تفسير:

سورة الناس

(فقد)ذكر أن معنى: ﴿**قُلْ أَعُوذ**﴾ : أى: أتحصَّن..والأمر للنبى ﷺ ويتناول غيره من أمته لأن أوامر القرآن ونواهيه لا تخصُّ فرداً دون فرد..

﴿ **بِرَبِّ النَّاس**﴾ أى خالقهم ومالكهم..وخصوا بالذكر وإن كان الله تعالى هو رب جميع الخلائق: تشريفاً لهم.. أى من حيث أنه تعالى أخدم لهم ملائكة قدسه وجعل لهم ما فى الأرض جميعاً.. وأمدهم بالعقل والعلم وكلفهم بخدمته.. فإن قاموا

بتلك الوظيفة كان لهم العز دنيا وأخرى.. وإن لم يقوموا بها ردُّوا لأسفل السافلين فلم يساووا كلباً ولا خنزيراً.. (وإذا) علمت بذلك أنه رب الناس فهو رب غيرهم بالأولى.

﴿مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان أو صفتان أو عطفا بيان وأظهر المضاف إليه فيهما زيادة للبيان.. (ومعنى) الملك: أى المتصرف فيهم بأنواع التصرفات من إعزاز وإذلال وإغناء وإفقار وغير ذلك..

﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ أى الشيطان ﴿الْخَنَّاسِ﴾ لأنه يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله..

وذلك لأن الذكر بالنسبة له كالقامع الذى يقمع المفسد فهو شديد النفور منه.. (ولهذا) كان شيطان المؤمن هزيلاً..

(وعن) بعض السلف: إن المؤمن يفنى شيطانه كما يفنى الرجل بعيره فى السفر.

(قال قتادة): الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب (وقيل) كخرطوم الخنزير فى صدر الإنسان.. فإذا ذكر العبد ربه خنس..

(ويقال) رأسه كراس الحية واضع رأسه على ثمرة القلب يمسه ويحدثه.. فإذا ذكر العبد ربه خنس وتأخر، وإذا غفل رجع.

(وهل) المراد الحقيقة أو خرطوم الكلب والخنزير كناية عن قبحه وخبثه ونجاسته، ورأس الحية كناية عن شدة الأذية..ووضعه على الفؤاد كناية عن شدة التمكن كُلٌّ محتمل..

﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ أى: قلوبهم إذا غفلوا عن ذكر الله.. ولو كانوا ذاكرين بألسنتهم (وذلك) لأن الوسوسة حالة فى القلب فلا يطردها إلا الذكر الحالُّ فى القلب..

(فمن) كان من أهل الذكر فلا تسلط للشيطان عليه..(قال) تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

ولا يترك الإنسان الذكر اللسانى إذا وجد الغفلة والوسواس فى قلبه.. بل عليه أن يكثر من الذكر ويديمه.. فلعله يستيقظ قلبه ويتنور..

(قال) العارفون: الذكر اللسانى كقدح الزناد، فإذا تكرر أصاب..

وقال بعضهم:

**اطلـــب ولا تضـــجر مـــن مطلـــب		فآفـــة الطالـــب أن يضـــجرا**

**ألا تـــرى الحبـــل لتكـــراره		فى الصـــخرة الصـــماء قـــد أثّـــرا**

﴿**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾ [الناس: ٦] بيان للشيطان الموسوس.. أنه جنى وإنسى كقولـــه تعالى: ﴿.. **شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِ**﴾[الأنعام: ١١٢]..

(فلاحظ) كل هذا أخا الإسلام حتى تستعيذ بالله تعالى بالمعوذتين..اللتين وقفـــت معى على قصة نزولهما باختصار.. (وحسبك) قول الرسول ﷺ عنـــهما فى نـــص الوصية التى ندور حولها: لسيدنا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما: ((**اقرأ بهما، ولن تقرأ بمثلهما**)).

(وعلى) الجملة: فهما سورتان عظيمتان لم تدعا شيئاً مما ينبغى أن يستعاذ منه إلا ذكرتاه إما تعييناً وإما دخولاً فى العموم.

(وقد) ورد عن النبى ﷺ أنه قال: ((**من قرأ قل هو الله أحد والمعـــوذتين ثـــلاث مرات إذا أخذ مضجعه، فإذا قبض قبض شهيداً، وإن عاش عاش مغفوراً له**)).

(فلتكن) أخا الإسلام منتفعاً بكل هذا التذكير الذى ستحتاج إليه كثيراً فى حياتك العامة والخاصة..

والله ولى التوفيق

تم بحمد الله تعالى الانتهاء من المجلد الثانى
من
المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ
ويليه المجلد الثالث وأوله الوصية الحادية والتسعون بعد المائة





فهرس محتويات المجلد الثانى

دليل موضوعات المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ

عبده» وفى حديث آخر رواه الترمذى: «**إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة**» كما ورد الترهيب فى عكس هذا.. الخ. (فعلى) الأخ المسلم أن يعود إلى شرح نص الوصية حتى يستزيد من هذا التذكير الهام.. **والله ولى التوفيق**	
الوصية الأربعون وهى بعد المقدمة: (حول) التنبيه على أهم آداب السلام مع النهى عن سب أحد من الناس حرا كان أو عبدا، وألا يحتقر الإنسان المؤمن شيئا من المعروف، وأن تكلم أخاك وأنت منصت إليه، وأن ترفع إزارك إلى نصف الساق.. مع التحذير من إسبال الإزار.. وإن امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تعيره بما تعلم فيه.. الخ. (فعلى) الأخ المسلم أن يرجع إلى توضيح كل هذا فى شرح الوصية حتى تنفذها إن شاء الله تعالى **والله ولى التوفيق**	٥١-٦٠
الوصية الحادية والأربعون وهى بعد المقدمة: (حول) موضوع هام لابد وأن يدرس على المستوى العام والخاص..لأنه يتعلق بضرورة أن يكون الأخ المؤمن عزيزا بين قومه.. وذلك لن يكون إلا بالأخذ بأسباب الغنى عن الناس.. كما أمر الله تعالى بهذا فى قوله: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾ (وذلك) لأن الناس غالبا لا يحترمون غير صاحب المال. (ولهذا) فإنه أنصح الأخ المؤمن بقراءة شرح الوصية حتى يتضح له هذا.. وينفذ المراد منه.. الخ. **والله ولى التوفيق**	٦١-٦٩
الوصية الثانية والأربعون وهى بعد المقدمة: (حول) علاج الفزع من النوم.. (فقد) ورد دعاء عن رسول الله ﷺ كعلاج لهذا الفزع.. وهو موضوع الوصية التى ندور حولها، (وقد) جاء فيه: «**أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون..**».	٧١-٧٩

إله إلا الله، والله أكبر)) ثم قال النبي ﷺ بعده: **((فإنهن يأتين يوم القيامة مجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات))**. (ولهذا) فإنه من الخير لنا أن نفهم المراد من هذه الوصية ثم ننفذ المراد هذا إن شاء الله تعالى على أساس من العلم الوارد فى شرحها إن شاء الله تعالى.. **والله ولى التوفيق**	
الوصية السادسة والأربعون وهى بعد المقدمة: (حول) دعاء عظيم علمه النبى ﷺ لأم هانئ رضى الله عنها يوم أن مر عليها ذات يوم فأخبرته بأن سنها قد كبر، وأنها قد ضعفت، ثم قالت له فمرني بعمل أعمله وأنا جالسة؟ فقال لها: **((سبحى الله مائة.. تسبيحة، فإنها تعدل مائة رقبة تعتقيهنا من ولد إسماعيل، واحمدى الله مائة تحميدة، فإنها تعدل مائة فرس مسرجة منجمة تحملين عليها فى سبيل الله...))** الخ هذا الخبر الذى أرجو أن نقف على شرحه حتى ننتفع به كاملا.. بالإضافة إلى غيره إن شاء الله. **والله ولى التوفيق**	١٣٥-١٢٣
الوصية السابعة والأربعون وهى بعد المقدمة: (حول) دعاء عظيم علمه النبى ﷺ لجميع أصحابه.. (وقد) قال فيه: **((من كانت له إلى الله حاجة، أو إلى أحد من بنى آدم: فليتوضأ وليحسن الوضوء، ثم ليصل ركعتين، ثم ليثن على الله، وليصل على النبى ﷺ ثم ليقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم..))** الخ هذا الدعاء العظيم الذى أرجوا من الأخ المسلم أن يقرأ شرحه حتى ينفذه إن شاء الله تنفيذا صحيحا.. إن شاء الله تعالى.. عسى الله أن يستجيب منه. **والله ولى التوفيق**	١٤٦-١٣٧

الوصية	الصفحات
الوصية الحادية والخمسون وهى بعد المقدمة:(حول) الأمر بزيارة القبور – للرجال – بعد أن كان النبى ﷺ قد نهاهم عن زيارتها.. بسبب ارتكابهم للمخالفات التى كانوا يرتكبونها فى الجاهلية. والتى منها أنهم كانوا ينحرون عندها، ويجلسون فوقها، ويقفون فوقها بالأحذية.. الخ. (ثم) بعد أن علمهم آداب الزيارة أمرهم بزيارتها ثم يقول: ((**فإنها تزهد فى الدنيا وتذكر الآخرة**)) (فعلى) الأخ المسلم أن يرجع إلى توضيح هذا فى نص الوصية إن شاء الله. **والله ولى التوفيق**	١٨٣-١٩٢
الوصية الثانية والخمسون وهى بعد المقدمة: (حول) أهم الأدعية الصحيحة التى وردت عن رسول الله ﷺ فى الدعاء للميت.. والتى منها: ((**اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله..**)) الخ بالإضافة إلى أدعية أخرى ستقف على شرحها من خلال قراءتك لشرح الوصية.. **والله ولى التوفيق**	١٩٣-٢١٠
الوصية الثالثة والخمسون وهى بعد المقدمة: (حول) الأمر بالمسارعة بدفن الميت. كما جاء فى أول الوصية التى ندور حولها، وهى: ((**أسرعوا بالجنازة، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم**)). (هذا) وينبغى على الأخ المسلم أن ينفذ وصية الرسول ﷺ بالنسبة لمن سبقه إلى الموت.. (وحسبه) أن يعتبر بهذا.. حتى يجهز نفسه للحظة الرحيل إلى الله تعالى قبل اللحظة الأخيرة ونحن نسأل الله تعالى حسن الخاتمة.. **اللهم آمين**	٢١١-٢٢١
الوصية الرابعة والخمسون وهى بعد المقدمة: (حول) النهى عن أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل، وأن تنظر المرأة إلى عورة المرأة.. وأن يفضى الرجل إلى الرجل فى الثوب الواحد.. وأن تفضى المرأة إلى المرأة فى الثوب الواحد..	٢٢٣-٢٣١

الوصية الثامنة والخمسون وهى بعد المقدمة: (حول) دعاء من أعظم أدعية الرسول ﷺ.. بل إن شئت فقل من (صيدلية) الرسول ﷺ... لأنه كما جاء فى نص الوصية علاج للدغة العقرب، فقد جاء فى النص أن رجلا جاء إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغنى البارحة؟ فقال له: «**أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق: لم تضرك**» (فعلى الأخ المسلم أن ينتفع بهذه الوصية وأن يتزود بشرحها.. إن شاء الله. **والله ولى التوفيق**	٢٥٩-٢٦٧
الوصية التاسعة والخمسون وهى بعد المقدمة: (حول) وصية عظيمة أقسم النبى ﷺ عليهن.. ثم بعد ذلك حدَّث حديثا وطلب منهم أن يحفظوه.. (ثم) قال: «**ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة صبر عليها إلا زاده الله عزا، ولا فتح عبد باب مسأله إلا فتح الله عليه باب فقر**» .. الخ هذه الوصية التى سيجد فيها الأخ المسلم خيرا كثيرا.. فعليه أن يقرأ أولا شرحها وهو يسأل الله تعالى أن ينفعنا جميعا بما فيها من علم نافع.. **والله ولى التوفيق**	٢٦٩-٢٩١
الوصية الستون وهى بعد المقدمة: (حول) الترغيب فى أن نطهر أجسادنا (فإنه) «**ليس من عبد يبيت طاهرا إلا بات فى شعاره ملك، لا ينقلب ساعة من الليل إلا قال: اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهرا**» (ولهذا) فإنه من الخير لنا كمؤمنين ومؤمنات أن ننفذ هذا.. بعد قراءة شرحه.. **والله ولى التوفيق**	٢٩٣-٣٠٤
الوصية الحادية والستون وهى بعد المقدمة: (حول) التحذير من الفحش والتفحش، وحول التحذير من الظلم، فإنه هو الظلمات يوم القيامة، والتحذير من الشح.. الخ ما جاء فى نص الوصية التى لابد وأن تقرأ شرحها حتى تقف على أهمية تلك التحذيرات المحمدية التى يجب علينا أن ننفذ المراد منها.. **والله ولى التوفيق**	٣٠٥-٣١٣

(وقد) ورد فى الحديث **«لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»**.. الخ تلك الأحاديث والتنبيهات التى ينبغى أن يرجع إليها الأخ المؤمن والأخت المؤمنة.. فى شرح الوصية إن شاء الله.. **والله ولى التوفيق**	
الوصية الرابعة والسبعون وهى بعد المقدمة: (حول) النهى عن أن يجلب الإنسان لنفسه المخاوف بعد أن كانت متمتعة بالأمن والطمأنينة.. (وذلك) بسبب (الدَّيْن) الذى يورث الخوف من لقاء الدائن ومطالبته.. ولهذا قالوا عن الدَّيْن أنه هم بالليل وذل بالنهار.. (ولهذا فإنه ينبغى على الأخ المدين أن يعجل بسداد دينه حتى يتخلص من هذا الخوف.. الخ كما سيقرأ فى شرح الوصية.. **والله ولى التوفيق**	٤٦١-٤٧٣
الوصية الخامسة والسبعون وهى بعد المقدمة: (حول) النهى عن استبطاء الرزق، أى: لا تتعجلوا مجيئه ولا تيأسوا من بطئه وتأخره، لأنه كما جاء فى نص الوصية لن يموت عبد حتى يبلغ آخر رزق له... وقد ورد كذلك: «.. **اتقوا الله وأجملوا فى الطلب، فإن نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها، وإن أبطأ عليها**..» (فارجع) إلى توضيح كل هذا فى شرح الوصية.. إن شاء الله تعالى.. **والله ولى التوفيق**	٤٧٥-٤٩٥
الوصية السادسة والسبعون وهى بعد المقدمة: (حول) تذكيرنا جميعا نحن المسلمين بصفة خاصة بأن أبا ذر رضي الله عنه كان قد سابب رجلا وكانت أمه أعجمية، فعيره بأمه.. فشكاه إلى رسول الله ﷺ. فقال صلوات الله وسلامه عليه لأبى ذر: «**يا أبا ذر إنك امرأ فيك جاهلية**» أى فيك رواسب من أنفة الجاهلية وحميتها وتفاخرها بالأحساب... الخ . (فارجع إلى توضيح كل هذا فى شرح الوصية) **والله ولى التوفيق**	٤٩٧-٥١١

الوصية الواحدة والثمانون وهى بعد المقدمة: (حول) أمر الرسول ﷺ لنا نحن المؤمنين بأن نتابع بين الحج والعمرة أى ائتوا بهما متتابعين من غير طول فصل بينـــهما، وليس المراد بالمتابعة تعاقبهما من غير فاصل.. (وقد) قال النبى ﷺ فى نص الوصية: (فإنهما) أى: الحج والعمرة: **((ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة..))** الخ. (فـــارجع) إلى توضيح كل هذا فى شرح الوصية . **والله ولى التوفيق**	٥٥٥-٥٦٤
الوصية الثانية والثمانون وهى بعد المقدمة: (حول) صلاة الاستخارة وأهم ما يتعلق بها مـــن تنبيهات (مع) شرح المراد من دعاء الاستخارة.. (ثم) الإشـــارة إلى الاستخارة غير الشرعية.. والنهى عنها لأنها بدعـــة وكـــل بدعـــة ضلالة...(مع) التذير من البدع بصفة عامة..(فارجع) إلى كل هـــذا فى شرح الوصية.. **والله ولى التوفيق**	٥٦٥-٥٧٣
الوصية الثالثة والثمانون وهى بعد المقدمة: (حول) أهم الآداب المتعلقة بتلاوة القرآن.. (مع) النهى عن سؤال الناس بالقرآن كما يحدث من بعض الشحاذين الذين يبيعون القرآن بثمن بخيس.. ولاسيما هناك عند المقابر.. (وقد) كان سبب الحديث كما جاء فى مقدمة الوصية أن النبى ﷺ مر على قارئ يقرأ ثم سأل الناس، أى جعل قراءته مقدمة أمام سؤال الناس ليعطفوا عليه فاسترجع، أى قال: **((إنا لله وإنا إليه راجعون))** ثم قـــال نـــص الوصية التى أرجو أن نرجع سريعا إلى شرحها.. **والله ولى التوفيق**	٥٧٥-٥٨٤
الوصية الرابعة والثمانون وهى بعد المقدمة: (حول) التذكير بأهم بركات سورة (يس) التى كمـــا قال النبى ﷺ فى نص الوصية: **((لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر الله له))** ثم قال النبى ﷺ فى ختام الوصـــية: **((اقرءوهـــا علـــى موتاكم))** أى عند الاحتضار لأنها تسهل خروج الروح.	٥٨٥-٥٩٠